

ديوان محمود سامي البارودي



محمود سامي البارودي

ديوان محمود سامي البارودي

تأليف
محمود سامي البارودي



ديوان محمود سامي البارودي

محمود سامي البارودي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٧٧٠ ٤

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	تقديم ديوان البارودي
٢٧	محمود سامي البارودي باشا يحكي رحلته إلى المنفى
٣١	مقدمة الديوان
٣٥	قافية الهمزة
٤٣	قافية الألف المقصورة
٤٥	قافية الباء
٦٣	قافية التاء
٦٧	قافية الثاء
٦٩	قافية الجيم
٧١	قافية الحاء
٧٩	قافية الدال
١١١	قافية الذال
١١٣	قافية الراء
١٤٩	قافية الزاي
١٥١	قافية السين
١٥٧	قافية الشين
١٥٩	قافية الصاد
١٦٣	قافية الضاد
١٦٧	قافية الطاء
١٧١	قافية الظاء

١٧٣	قافية العين
١٨٥	قافية الفاء
١٩٣	قافية القاف
٢٠٧	قافية الكاف
٢٠٩	قافية اللام
٢٣٣	قافية الميم
٢٦٩	قافية النون
٢٩١	قافية الهاء
٢٩٥	قافية الواو
٣٠١	قافية الياء

تقديم ديوان البارودي

بقلم محمد حسين هيكل

شعر البارودي حياته؛ فكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم، والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه، وللبيئة التي أحاطت به، وللنهضة المتوثبة في الحياة حوله، وللثورة التي تمخضت عنها تلك النهضة، وللنكسة التي أصابت النهضة والثورة كليهما، والتي نقلت الشاعر من وطنه إلى منفاه ليقيم به سبعة عشر عامًا وبعض عامٍ، يستأثر الشعر بها جميعًا. وقد اختار البارودي أثناء نفيه أجود ما قيل من الشعر في العصر العباسي، وقال أجود مما اختار، فبعث الشعر العربي خلقًا جديدًا. وشعر المنفى كشعر الشباب وشعر الكهولة صورة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغمًا من الأنغام؛ تسمو بها النشوة إلى ذروة السرور والطرب حينًا، ويدفعها الطموح إلى مضطرب الثورة والمثل الأعلى حينًا آخر، ثم تصقلها السن ويصقلها النفي، فإذا الحكمة والحنين والحب تبعث إلى هذا النغم سكونية تسمو به على المألوف من ألحان الحياة؛ لا يغير من ذلك ما يدفعه النفي إلى نفس الشاعر من ألم تترجم عنه صيحات ثائرة تعيد أمام أذهاننا صورة من نزوات شبابه وثورة كهولته.

أما وديوان البارودي حياته، فلا بد في تقديمه من وصف هذه الحياة، ومن تصوير البيئة التي عاش فيها. وليس يتسع التقديم للإضافة في الوصف والتصوير؛ فلنتناول من جوانب هذه الحياة، ومن نواحي هذه البيئة ما يُجلي أماننا الحالات النفسية التي أملت على الشاعر شعره. وسنرى أن هذا الوصف كثيرًا ما يوضح أغراض الشاعر؛ فيعيننا على

إدراكها كاملة، ويجلو لنا العمل العظيم الذي أتمه البارودي، فبعث به الشعر العربي واللغة العربية، ومهد لنا من ألوان المتاع بهما والانتفاع بترائهما ما يرفع ذكره في الخالدين. ولد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية/ ١٨٣٨ ميلادية. وكان أبوه «حسن حسني بك البارودي» من أمراء المدفعية، ثم صار مديرًا لبربر ودنقلة في عهد المغفور له «محمد علي باشا» والي مصر. وكان «عبد الله بك الجركسي» جده لأبيه. أما لقبه «البارودي» فنسبة إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة. وذلك أن أحد أجداده الأمير مراد البارودي بن يوسف شاويش، كان ملتزمًا لها، وكان كل ملتزم ينسب في ذلك العهد إلى التزامه. وكان أجداد البارودي يرقون بأنسابهم إلى حكام مصر المماليك. وكان الشاعر شديد الاعتداد بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله، فكان له فيه أثر قوي في جميع أدوار حياته، وفي المصير الذي انتهى إليه.

ولقد حُرِم «البارودي» العطف الأبوي منذ نعومة أظافره. مات أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره، فكفله بعض أهله وضموه إليهم. وقد تلقى في بيتهم دراسته الأولى من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة. فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزة؛ ومن ثم كان لزامًا على أبناء هذه الطبقة أن يتعلموا فنونها لينهضوا بالمناصب الرئيسية للدولة؛ هذا إلى أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثه فيها محمد علي، والذي كان الجيش أسه وقوامه.

وخرج البارودي من المدرسة الحربية في أخريات سنة ١٢٧١ هجرية/ ١٨٥٤ ميلادية، وهو في السادسة عشرة من عمره. ولسوء حظه وحسن حظ الأدب كانت ولاية مصر قد آلت حينئذ إلى «عباس الأول» ثم إلى «سعيد»، وكان «عباس» قد عدل عن الخطة التي بدأها محمد علي حين رأى الدولة العثمانية تنظر إلى جيش مصر بعين الريبة والقلق، لذا تعطلت النهضة التي كانت متصلة بالجيش في الصناعة والتعليم، وبدأ يخيم على مصر جو من الركود وإن دأبت الروح المصرية في توثبها بعد الذي رأته من قوتها على غزو الشعوب وغزو المملكة العثمانية نفسها.

وأظل عهد سعيد وخرج «الباشجاويش» «محمود سامي البارودي» من المدرسة الحربية في هذا الجو الراكد تستجن في حناياه أسباب اليقظة والقلق. ماذا تراه يصنع؟ لقد سرح الجيش، وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر، وقسر هو وأمثاله من رجال

السيف على عيش الخمول والدعة، وكان أكثر هؤلاء رجالاً صغار الأحلام لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى سكينتهم وسكنوا إلى خمولهم، ولعل كثيراً منهم قد سرهم البعد عن مواطن القتال وخطره، وطاب لهم عيش الدعة والتنادر بفارغ القول وهُراء النميمة والنفاق. فأما هذا الشاب الذي لم يخض بعد غمار الحياة والذي يجري في عروقه دم الإمارة والمجد، فقد أحس ثورة الشباب تهزه هزاً عنيفاً. تطلع إلى الماضي القريب وذكر مسيرة الأعلام المصرية إلى بلاد العرب وإلى سورية وإلى الأناضول، فتمنى لو أنه نعم بنعيم هؤلاء الغزاة وشاركهم في سراهم وضرائهم. وتطلع إلى ما قبل هذا الماضي، فارتسمت أمامه صورة أجداده المماليك يحكمون على ضفاف الوادي، فحنَّ إلى عهدهم، وتمنى لو كان معهم. والمنى حلم مسعد ما اتصل بمستقبل يرجو الإنسان فيه مجداً وسلطاناً، لكنها ألم لاذع حين يطلب إلينا الماضي أن نحققها فإذا المستقبل أمامنا مظلم عبوس.

كيف يتسلى الشاب عن هذا الألم؟ ألا سبيل إلى ميادين يخلقها وحروب يخوض غمارها مع الخائضين؟ إن العرب أجدادنا الأولين — والعربي جد لكل من تكلم العربية — قد سجلوا في شعرهم وقائع الحرب، وصوروا ميادينها، وبلغوا من قوة تصويرهم أن أجروا فيها حياة لا تبلى، حياة لا تعرف الركود ولا الضعف ولا الاستكانة. فليرجع الشاب إلى ديوان الحماسة، وليقرأ الشعراء الذين يطوون الزمن أمام بصائرنا، ويجعلوننا — على بعد ما بيننا وبينهم — نسمع قعقة السلاح، ونرى نزال الأبطال، ونشترك معهم في المعركة بقلوبنا وأرواحنا، وإن لم نشترك فيها بدروعنا وسيوفنا.

اندفع الشاب يقرأ الشعر العربي القديم، فتختزن ذاكرته القوية منه كل ما طاب لها اذكاره. وألفى البارودي في هذا الشعر روعة وجمالاً يأخذان باللب، ويحركان اللسان إلى القول. وهذا الشعر لا يقف عند الحروب والميادين وما تخلعه على الأبطال من مجد، بل يتناول الحياة كلها: جدها وهزلها، حلوها ومرها؛ ففيه الغزل والوصف والحكمة، وكل ما يطمع الإنسان أن يجده فيه. وأنت كلما ازددت إمعاناً في قراءته وتدقيقاً في معانيه، انفسحت لك أماده، فازددت به متاعاً، وبحفظة تعلقاً.

وتحركت نفس الشاب لقول الشعر بعد أن توفر على مطالعته واستظهاره. لكن! أي شعر يقول؟ وإلى أي الأغراض ينزع؟ أفيمدح؟ ولكن من؟ ولماذا؟ أفيدعو؟ ولكن من؟ وإلى أي شيء؟ وهل بين الأغراض أنبل مما يجول بنفسه من آمال وآلام! أليس هو البارودي؟ سليل المماليك، الطموح إلى المجد وإلى الفخر بماضٍ مؤثّل! والدم الذي يجري في عروقه، وإن فقد أباه طفلاً وعاش يتيمًا، يسمو به على أمثاله من أرباب السيف جميعًا، بل يسمو به على كل من في المملكة، ويجعله وحده الجدير بأن يكون غرض شعره.

هذه النزعة في شعر البارودي بدت منذ شبابه، ومنذ بدأ قريضه يستقر لتحفظه الأجيال، والقصيدة التي رثى بها أباه وهو في العشرين من سنه تصرح بهذا المعنى واضحاً جلياً، فهو يقول فيها إنه فرد بين أنداده لا نظير له فيهم. وهو يكرر هذا المعنى في كل شعره طول حياته. وإيمانه بتفوقه هو الذي سما به إلى الذروة من مناصب الدولة، كما أنه هو الذي انتهى به إلى النفي وبشعره إلى الخلود.

ولقد رضي البارودي عن شعره منذ قاله، إذ رآه صورة نفسه، وما تصبو إليه من مجد. لذلك لم ينصرف عنه حين عيّره أبناء طائفته أنه يحاكي النظاميين الذين يلتمسون عطف حاكم، أو عطاء أمير. وكيف يسمع لهم أم كيف يطيعهم؟ وهو يقول الشعر سموًا بأغراضه عن أن تصاغ إلا في أجمل اللفظ وأروع العبارة! ولقد سبقه من الأمراء في الدول العربية شعراء مجيدون خلد الدهر شعرهم وأثبت التاريخ في أمجد صفحة أسمائهم. وكان ابن المعتز شاعرًا، وكان الشريف الرضي شاعرًا، وكان أبو فراس شاعرًا، وكان امرؤ القيس قبل هؤلاء جميعًا شاعرًا. ولقد قرأ البارودي شعرهم جميعًا فطرب له واهتز لروعته. أفلم يقرأ من يعيرونه مثل ما قرأ؟ وما ذنبه إذ قعد بهم جهلهم عن المتاع بجمال الشعر، وقعدت بهم قراحهم عن صوغ مثله! وهو في هذا المعنى يقول:

تكلمت بالماضين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالإساءة غافل فلا بد لابن الأيك أن يترنما

كانت دولة الشعر ناشئة إذ ذاك. فكان عبد الله فكري ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله النديم وقليلون غيرهم يقولونه في أغراض شتى. لكن البارودي الناشئ كان من طراز غير هؤلاء جميعًا. كان غيرهم بنسبه، وبتفكيره، وبمثله الأعلى في الحياة؛ ثم كان غيرهم بموهبته في الشعر. فهو لم يتعلم النحو والصرف والعروض والقوافي، وهو لم يقل الشعر يبتغي بقوله مأربًا، إنما سجع به لأنه في سليقته، ولا بد لأبن الأيك أن يترنم، وسجع به على عادة الأمراء الشعراء من قبله ليخلق من بحوره ميادين لمجد يعوضه مما فات سيفه في ميادين القتال، بعد أن ردّت الأقدار سيف مصر إلى غمده.

على أنه رأى الجو المحيط به لا يتسع لتحليقه ولا لطموحه. ولعله رأى كذلك أن هذا الشعر العربي الذي اتصلت أنغامه بروحه قد يضيق على سعته عما تصبو إليه روحه. لذلك سافر إلى الأستانة عاصمة الدولة، والتحق بوزارة الخارجية، وتعلم اللغتين

التركية والفارسية، وعكف على آدابهما، فاستظهر شعرهما وتغنى بأوزانه، ودعته سليقة الشاعر إلى القول فقال بالتركية والفارسية، كما قال من قبل بالعربية.

على أن السليقة العربية كانت أصيلة في نفسه، فلم يفتأ طوال السنين التي أقامها على ضفاف البسفور يقرأ دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين ويدرسها ويستظهر منها ما يطيب له استظهاره. فلما كانت السنة ١٢٧٩ هجرية/ ١٨٦٣ ميلادية سافر «إسماعيل باشا» بعد أن تولى أريكة مصر يرفع إلى متبوعه الأعظم بالأستانة أي الشكر على ولايته، وألحق «سامي البارودي» بالحاشية التي صحبتته أثناء مقامه بدار الخلافة، فتوسم إسماعيل فيه النجابة والطموح، فعاد به إلى مصر في شهر رمضان من تلك السنة.

عاد «البارودي» إلى مصر في الرابعة والعشرين من سنه يبدأ صفحة جديدة من حياته، فقد عقد إسماعيل العزم على أن يعيد مصر سيرتها في عهد جده، فيجب أن يكون لها جيش قوي وأعلام خفاقة، ويجب أن تعود إلى نهضتها في العلم والصناعة، بل يجب أن تتطلع إليها أنظار العالم كله إعجاباً بها وتقرباً إليها، ويجب لذلك أن تنقل كل ما في أوروبا من أسباب الحضارة، ولأن تسير في ذلك بخطى جبارة تجعل هذا العامل المصلح يرى بعينه ثمرة سياسته ومجهوده. ورُقّي البارودي في رتبته العسكرية أول ما نزل مصر، وعين على قيادة فرقتين من الفرسان Les Gardes ففتح رقيه آفاقاً من الحياة أمامه جعل عابستها يبسم له. وزاد في ابتسامها أنه لم يلبث في منصبه الجديد إلا قليلاً، ثم أوفد إلى فرنسا مع جماعة من ضباط العسكرية المصرية حيث شهدوا مناورات الجيش الفرنسي السنوية، ومن هناك سافروا إلى لندن، فشهدوا من الأعمال العسكرية ما زادهم بها علماً.

وعادوا جميعاً إلى مصر، فإذا الحظ يلقي البارودي مفتوح الذراعين ليضمه إليه، فيرقى به في سنة إلى رتبة «القائمقام» في فرسان الحرس Les Gardes، ثم إلى رتبة «أميرالاي» ليتسلم قيادة الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاص. أي شيء هذا إلا أنه المجد الذي طمح إليه صبيّاً، فلما لم تتيسر له أسبابه هجر مصر إلى الأستانة. أما وقد بدأ الدهر يعرف له مكانه ويهيئ له أسباب العظمة طائعاً مختاراً، بل مغتبطاً مسروراً، فقد بدأت الأمور تطمئن والعدل يعود إلى مصر، أفان لهذا الشاب أن يستقر؟ كلا! فقد شبت الثورة في جزيرة أقریطش (كريت) على الدولة العثمانية بعد أربعة أشهر من تسلمه تلك القيادة. وكانت سياسة إسماعيل ترمي إلى مجاملة الخليفة ومعاونته ليلبغ

الغاية من أغراضه. لذلك أرسل جنداً يعاون قوات جلالته على قمع تلك الثورة، ثم كان البارودي «رئيس ياور حرب» في هذا الجند، ما كان أسعده يوم عُيِّن، وما كان أشده سعادة يوم سافر! لقد شعر بسيفه يهتز في قرابه، وبيده تمسك مقبض هذا السيف لتضرب به الثائرين، ورأى مجد الجندي يتجلى أمامه وهو واقف على السفينة يلقي على الموج المصطخب نظراته الهادئة المطمئنة. فلما رست به السفينة على شاطئ الجزيرة الثائرة خف يتقدم رفاقه، مسرعاً بصره في الأودية والوهاد حوله، مشوقاً أي شوق للقاء الذين خرجوا على الولاء للدولة وتنكبوا عن طاعة السلطان.

وأحسن «البارودي» البلاء في الحرب، فأنعم عليه السلطان بالوسام العثماني من الدرجة الرابعة. لكن إنعام البارودي علينا وعلى نفسه كان أعظم من كل وسام. ففي الحرب قال نونيته التي مطلعها:

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان وهفا السرى بأعنة الفرسان

كما قال أبياته التي استهلها بقوله:

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارت كما تهوي على قطبها الحرب

من يومئذ بدأت الأنظار تتطلع إلى البارودي الشاعر تطلع إعجاب وإكبار. لقد ترنم هذا الشاب بأنغام في الشعر لم يألّفها أهل زمانه. فهم إنما ألّفوا الشعر تجارة ومرزقاً؛ كان محمود صفوت الساعاتي، أسلم معاصريه ديباجة وأقومهم عبارة، لا يقول إلا ليمدح أمراء الحجاز أحياناً، وولاة مصر وسادتها أحياناً أخرى، يبتغي عطاءهم ويرجو إحسانهم. وكان ما يعرض في شعر هؤلاء المعاصرين من حكمة أو فخر قولاً معاداً. سبقهم إليه غيرهم في ديباجة أمتن ولفظ أكرم. وكانوا جميعاً متأثرين بشعر المتأخرين، فكانت المحسنات البديعية عندهم كل شيء، وكانت معانيهم في جملتها مطروقة متداولة. أما هذه القفزة التي قفزها «البارودي» فسمّا بها إلى مكان الفحول من الشعراء الأولين في الجاهلية والعصور الأولى من الإسلام، فقد أثارت عجب الناس واستثارت إعجابهم. وحق للناس أن يعجبوا. فهذا الشاب الشاعر الملهم هو الرسول الذي بعثته العناية لينفخ في الشعر العربي روحاً تنشره من الجذب الذي انطوى عليه القرون الطوال، وليمهد السبيل من بعده لأبناء مذهبه: شوقي، وحافظ، وإسماعيل صبري، ومن سار سيرتهم، ونسج نسجهم.

ما الجديد الذي استرعى الأسماع في شعر البارودي؟ أهو الأسلوب الجزل والديباجة البدوية اللذان تجليا في كثير منه؟ لكن أسلوب «الساعاتي» وديباجته كانا لا يخلوان من جزالة وبداعة، وقد نزع جميع الشعراء إبان هذه النهضة الأولى ذلك المنزع، فإن فاقهم «البارودي» وسما عليهم فلا جديد في تفوقه، إنما الجديد الذي استرعى الأسماع لشعره ودعا إلى الإعجاب به، هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو في بساطة وسلاسة وقوة، دون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية من جناس وطباق ونحوهما، ودون إغراب في الخيال، إن آثار العجب لم يثر الإعجاب.

وفي شعر «البارودي» ظاهرة لعله لم يفطن لها أول الأمر أحد. فهو قد اعتمد في تصويره الواقع على حاسة النظر أكثر من اعتماده على سواههما. وأنت إذ تقرأ قصيدتيه اللتين أثبتنا مطلعيهما عن حرب «أقريطش» ترى تصوير المرثيات واضحا فيهما كل الوضوح، وترى هذا التصوير سهلاً لا تعمل فيه. فهو في القصيدة الأولى يصور الليل الضارب بجرانه فوق الربى والمتالع، لا تستبين العين في ظلماته غير الضوء المنبعث من أسنة الحراب، وغير التماع سيوف الثائرين المختفين في جنح الظلام، فإذا أصبح الصبح رأيت هذه الجبال انقلبت أسنة وأعنة لكثرة العدو الجاثم فوقها، ورأيت الماء أحمر قانياً لكثرة ما يختلط من دم القتلى به. وتستطيع أن ترجع إلى القصيدة الثانية في هذا الجزء من الديوان لترى صورة الحرب دائرة الرحي، والخييل مائجة من الكر والفر صدورها، والأرض دائرة بالأبطال كأنهم سكارى من وقع الهول، والشاعر يرى هذا كله ثم يقول:

صبري لها حتَّى تجلَّتْ سماؤها وإني صبورٌ إن ألمَّ بي الخطبُ

وتصوير المنظور صفة بارزة في شعر البارودي كله، وذلك شأنه بخاصة فيما لم ينزع فيه إلى تقليد المتقدمين. بل لقد كان هذا التصوير الروائي للمنظورات يغالبه وهو يقلد، وبائيته المشهورة التي قالها في صباه معارضاً قصيدة الشريف الرضي «لغير العلا مني القلى والتجنب» والتي مطلعها:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويعجب

فيها من هذا التصوير شيء غير قليل.

وأنت ترى التصوير واقعياً في غير تقليد في بائيته التي مطلعها:

أين أيام لذتي وشبابي أتراها تعود بعد الذهاب

وهو يصف في هذه القصيدة مشهداً لمصر تراه أعيننا كما رآه هو، ويصفه وصفاً قوياً يجعله حياً ناطقاً، كله النشاط والحركة. ولقد قال هذه القصيدة وهو منفي في سردينيا يأسف فيها لذهاب الشباب ويحن إلى وطنه، فإذا الوطن صورة منظورة أمامه يرسمها رسم مصور بارع.

ولقد قوت البيئة التي عاش فيها البارودي هذا الجانب التصويري من شاعريته. فهو مذكور من «أقريطش» بعد قمع ثورتها، قد أقام اثنتي عشرة سنة كاملة بعيداً عن ميادين القتال، عين أثناءها ياوراً «بمعية» الخديو إسماعيل، ثم رئيس الياوربة، ثم اصطفاه الخديو كاتم سره الخاص، ثم سافر في رحلتين قصيرتين إلى الأستانة في مهمة سياسية تتصل بفتنة «الهرسك»، ثم بفتنة «البلقان والجبل الأسود» في هذه السنوات الاثنتي عشرة سنة كانت مصر ميدان حياة ونشاط قل نظيرهما في أمة من الأمم. نهض بها إسماعيل بعد النكسة التي أصابته في عهد سلفيه سعيد وعباس الأول، نهضة هي أدنى إلى الثورة منها إلى النشاط، أراد لها أن تقف مع الأمم الأوروبية في صف الحضارة وأن تكاتفها في الوجود الدولي. وهذه الأمم قد بلغت مكانتها في أجيال متعاقبة بذلت أثناءها جهوداً جبارة لتبلغ ما بلغته، فليضاعف أبو الأشبال الجهود، وليجعل الزمن رهن أمره، وليدفع مصر متضافرة معه، قوية بقوته، ليصل في سنوات إلى ما وصلت إليه أوروبا في تلك الأجيال، وماذا ينقصه أو ينقص مصر لتحقيق هذه المعجزة؟ العزم! الذكاء! الهمة! البأس! هذا كله موفور فيه وفي مصر، وكل ما عليه أن يتجنب ما وقع فيه جده الأكبر فلا يناصر الدولة العثمانية العداوة، فينجو من تألب أوروبا عليه. فأما المال فالحصول عليه يسير، فمصر غنية، وقناة السويس التي تشق خلالها ستزيدها ثراء وتجعلها مركز الحياة في العالم.

ذلك ما يؤكد دليسيبس، وذلك ما لا سبيل إلى الريب فيه. فلتتقرب مصر المال لتحقيق بنهضتها المعجزة التي تبهر العالم. ومصر الناهضة الفتية القوية قديرة على أداء ديونها وعلى مضاعفة ثروتها.

وأول ما مرَّ بخاطر إسماعيل أن تضارع عاصمته نابليون الثالث، وأن تكون القاهرة باريس الشرق، ولم تك إلا سنوات حتى قامت القصور شاهقة على شاطئ

النيل بين الجزيرة والروضة: روضة المقياس. لكن إسماعيل كان أبعد نظرًا وأعمق ذكاء من أن يكتفي بهذه المظاهر. فلتفتح المدارس، ولتتمد السكك الحديدية، وليعم النشاط المعمّر أنحاء الدولة جميعًا، ولتضارع حكومة مصر شركة قناة السويس في الجد والمثابرة، وليكن افتتاح القناة بين البحرين الأبيض والأحمر مشهدًا فذاً في تاريخ العالم كله، تقع فيه أعين الملوك والساسة على مصر المتحضرة الناهضة بعبء الحضارة كنهضة فرنسا وإنجلترا بعبئها، وعلى إسماعيل ملك مصر ذي الأيدي قائمًا في أبهة من السلطان تذوي أمامها أبهة أصحاب العروش في الدول الأوروبية كلها.

وقد رأيت البارودي في معية إسماعيل ورأيتُه أمين سره، والبارودي شاب شاعر قوي الحس طموح إلى العلا، ابتسم له الحظ فقربه من صاحب العرش، وجعل الحياة وسرها ونعمته في ملكه وطوع يده. ماذا يصنع؟ أقام بطلوان، وأرعى لشبابه ولهوى الشباب العنان؛ فعرف الشراب ومجالسه، والغواني وفتنتهن، والطرب بالموسيقى والغناء؛ وقال في هذه الأغراض جميعًا، فما تكاد قصيدة من قصائده تخلو منها، لكنك في حل من أن تسأل: أأمعن في الحب وخضع لسلطانه؟ أو بلغ من إدمان الشراب وحياة اللهو ما بلغ الماجنون؟ أم كان شعره في الغزل وفي الخمر شعر محاكاة أكثر من تحدثا عن غرام صادق آخذ بمجامع قلبه، وعن إغراق في اللهو والخمر ولوع بهما؟ أحسبنا في حل من القول بأنه كان مقلدًا في عزلته وفي خمرياته، وأن هوى نفسه كان إلى شيء غير المرأة وغير الخمر، وأن حديثه عن الخمر وعن المرأة إنما كان مقدمة إلى الفخر والوصف والسياسة وغيرها من الأغراض التي يريد القول فيها، وأنه في هذه المقدمة كان ينسج على غرار الأقدمين.

وما أكثر ما نسج البارودي على غرارهم؛ فهو طالما راض القول معارضًا الفحول الأولين، محاولًا أن يبذلهم في ديباجته وفي قوة معانيه، وقد وفق للتفوق عليهم في أحيان، وقصر عن مداهم في أحيان أخرى، وكثيرًا ما كان ينتقل في معارضاته من بيئته المصرية الحديثة إلى بيئة بدوية جاهلية أو بيئة إسلامية بالشام أو بالعراق في عهد بني أمية أو بني العباس، ثم كان يجعل الغزل واللهو بالخمر والنساء، والحماسة والفخر، أغراضًا له في القصيدة الواحدة على طراز من حمل نفسه على معارضتهم؛ وكانت ذاكرته القوية تواتيه فيما يعارضهم فيه حتى تخاله أحدهم، ويختلط عليك الأمر إذا أردت أن تميز بين شعره وشعرهم، ومن كانت هذه حاله لم يكن لهوهم صادقين عن عاطفة ألهبها الحب أو حركتها الخمر بمقدار ما حركها الحرص على التفوق في حلبة الفحول الأولين. وأنت

تراه يذكر في الحب ما تكاد تظنه حكاية حال، كقصيدته عن غرامه بغادة حلوان. وإنا لنميل إلى القول بأن هذا الغرام لا يزيد على صورة تخيلها الشاعر، وأقصى ما يذهب إليه الظن أنها صورة رأها في ليلة أنس فأعجبته فخلع عليها من شعره معاني الغرام، وإن لم يملكه حب ولم يقيم بنفسه غرام. فالقصيدة التي تقص هذه الحكاية تبدأ بالخمير والحديث عنها، ثم تروي حديث هذا الغرام لتنتقل منه إلى الفخر بقومه الذين يدفعون عنهم مصارع هواه، فهم:

رجال أولو بأس شديد ونجدة فقولهم قول وفعلهم فعل
إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسه وسال بدفاع القنا الحزن السهل

وأنت ترى تداول هذه الصور في الكثير من قصائد شبابه: خمير وغزل وفخر، ولا ريب في أنه كان يحس ما يقوله في هذه الأغراض جميعاً، لكن الذي لا ريب كذلك فيه أن الحب لم يفتن يوماً لبه، وأن الخمير لم تذهب يوماً بعقله، فأما الفخر فكان يعبر عن أمانيه الخفية وآماله المكظومة. أقبل يقول الشعر في هذه الأغراض وفيما يتصل بها، متنقلاً بين حلوان والجزيرة، سعيدياً بمقامه إلى جانب إسماعيل، مطمئناً إلى حظّه بمصر، اثنتي عشرة سنة كاملة، وكما اختزنت ذاكرته الشعر صدر شبابه فقد اختزنت في هذه السنوات المتعاقبة من صور مصر ما زاده حباً لها وتعلقاً بها، وما جعله يتحدث في شعره عنها ويصف بديع مناظرها وصفاً لم يسبقه إليه أحد. وصف نهرها الفياض أبا الخير والنعمة، ووصف مزارعها الفسيحة تتراعى أمام النظر إلى حدود الأفق، ووصف آثارها الفرعونية على نحو لعله أحدث ما جدد الشعر في عهده، وصف هذا كله مستقلاً بوصفه حيناً، جاعلاً منه بعض موضوعه في قصيدة من القصائد حيناً آخر، مستمتعاً به في الحالين، مسبغاً عليه من روعة شعره ثوباً يزيد جمالاً ويزيد المصري له حباً وبه تعلقاً.

فلما كانت سنة ١٢٩٤ هجرية/ ١٨٧٨ ميلادية أعلنت روسيا الحرب على تركيا، وأرسل إسماعيل جيشاً يعاون متبوعه الأعظم، وسافر البارودي مع الجيش، واشترك في الحرب وكوفئ عن مواقفه فيها بإنعام الخليفة عليه برتبة أمير اللواء وبنيشان الشرف (الميداليا) وبالوسام المجيدي من الدرجة الثالثة.

ولم تصرفه ميادين القتال عن قول الشعر، بل لقد بعث منها إلى مصر من عيون شعره ما جرى بعضه مجرى الأمثال. ومن الذي لا يحفظ قوله:

إذا نحن سرنا صرَّحَ الشرُّ باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وفي هذه الفترة أضاف البارودي الحنين إلى الوطن إلى أغراض شعره، فهذا الحنين الذي لم يكن باديًا أيام «أقريطش» قد بدأ في حرب البلقان يظهر قويًّا، كما ترى في أبيات هذه القصيدة بل في مطلعها:

هو البينُ لا سلام ولا ردُّ ولا نظرة يقضي بها حقَّه الوجدُ

وظل تصوير المنظور واضحًا في هذا الطور وضوحه في أطوار شعر البارودي جميعًا؛ بل ظل يزداد قوة ووضوحًا، وتزداد فيه الحركة والحياة بنوع خاص. فالبارودي إذ كان يسجل الصور في شعره لم يكن يسجلها في صمتها وسكينتها على ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة، بل في نشاطها وتحركها، حتى يرسم أمامك فيض الحياة في كل ما تقع عليه وما تحيط به باصرته.

عاد البارودي من حرب البلقان وقد أدرك الأربعين، وبلغ من الرتب العسكرية أسماها، فعُيِّنَ مديرًا للشرقية، فمحافظًا للعاصمة. وبينما هو في هذا المنصب ترك إسماعيل حكم مصر بعد تدخل الدول الأجنبية في شئونها، فكان ذلك نذيرًا بتجهم الحظ لبلاده، وللشاعر الفحل الذي شدا بجمالها وتغنى بمجدها.

لكن النهضة التي بثها إسماعيل في مصر، تركت في نفس الشعب أثرًا لا يسهل التغافل عنه أو القضاء عليه، يستطيع السلطان العثماني أن يصدر فرمانًا بتوليته توفيق، ويستطيع إسماعيل أن يغادر بلاده إلى إيطاليا، ويستطيع توفيق أن يجلس على عرش أبيه؛ ذلك كله يسير؛ لأنه يصدر بأوامر رسمية، وينفذ طوعًا لهذه الأوامر، لكن النبات الذي وضعت بذرتة في التربة المصرية في عهد محمد علي، والذي تعهده إسماعيل بعنايته، وبذل الجهد والمال لتقويته، لا يمكن أن تنزعه الأوامر، أو يذهب به تغير الجالس على العرش، فكان طبيعيًّا أن تثير هذه الأحداث عواطف الشعب المصري على التدخل الأجنبي، وأن تلهب في النفوس شرارة القومية، وأن تدفعه إلى التشبث بالشورى وبالحكم النيابي وسيلة لإقامة العدل ومتابعة الإصلاح.

وزاد ارتقاء توفيق عرش مصر رجاء الشعب في بلوغ هذه المطالب، فازداد بها تشبُّهًا، ذلك أن توفيقًا كان متصلًا بالسيد «جمال الدين الأفغاني» وبالشيخ «محمد عبده» وبالدعاة إلى الإصلاح وإلى الشورى، على أنه لم يلبث حين آل إليه الحكم النيابي، وأعاد السلطة المطلقة، وهو لم يفعل ذلك تمرّدًا منه على المبادئ التي قال من قبل بها، وإنما فعله ضعفًا إلى التدخل الأجنبي الذي ازداد في عهده على ما كان في عهد أبيه، فكان للأجانب في الواقع زمام الأمر، وإن أرادت المظاهر الرسمية أن يكون توفيق المسك بهذا الزمام.

وكان «سامي البارودي» من أنصار الحركة القومية ومن المقربين لذلك إلى توفيق في الزمن الأخير من عهد أبيه والفترة الأولى من عهده، ولقربه منه عينه مديراً للأوقاف، فأصلح فيها ما وسعه الإصلاح، على أن اطراد التدخل الأجنبي ومقاومته لفكرة الحكومة النيابية في مصر حال دون ما يحتاج إليه الإصلاح من هدوء واستقرار. وقد أحس المستنيرون من المصريين بأن عليهم واجباً لأنفسهم ولبلادهم أن يقاوموا تيار هذا التدخل، وكان المستنيرون يومئذ هم رجال الجيش كما سبق القول. لذلك انتقلت حركة المطالبة بالشورى والإصلاح من أيدي المدنيين إلى أيدي العسكريين. أذن هذا الانتقال بإثارة مشكلة جديدة لم تكن بادية للعيان في عهد إسماعيل، على رغم ما كان من نشاطها أثناء استخفافها. تلك حركة المصريين في الجيش، فقد كان رؤساء الجيش من الجراكسة والترك، ولم يكن يرقى إلى الصفوف الأولى من المصريين أحد. وكان هؤلاء الرؤساء على جانب عظيم من الغطرسة والبطش، أما ومصر تريد أن يكون أمرها لبنيتها ولا تريد للأجنبي سلطاناً، فمن الحق أن تكون سياسة الجيش للمصريين، وألا يكون لهؤلاء الرؤساء الأجانب ما لهم من سلطان.

لم تكن هذه الفكرة واضحة في النفس المصرية هذا الوضوح في عهد إسماعيل، ولا أول حكم «توفيق»، ولعل التدخل الأجنبي هو وحده صاحب الفضل في تحريكها وإظهارها من بعد بجلاء وقوة، وإنما كانت الشكوى قبل ظهورها مقصورة على طلب العدل ورفع الظلم، لذلك كان «محمود سامي البارودي»، وهو جركسي كغيره من الجراكسة، محبوباً من المصريين محباً لهم، بل كان موضع رجاء العسكريين منهم في رفع الحيف النازل بهم، وكيف لا يحبه المصريون جميعاً وقد تغنى بحب مصر ما تغنى، وقد وصف من جمال مصر ما لم يسبقه أحد إليه، وقد صور هذا الجمال في دقة تدل على إخلاصه وصدق محبته!

فلما ثار العسكريون المصريون بناظر الحربية «عثمان رفقي» فاستقال، أسند «توفيق» هذه الوزارة إلى البارودي مع ديوان الأوقاف.

على أن إسراع توفيق إلى الاعتاض بالحوادث وإنعائه للتدخل الأوروبي وظهوره بتأييد الحكم المطلق وقف البارودي موقف الحيرة: أيا ظل على ولائه لصاحب العرش، أم على وفائه للشعب الذي اختصه بحبته، ورأى رياض باشا، رئيس الوزارة يومئذ، إيثار البارودي للشعب، فدرس عليه عند توفيق، فاضطره إلى الاستقالة من الأوقاف والحربية، ودفعه إلى اعتزال الحياة السياسية والعيش بعيداً عن جو القلق والاضطراب.

رأى توفيق حركة الجيش تكبر، فنحى رياضاً وأسند الوزارة إلى شريف باشا، ولم يقبل البارودي العود إلى الحكم حتى ألح عليه توفيق وأقسم له أن ليس في نفسه منه شيء، واستقال «شريف» فاضطر «البارودي» أن يؤلف الوزارة، بعد أن أصبح زمام الأمر في مصر إلى الضباط الذين يعتبرون الجراكسة أجانب كغيرهم من الأجانب.

وكان البارودي يرجو أن يتلافى هذه الحركة، وأن يصل بحسن رأيه إلى إقامة العدل والإصلاح في مصر على أساس من مبادئ الثورة السليمة التي انتشرت دعايتها في البلاد؛ لكن الأمور سارت على غير هواه، واندفع الضباط يفكرون في خلع توفيق، وقد نازعته نفسه يومئذ إلى مكان المجد وتحركت فيها أسباب الاعتداد بمكان أجداده المماليك الذين حكموا مصر، وقصيدته التي مطلعها:

قلدت جيد المعاني حلية العَزَلِ وقلت في الجدِّ ما أغنى عن الهزل

لا تبرئه من هذا التفكير، وإن ذكر في الديوان أنها قيلت في عهد «إسماعيل»، لكنه رأى إنجلترا وفرنسا تتدخلان وتبعثان بمذكرتهما المشتركة إلى الحكومة المصرية، فأحس الخطر، ورأى أن لا طاقة لمصر بمواجهة هذا الموقف، ولقد حاول أن يتخلص منه بالاعتزال في مزارعه، وذلك بعد أن نصح للعرايين وصارحهم برأيه، لكن اندفاعه في حركة الضباط من بدائتها حال بينه وبين التخلص منهم، فلم يكن له بد من أن يسير معهم، وأن يربط حظه بحظهم، وهذا الموقف الذي وقفه البارودي هو الذي جعله لا يبرز في الصف الأول من صفوف الثورة العرابية ولا يتولى زعامتها، ولو أنه كان مؤمناً بها إيمان عرابي وأصحابه لكان من الطبيعي أن يتقدمهم وأن يدعو بدعايتهم، فهو قد اشترك في حروب «أقريطش والروسيا» وأبلى فيهما بلاء يجعله أقدر ضباط الثورة جميعاً على قيادتها.

وهو قد كان لا ريب أكثرهم نكاء وأعلامهم ثقافة وأعرفهم بشئون الحياة الدولية. أما وقد سائرهم إنعائاً لحكم الأحوال فقد رجع إلى الصف الثاني من صفوف الثورة، فلما أخفقت وحوكم زعماءها حكم عليه معهم؛ لأنه شجّعهم أول أمرهم، ولأنه لم يتنصل عنهم حين لجوا في عصيانهم. ونفي مع زملائه زعماء الثورة إلى «سيلان»، فأقام بها سبعة عشر عاماً وبعض عام.

ولقد أقاموا جميعاً في كولومبو سبعة أعوام عاف البارودي خلالها بيئتهم إذ دبّت الشحنة بينهم، وانقلب كل يلقي على زملائه تبعة ما حل به، ولم يكن ذلك ديدن البارودي ولا كان من خلاله، لذلك انتقل إلى «كندى» حيث قضى عشرة أعوام آخر تعلم خلالها الإنجليزية، وعلم بعض أهل «كندى» الدين الإسلامي واللغة العربية، واستطاع أن يتسلى، وإن لم يسلم يوماً وطنه وأهله ومجده.

لمن يبث شكواه أو يعلن أساه؟! لا خير في اصطفاء زملائه وكلهم طائر اللب مروع القلب، ولا خير في التحدث إلى أهل البلاد، وقليل منهم من يفهم حديثه، وأقل من ذلك من يعرف قصته، لا معين له على شكوى إذن إلا ربة الشعر. فليشركها معه، وليترنم وإياها بهوممه، وليستعن بها على التصبر إن لم يجد إلى الصبر الوسيلة، وليتخذ منها رسوله إلى النائين عنه بمصر ممن يذكرونه ويتحسرون على مصابه حسرة على الشعر أن يقسو به القدر كل هذه القسوة، وكانت ربة الشعر نعم العزاء، مدت إليه قيثارتها، وألهمته أبلغ آياتها يوقعها عليها ليصعد في أنغامها كربة نفسه وهمة قلبه، يراجعه الحنين إلى الوطن فيشكو النوى، ويصور الوطن أروع صورة في أبرع عبارة؛ ويثور على الحنين وعلى الوطن فيعلن مصر ويهجو ناسها؛ ويحز الأسى في نفسه فيتوجع، وتراجعه جركسيته ويثور في عروقه دم الممالك فيعود إلى الفخر؛ وتبلغه الأنباء بوفاة الأهل والأصدقاء، فيرثي ويبكي ويسلم أمره إلى الله؛ وينخرط في الأسى وفي الألم، فيتخذ الزهد ملجأً من أساه ومن ألمه، ويقصر الزهد فلا يأسو جراح نفسه، فيثور، ويبلغ بالثورة أقصى الحدود؛ ويشعر بذهاب الشباب وبالأجل المكتوب في الغربة والنأي عن الإخوان والأهل فيستسلم للقضاء، وربّة الشعر في هذه الحالات جميعاً مسلمة إليه نفسها، مسلمة له قيادها مادّة إليه قيثارتها تلهمه وتقول معه وتعينه في هذا المنفى على أن يعيد إلى الشعر العربي جدة لا تبلى، ويجعل من آلامه وحسراته وثوراته وحنينه وضعفه وبكائه أداة هذه الجدة، ومصدر هذا البعث، بعد أن ظلت اللغة السليمة والأدب الرفيع ملتفين في أكفانهما قرابة ألف عام.

ونحن نحاول اليوم أن نلتمس الجديد في شعر البارودي، ونقصد بالجديد ما أبدع من أغراض لم تكن مطروقة في عهد الأولين ممن بعث لغتهم وشعرهم، وما كانت ذاتيته قوية واضحة فيه، وما يتصل بالحاضر مما جعله الشعر الأوروبي أغراضه، فليأخذ بألبابنا ما في ديوانه من الشعر السياسي، ومن وصف الطبيعة المصرية والآثار المصرية والحياة المصرية، أما ما خلا ذلك فلم يُعَدُّ البارودي فيه مقاصد المتقدمين من شعراء العرب، ولم يُعَدُّ أوزانهم وقوافيهم وأغراضهم. لم يفكر في الملاحم الكبرى كما فكر هوميروس في الإلياذة، ولا فكر في المسرحيات الشعرية كما فكر شكسبير في مسرحياته، وكما فكر دانتلي في الكوميديا الإلهية، وهو في الحق لم يتجه بالشعر العربي غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم وراض القول على مثالهم، وإن كان من الحق كذلك أنه لم يفن فيهم، ولم يقصر همه على النقل عنهم، بل بدت شخصيته بارزة في شعره، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه، فلو أنه عاصر الأقدمين وعاش بينهم لكان له ما للأخطل وللفرزدق ولأبي فراس ولبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره، ويقف بها في الصف الأول من هؤلاء الأقران المبرزين.

لكننا يجب أن نعدل هذا الرأي إذا أردنا أن نبلغ النصفة حين البحث عن الجديد في شعر البارودي، وأن نقول إن هذا الشعر كان في عصره جديدًا كله. كانت محاكاته الأقدمين جديدة، وكانت معارضته إياهم جديدة، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة، فقد هوى الشعر العربي قبله إلى درك من الانحلال جعله بالنسبة إلينا نسيًا منسيًا، وجعلنا نكاد نسقط من حسابنا هذا الألف الذي انقضى من السنين بين الشعر العربي منذ بدء انحلاله، وبين هذا الشاعر الذي بعث الشعر العربي إلى الحياة من جديد، ونحن جميعًا مقلدون في أكثر ما نعرض له من شئون الحياة: مقلدون في الفن والأدب والشعر والعلم لأنها من شئون الحياة، وإنما نجدد بقدر في حدود ما يصلح فساد الماضي ويضيف إلى الصالح منه ما يزيد حياته بريقًا وما يزيده على الحياة قوة، فإذا كان البارودي قد بعث الشعر العربي واللغة العربية من مرقدتها وردَّ إليهما حياة ذوت وذبلت قرونًا متعاقبة، فعمله هذا خلق لا ريب، وهو في عصره جديد كله، وهو جدير لهذا أن يتسنى نروة المجد وأن يجلس بين الخالدين.

وإذا كان لم يعرف وحدة الغرض في القصيدة الواحدة كما نفهمها اليوم، وكما يفهمها أهل الغرب وكان ينتقل من الغزل إلى المدح إلى الفخر إلى الحماسة إلى الحكمة، كما كان يفعل البحري وأبو تمام والمتنبي وغيرهم من كبار الشعراء، فذلك لأن رسالته

لم تكن تجديد للشعر العربي في حياته المتدفقة الفيّاضة، بل كانت بعث الشعر العربي من مرقدته وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين.

وما وفق له «البارودي» من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد تم في حياة الشعر العربي منذ نهض «البارودي» به، لا يقرن إليه إلا ما وفق له «شوقي» حين وضع مسرحياته الشعرية الخالدة: مجنون ليلي، ومصرع كليوباترا، وما إليهما.

ولعلك لا تعثر في شعر البارودي على فلسفة ظاهرة، ولقد تعثر فيه على زلات غير قليلة في اللغة كما يريدتها المتزمتون، وقد يقع له أحياناً أن يسيء الانتقال من غرض إلى غرض، أو أن تضم القصيدة الواحدة من قصائده أبياتاً بالغة غاية القوة والجزالة، وأخرى متخاذلة منحلة، أو ضعيفة النسيج نابية في استعمال بعض المفردات، وقد تراه متناقضاً في القصيدة الواحدة: زاهداً في أولها مسلماً أمره للمقادير، ثائراً في آخرها مائلاً ماضيه فخراً بنسبه وفعاله وشجاعته وشعره، كما تراه يغرب في اللفظ حين يعارض الأقدمين، ثم لا يمنعه ذلك من أن يسيغ بعض الألفاظ العامية التي تأبأها المعجمات ويثور بها رجالها؛ لكنك تجد له العذر عن ذلك حين ترجعه إلى أسبابه، وتجد له عذراً أبلغ حين تذكر أن العبقريّة التي تحلق بصاحبها في سموات تتعلّق بها القلوب والعقول في إعجاب وتقدير، هي التي تستبّيح ما يؤاخذ الناس المجيدين به، وما يحذر هؤلاء المجيدون الوقوع فيه، لأنهم لا يجدون عوضاً عنه في سمو صاحب الموهبة بعبقريته إلى حيث لا يلحقه أحد.

وللبارودي مع ذلك عذره عن كثير من المآخذ التي يتغاضى عنها كثيرون ويرون بعضها ضعيفاً وبعضها يشوبه الخطأ. فعذره عن أخطائه اللغوية هو عذر الفحول الأولين من كبار الشعراء الذين يستشهد بهم في كل خروج على قواعد اللغة، فهم لم يكونوا يتقيدون بها وقد كانت حديثة الوضع في عهدهم، وكانت أقوالهم حجة لذاتها، وهذا عذر ناهض البارودي، وهو كما رأيت لم يتعلم النحو والصرف والعروض والقوافي، وهو قد قال الشعر طوعاً لموهبته، بعد أن قرأ الشعراء الأولين وحفظ عنهم كل ما اطمأن إليه من أقوالهم؛ وأنت لذلك تستطيع أن تقول إنه عاصرهم وعاش معهم، فلم يكن أبناء زمانه من المصريين يعرفون اللغة العربية، وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هي العامية، فحياة «البارودي» المتصلة باللغة العربية كانت بين الشعراء الجاهليين وشعراء العصرين الأموي والعباسي. من ثم صارت لغتهم لغته، وصارت سليقة له كما كانت سليقة لهم؛ فكان يقولها ويتصرف فيها كما كانوا يقولونها ويتصرفون فيها. فإذا هو

سما بسليقته في اللغة كما سَمَوْا، ولم يتقيد بما تقيد به غيره من قواعدهما فلا تثريب عليه، ولا شيء في ذلك يؤاخذ به، إن وجب التنبيه إليه.

أما ما يقال عن سرقات «البارودي» فلا ينهض مأخذاً عليه. وهو قد أسلف العذر عن محاكاة الأقدمين، إذ نص في تقديم بعض قصائده على أنها معارضة لقصيدة قديمة معروفة، أو أنها رياضة للقول على طريقه العرب، هذا إلى أن رسالة «البارودي» في الشعر كانت رسالة بعث كما قدمنا، وقد اتهم الفحول من الشعراء الأقدمين قبله بالسرقة، فاعتذر رواتهم وأنصارهم عنهم بأن ما نسب إليهم من ذلك إنما هو توارد خواطر، «كما يقع الحافر على الحافر» على حد تعبيرهم.

و«البارودي» أبلغ عذراً؛ فقد كان محفوظه من الشعر القديم ضخماً، وكان شعره هو ضخماً كذلك، وأنت تصادف في ديوانه أبياتاً له مذكورة في أكثر من قصيدة، فلا عجب إذا ظن بيتاً محفوظاً لغيره بعض ما قاله فأدمجه في قصيدة من القصائد على أنه له.

والحق أن البارودي ما كان بحاجة إلى السرقة وعبقريته الشعرية ما عَرَفَتْ، وديوانه تربو فيه القصائد على المئات، والأبيات على الألوف، وما ينسب إليه أنه نقله عن الأقدمين قليل، كقوله:

عَلَيَّ طَلَابُ الْعَزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَارِبْتَنِي الْمَقَادِرُ

وهو صورة في لفظه ومعناه من قول أبي فراس:

عَلَيَّ طَلَابُ الْعَزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَارِبْتَنِي الْمَطَالِبُ

وهذا التطابق البين على قلته في شعر البارودي قد أخذ غيره من الفحول بمثله، وإنما يفسره أن روح «البارودي» متصلة بالأقدمين كل الاتصال. وما قاله في الحكمة وكثير مما قاله في الفخر ليس ترديداً لما قالوا؛ لأنه لم تكن له فلسفة خاصة كما قدمنا، ولأنه كان يبعث معاني الأقدمين كما كان يبعث لغتهم.

وأنا لا أسيغ تسمية هذا البعث سرقة، والشعراء والكتاب في كل أمة وعصر يتداولون المعاني بينهم، ثم يمتاز المبرز منهم بسطوع معانيه وقوتها، وبوضوح شخصيته في أغراضه وأسلوبه، وللبارودي من هذا التبريز حظ قل نظيره، وأنت لا تجد هذا التبريز

في قصائد المديح القليلة التي قالها؛ لأنه قال هذه القصائد مجاملة، أو نزولاً على حكم الأحوال، فلم تكن متصلة بنفسه ولا صادرة عن وجدانه الأبي المتعالي بفضلته ومجده على كل من سواه. أما في الإباء، وفي الفخر، وفي الحنين، وفي الرثاء، وفي وصف الوقائع ووصف الطبيعة، فقد سما البارودي إلى حيث لا يلحقه إلا الأقلون من أكبر الشعراء فحولة وأكثرهم تبريزاً.

ويرجع تبريزه في هذه الأغراض إلى أنه كان يعبر بها تعبيراً صادقاً عما تنطوي عليه جوانحه ويتردد في أعماق قلبه؛ أو عما شارك بنفسه فيه وكان له منه نصيب يرضاه. وهذا سر قوته في وصف الحرب ووقائعها، وسر دقته في التصوير السياسي لحال بلاده، وهو السر في عظمة ما قال في المنفى من مختلف ضروب الشعر في مختلف الأغراض، وفي تفرد بالقول في أغراض لم يعرفها معاصروه؛ لأنه لم يكن من طرازهم نسباً ولا ثقافة ولا طموحاً في الحياة. فهو قد رأى من بهجة الدنيا ومن صروف الحداث ومن عبدة المنفى ما لم يَرَوْ، وهو قد قال الشعر مخلصاً للشعر، محباً إياه، لا يبتغي به إلا رضا نفسه ورضا للفن، مؤمناً بأنه وسيلته إلى الخلود في ضمير الأجيال.

وهذا الإيمان بالشعر هو الذي جعله يتوفر عليه في المنفى ويجعله بغية الحياة فيه، فلقد أيس من العود إلى الوطن، إذ أثبت عليه نفسه أن يضعف فيسترحم كما فعل زملاؤه، بل إن له في هذه الفترة لأبياتاً ثائرة لا تقل عنفاً عن أشد الثورات المسلحة. وليس طبيعياً أن يكون هذا الشعر الثائر وسيلة للعفو عنه. من ذلك قوله:

فحتّام نسري في دياجير محنة	يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع الجور إن سطت	عليه فلا يأنف إذا ضاع مجده
عفاء على الدُّنيا إذا المرء لم يعش	بها بطلاً يحمي الحقيقة شدّه
وإني امرؤ لا أستكين لصولة	وإن شدّ ساقني دون مسعاي قدّه

بل لقد كانت هذه الأبيات وأمثالها أدنى إلى إثارة حفيظة الإنجليز وحفيظة صاحب العرش في مصر عليه. وما كان زهده وإسلامه أمره الله ليمحو أثرها، أو لينهضاً حجة على أنه ضعف فتاب عما قدم وندم على ما انطوت عليه نفسه من حب المجد وطلابه. وطال به النفي سبعة عشر عاماً كان قول الشعر كما كان اختيار أجود ما قاله الأقدمون سلوته فيها. فلما تقدّمت به السن وطال به النوى وتخطّف الموت أثناء ذلك ابنته وزوجه وأصحابه، بدأ بصره يضعف، وصحته تضعحل، ونذر الفناء تدب إليه.

هنالك رأى أولو الأمر أن يعود المنفيون من سيلان إلى بلادهم. وعاد البارودي مهيض الجناح محطماً ليس فيه «إلا أشلاء همة في ثياب». لكنه عاد يحمل معه كتاب الخلود الذي لا يبلى. ذلك هو ديوان شعره الذي نقدمه للقراء. وللأقدار سخرية يا لها من سخرية! فهذا الرجل الذي بعث العربية في أفصح لفظ وأمتن ديباجة، وخلع عليها من الجلال والجمال ما رد إليها كل قوتها وكل بلاغتها، وقد عفا عنه خديو مصر بأمر كريم هذا نصه:

بناء على الإنهاء المرفوع لنا من «محمود سامي» بالتماس الإحسان عليه بالتمتع بالحقوق الوطنية قد اقتضت مكارمنا منح المومى إليه التمتع بالحقوق الوطنية، وعلى ذلك فيجوز له من الآن امتلاك أي ملك من أي نوع كان في الأقطار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع أو بأي طريقة كانت الذي كان محروماً منه بمقتضى الأمر العالي الصادر في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ / ٣٠ صفر سنة ١٣٠٠ وأصدرنا هذا لعطوفتكم لإجراء مقتضاه.

عباس حلمي

وتاريخ هذا الأمر ١٨ محرم سنة ١٣١٨ / ١٧ مايو سنة ١٩٠٠. فلما صدر هذا الأمر وردته السفينة إلى وطنه، كان أول ما قاله إثر عودته قصيدته التي مطلعها:

أبابل مرأى العين أم هذه مصر فأني أرى فيها عيوناً هي السحر

ونزل البارودي مصر، فكانت أوبته إليها عيداً نشر البشر في عالم الأدب كله. أصبح منزله ندوة الأدباء والشعراء وذوي المكانة، يأنسون إليه ويأنس إليهم، ويستمتعون بحديثه، ويرى في مجالستهم ما يأسو الجراح التي أدمت قلبه سنوات النفي الطوال، فإذا خلا إلى نفسه رتب مختاراته وعني بتنقيح ديوانه يريد إعدادهما للطبع. ولقد بذل في ذلك مجهوداً يدل على حبه شعره وإيمانه به. وأصول الديوان تشهد بهذا المجهود، فأنت ترى الأبيات التي حذفها من بعض القصائد، والأبيات الأخرى التي غيرها كلها أو بعضها، شهيدة على صدق إيمانه بأن العبقريّة مجهود متصل في سبيل الكمال.

وقضى في مصر أربع سنوات ذهب أثناءها ما بقي من بصره، فإذا ربح الوطن
ووفاء بنيه يعزيانه عن نور البصر وعن كل ما في الحياة، فلما كانت الأيام الأخيرة من
شهر ديسمبر سنة ١٩٠٤/ السادس من شوال ١٣٢٢ لبي داعي ربه تاركًا لمصر وللعالم
العربي هذا التراث الذي لا يبلى، ولا يعدو عليه الموت ولا يجني عليه النسيان.
لبي نداء ربه ولم يكن قد طبع المختارات ولا الديوان، فتولت أرملته التي تزوجها
بسرنديب طبع المختارات وطبع الجزأين الأول والثاني من الديوان «إلى آخر قافية اللام».
وحسب البارودي ديوانه آية لمجده وتراثًا للأجيال بعده، فهذا الديوان تمثال عبقرية
خالدة، وهو باقٍ لذلك بقاء الأبد أيًا كان الشاعر الذي ينسب إليه. فما بالك وهو صورة
صادقة لحياة صاحبه؟! أَوَستطيع الفنون مجتمعة أن تقيم تمثالًا يخلد من هذا الشاعر
الملمه ما يخلده شعره النابض بالحياة وأنغامها، والذي بعث العربية خلقًا جديدًا؟
أدع الجواب لأرباب الفن ولقراء الديوان.

محمود سامي البارودي باشا يحكي رحلته إلى المنفى

إنني لما أفضتُ بي غوائل الزمن إلى مفارقة الأهل والوطن، وحقَّت كلمة الوداع وأنصت كل مجيب وداعٍ، سارت بأشياخنا الفلك بتقدير من له الملك، فلما توسطنا لجة اليم، وغشيتنا ضبابة الهم، أخذ البحر يهدر ويموج، والرياح تعصف وتروج، والدجن يبرق ويرعد، والموت يقرب ويبعد، والفلك بين صعود وهبوط، والناس بين رجاء وقنوط، فشخصت الأبصار، وغابت الأنصار، وأقبل الفزع، واستولى الجزع، وشغلت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر، هنالك دعا ربُّهم الغافلون، وكفته أذيالهم الرافلون، فلا ترى إلا ناكس الطرف لا ينبس بحرف كأنما أظلتهم الرجفة، أو غشيتهم الوجفة، فهم لفرط الحيرة خمود تحسبهم أيقاظاً وهم رقود، فلم يزل يتخبطننا اليم، ويأخذ بأكظامنا الغم، حتى كادت الأنفس تزهق، وأظفار المنية ترهق، ونحن في وعاء لا نملك إلا الدعاء، ولبثنا على ذلك ثلاثاً لا نجد فيها حياة، وكيف لنا بالخلاص ولات حين مناص، فبعد لأي ما سكنت فورة الريح، وهدأت ثورة ابن بريح، وتجلت بنورها السماء، واصطاح الماء والهواء، فقرت الأنفس في الصدور، وتنفس كل مصدور، ولم يبق إلا سوق الحديث من قديم وحديث، والفلك يمخر البجر بجوؤه، ونحن في الشهر في دؤدؤه، حتى انتهى بنا الدبيب، ولاحت لأعيننا سرنديب.

منازل لم تألف بها النفس حالفاً	على أن فيها كل ما تشتهي الأنفس
ولا عيب فيها غير أن ليس بها	أنيس وفقد الخل في غربة حبسي
وكيف يطيب العيش في ظل بلدة	خلاء من الألاف ليس بها إنسي

فدخلتها مشبوب الأنين، على الأهل والبنين، لا أستطيع لما عراني دفعًا، ولا أملك
لنفسي ضرًا ولا نفعًا، وما ظنك بمن غاب عنه السмир، والتاع بالفرقة منه الضمير، فهو
بين هموم ناصبة، وأحزان واصبة، وأشجان يهلك لها الصبر، ومرارة يحلو عندها الصبر،
إن نطق بصوت لا يدركه السمع أو نظر فبعين قد ملأها الدمع.

غريب تخطاه الأساة فما له سوى عبرات المقلتين طبيب
وما أسفي إني غريب عن الحمى ولكني بين الأنام غريب

فالتفت يمينًا فلم أصب معينًا، فانعطفت شمالًا فلم أجد ثملاً، فدارت بجثماني
الأرض، واشتبه عليّ الطول والعرض، فبت وحيدًا لا أجد محيدًا، وكانت الليلة شاتية
والرياح صرصرًا عاتية، والسماء باسرة كاسفة ليس لها من دون الله كاشفة. قد كبح
كابدها النابغة لما شعر، ولو سلكها سليك لاقشعر، فلم أزل أمارس هولها حتى ترّ،
وأرقب فجرها حتى افتر، فلما وقعت أنفاس النسيم، وحسر الصبح عن محياه الوسيم،
وتنغم العصفور في سماوة عذباته، وتبغم اليعفور في مسارح شذباته، صحت بغلامي
كافور، فأقبل يرف كالعصفور، يكاد يخرج من جلدته، ويزفن كأبناء جلدته، فقلت له ما
هذا الطرب وقد أودى الأرب، فقال: انظر يا مولاي إلى السماء، والنبت والماء، تجد منظرًا
وسمًا، ومسرحة قسيماً: أزهار ترف، وغدران تشف، ومربع يغني العقول بروائه، ونسيم
يشفي الأسقام بدوائه، فقم لعلك تستريح فقد سكن القطر والريح، فلم يضحك لقوله
سني، وعلمت أنه ليس مني، وأين يذهب اللهو بقلب قد عفا رسمه، ولم يبق في الشغاف
إلا وسمه، بل كيف يطرب الغريب أو يحق إلى الصبوة الحريب؟ هيهات ما كل شامة
خالا، ولا كل حلقة خلخال، وأين النضار من الصغر؟ والجنة من التلال القفر، تالله ما
بعد الوطن دار، ولا في غير الكعبة مدار، ولكن من لم يجد حراكا سكن، ومن أعجزته
الحيلة ركن، وما كانت لتعدم نفسي جلدًا ولكن ثكل أرامها ولدًا، فلبثت شهرين أطول
من دهرين حتى مستني العلة، وأخطأتني التلة، فدعاني الطبيب إلى ترك الحاضرة
والتوغل في بعض الهضاب الناضرة. فعقدت بعد التوكل بندي على المسير إلى كندی، فلما
حلت بواديها، وسرت في بواديها، تلاهيت عما أجده من الحرقة، وأتجرعه من مرارة
الفرقة.

شعر:

رعيًا لها من بلدة لو أنَّ لي فيها أخوا يرعى زمام إخائي
ضنت بها نفسي كما سمحت بها فانظر لقرب ضناتي وسخائي
ومن العجائب أنني من غربتي ونعيمها في شدة ورخاء

فلما اشتدت أوصالي، وحان في العلة فصالي، نهدت ذات يوم غب زيال النوم إلى
بعض هاتيك الودائق، لأتنسم أنفاس الحقائق، فإذا أيكة مغنة، وأطيّار مرنة، ودوحات
تكاد تمس السماء، وتصرف عن أدراجة العماء، والنسيم يتدرج، والعبير يتأرجح، والطير
بين رنيم وصفير، والريح بين شهيق وزفير.

شعر:

أرض أدار بها الندى أقداحه بيد النسيم فغصنها مخمور
يترنم الشحرور في عذباتها ويقيّل في أثلاثها اليعفور
خطر الغمام بها فمسحب ذيله في كل واد جدول مسجور
فإذا نظرت ففي السماء غمامة تدق الجمان وفي الفضاء غدير
وإذا أصخت فللبلابل نغمة تشجي الخلي وللحمام هدير
وخمائل أظلالهن لفيفة ونسائم أنفاسهن عبير
فالقطر دُرٌّ والجداول فضة والزهر تبرُّ والنبات حرير
فاحلل بها عقد النسيب ولا تخف إثماً فربك للذنوب غفور

فلم أزل أتنقل من نجد إلى وهد، وأتوقل من صدر إلى نهد حتى داووني المسير إلى ربوة
تدعو الحليم إلى الصبوة، فاشرأبت إلى عين أشد صفاء من العين، قد انفجرت بسلسال
كلسان الصباح، أو كسنان المصباح في بركة تزري بالهالة عند استوائها، وتزهو على
الوذيلة بحسن روائها، قد افترت عن ثغر حصائها، وتكسرت في مهب أصابها، وأحاطت
بها أفنان الشجر إحاطة الأهداب بالبصر، وتشعبت منها جداول كذوب اللجين، تتلوى
في جريتها تلوي الأين فكأنها مناصل جردتها الكماء، أو قسي وترتها للنزع الرماة، فهي
تجري بين غيضة ملتفة، وأشجار مصطفة، إذا لاعتبتها أنفاس الشمال مالت إلى اليمين
والشمال، وإن عبثت بها ريح الجنوب كادت أن تمس الأرض بالجنوب.

بيد أني لم أجد في تلك المناظر مسلاةً للقلب والناظر، ولا في أغاريد البلابل ما يشفي
لوعة البلابل، ولا ألهتني ذات الطوق عما أجده من التوق، ولا أنستني نسمات الأصائل ما
انقطع من حرمت الوصائل؛ بل حسبت أن قطرات الحزن دموع أسالتها زفرات الحزن،
وتوهمت أن كل نواره نحلة في الرواء سواره، وخيل إلي أن حمرة الجنار ساطعة في
النار، وظننت الأغصان رماحاً تخطر أوصافها تشدخ الهام وتشطر، ورأيت من الجداول
أساود تنهش، وفي الأزهار عيوناً تنهش، فكلما تلفت ضقت فتكفت، فقعدت ناحية في
تلك الناحية، ثم رفعت طرفي إلى السماء، ودعوت بهذه الأسماء: اللهم يا هادي الضلال في
الليل المدهم، وناصر الهلاك في غمرة اليوم المسلهم، ويا جابر العثرات وكاشف الحسرات
ألهمني بفضلك صبراً يعصمني من الجزع، وألبسني جلباب أمن يقيني حوله الفزع،
وقني بلطفك شر نفسي، واجعل يومي خيراً من أمسي، وحن بإحسانك ديباجي، ولا تجعل
إلا إليك حاجتي، فقد أنخت ببابك مطية الرجاء، وتمسكت من حمايتك بإطناب الالتجاء،
فلا تصرفني من دعائك خائباً، فقد جئتك من ذنوبي تائباً.

ثم قبعته قبعة المقرور، ونفث نفثة المحرور، وأخذت أقلب الآراء، وأسأل زندي ألا
يراء حتى فاءت إلي نفسي، وراجعني بعد لأي حديسي، وعلمت أن لكل محنة روعة، ولكل
مصيبة لوعة، وأن الإنسان رهن الحدثان، ورأيت أن الصبر على الضر أجدر بشيمة الحر،
وأني امرئ عاهده الدهر، ولم يغدر أو صفا له ثم لم يكدر؟ وكيف لا ينقلب الحال
والزمان قلب؟ أم كيف تصدق مخيلته وهي خلب: هيهات ما وعد إلا وخلف، ولا وعد إلا
وأُتلف، ولا أضحك إلا وأبكى، ولا هان إلا وأنكى، وقل من صاحب الدهر فنجا من هوله،
أو عانده ولم يصعق من صوله، وكفى بالحوادث لمن تبصر نذيراً، ولمن خاف عاقبته
أمره حذيراً، والعاقل من تأسى بغيره، وميز بين نفعه وضره، فلا تحزن على ما ذهب إذا
استرد الدهر ما وهب، وليست الحياة إلا عارة في هذه الدعارة، فحسب الجاهل أن الأمر
بيده فنسي أن يأخذ من يومه لغده، هيهات لا يدرك بعد الفوت، ولا حيلة بعد الموت،
فتمسكوا في أعمالكم بالسبب الأقوى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

مقدمة الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقير إلى رحمة الله تعالى محمود البارودي:

اللهم إني أحمذك على ما هديت، وأشكرك على جزيل ما أسديت، وأستعينك على رعاية ما أسبغت من النعم، وأستهديك لشكر ما أثبت من الدعم، وأعوذ بك من عثرات اللسان، وغفلات الجنان، كما أعوذ بك من غدرات الزمان، وبغثات الحداث، وأسألك اللطف فيما قضيت، والمعونة على ما أمضيت، وأستغفرك من قول يعقبه الندم، أو فعل تزل به القدم، فأنت الثقة لمن توكل عليك، والعصمة لمن فوض أمره إليك، وأشهد أن محمدًا رسولك الأمين، وشفيحك الضمين، الذي بعثته بالنور الباهر، والبرهان القاهر، فقام بالحق صادعا، وللضلالة رادعا، حتى ثبت الدين ووضح اليقين، اللهم فصلّ عليه ما أشرق النجم، وأورق الشجر والنجم، وعلى آله بدور المحافل، وأصحابه صدور الجحافل، صلاة يهتز لها الفلك، ويتنزل برضوانها الملك، واحشرنا في زمرتهم مع القوم الفائزين، ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

وبعد فإن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب، فيفيض بلألأها نورًا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك، وخير الكلام ما ائلفت ألفاظه، وائتلقت معانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى، سليماً من وصمة التكلف، بريئاً من عشوة التعسف، غنياً من مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشعر الجيد، فمن آتاه الله منه حظاً، وكان كريم الشمائل، طاهر النفس، فقد ملك أعنة القلوب، ونال مودة النفوس، وصار بين قومه كالغرة في الجواد الأدهم، والبدر في الظلام الأيهم، ولو لم يكن من حسنات

الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس، وتدريب الأفهام، وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق، لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همة مطمح، ومن عجائبه تنافس الناس فيه، وتغاير الطباع عليه، وصغو الأسماع إليه، كأنما هو مخلوق من كل نفس، أو مطبوع في كل قلب، فإنك ترى الأمم على اختلاف ألسنتهم، وتباين أخلاقهم، وتعدد مشاربهم، لهجين به، عاكفين عليه، لا يخلو منه جيل دون جيل، ولا يختص به قبيل دون قبيل، ولا غرو، فإنه معرض الصفات، ومتجر الكمالات، ولقد سمع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين، أو نفار، أو جلاء

فجعل يعجب من معرفته بمقاطع الحكمة وتفصيلها.
وللشعر رتبة لا يجهلها إلا من جفا طبعه، ونبا عن قبول الحكمة سمعه، فهو حلية يزدان بجمالها العاطل، وعود لا يتطرق إليها الباطل.
ولقد كنت في ريعان الفتوة، واندفاع القريحة بتيار القوة، وألهج به لهج الحمام بهديله، وأنس به أنس العديل بعديله؛ لا تذرعا إلى وجه أنتويه، ولا تطلعا إلى غُـم احتويه، وإنما هي أغراض حركتني، وإباء جمح بي، وغرام سال على قلبي، فلم أتمالك أن أهبت، فحركت به جربي، أو هتفت فسریت به عن نفسي، كما قلت:

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالإساءة غافل فلا بد لابن الأيك أن يترنما

وقد يقف الناظر في ديواني هذا على أبيات قلتها في شكوى الزمان، فيظن بي سوءاً من غير روية يجليها، ولا عذرة يستبينها، فإني إن ذكرت الدهر فإنما أقصد به العالم الأرضي لكونه فيه، من قبيل ذكر الشيء باسم غيره لمجاورته إياه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية، وكما قال أبو كبير عامر بن حليس الهذلي:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فإنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل، سكنوا وتركوا السعاية، ولهذا أمثلة كثيرة.

لا أقول ذلك تبرؤاً من الوهم، ولا اعتماداً على صحة الفهم، فإن المرء وإن كثّر إحسانه، لا يسلم من الزلة لسانه، وقل من توغل من حرجات القريض، فنجا قبل أن يغص بالجريض، ولقد ذكرت مرة قول أبي المنهال بن ببيعة الأكبر:

وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ثم عرض لي قول الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه

فعزمت على الإفصار قبل الإحصار تفادياً من خطأ ربما عرض، أو ناقد ربما اعترض، بيد أنني راجعت المخيلة، لأسبر هذه الدخيلة، علماً أن للنفس طفرة، وللوهم عند التوجس نفرة، فأشفقت من هذا العزم، بعد الإصرار والجزم، ولست بأول من عدل عن رأيه، وثاب عن متابعة وأيه، فهذا عمر بن أبي ربيعة، لم يطق أن يغالب الطبيعة، وقد كان ركب من قحمة اليمين عقبة، ألا يلوك بيتاً إلا أعتق رقبة، فلم يلبث أن هاج به الحنين، وعلق بمدارج أنفاسه الأئين، فقال كلمته التي أولها:

تقول وليدتي لما رأتني طربت، وكنت قد أقصرت حيناً

ثم أعتق لكل بيت عبداً، ولم يجد من المقال بُدّاً، ولا بدع فللإنسان فتون بشعره، وولوع ببنات فكره، ولولا ذلك ما دون الناس أشعارهم، ولا اتخذوا حلية الأدب شعارهم، كيف لا؟ وبقاء الذكرة حياة الأبد، وحب الخلود أطمع لقمان في لبد، وإني وإن لم أكن من فرسان هذه الغارة، ولا من رماة الحدق في مثل هذه القارة، فالتخلق بأخلاق الكرام محمداً، والتعلق بأذيال الخمول مفسدة، والله در من قال:

عليّ السعي في طلب المعالي وليس عليّ إدراك المرام

ديوان محمود سامي البارودي

والله أسأل أن يلهمني الصواب، ولا يحرمني الثواب، إنه أكرم مسئّل وأفضل
مأمول، آمين.

محمود سامي البارودي

قافية الهمزة

قال في النَّسِيب: (من الكامل)

صَلَّةَ الْخَيَالِ عَلَى الْبِعَادِ لِقَاءُ
يَا هَاجِرِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى
أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بِالْفُؤَادِ فَشَفَّهْ
هِيَ نَظْرَةٌ، فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأُخْتِهَا
أَنَا مِنْكَ مَطْوِيَّ الْفُؤَادِ عَلَى جَوَى
لَا أَنْتَ تَرْحَمْنِي، وَلَا نَارُ الْهَوَى
فَانْظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيَالَةَ صُورَةٍ
رَقْتُ لِي الْوَرْقَاءُ فِي عَذَابَاتِهَا
وَتَحَدَّثْتُ رُسُلُ النَّسِيمِ بِلَوْعَتِي
كَلَّفُ تَنَاوَلَهُ الْحَمَامُ عَنِ الصَّبَا
فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتَى غَرَامٌ كَامِنٌ
فَدَعَ التَّكَهُنَ يَا طَبِيبُ فَإِنَّمَا
أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا
وَبِمُهْجَتِي رَشِيئَةٌ مِنْ دُونِهَا
هَيْفَاءُ مَالٍ بِهَا النِّعِيمُ، فَخَطُّوْهَا
تَرْنُوْ بِأَحْوَرٍ لَوْ تَمَكَّنَ لَحْظُهُ
حَكَمَ الْجَمَالَ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ

لَوْ كَانَ يَمْلِكُ عَيْنِي الْإِغْفَاءُ
مَهْلًا، فَهَجْرَكَ وَالْمُنُونُ سَوَاءُ
وَمِنْ الْعُيُونِ عَلَى النُّفُوسِ بَلَاءُ
فَالْخَمَرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ شِفَاءُ
لَوْ لَا الدُّمُوعُ ذَكَتْ بِهِ الْحَوْبَاءُ
تَخْبُوْ وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا لِلْحَيَاةِ ذِمَاءُ
وَبَكَتْ عَلَيَّ بِدَمْعِهَا الْأَنْدَاءُ
فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَهَا إِصْغَاءُ
فَصَبَّتْ إِلَيْهِ الْغَيْدُ وَالشَّعْرَاءُ
وَيَعْطِفُ كُلُّ مَلِيحَةٍ خِيَلَاءُ
دَائِي الْهَوَى، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
نَفْسِي وَدَائِي لَوْ عَلِمْتُ دَوَاءُ
أُسْدٍ، لَهَا قَصَبُ الرِّمَاحِ أَبَاءُ
دُونَ الْقَطَاةِ، وَنَطَقَهَا إِيمَاءُ
مِنْ صَخْرَةٍ لَارْفَضَ مِنْهَا الْمَاءُ
فَتَحَكَّمَتْ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ

حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وَهُوَ بَرَاءُ
فِي مَسْمَعَيْهَا رَنَّةٌ وَحْدَاءُ
وَأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدَادِ عِدَاءُ
تُذْنِي إِلَيْكَ؟ فَلَيْسَ لِي شُفْعَاءُ
فَالْوَعْدُ فِيهِ تَعَلَّةٌ وَرَجَاءُ
شَفَتَايَ حَتَمٌ وَالْفُؤَادُ وَعَاءُ
قَدْ أَحْسَنُوا فِي الْقَوْلِ حِينَ أَسَاءُوا
وَلِقَوْلِهِمْ عِنْدِي يَدٌ بَيَضَاءُ
«أَمِنْ أَرْذِيَارِكَ فِي الدَّجَى الرَّقْبَاءُ»
نَفْعًا، كَذَلِكَ تَفْعَلُ الْجَهْلَاءُ
وَلِمَنْ يُحَاوِلُ كَيْدَهُ إِرْضَاءُ
مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ الْآرَاءُ
مِنْ فِطْنَةٍ، لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
مَا كَانَ فِيهِمْ سَادَةٌ وَرِعَاءُ
وَمَلِئْتُ حَتَّى مَلَنِي الْإِبْلَاءُ
بَيْنَ الْبَرِيَّةِ، وَالْوَفَاءِ رِيَاءُ
وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةُ سُودَاءُ
مَا حَالَ بَيْنَ الْخُلَّتَيْنِ جَفَاءُ
فَالسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

غَضِبْتُ عَلَيَّ، وَمَا جَنَيْتُ وَرَبَّمَا
طَافَ الْوُشَاةُ بِهَا فَكَانَ لِقَوْلِهِمْ
لَوْلَا النَّمِيمَةُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ امْرِئٍ
أَشَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ! أَيُّ وَسِيلَةٍ
جُودِي عَلَيَّ وَلَوْ بِوَعْدٍ كَاذِبٍ
وَبَقِي بِكُتْمَانِ الْحَدِيثِ، فَإِنَّمَا
لَا تَرْهَبِي قَوْلَ الْوُشَاةِ، فَإِنَّهُمْ
زَعَمُوكَ شَمْسًا لَا تَلُوحُ بِظُلْمَةٍ
فَعَلَامَ تَخْشَيْنَ الزِّيَارَةَ بَعْدَمَا
هِيَ زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ أَغْقَبَتْ
كَيْدُ الْعَبْيِ مَسَاءَةً لِضَمِيرِهِ
وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ
وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ، وَإِذَا خَلَتْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّجَالِ تَفَاوُتٌ
وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ فِي أَطْوَارِهِمْ
فَإِذَا الْمَوَدَّةُ خَلَّةٌ مَكْذُوبَةٌ
كَيْفَ الْوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ
لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا وَدَادٌ صَادِقٌ
فَانْقُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ

وقال مادحًا: (من الكامل)

وَأَجَلَ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بِثَنَائِهِ
وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
وَعِمَاءُ قُوَّتِهِ، وَنَصْرُ لَوَائِهِ
رَدَّ بَحْرَ سُدَّتِهِ تَفَرُّ بِوَلَائِهِ
عَنْ نَفْسِهِ شَرْفًا، وَعَنْ آبَائِهِ
أَوْصَافِهِ وَالْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ

عَبَّاسُ، يَا حَيْرَ الْمُلُوكِ عَدَالَةً
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي
فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ أَنْتَ بَدْرُ سَرِيرِهِ
يَا أَيُّهَا الصَّادِي إِلَى نَيْلِ الْمُنَى
هُوَ ذَلِكَ الْمُلْكُ الَّذِي وَرَثَ الْعُلَا
الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَالْعِلْمُ مِنْ

لَا غَرَوَ أَنَّ جَمَعَ المَحَامِدِ يَافِعًا وَسَمَا بِهِمَّتِهِ عَلَى نُظَرَائِهِ
فَالْعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا تَسْعُ الفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

وقال مهنئاً: (من الكامل)

أَهْلَالُ أَرْضِ أَمْ هِلَالُ سَمَاءِ شَمِلَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ بِضِيَاءِ؟
بَدَرْتُ لَوَامِعَ مِنْهُ شَقٌّ وَمِيضُهَا حُجِبَ الظَّلَامُ فَمَاجَ فِي لَأْلَاءِ
وَبَدْتُ أَسْرَتَهُ فَكَانَتْ غُرَّةً لِلْمُلْكِ فَوْقَ أَسْرَةِ الْجَوَازِ
نُورٌ تَوَلَّدَ بَيْنَ بَدْرِ طَالِعِ فِي أَوْجِ عِزَّتِهِ، وَشَمْسِ عِلَاءِ
أَكْرَمَ بَطْلَعَتِهِ هِلَالًا لَمْ يَزَلْ يَغْنُو إِلَيْهِ هِلَالُ كُلِّ لَوَاءِ
هُوَ مَوْلِدُ عَمِّ «الْكِنَانَةِ» نُورُهُ فَتَبَاشَرْتُ بِالْيَمَنِ وَالسَّرَاءِ
لَبِسْتُ بِهِ الدُّنْيَا جَمَالَ شَبَابِهَا وَتَبَرَّجْتُ كَالْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ
فَاهُنَّا «بِعَيْنِ الْقَادِرِ» الشَّهْمُ الَّذِي وَافَاكَ يَرْفُلُ فِي سَنًا وَسَنَاءِ
وَأَسْعَدَ بِهِ وَأَخِيهَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ فِي ظِلِّ مُلْكِ وَارِفِ الْأَفْيَاءِ
وَلَسَوْفَ تَنْجُمُ أَنْجُمُ عَلَوِيَّةٍ تَجْلُو ظِلَامَ الشُّكِّ بِالْأَرَاءِ
مِنْهَا صُدُورُ مَحَافِلٍ وَجَحَافِلٍ فِي يَوْمِ أَقْضِيَةِ وَيَوْمِ لِقَاءِ
وَبَوَارِقُ تَنْهَلُ فِينَا بِالنَّدَى وَصَوَاعِقُ تَنْقُصُ فِي الْأَعْدَاءِ
وَكَأَنَّنِي بِكَ بَيْنَهُمْ مُتَرَفِّعًا كَالْبَدْرِ بَيْنَ كَوَاكِبِ الْخَضْرَاءِ
فَانْعَمْ بِعِزِّكَ يَا مَلِكُ وَلَا تَزَلْ تَحْوِي يَدَاكَ مَقَالِدَ الْعُلْيَاءِ
لَا زِلْتُ مَعْمُورَ الْفَنَاءِ مُهْنئًا فِي نِعْمَةٍ مَوْصُولَةٍ بِبَقَاءِ

وقال يصف الجيزة وذكرياته فيها: (من الكامل)

غَادِ النَّدَى بِالْجِيزَةِ الْفَيْحَاءِ وَاحِذُ الصَّبُوحَ بِنِعْمَةِ الْوَرَقَاءِ
وَالْمَحْ بِطَرْفِكَ مَا وَحْتَهُ يَدُ الصَّبَا فَوْقَ الْغَدِيرِ تَجِدُ حُرُوفَ هِجَاءِ
مَنْ كُلُّ حَرْفٍ فِيهِ مَعْنَى صَبْوَةٍ تَتْلُو بِهِ الْوَرَقَاءُ لَحْنَ غِنَاءِ
مَيْدَانُ سَبْقٍ لِلْخَلَاعَةِ، أَشْرَقَتْ فِيهِ الْكُمَيْتُ بِغُرَّةِ غَرَاءِ
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّهَا شَفَقُ بَدَتْ فِيهِ نُجُومُ سَمَاءِ

مِنْ ذَاتِهَا، لَا مِنْ ثُقُوبِ ضِيَاءِ
نَارٍ تَحَلَّلَ جِسْمُهَا فِي مَاءِ
مَا تَفَعَّلَ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ
مِنْ عَهْدِ آدَمَ أُودِعَتْ بِوِعَاءِ
إِلَّا نَسِيمًا شَفَّ عَنْ حَوْبَاءِ
أَمْلَاكُهَا فِي سَالِفِ الْآنَاءِ
شَيْبُ الصَّبَاحِ بِلِمَةِ الظُّلَمَاءِ
تُغْنِي الْمَقَامَةَ عَنْ صَفِيرِ النَّاءِ
مَوْشِيَةِ الْعَذَابِ بِالْأَنْدَاءِ
مِنْ ذُكْرَةٍ عَرَضَتْ بِغَيْرِ لِقَاءِ
لَمْ تَحْكِنِي فِي لَوْعَتِي وَبُكَائِي
شَتَّانَ بَيْنَ نَعِيمِهَا وَشَقَائِي
فَدَعِيَ الْحَنِينَ، فَلَسْتُ مِنْ أَكْفَائِي
وَجَرَى عَلَى صِدْقِ الْعُهُودِ وفَائِي
خَلِّي عَلَيَّ، وَلَا أَشِينُ وَلَائِي
تُلْقِي أَرْمَةً عَفَّتِي وَحَيَائِي
وَارِي الْجَوَانِحَ مِنْ لَهَيْبِ عِدَائِي
بُغْضُ الْفَضِيلَةِ شِيْمَةُ الْجُهْلَاءِ
شَرَقُ النُّفُوسِ، وَمِخْنَةُ الْكُرَمَاءِ
يَتَلَوَّنُونَ تَلَوْنُ الْحَرْبَاءِ
مِنْهُمْ وَإِخْوَةُ مَحْضَرِ وَرْخَاءِ
فَبَلَوْتُ أَقْبَحَ ذِمَّةٍ وَإِخَاءِ
فِي كُلِّ مَصْدَرٍ مِخْنَةٍ وَبَلَاءِ
فَقَدْ الْكَرَامَ، وَصَحْبَةَ اللُّؤْمَاءِ
إِنَّ الْفَضِيلَةَ آفَةُ الْعُقَلَاءِ

هِيَ كَالْأَشْعَةِ غَيْرَ أَنَّ ضِيَاءَهَا
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْيَقِينِ فَإِنَّهَا
تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْعُقُولِ كُنُوسَهَا
خَفِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ، فَهِيَ ذَخِيرَةُ
مَحَقِّ الْفَنَاءِ وَجُودِهَا، فَتَزَايَلْتُ
هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا
فَانْهَضَ إِلَى شَرْبِ الصُّبُوحِ فَقَدْ بَدَأَ
وَتَرَنَّمَتْ فِي وَكْرِهَا سَحَرِيَّةً
وَرَفَاءَ تَسْجَعُ فِي سَمَاوَةِ أَيْكَةِ
تَبْكِي الْهَدِيلَ وَمَا رَأَتْهُ، فَيَا لَهَا
قَدْ أَشْبَهْتَنِي فِي الْهَوَى، لَكِنَّهَا
مَالَ النَّسِيمِ بِهَا، وَمَالَ بِي الْأَسَى
أَنَا يَا حَمَامَةَ مِنْكَ أَعْلَمُ بِالْهَوَى
إِنِّي امْرُؤٌ مَلَكَ الْوِدَادِ قِيَادَتِي
لَا أَسْتَرِيحُ إِلَى السُّلُوءِ، وَلَوْ جَنَى
لَا ذِمَّتِي زَهْنُ الْفِكَاكِ، وَلَا يَدِي
لِكِنَّنِي غَرَضُ لَأَسْهُمَ حَاسِدِ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبُ جَنَيْتُ، وَإِنَّمَا
تَعِسْتُ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ، فَإِنَّهَا
أَنَا فِي زَمَانِ غَايِرِ، وَمَعَاشِرِ
أَعْدَاءِ غَيْبٍ لَيْسَ يَسْلُمُ صَاحِبُ
أَقْبَحَ بِهِمْ قَوْمًا بَلَوْتُ إِخَاءَهُمْ
قَدْ أَصْبَحُوا لِلدَّهْرِ سُبَّةً نَاقِمِ
وَأَشَدُّ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ
شَقِيَّ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ

وقال في وصف الخريف: (من مجزوء البسيط)

واعتدل الصُّبحُ والمساءُ	تَوَازَنَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ
بَيْنَهُمَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ	وَاصْطَلَحَتْ بَعْدَ طُولِ عَتَبٍ
وَلَا ابْتِرَادُ، وَلَا اصْطِلَاءُ	فَلَا اصْطِحَارُ، وَلَا اكْتِنَانُ
أَنْضَرَهَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ	تَبْتَهَجُ الْعَيْنُ فِي رِيَاضٍ
وَعَيْضَةُ مَاوُهَا رَوَاءُ	مَنَابِتُ زَرْعِهَا بِهِيْجُ
وَلِلصَّبَا بَيْنَهَا مَكَاءُ	لِلطَّيْرِ فِي أَيْكِهَا هَدِيلُ
وَشَبَّ مِنْ زَهْرِهَا سَنَاءُ	تَوَارَتْ الشَّمْسُ عَنْ ذَرَاهَا
وَالْوَهْنُ مِنْ لَيْلِهَا سَوَاءُ	فَالصُّبْحُ وَالظُّهْرُ وَالْعِشَاءُ
وَلَا ظِلَامٌ، وَلَا ضِيَاءُ	فَلَا ضَبَابٌ وَلَا غَمَامُ
وَلَذَّةٌ بَعْدَهَا فَنَاءُ	فَقُمْنَا بِنَا نَعْتَنِمُ شَبَابًا
فَإِنَّهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ	وَلَا تُطِلُ فِكْرَةَ التَّمَنِّي
«وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»	يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مَنَاهُ

وقال يصف منزلاً في إحدى نواحي «قندية» بجزيرة «أقريطش»: (من الكامل)

تَحْمِي الْهَجِيرَ عَنِ النُّفُوسِ وَتَدْرَأُ	وَحَمِيلَةَ بَكَرَتْ سَمَاوَةَ أَيْكِهَا
خَضْرَاءَ، يَغْشَاهَا الْجَبَانُ فَيَجْرُؤُ	تَسْتَنُّ فِيهَا الرِّيحُ بَيْنَ مَنَابِتِ
صُورٍ تَزُولُ مَعَ النَّسِيمِ وَتَطْرَأُ	تَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ فِي غُدْرَانِهَا
طَرَبًا، وَيَنْزِلُهَا السَّقِيمُ فَيَبْرَأُ	يَنْسَى بِهَا الْمُؤْتُورُ مَا فِي نَفْسِهِ
وَالْعَيْنُ تَبْغَمُ، وَالْبَلَابِلُ تَصْرَأُ	فَالْوُرُقُ تَهْتَفُ، وَالرَّبَابُ تَرْتَعِي
وهواؤها مِمَّا يَشِينُ مُبْرَأُ	فَنَبَاتُهَا عَمَّا يَعِيبُ مُنْرَةٌ
رَهْوًا، وَيَسْكُنُهَا الْهَجِيرُ فَيَمْرَأُ	شَجَرَاءُ تَسْلُكُهَا السَّمُومُ فَتَعْتَذِي
لِلْعَيْنِ فِيهَا بَهْجَةٌ لَا تَضْرَأُ	فَتَحِ الرِّبِيْعُ بِهَا مَدَارِسَ بَهْجَةٍ
وَالسُّحْبُ تَنْقُطُ، وَالْحَمَائِمُ تَقْرَأُ	فَالرِّيحُ تَكْتَبُ، وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَبْرَأُ	صُورٌ تَدُلُّ عَلَى حِكِي صَانِعِ

وقال: (من الطويل)

عَلَى نَعَمَاتِ الْعُودِ بِابْنِ سَمَاءٍ
سَوَى رَذَعِ لَوْنٍ، أَوْ رَفِيفِ ذِمَاءٍ
عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءٍ
إِلَى الدَّوْرِ مِنْ بَدْءٍ عَلَى النُّدْمَاءِ
عَلَى سَرَفٍ مِنْ بَغْضَةِ الْحُلَمَاءِ
وَذَا الدَّهْرُ فِينَا مُوَلِّعٌ بِرِمَاءِ
فَمَا النِّقْصُ إِلَّا بَعْدَ كُلِّ نَمَاءٍ
وَبِعْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجَزَعَةِ مَاءٍ

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتٌ كَرُمَ تَزَوَّجَتْ
أَتَتْ حَقْبٌ مِنْ دُونِهَا، فَتَهْدَمَتْ
إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَأْسِ خَلَتْ وَمِيضُهَا
فَهَاتٍ وَخُذْ وَاشْرَبْ وَدُرْ وَاسْقِ وَارْتَجِعْ
وَدْعِنِي مِنْ ذِكْرِ الْوَقَارِ، فَإِنِّي
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا سَاعَةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَبْقَى مُخَلِّدًا
أَبِي آدَمَ بَاعَ الْجِنَانِ بِحَبَّةٍ

وقال: (من الخفيف)

فَهِيَ مِنِّي لِنَاطِرِيكَ فِدَاءُ
لَوْعَةٍ لَا تُقْلُّهَا الْأَحْشَاءُ
لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنْ أَرَكَ دَوَاءُ
سَقَى لِعَيْنِي مِنْ بَعْدِ هَجْرِكَ مَاءُ
دُ، وَعَيْنٌ أَخْنَى عَلَيْهَا الْبُكَاءُ
بَرَحَ قَلْبٍ هَاجَتْ بِهِ الْأَدْوَاءُ
وَمِنَ الْخَمْرِ عَلَّةٌ وَشَفَاءُ
فَهِيَ دَاءٌ تَدْوِي بِهِ الْحَوْبَاءُ
وَبِهِ لِلْحَقُودِ دَاءٌ غِيَاءُ
نَاسٌ إِلَّا أَقْلَهُمْ أَغْدَاءُ
لَمْ تُغَيِّرْ وَدَادَهُ الْأَهْوَاءُ
قَتَّ عَلَيْهِ بِرُحْبِهَا الدُّهْنَاءُ

لَكَ رُوحِي، فَاصْنَعْ بِهَا مَا تَشَاءُ
لَا تَكِلْنِي إِلَى الصُّدُودِ فَحَسْبِي
أَنَا وَاللَّهِ مُنْذُ غَبَّتْ عَلِيلُ
كَيْفَ أُرْوِي غَلِيلَ قَلْبِي؟ وَلَمْ يَبْ
فَتَرَفَّقَ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْهُ
أَنَا رَاضٍ بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي
نَظَرَةً رَبِّمَا أُمَاتَتْ وَأَحْيَتْ
لَا تَخْلُ نَمَّةَ الْوُشَاةِ صَلاَحًا
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا
فَاحْذَرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ النَّدْمَ
وَاخْتَبِرْنِي تَجِدْ صَدِيقًا حَمِيمًا
صَادِقًا فِي الَّذِي يَقُولُ وَإِنْ ضَا

وقال وقد نظم قول أعرابي في صديق له: «صَفَرْتُ عِيَابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا، وَكُفِّهَرْتُ وَجُوهُ كَانَتْ بِمَائِهَا»: (من الوافر)

لَقَدْ صَفَرْتُ عِيَابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبَّتِي بَعْدَ امْتِلَاءِ
وَعَادَتْ أَوْجُهُ الْمَعْرُوفِ سُودًا وَكَانَتْ مِنْ نَضَارَتِهَا بِمَاءِ

وقال عِنْدَ وُرُودِ نَعْيِ ابْنَتِهِ إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْبُكَاءَ، مِنْ غَلَبَةِ الْحُزَنِ عَلَيْهِ:
(من الوافر)

فَرِغْتُ إِلَى الدُّمُوعِ، فَلَمْ تُجِبْنِي وَفَقَدُ الدَّمْعِ عِنْدَ الْحُزَنِ دَاءُ
وَمَا قَصَّرْتُ فِي جَزَعٍ، وَلَكِنْ إِذَا غَلَبَ الْأَسَى ذَهَبَ الْبُكَاءُ

وقال يرثي صديقه «عبد الله باشا فكري»: (من الطويل)

أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ نُورًا مُجَسَّدًا يَفِيضُ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ رَوَاؤُهُ
تَوَى بَرْهَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى إِذَا قَضَى لُبَانَتَهُ مِنْهَا، دَعَتْهُ سَمَاؤُهُ
وَمَا كَانَ إِلَّا كَوَكْبًا حَلَّ بِالنَّارِ لَوَقْتُ فَلَمَّا تَمَّ شَالَ ضِيَاؤُهُ
نَضَا عَنْهُ أَتُوبَ الْفَنَاءِ، وَرَفَرَفَتْ إِلَى الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِهِ مَضَاؤُهُ
فَأَصْبَحَ فِي لُجٍّ مِنَ النُّورِ سَابِحًا سَوَاحِلُهُ مَجْهُولَةٌ وَقَضَاؤُهُ
تَجَرَّدَ مِنْ غَمْدِ الْحَوَادِثِ نَاصِعًا وَمَا السَّيْفُ إِلَّا أَثَرُهُ وَمَضَاؤُهُ
فَإِنْ يَكْ وَلَى فَهُوَ بَاقٍ بِأُفْقِهِ كَنَجْمٍ يَشُوقُ النَّاظِرِينَ بَهَاؤُهُ
وَلَوْلَا اعْتِقَادِي أَنَّهُ فِي حَظِيرَةِ مِنَ الْقُدْسِ لَاسْتَوَلَى عَلَى الْجَفْنِ مَاؤُهُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ فُؤَادٍ نَزَا بِهِ إِلَيْكَ نِزَاعٌ أَعْجَزَ الطَّبَّ دَاؤُهُ

وقال يهجو: (من البسيط)

وصَاحِبِ كَهْمُومِ النَّفْسِ مُعْتَرِضِ مَا بَيْنَ تَرْقُوتِ مَنِي وَأَحْشَاءِ
إِنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنْ سَهْوِ أَلَمٍ بِهِ أَوْ قَالَ شَرًّا فَعَنْ قَصْدِ وَإِمْضَاءِ
لَا يَفْعَلُ السُّوءَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَا يُكْفِكُفُ إِلَّا بَعْدَ إِيْذَاءِ

عَاشَرْتُهُ حَقْبَةً مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ فَكَانَ أَقْتَلَ مِنْ دَاءِ لِحَوْبَاءِ
يَبْغِي رِضَايَ وَقَدْ أَوْدَى بِرُمَّتِهِ وَكَيْفَ يَحْيَا صَرِيحٌ بَعْدَ إِدَاءِ؟
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ حَيْثُ كَانَ، وَلَا جَزَاهُ عَنْ فِعْلِهِ إِلَّا بِأَسْوَاءِ

قافية الألف المقصورة

وقال بعد استقالته من وزارة الجهادية والبحرية ووزارة الأوقاف، وعودته إلى ضيعة بناحية «قرقية» بالدقهلية، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٨هـ/١٨٨١م)، وفيها وصف قطار سكة الحديد والمزارع: (من الكامل)

فَمَتَى تَجُودُ عَلَى الْمُتِمِّمِ بِاللُّقَى؟
أَنَّ الْمَشِيبَ لَهَيْبٍ نِيرَانِ الْجَوَى
وَمَنْ الْوُعُودُ خِلَابَةً مَا تُقْتَضَى
وَمَنْ السَّفَاهِ طِلَابُ عُمْرٍ قَدْ مَضَى
يَبْقَى، وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْبَقَا
يَهْرَمُ وَمَنْ يَهْرَمُ يَعْثُ فِيهِ الْبَلَى
وَارْجِعْ لِجِلْمِكَ، فَالْأُمُورُ إِلَى انْتِهَا
طَلَّقِ الرَّهَانَ، وَمُعَمَدٌ أَنْ يُنْتَضَى
فِي شَأْوِهِ بَرْقٌ، تَعَثَّرَ، أَوْ كَبَا
فِي كُلِّ مَهْمَةٍ يَضِلُّ بِهَا الْقَطَا
مَدَّ النَّهَارِ، وَلَا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى
يَمْشِي الْعَرِضَنَةَ، أَوْ يَسِيرُ الْهَيْدَبَى
يَشْكُو بِزَفَرَتِهِ لَهَيْبًا فِي الْحَشَا
تَدْعُ الْحَيَادَ مُقَيَّدَاتٍ بِالْوَجَى
زَاهِي النَّبَاتِ، بَعِيدِ أَعْمَاقِ الثَّرَى

هَجَرْتُ «ظُلُومَ» وَهَجَرُهَا صِلَةُ الْأَسَى
جَزَعْتُ لِإِرَاعِيَةِ الْمَشِيبِ، وَمَا دَرْتُ
وَلَوْتُ بِوَعْدِكَ بَعْدَ طُولِ ضَمَانِهِ
لَيْتَ الشَّبَابَ لَنَا يَعُودُ بِطِيبِهِ
وَالشَّيْبَ أَكْمَلَ صَاحِبٍ لَوْ أَنَّهُ
وَالدَّهْرُ مَدْرَجَةُ الْخُطُوبِ، فَمَنْ يَعِشْ
فَإَذْهَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الصُّبَا
الْيَوْمَ أَنْ لِسَابِقٍ أَنْ يَحْتَنِي
وَلَقَدْ عَلَوْتُ سَرَاةً أَذْهَمَ لَوْ جَرَى
يَطْوِي الْمَدَى طَيَّ السَّجَلِ وَيَهْتَدِي
يَجْرِي عَلَى عَجَلٍ، فَلَا يَشْكُو الْوَجَى
لَا الْوَحْدَ مِنْهُ وَلَا الرَّسِيمَ، وَلَا يَرَى
رِيَّانُ مِلءٍ ضُلُوعِهِ، لَكِنَّهُ
مَا زَالَ يَنْهَجُ فِي الْمَسِيرِ طَرَائِقًا
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَنَاتٍ أَفِيحٍ

تَسْتَنُّ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنَابِتِ
مُلْتَفِّ أَفْنَانِ الْحَدَائِقِ لَوْ سَرَتْ
فَتَرَابُهُ نَفْسُ الْعَبِيرِ، وَنَبْتُهُ
فَإِذَا شَمِمَتْ وَجَدْتَ أَطْيَبَ نَفْحَةٍ
وَالْقُطُنَ بَيْنَ مُلَوِّزٍ وَمُنَوَّرٍ
فَكَأَنَّ عَاقِدَهُ كُرَاتُ زُمْرٍ
دَبَّتْ بِهِ رُوحُ الْحَيَاةِ، فَلَوْ وَهَتْ
فَأُصُولُهُ الدُّكْنَاءُ تَسْبَحُ فِي الثَّرَى
لَمْ يَسِرْ فِيهِ الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ
هَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ دَاعِيَةُ الرِّضَا
فَعَلَامُ أَجْهَدُ فِي الْمَطَالِبِ بَاذِلًا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ الْعُلَا

طَابَتْ مَغَارِسُهَا، وَجَنَّتِ رَوَا
فِيهَا السُّمُومُ، لَشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا
سَرَقُ الْحَرِيرِ، وَمَاؤُهُ فَلَقَ الضُّحَى
وَإِذَا التَّفَتُّ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى
كَالْغَادَةِ اِزْدَانَتْ بِأَنْوَاعِ الْجَلَى
وَكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَوَاكِبُ فِي الرُّوَا
عَنْهُ الْقِيُودُ مِنَ الْجَدَاوِلِ، قَدْ مَشَى
وَفُرُوعُهُ الْخَضِرَاءُ تَلْعَبُ فِي الْهَوَا
مَحْدُودَةٍ إِلَّا تَرَاجَعُ بِالْمُنَى
وَسَلَامَةُ الْعُقَبَى وَمِفْتَاحُ الْغِنَى
نَفْسِي؟ وَهَذَا لِلْمَطَالِبِ مُنْتَهَى
وَسَرَا الْأَذَى عَنِّي فَأَبْصَرْتُ الْهُدَى

قافية الباء

قال في صباهُ ويذكر الطرد: (من الطويل)

وَعَيْرِي بِاللِّذَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ
بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوُ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
إِذَا مَا رَمَى عَيْنِيهِ، وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
وَتَعْدُو عَلَى آثَارِهَا الطَّيْرُ تَنْعَبُ
فَكَلَّفَتِ الْأَيَّامُ مَا لَيْسَ يُوْهَبُ
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
فَلَا عَزَنِي خَالٌ، وَلَا ضَمْنِي أَبُ
وَلَا دَارَ فِي كَفِي سِنَانٌ مُدْرَبُ
لَدَيَّ يَدَا أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعَبُ
لِكُلِّ امْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ
وَأَمَسْتُ بِهِ الْأَحْلَامَ حَيْرَى تَشْعَبُ
مَنْ الرَّأْيِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ
وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُشْطَبُ
حَوَاسِرَ فِي الْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ

سَوَايَ بِتَحْنَانِ الْأَعَارِيدِ يَطْرَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسَرُ الْخَمْرُ لُبُّهُ
وَلَكِنْ أَخُو هَمٍّ، إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ
نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةُ
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ؛ فَالْغَرْبُ مَشْرِقُ
لَهُ غُدَوَاتٌ يَتَّبِعُ الْوَحْشُ ظِلَّهَا
هَمَامَةٌ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مَا رُبُ
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلَيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
وَلَا حَمَلْتُ بِرُغِي كُمَيْتُ طِمْرَةَ
خُلِقْتُ عَيُوفًا، لَا أَرَى لِابْنٍ حُرَّةُ
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا
أَسِيرُ عَلَى نَهْجِ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ
وَإِنِّي إِذَا مَا الشُّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
صَدَعْتُ حِجْفَافِي طَرْتِيهِ بِكُوكِبُ
وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خَضَتْ عِبَابَهُ
تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي
فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيْنَ الْكَرِّ مَوْقِفِي
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ وَالتَّقَى
كَذَلِكَ دَأْبِي فِي الْمِرَاسِ، وَإِنِّي
وَفِتْيَانٍ لَهُوَ قَدْ دَعَوْتُ وَلِلْكَرَى
إِلَى مَرْبَعٍ يَجْرِي النَّسِيمُ خِلَالَهُ
فَلَمْ يَمْضِ أَنْ جَاءُوا مُلْبِنِينَ دَعْوَتِي
بِخَيْلٍ كَأَرَامِ الصَّرِيمِ، وَرَاءَهَا
مِنَ اللَّاءِ لَا يَأْكُلْنَ زَادًا سِوَى الَّذِي
تَرَى كُلُّ مُحَمَّرٍ الْحَمَالِيْقِ فَاغْرِ
يَكَادُ يَفُوتُ الْبَرْقُ شَدًّا إِذَا انْبَرَتْ
فَمِلْنَا إِلَى وَادٍ كَأَنَّ تِلَاعَهُ
تُرَاجُ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ كَلَالِهَا
فَبَيْنَا نُرُودُ الْأَرْضَ بِالْعَيْنِ إِذْ رَأَى
فَقَمْنَا إِلَى خَيْلٍ كَأَنَّ مَتُونَهَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا حَيْثُ أَخْبَرَ أَطْلَقْتُ
فَمَا كَانَ إِلَّا لَفْتُهُ الْجِيدُ أَنْ غَلَتْ
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا: أَدْرِهَا فَإِنَّمَا
فَقَامَ إِلَى رَاقُودٍ خَمْرٍ كَأَنَّهُ
يَمُجُّ سُلَافًا فِي إِنَاءٍ كَأَنَّهُ
فَلَمْ نَأْلُ أَنْ دَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ دَوْرَةً
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْيَوْمُ إِلَّا أَقْلَهُ
فَرُحْنَا نَجْرُ الذَّيْلَ تِيهًا لِمَنْزِلِ
مَسَارِحِ سَكَّيرٍ، وَمَرَبِضِ فَاتِكِ
فَلَمَّا رَأْنَا صَاحِبَ الدَّارِ أَشْرَقَتْ
وَقَالَ: انْزِلُوا يَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ
وَرَاحَ إِلَى دَنْ تَكَامِلُ سَبِيكَةً

وَبِيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ
لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تَغِيْبُ
عَلَى غَيْهٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهٌ
لَا مَرْحَ فِي غِيِّ التَّصَابِي وَالْعَبُ
خِبَاءٌ بِأَهْدَابِ الْجُفُونِ مُطَنَّبُ
بِنَشْرِ الْخُزَامَى، وَالنَّدَى يَتَصَبَّبُ
سِرَاعًا كَمَا وَافَى عَلَى الْمَاءِ رُبْرُبُ
ضَوَارِي سَلُوقٍ: عَاطِلٌ وَمُلَبَّبُ
يُضْرَسُنُهُ، وَالصَّيْدُ أَشْهَى وَأَعْدُبُ
إِلَى الْوَحْشِ، لَا يَأْلُو، وَلَا يَنْتَصِبُ
لَهُ بِنْتُ مَاءٍ أَوْ تَعَرَّضُ تُغْلَبُ
مِنَ الْعَصَبِ مَوْشِي الْحَبَائِكِ مُذْهَبُ
وَيَصْبُو إِلَيْهِ ذُو الْحِجَا وَهُوَ أَشْيَبُ
رَبِيبَتُنَا سَرَبًا فَقَالَ: أَلَا ارْكَبُوا
مِنَ الضُّمْرِ خُوطُ الضَّيْمَرَانِ الْمُشَدَّبُ
بُرَاةٌ وَجَالَتْ فِي الْمَقَاوِدِ أَكْلَبُ
قُدُورُ، وَفَارَ اللَّحْمُ، وَانْفَضَّ مَارِبُ
قُصَارَى بَنِي الْأَيَّامِ أَنْ يَتَشَعَّبُوا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الْعَيْنُ أَسْوَدُ مُغْضَبُ
إِذَا مَا اسْتَقْبَلَتْهُ الْأَنَامِلُ كَوَكَبُ
وَحَتَّى رَأَيْنَا الْأَفْقَ يَنَائِي وَيَقْرُبُ
وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ تَغْرُبُ
بِهِ لِأَخِي اللَّذَاتِ وَاللَّهُوِ مَلْعَبُ
وَمُخْدَعُ أَكْوَابٍ، بِهِ الْخَمْرُ تُسَكَّبُ
أَسَارِيرُهُ زَهْوًا، وَجَاءَ يُرَحِّبُ
فَعِنْدِي لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ وَأَطْيَبُ
وَشَيَّبَ فَوْدِيهِ مِنَ الدَّهْرِ أَحْقَبُ

مَنْ الْخَمْرِ تَطْفُو فِي الْإِنَاءِ وَتَرْسُبُ
وَيَسْرِي عَلَيْهَا الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ
وَيَا طَيِّبَ هَذَا اللَّيْلِ لَوْ دَامَ طَيِّبُ
وَلَمْ يَدِرْ أَنَّ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلُوبُ
لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
عَلَيْنَا، وَأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبُ
نُقَادُ كَمَا قَيْدُ الْجَنِيْبِ وَنُصْحَبُ
أَصَابَ هُدَاهُ، أَوْ دَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ

فَمَا زَالُ حَتَّى اسْتَلَّ مِنْهُ سِنَّهُ
يَحُومُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ الْيَوْمِ لَوْ كَانَ بَاقِيَا
يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا
نَظُنُّ بَأْنَا قَادِرُونَ، وَإِنَّا
فَرَحَمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَمْرِي

وقال يهنئ «الخديو إسماعيل باشا» بولاية مصر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف هجرية (١٢٧٩هـ/١٨٦٣م): (من الكامل)

وَالْمَرْءُ رَهْنُ بَشَاشَةٍ وَقُطُوبِ
أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ، فَهُوَ حَسِيبِي
فِيهَا مَجَالٌ تَحَفُّزٌ لَوْجِبِ
وَرَدَ الْبَشِيرُ بِهِ إِلَى يَعْقُوبِ
جَاءَتْ لَهَا بِالْأَمْنِ بَعْدَ خُطُوبِ
مَشْبُوبِ بَلْ بِالْأَلْبَحِ الْمَعْصُوبِ
وَضَحَتْ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ شُحُوبِ
فَأَضَاءَهَا كَالْكَوْكِبِ الْمَشْبُوبِ
تَمْضِي مَضَاءَ اللَّهْذَمِ الْمَذْرُوبِ
إِلَّا لَهُ، أَوْ لِابْنِهِ الْمَحْبُوبِ
وَبِدِيهِ تَغْنِي عَنِ التَّجْرِبِ
نَمَّ النَّسِيمِ عَلَى أَرِيحِ الطَّيِّبِ
وَيَنْشُرِهِ عَنْ فَضْلِهِ الْمَرْغُوبِ
لَوْ كَانَ بَرَقَ الْمُزْنُ غَيْرَ خُلُوبِ
وَالْغَيْثُ فَضْلُهُ جُودِهِ الْمَسْكُوبِ
وَأَفَاضَ مَاءَ الْعَدْلِ بَعْدَ نُضُوبِ

طَرَبَ الْفُؤَادُ، وَكَانَ غَيْرَ طُرُوبِ
وَرَدَ الْبَشِيرُ، فَقُلْتُ مِنْ سَرَفِ الْمُنَى
خَبَرَ جَلَا صَدَأَ الْقُلُوبِ، فَلَمْ يَدْعُ
ضَرَحَ الْقَدَى كَقَمِيصِ يُوسُفَ عِنْدَمَا
فَلَتْنَهُنَ مِصْرُ وَأَهْلُهَا بِسَلَامَةٍ
بِالْمَاجِدِ الْمَنْسُوبِ بَلْ بِالْأَرْوَاحِ
رَبِّ الْعُلَا وَالْمَجْدِ إِسْمَاعِيلَ مَنْ
وَرَدَ الْبِلَادَ وَلَيْلُهَا مُتَرَكَبِ
بِرُوءِيَةٍ تَجْلُو الصَّوَابِ، وَعَزْمَةٍ
مَلِكٌ تَرَفَّعَ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ
ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ
نَمَّتْ شَمَائِلُهُ عَلَى أَغْرَاقِهِ
أَكْنِي بِزَهْرِ الرُّوْضِ عَنْ أَخْلَاقِهِ
وَأَقُولُ: إِنَّ الْبَرْقَ يَحْكِي بِشْرَةَ
فَالْخِصْبُ فِي الدُّنْيَا عَلَامَةٌ عَدْلِهِ
أَجْرَى نَسِيمِ الْأَمْنِ بَعْدَ رُكُودِهِ

وَأَعَادَ مِصْرَ إِلَى جَمَالِ شَبَابِهَا
فَتَنَعَّمَتْ مِنْ فَيْضِهِ فِي غِبْطَةٍ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً
فَلَقَدْ مَلَكَتْ زَمَانَهَا وَسَقَيْتَهَا
فَعَدَتْ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُ بُقْعَةً
يَسْتَنْ فِيهَا الذِّلُّ بَيْنَ حَدَائِقِ
وَتَرَى السَّافِينَ يَجُولُ فَوْقَ سَرَاتِهِ
مِنْ كُلِّ رَاقِصَةٍ عَلَى نَقَرِ الصَّبَا
مَلَكَتْ أَرْزَمَتَهَا الرِّيحُ، فَسَيَّرَهَا
فَإِذَا أَطْلَتْ عِنَانَهَا وَقَفَتْ، وَإِنْ
فَانَعَمَ بِخَيْرٍ وَلايَةٍ وَلَاكَهَا
مَا أَثْرُوكَ لَهَا بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ
فَاسْمَعْ مَقَالَتهَ صَادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبْ
أَوْلِيَّتَهُ خَيْرًا، فَقَامَ بِشُكْرِهِ
فَاعْطَفَ عَلَيْهِ تَجْدُ سَلِيلِ كَرَامَةٍ
يُنْبِيكَ ظَاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ
وَإِلَيْكَ مِنْ حَوْكِ اللِّسَانِ حَبِيرَةٌ
حَضْرِيَّةَ الْأَنْسَابِ إِلَّا أَنَّهَا
وَلَعَتْ بِمَنْطِقِهَا النُّفُوسُ غَرَابَةً
أَرْسَلَتْهَا مَثَلًا بِمَدْحِكَ فِي الْوَرَى
كَلِمٌ أَثَرْتُ بِهَا جَوَادَ بَرَاعَةٍ
تَرَكَ «الْوَلِيد» مُلْتَمًا بِغُبَارِهِ
فَاسْتَجَلَّهَا تَلَمَحَ خِلَالِكَ بَيْنَهَا
كَزْجَاجَةِ التَّصْوِيرِ شَفَتْ فَاجْتَلَتْ
لَا زِلَتْ فِي فَلَكِ الْمَعَالِي كَوْكَبًا

مِنْ بَعْدِ مَا لَبَسَتْ خِمَارَ مَشْيِبِ
وَتَمَتَّعَتْ مِنْ عَدْلِهِ بِنَصِيبِ
بَعَثَ الشِّفَاءَ لَهَا بِخَيْرِ طَبِيبِ
بَعْدَ الصَّدَى مِنْ رَحْمَةٍ بِذُنُوبِ
مِنْهَا لِمُزْدَرِعٍ، وَلَا لَكُسُوبِ
غُلِبَ وَرَفَافِ النَّبَاتِ خَصِيبِ
زَفَ الرُّثَالِ تَمَطَّرَتْ بِسُهُوبِ
تَخْتَالُ بَيْنَ شَمَائِلِ وَجَنُوبِ
ضَرْبَانِ بَيْنَ تَحْفِزٍ وَدَبِيبِ
أَقْصَرْتَهُ سَارَتْ بِغَيْرِ لُغُوبِ
رَبُّ الْعِبَادِ بِرَعْمٍ كُلِّ رَقِيبِ
بَلْ لَاعْتِصَامِهِمْ بِخَيْرِ لَبِيبِ
لِسَوَاكَ فِي أَدَبٍ وَلَا تَهْذِيبِ
وَالشُّكْرُ لِلإِحْسَانِ خَيْرُ ضَرِيبِ
أَهْلًا لِحُسْنِ الْأَهْلِ وَالتَّرْجِيبِ
وَالْوَجْهَ وَسَمَةَ مُخْلِصٍ وَمُرِيبِ
يُغْنِيكَ رَوْنُهَا عَنِ التَّشْبِيبِ
بَدَوِيَّةٌ فِي الطَّبْعِ وَالتَّرْكِيبِ
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ
وَالسَّهْمُ مَنْسُوبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ
لَا يُقْتَفَى فِي الْحُضْرِ وَالتَّقْرِيبِ
وَمَضَى فَكَفَّكَ مِنْ عَنَانِ «حَبِيبِ»
فِي وَشْيٍ بُرِّدَ لِلْكَلامِ قَشِيبِ
مِنْ وَصْفِهِ مَا كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ
تُهْدِي الضِّيَاءَ لِأَعْيُنٍ وَقُلُوبِ

وقال يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ: (من الوافر)

وَأَيْنَ مِنَ الصَّبَا دَرُكُ الطَّلَابِ
مَخَابِلُهُ بَكَثْتُ لِفِرْطِ مَا بِي
تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِنَابِي
وَفِي اللَّذَاتِ إِنْ سَنَحْتُ عَذَابِي
وَأُظْهِرُ سَلْوَةً وَالْقَلْبُ صَابِي
يَكُونُ قِوَامُهَا رَوْحَ الشَّبَابِ
بِهِ سَلَفْتُ، وَأَيَّامَ عَذَابِ
وَمَرَعَى اللَّهِو مُخَضَّرُ الْجَنَابِ
بِأَجْنِحَةِ الْخَلَاعَةِ وَالتَّصَابِي
لِعَابٍ فِي لِعَابٍ فِي لِعَابِ
وَقَرْنُ الشَّمْسِ تَبْرِيَّ الْإِهَابِ
عَلَى السَّاحَاتِ أُمُتَالِ الْقَبَابِ
وَجَدُولُ مَائِهَا عَذْبُ الرُّضَابِ
مِنَ الزَّهْرِ الْمُنَمَّقِ فِي ثِيَابِ
كَمَا مَالِ النَّزِيفِ مِنَ الشَّرَابِ
بِالْلسَنَةِ النَّبَاتِ عَلَى السَّكَابِ
عَلِيلِ الْجَوِّ، هَلْهَالِ الرَّبَابِ
بُكُورًا قَبْلَ تَنْعَابِ الْغُرَابِ
جَمُوحًا لَا تَلِينُ عَلَى الْجَذَابِ
وَدَارَ بِجِيدِهَا لَبُّ الْحَبَابِ
جَلَّتْهَا لِلْأَشْعَةِ فِي خِضَابِ
بِهِ اللَّذَاتُ وَاضِعَةُ النُّقَابِ
وَنَنْطِقُ بِالصَّوَابِ، وَلَا نُحَابِي
نَدِيمَ الرَّاحِ وَالْهَيْفِ الْكَعَابِ
كَأَنِّي مِنْهُ أَنْظُرُ فِي كِتَابِ
بِقَلْبِي لَوْعَةً مِثْلَ الشَّهَابِ

أَعْدُ يَا دَهْرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ
زَمَانُ كُلِّمَا لَاحَتْ بِفُكْرِي
مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلَوْعَا
وَكَيْفَ تَلَدُ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي؟
أَصْدُ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجْزِ
وَمَا فِي الدَّهْرِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ
فَيَا لِلَّهِ! كَمْ لِي مِنْ لَيَالِ
إِذِ النَّعْمَاءِ وَارْفَةُ عَلَيْنَا
نَطِيرُ مَعَ السُّرُورِ إِذَا انْتَشَيْنَا
فَعُدُّوْنَا وَرَوْحَتْنَا سَوَاءِ
وَرَبَّتْ رَوْضَةً مِلْنَا إِلَيْهَا
نَمْتُ أَدْوَاهُهَا، وَسَمْتُ، فَكَانَتْ
فَزَهْرُ غُصُونِهَا طَلَقَ الْمُحْيَا
كَأَنَّ غُصُونَهَا غَيْدُ تَهَادَى
سَقَتْهَا السُّحْبُ رَيِّقَهَا فَمَالَتْ
فَسَبَّحَ طَيْرُهَا شُكْرًا، وَأَثْنَتْ
وَيَوْمَ نَاعِمِ الطَّرَفَيْنِ نَادِ
سَبَقْتُ بِهِ الشَّرُوقَ إِلَى التَّصَابِي
وَسَقْتُ مَعَ الْغَوَاةِ كُمَيْتَ لَهْوِ
إِذَا أَلْجَمْتَهَا بِالْمَاءِ قَرَّتْ
مُورِدَةً إِذَا اتَّقَدَتْ بِكَفِّ
هُوَ الْعَصْرُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْنَا
نُجَاهِرُ بِالْغَرَامِ، وَلَا نُبَالِي
فَيَا لَكَ مِنْ زَمَانٍ عِشْتُ فِيهِ
إِذَا ذَكَرْتُهُ نَفْسِي أَبْصَرْتُهُ
تَحَوَّلَ ظِلُّهُ عَنِّي، وَأَذْكَى

كَذَاكَ الدَّهْرُ مَلَأَ خُلُوبُ
فَلَا تَرَكْنِ إِلَيْهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ
وَعَشْ فَرْدًا، فَمَا فِي النَّاسِ خُلُ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ مَلِيًّا
فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الإِخْوَانِ نَدَبًا
وَلَكِنَّا نَعَاشِرُ مَنْ لَقِينَا
يَغُرُّ أَخَا الطَّمَاعَةِ بِالْكَذَابِ
تَرَاهُ بِهِ يَتَوَلَّى إِلَى ذَهَابِ
يَسْرُكُ فِي بَعَادٍ وَأَقْتِرَابِ
وَذُقْتُ الْعَيْشَ مِنْ أَرْزِي وَصَابِ
يَجُلُّ عَنِ الْمَلَامَةِ وَالْعِتَابِ
عَلَى حُكْمِ الْمُرُوءَةِ وَالتَّغَابِي

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ، ويرثي صديقيه: الأستاذ الشيخ حُسَيْنًا
الْمَرْصِفِيَّ، وَعَبَدَ اللَّهِ بَاشَا فِكْرِي: (من الخفيف)

أَيْنَ أَيَّامُ لَدَّتِي وَشَبَابِي
ذَاكَ عَهْدُ مَضَى وَأَبْعَدُ شَيْءٍ
فَأَدِيرَا عَلَيَّ ذِكْرَاهُ إِنِّي
كُلُّ شَيْءٍ يَسْلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا
لَيْتَ شَعْرِي مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْمَنَدِ
حَيْثُ تَجْرِي السَّفِينُ مُسْتَبَقَاتٍ
قَدْ أَحَاطَتْ بِشَاطِئِهِ قُصُورُ
مَلْعَبٍ تَسْرَحُ النُّوَاطِرُ مِنْهُ
كُلَّمَا شَافَهُ النَّسِيمُ ثَرَاهُ
ذَاكَ مَرَعَى أَنْسَى وَمَلْعَبُ لَهْوِي
لَسْتُ أَنْسَاهُ مَا حَبِيتُ وَحَاشَا
لَيْسَ يَزْعَى حَقَّ الْوَدَادِ وَلَا يَذُّ
فَلَيْنَ زَالَ فَاشْتِيَاقِي إِلَيْهِ
يَا نَدِيمِي مِنْ سَرَنْدِيبٍ كُفَّا
كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَصْبَ
أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي وَكَسَانِي
وَلَوْ شِعْرَ حَاجِبِي عَلَى عَيْ
لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا

أَتَرَاهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهَابِ؟
أَنْ يَرُدَّ الزَّمَانُ عَهْدَ النَّصَابِ
مُنْذُ فَارَقْتُهُ شَدِيدُ الْمُصَابِ
مَاضِي اللَّهْوِ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
حِيلَ ذَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
فَوْقَ نَهْرٍ مِثْلَ اللَّجَيْنِ الْمَذَابِ
مُشْرِفَاتٍ يَلْحَنَ مِثْلَ الْقَبَابِ
بَيْنَ أَفْنَانِ جَنَّةٍ وَشِعَابِ
عَادَ مِنْهُ بِنَفْحَةِ كَالْمَلَابِ
وَجَنَى صَبَوْتِي وَمَغْنَى صَحَابِي
أَنْ تَرَانِي لِعَهْدِهِ غَيْرَ صَابِي
كُرُّ عَهْدًا إِلَّا كَرِيمُ النَّصَابِ
مِثْلُ قَوْلِي بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ
عَنْ مَلَامِي وَخَلْيَانِي لِمَا بِي
بَحَثْتُ كَهْلًا فِي مِحْنَةٍ وَأَغْتِرَابِ؟
خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةُ الْجِلْبَابِ
نَيِّ حَتَّى أَطْلُ كَالْهُدَابِ
كَخَيَالٍ كَأَنَّنِي فِي ضَبَابِ

أَسْمَعُ الصَّوْتِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
وَنِيَّةٍ لَا تُقْلِلُهَا أَغْصَابِي
غَيْرَ أَشْلَاءِ هَمَّةٍ فِي ثِيَابٍ
ثُمَّ أَنْحَتِ تَكْرُرٌ فِي أَتْرَابِي
يَا لِقَلْبِي مِنْ فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ
اللَّهِ؟ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ
كِرٍ فَخَرٌ يَدُومُ لِلْأَعْقَابِ
غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِنَابِي
تُ أُمُورًا مَا كُنَّ لِي فِي حِسَابِ
كَانَ عَوْنًا عَلَى التَّقَاةِ اجْتِنَابِي
سَتْ مَلِيئًا بِرَدٍّ كُلِّ جَوَابِ
فِي أَمَانٍ مِنْ غِيْبَةِ الْمُغْتَابِ
ءَ فَسَمِعِي عَنِ الْخَنَاءِ فِي احْتِنَابِ
أَتَغَابِي وَالْحَزَمِ الْفُ التَّغَابِي
م دَلِيلًا إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ
وَأَنْتِهَاءُ الْعُمُرَانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

وَإِذَا مَا دُعِيْتُ جَرْتُ كَأَنِّي
كُلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي
لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي
فَجَعَلْتَنِي بِوَالِدَيَّ وَأَهْلِي
كُلَّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنِّي حَبِيبُ
أَيَّنَ مِنِّي حُسَيْنٌ بَلْ أَيَّنَ عَبْدُ
مَضِيًّا غَيْرَ ذُكْرَةٍ وَبَقَاءِ الذِّ
لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي
قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي فَأَنْكَرُ
وَتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى
لَا أَبَالِي بِمَا يُقَالُ وَإِنْ كُنْ
قَدْ كَفَانِي بَعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي
فَلْيَقُلْ حَاسِدِي عَلَيَّ كَمَا شَاءَ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ وَلَكِنْ
وَكَفَى بِالْمَشِيبِ وَهُوَ أَخُو الْحَزْ
إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى

وقال في شبابه: (من الطويل)

فَقَدْ ضَاعَ مِنِّي بَيْنَ تِلْكَ الْمَلَاعِبِ
فَتَاةٌ لَهَا فِي السَّلْمِ فَتْكُ الْمُحَارِبِ
أَعَادَتُهُ أَوْ جَاءَتْ بِوَعْدِ مُقَارِبِ
يَدُلُّ عَلَيْهِ السَّمْعُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
دُعَاءَ فَتَى مِنْكُمْ قَرِيبِ الْمَنَاسِبِ
فَسِيرُوا وَخَلُونِي فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
لَهُ بَيْنَكُمْ مِنْ ثَائِرٍ أَوْ مُطَالِبِ
لَدَى كُلِّ مَكْرُوهٍ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
فَمَا أَنَا عَنْ مَثْوَى الْفُؤَادِ بِرَاغِبِ

سَلُّوا عَنْ فُؤَادِي قَبْلَ شَدِّ الرِّكَائِبِ
أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ بِلَحْظِهَا
فَلَا تَبْرَحُوا أَوْ تَسْأَلُوهَا فَرَبِّمَا
وَكَيْفَ تَوَارِيهِ وَهَذَا أُنَيْنُهُ
فَيَا سَرَوَاتِ الْحَيِّ هَلَّا أَجَبْتُمْ
إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي
أَيَذْهَبُ قَلْبِي غِيْلَةً ثُمَّ لَا أَرَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
فَلَا تَعْدُلُونِي إِنْ تَخَلَّفْتُ بَعْدَكُمْ

بِنَائِرَةٍ لَوْلَا عُيُونُ الْكَوَاعِبِ
تَعَثَّرَ مَا بَيْنَ الْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ
مَنْ الْعَيْنِ حُمُرُ الْحَلِيِّ بَيْضُ التَّرَائِبِ
مَحَاسِنَ تَدْعُو لِلصَّبَا كُلِّ رَاهِبِ
فَيَا مَنْ رَأَى فِي الْأَرْضِ سَيْرَ الْكَوَاكِبِ
بِلَا تِرَةٍ إِلَّا مَجَانَّةً لَاعِبِ
وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ فِي قُبُودِ ذَوَائِبِ
كَغَزْلَانِ هَذَا الْحَيِّ عَذْرُ لِنَاسِبِ
فَأَبْدُعْ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنُ الْأَعَارِبِ
وَأَخْلَفَنَ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَادِبِ
أَخَا سَقَمِ أَسْلَمَنِي لِلنَّوَائِبِ
وَأَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْحِمَى كُلِّ رَاكِبِ
وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي فِرَاقَ الْحَبَائِبِ
بِأَسْرِ الْهُوَى أَوْ مِنْ نَجَاةٍ لِهَائِبِ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ طَوْعَ الْجَوَادِبِ
لِقَاءَ الْأَعَادِي أَوْ قِرَاعَ الْكَتَائِبِ
وَنَعَجَزُ عَنْ نَبْلِ الْعُيُونِ الصَّوَائِبِ
لَأَوْجَرْتُهُ فَوْهَاءَ رِيَا الْجَوَانِبِ
رِقَابُ أَنْاسٍ أَخْضَعُوا كُلَّ غَالِبِ
فَإِنَّ الْهُوَى بَحْرٌ كَثِيرُ الْعَجَائِبِ
تَحْيِرَ مَا بَيْنَ اخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ

فَتَمَّ جَنَابٌ لَا يُرَاعُ نَزِيلُهُ
إِذَا سَارَ فِيهِ الطَّرْفُ قَبْدَ بِنَائَةِ
وَبَيْنَ الْعَوَالِي فِي الْخُدُورِ نَوَاشِيُ
إِذَا هُنَّ رَفَعْنَ السُّجُوفَ أَرَيْنَنَا
جَلُونَ بِحُلُوانِ الْوُجُوهِ كَوَاكِبًا
وَفَوْقَ الْأَحَاطِ فَأَضْمَيْنَ أَنْفُسًا
فَكَمْ مِنْ صَرِيحٍ فِي حَبَائِلِ مُقْلَةٍ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ وَهْيَ رَجِيْبَةٌ
فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
فَهُنَّ الْأَلَى عَوْدَنَ قَلْبِي عَلَى الْهُوَى
وَتَيَمَّنَنِي حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْنَنِي
وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُنَّ أَسْتَقْبِلُ الصَّبَا
وَمَا زَادَ مَاءَ النَّيْلِ إِلَّا لَأُنْنِي
فَيَا صَاحِبِي هَلْ مِنْ فَكَاكِ لَوَاقِعِ
خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهُوَى بَعْدَ عِزَّةٍ
وَإِنَّا أَنْاسٌ لَا تَهَابُ نَفُوسُنَا
نَرْدُ عَلَى الْأَعْقَابِ كُلِّ سَرِيَّةٍ
فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحُبُّ شَخْصًا مُحَارِبًا
وَلَكِنَّهُ الْخَصْمُ الَّذِي خَضَعْتُ لَهُ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ قَوْلِي فُكَاهَةً
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفِرِ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ: (من البسيط)

وَكَيْفَ يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مُكْتَتِبُ؟
عَيْنٌ وَلَا بَاتَ قَلْبٌ فِي الْحَشَا يَجِبُ
عَلَيَّ فَالْحُبُّ سُلْطَانٌ لَهُ الْغَلْبُ
فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ لَمْ تَعْلُقْ بِهِ النَّوْبُ

لِكُلِّ دَمْعٍ جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ سَبَبُ
لَوْلَا مُكَابِدَةُ الْأَشْوَاقِ مَا دَمَعَتْ
فَيَا أَخَا الْعَذْلِ لَا تَعْجَلْ بِلَايِمَةٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ

لَكَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
بِأَسْهُمٍ مَا لَهَا رِيَشٌ وَلَا عَقَبُ
تَكَادُ مِنْ مَسِّهِ الْأَحْشَاءُ تَنْشَعِبُ
بِالْأَفْقِ لَمَعَةٌ بَرَقَ كَادٌ يَلْتَهَبُ
يَكَادُ أَيْسَرُهَا بِالرُّوحِ يَنْتَشِبُ
كَمَا اسْتَنَارَ وَرَاءَ الْقُدْحَةِ اللَّهَبُ
وَقَدْ فَعَلْتُ فَهَلْ مِنْ رَحْمَةٍ تَجِبُ
بَيْنَ الْحَشَا طَائِرٌ فِي الْفَخِّ يَضْطَرِبُ
كَأَنَّمَا بَيْنَ قَلْبِي وَالْهَوَى نَسَبُ
سَفَحَ الْعَقِيقِ فَلِي فِي سَفْحِهِ أَرْبُ
فِي صَفْحَةِ الْفَكْرِ مَنِي هَاجَنِي طَرِبُ
وَالْعَهْدُ مَا لَمْ يَصْنُهُ الْوُدُّ مُنْقَضُبُ
وَالظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَانًا وَيَقْتَرِبُ
ضَاقَتْ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ نُجُبُ
مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ
أَمْنَا إِذَا خَافَ أَنْ يَنْتَابَهُ الْعَطَبُ
فَتَاةٌ خَدِرَ لَهَا فِي الْحَيِّ مُنْتَسَبُ
كَالْبَدْرِ فِي هَالَةٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّهْبُ
كَسْمَهْرِيٍّ لَهُ مِنْ سَوْسَنِ عَذْبُ
فَجَرَّ بِجَانِحَةِ الظُّلَمَاءِ مُنْتَقِبُ
عَنَّا بَلِيلُ النَّوَى وَالْبَدْرُ يَحْتَجِبُ
ذَرِيعَةٌ تَبْتَغِيهَا النَّفْسُ أَوْ سَبَبُ
بِهَا وَلَا الْمُلتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَتَبُ
وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَتِبُ
أَنِّي مُنِيتُ بِخَطْبٍ أَمْرُهُ عَجَبُ
أَصْبَحْتُ فِيهِ فَمَاذَا الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ
ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ

وَلَوْ تَبَيَّنَ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ
لَكِنَّهُ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ
فَكَيْفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَبِي كَلَفُ
أَمْ كَيْفَ أَسْلُو وَلِي قَلْبٌ إِذَا التَّهَبْتُ
أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرْقٍ
إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاضَتْ زَفَرَتِي شَرًّا
لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ نَفْسِي مَا أَجُودُ بِهِ
كَأَنَّ قَلْبِي إِذَا هَاجَ الْغَرَامُ بِهِ
لَا يَنْزُكُ الْحُبُّ قَلْبِي مِنْ لَوَاعِجِهِ
فَلَا تَلْمَنِي عَلَى دَمْعٍ تَحَدَّرَ فِي
مَنَازِلٍ كُلَّمَا لَاحَتْ مَخَايِلُهَا
لِي عِنْدَ سَاكِنِهَا عَهْدٌ شَقِيتُ بِهِ
وَعَادَ ظَنِّي عَلِيلًا بَعْدَ صِحَّتِهِ
فَيَا سَرَاةَ الْجَمَى مَا بَالُ نَصْرَتِكُمْ
أَضْعَفْتُمُونِي وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ
أَلَيْسَ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ
فَكَيْفَ تَسْلُبُنِي قَلْبِي بِلَا تَرَةِ
مَرَّتْ عَلَيْنَا تَهَادَى فِي صَوَاحِبِهَا
تَهْتَزُّ مِنْ فَرْعِهَا الْفَيْنَانِ فِي سَرَقٍ
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتِهَا
كَانَتْ لَنَا آيَةٌ فِي الْحُسْنِ فَاحْتَجَبَتْ
فَهَلْ إِلَى نَظَرَةٍ يَحْيَا بِهَا رَمَقُ
أَبِيتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ
فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طُلُعَتُهُ
وَمِنْ عَجَائِبِ مَا لَاقَيْتُ مِنْ زَمَنِي
لَمْ أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا
فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي

فَإِنَّنِي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبٌ
أَيُّدِي الْحَوَادِثِ مِنِّي فَهُوَ مُكْتَسَبٌ
وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشِبُ
وَلَا يَحِيفُ عَلَى أَخْلَاقِي الْغَضَبُ
وَصُنْتُ عَرْضِي فَلَمْ تَعْلُقْ بِهِ الرَّيْبُ
إِذَا تَخَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَذَبُوا
فِي ثَوْبِ يَوْسُفَ مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبُ
فِي غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فِيهَا أَحْ حَدْبُ
وَكُلُّ دَوْرٍ إِذَا مَا تَمَّ يَنْقَلِبُ

فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنَدَمَةً
أَثَرِيْتُ مَجْدًا فَلَمْ أَغْبَأْ بِمَا سَلَبْتُ
لَا يَخْفُضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ
إِنِّي أَمْرُؤٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي
مَلَكَتْ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ
وَمَا أَبَالِي وَنَفْسِي غَيْرُ خَاطِئَةٍ
هَا إِنَّهَا فَرِيَةٌ قَدْ كَانَ بَاءَ بِهَا
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادِرَنِي
فَسَوْفَ تَصْفُو اللَّيَالِي بَعْدَ كُدْرَتِهَا

وقال: (من الطويل)

وَدَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ
وَمَاجَتْ صُورُ الْخَيْلِ وَالتَّهَبَ الصَّرْبُ
سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ
وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِي الْخُطْبُ

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا
وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارَ مِنَ الرَّدَى
وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّا
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا

وقال: (من البسيط)

فَارَكَبَ مِنَ الْعَزَمِ طَرْفًا يَسْبِقُ الشُّهْبَا
بِهِ الْحَمِيَّةُ هَزُ الرُّمَحِ وَأَنْتَصَبَا
وَلَا يُشَاوِرُ غَيْرَ السَّيْفِ إِنْ غَضِبَا
سِحْرًا حَلَالًا إِذَا مَا صَالَ أَوْ خَطَبَا
وَإِنْ وَعَى نَبَأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا
وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبُ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا
فَاللَّيْثُ لَا يَرْهَبُ الْأَخْطَارَ إِنْ وَتَبَا
فَالْجُودُ كَالْبَأْسِ يَحْمِي الْعِرْضَ وَالنَّسَبَا
مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْخُلْ بِمَا كَسَبَا

مَنْ صَاحَبَ الْعَجَزَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا طَلَبَا
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ
يَسْتَهْلُ الصَّعْبَ إِنْ هَاجَتْ حَفِيفَتُهُ
يَنْهَلُ صَارِمَهُ حَتْفًا وَمَنْطِقُهُ
إِنْ حَلَّ أَرْضًا حَمَى بِالسَّيْفِ جَانِبَهَا
فَذَاكَ إِنْ يَحْيَ تَحْيَ الْأَرْضُ فِي رَعْدٍ
فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا
وَجُدْ بِمَا مَلَكَتْ كَفَاكَ مِنْ نَشَبٍ
لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أَنْسِ: (من الطويل)

وَلَيْلَةَ أَنْسِ قَصَرَ اللَّهْوُ طَوْلَهَا
صَدَعْنَا بِهَا الظُّلُمَاءَ حَتَّى تَبَلَّجَتْ
مُعْتَقَّةً كَانَتْ ذَخِيرَةَ مَعْشَرٍ
أَتَتْ دُونَهَا الْإِيَّامُ حَتَّى تَخَلَّصَتْ
إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَاسِ خَلَّتْ مُدِيرَهَا
كَأَنَّ سَنَا الْكَاسَاتِ وَالنَّدُّ سَاطِعٌ
فَيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا
وَقَدْ لَاحَ بِالظُّلُمَاءِ فَجَّرَ كَأَنَّهُ

بِعَذْرَاءَ شَابَتْ وَهِيَ دُونَ حِجَابٍ
صَبَابَتْهَا مِنْ ضَوْئِهَا بِشَهَابٍ
لَابِنَائِهِمْ فِي جَوْفٍ أَقْتَمَ كَأَبِي
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ غَيْرُ لُبَابٍ
تَخَضَّبَ مِنْهَا كَفُّهُ بِخَضَابٍ
نُجُومٌ تَرَاءَتْ مِنْ خِلَالِ ضَبَابٍ
تَوَلَّتْ وَلَمْ نَشْعُرْ لَهَا بِذَهَابٍ
بَيَاضُ مَشِيبٍ فِي سَوَادِ شَبَابٍ

وقال: (من الكامل)

قُمْ هَاتِيهَا وَاللَّيْلُ مَالٌ عَمُودُهُ
وَبَدَا الْهِلَالُ عَلَى الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ

لِلْغَرْبِ وَانْتَشَرَتْ جُنُودُ الْمَغْرِبِ
نُونٌ مُفَضَّضَةٌ بِرَقٍّ مُذْهَبِ

وقال في الغزل: (من السريع)

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ فِي سِرِّهِ
أَرْسَلَ فَرَعِيهِ لِكَيْ يَغْبَتَا
أَحْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ
قَدْ لَامَنِي الْعَاذِلُ فِيهِ وَلَوْ
وَهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سِتْرَ الْهَوَى
تَقْلُبُ الْعَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى
يَا سَامَحَ اللَّهُ عُيُونََ الْمَهَا
أَمَّا كَفَى مَا جَرَّ أَحْدَاثُهُ

يَتِيهِ بِالْحُسْنِ عَلَى تَرْبِهِ
بِأَكْرَتِي نَهْدِيهِ مِنْ عُجْبِهِ
وَأَبْذُلُ الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ
رَأَى الْهُدَى أَقْصَرَ عَنْ عَنَبِهِ
مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَوَلَى عَلَى لُبِّهِ
مَا أَضْمَرَ الْإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ
فَهُنَّ عَوْنُ الدَّهْرِ فِي حَرْبِهِ
حَتَّى دَعَا الْغَيْدَ إِلَى جَرْبِهِ

وقال: (من الطويل)

أَفَتَنَانَةُ الْعَيْنَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ
وَلَا تُسْلِمِي عَيْنِي لِلْسُّهْدِ وَالْبُكَاءِ
وَإِنِّي لَرَاضٍ مِنْ هَوَاكِ بِنَظَرَةٍ
إِذَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ قَلْبِي مُعَلَّقٌ

وَصُؤْنِي جَمَاهُ فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ
فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي
وَحَسْبِي بِهَا إِنْ أَنْتَ لَمْ تَبْخَلِي حَسْبِي
بِحُبِّكَ يَا لَيْلَى فَلَا تَغْفِرِي ذَنْبِي

وقال: (من البسيط)

قَالَتْ وَقَدْ سَمِعْتُ شِعْرِي فَأَعْجَبَهَا
أَرَاهُ يَهْتَفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
فَكَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ ذَاعَتْ مَقَالَتُهُ
فَنَارَعَتْهَا فَتَاءٌ مِنْ صَوَاحِبِهَا
قَالَتْ دَعِيهِ يَصُوغُ الْقَوْلَ فِي جَمَلٍ
وَمَا عَلَيْكَ وَفِي الْأَسْمَاءِ مُشْتَرِكٌ
وَحَسْبُهُ مِنْكَ دَاءٌ لَوْ تَضَمَّنَهُ
فَاسْتَأْنَسْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ بِاسْمُهُ
يَا حُسْنُهُ مِنْ حَدِيثٍ شَفَّ بَاطِنُهُ

إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي
وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبٍ
مَا بَيْنَ قَوْمِي وَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
قَوْلًا يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ
مِنْ الْهَوَى فَهِيَ آيَاتٌ مِنَ الْأَدَبِ
إِنْ قَالَ فِي الشَّعْرِ يَا لَيْلَى وَلَمْ يَعْ
قَلْبُ الْحَمَامَةِ مَا غَنَّتْ عَلَى عَذَبٍ
إِنْ كَانَ مَا قُلْتُ حَقًّا فَهُوَ فِي تَعَبٍ
عَنْ رِقَّةٍ أَلْبَسْتَنِي خِلْعَةَ الطَّرَبِ

وقال: (من الطويل)

أَلَا يَا لَقَوْمِي مِنْ غَزَالٍ مُرَبِّبٍ
تَعَرَّضَ لِي يَوْمًا فَصَوَّرْتُ حُسْنَهُ

يَجُولُ وَشَاحَاهُ عَلَى فَنَنْ رَطْبٍ
يَبْلُورَتِي عَيْنِي فِي صَفْحَةِ الْقَلْبِ

وقال: (من الكامل)

نَهَبَ الْهَوَى بِمَخِيلَتِي وَشَبَابِي
هِيَ نَظَرَةٌ كَانَتْ حِبَالَهُ خُدْعَةٍ
نَصَبْتُ حَبَائِلَ هُدْبِهَا فَتَصَيَّدَتْ

وَأَقَمْتُ بَيْنَ مَلَامَةٍ وَعِتَابٍ
مَلَكَتْ عَلَيَّ بَدِيهَتِي وَصَوَابِي
قَلْبِي فَرَاخَ فَرِيَسَةِ الْأَهْدَابِ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ طَارِقَةِ الْهُوَى
وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي الْهُوَى أَنَّ الْفَتَى
فَارْبِحْ مَلَامَكَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي
أَنَّ الْعُيُونَ مَصَايِدُ الْأَلْبَابِ
يُدْعَى إِلَيْهِ بِأَهْوَنِ الْأَسْبَابِ
رَاضٍ بِسُقْمِي فِي الْهُوَى وَعَذَابِي

وقال: (من الوافر)

بِقَلْبِي لِلْهُوَى دَاءٌ عَجِيبُ
إِذَا أَحْفَيْتُهُ أَبْلَى فُؤَادِي
تَحَيَّرَ فِي تَلَاْفِيهِ الطَّبِيبُ
وَإِنْ أَظْهَرْتُهُ غَضِبَ الْحَبِيبُ

وقال في الشَّباب: (من الطويل)

سَعَيْتُ فَأَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي
فَمَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا وَإِنْ نِلْتُ كُلَّ مَا
أَضَعْتُ شَبَابِي فِي سَبِيلِ طِلَابِي
تَمَنَيْتُ مِنْهَا بَعْدَ فَقْدِ شَبَابِي

وقال: (من الطويل)

تَحَمَّلْ إِلَى نَادِي الْحَبِيبِ رِسَالَةً
وَحَبَّرْهُ عَنِّي أَنَّنِي مُنْذُ بَيْنِهِ
فَإِنْ لَانَ فَاشْكُرْهُ عَلَى فَضْلِ مَا أَتَى
وَلَا تُخْجَلْنَهُ بِالْعِتَابِ فَإِنِّي
أَرَقُّ عَلَى الْمُخْمُورِ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا
أُكَابِدُ هَوْلًا يَتْرُكُ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
مِنَ الْبَرِّ وَاعْذِرْهُ إِذَا صَدَّ أَوْ أَبَى
أَخَافُ إِذَا مَا أَحْمَرَ أَنْ يَتَلَهَّبَا

وقال وَكَتَبَ بِهَا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: (من الطويل)

أَتَزْعُمُنِي خَلًّا وَتَهْجُرُ سَاحَتِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَصْلَةٌ
وَإِنَّ وِدَادَ الْقَلْبِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
تُؤَكِّدُ عَهْدًا فَالْصُّدُودُ قَرِيبُ
دَلِيلُ عَلَى إِخْلَاصِهِ لِمُرِيبُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبٍ وَقَدْ سَمِعَ بَاكِئَةً بِلِيلٍ: (من الوافر)

وَبَاكِئَةٍ شَجَبْتُ قَلْبِي بِلَحْنٍ تَهِيْجُ لَهُ الْمَسَامِعُ وَالْقُلُوبُ
سَأَلْتُ فَقِيلَ فَقَدْتُ حَبِيْبًا وَهَلْ يَبْقَى عَلَى الدُّنْيَا حَبِيْبُ
بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أَفْهَمْ صَدَاهَا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الْغَرِيْبُ

وقال: (من البسيط)

لَيْسَ ابْنُ آدَمَ ذَا جَهْلٍ بِمَصْرَعِهِ لَكِنَّهُ يَتَنَاسَى الْجَدَّ بِاللَّعِبِ
تَرَاهُ يَلْهُو وَلَا يَنْفَكُ فِي حَذَرٍ وَرَاحَةُ النَّفْسِ لَا تَخْلُو مِنَ التَّعَبِ

وقال: (من الطويل)

تَرَفَّقْ فَإِنَّ الرُّفُقَ زَيْنٌ وَقَلَمًا يَنَالُ الْفَتَى بِالْعُنْفِ مَا كَانَ طَالِبًا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَرُدُّهُ إِلَى الْحِلْمِ لَمْ يَبْرَحْ مَدَى الدَّهْرِ عَاتِبًا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْفَحْ عَنِ الْخُلِّ إِنَّ هَفَا أَقَامَ وَحِيدًا أَوْ قَضَى الْعُمَرَ غَاضِبًا

وقال: (من الكامل)

إِنِّي إِذَا مَا الْخُلِّ خَاسَ بِعَهْدِهِ بَعْدَ الْوِدَادِ فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَإِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ ثُمْتُ لَمْ يْعُدْ عَنْ غَيْهِ لَمْ أَكْثَرِثْ لِعِتَابِهِ

وقال: (من الوافر)

بَلَوْتُ سَرَائِرَ الْإِخْوَانِ حَتَّى رَأَيْتُ عَدُوَّ نَفْسِي مِنْ حَبِيْبِي
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ صَحَابًا فَإِنَّهُمْ جَوَاسِيسُ الْغُيُوبِ

وقال في كَتْمَانِ السَّرِّ: (من الوافر)

أَلَمْ تَعْلَمْ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَبْقَى بِأَنَّ الصَّمْتَ مَنْجَاةُ الْأَرِيْبِ
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ حَبِيْبًا فَقَدْ يَأْتِي الْعَدُوُّ مِنَ الْحَبِيْبِ

وقال في لزوم الاحتراس من العدو: (من الكامل)

لا تَرْكَنْنَ إِلَى الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ يَبْغِي سِقَاطَكَ بِالْحَدِيثِ الْمُعْجَبِ
كَالنَّارِ تَخْتَدِعُ الْفَرَّاشَ لِحُسْنِهَا فَيَنَالُ مِنْهُ الْبُؤْسَ إِنْ لَمْ يَعْطَبِ

وقال: (من الطويل)

أَرَى كُلَّ حَيٍّ يَظْلُمُ الدَّهْرَ جُهْدَهُ وَلَسْتُ أَرَى لِلدَّهْرِ فِي عَمَلٍ ذَنْبًا
إِذَا سَاءَ صُنْعُ الْمَرْءِ سَاءَتْ حَيَاتُهُ فَمَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ يُوسِعُهَا سَبًّا

وقال في رَجُلٍ اغْتَابَهُ: (من الخفيف)

لا أَجَازِيكَ بِالَّذِي خُضَّتْ فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا أَمْضُكَ عَتَبًا
عَفَرَ اللَّهُ لِي إِذَا كَانَ صَدَقًا وَعَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِنْ كَانَ كَذِبًا

وقال: (من الطويل)

وَذِي جَبْرُوتٍ لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ عَظِيمًا وَلَا يُصْغِي إِلَى قَوْلٍ مُضْجِبِ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَتَطَامَنْتُ غَوَارِبُهُ وَإِنْقَادَ بَعْدَ التَّجَنُّبِ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْ رَأَى كِبَرَ شَأْنِهِ لِأُصْدِرَهُ إِلَّا بِأَهْلٍ وَمَرْحَبِ
وَلَكِنِّي سَهْلٌ لِمَنْ رَامَ خُلَّتِي وَصَعْبٌ عَلَى ذِي الْكِبَرِيَاءِ الْمُغْلَبِ
وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ لَطَارَتْ بِهِ فِي النَّاسِ عُنُقَاءُ مُغْرِبِ
وَلَكِنَّهُ أَلْقَى إِلَيَّ زَمَامَهُ فَسَرْتُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ الْمُهْذَبِ
وَلَيْسَ يَسُودُ الْمَرْءُ إِلَّا بِحِلْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ وَالصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبِ

وقال: (من الوافر)

أَتُخْفِرُ ذِمَّتِي وَتَرُومُ عَظْفِي لَقَدْ مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ بِالْكَذَابِ
فَمَا بَعْدَ الْقَطِيعَةِ مِنْ تَلَاقٍ وَلَا بَعْدَ الْخَدِيعَةِ مِنْ عِتَابِ
وَكَيْفَ يَصِحُّ بَعْدَ الْغَدْرِ وَدُّ وَتَسْلَمُ نِيَّةٌ بَعْدَ ارْتِيَابِ

رُوَيْدَكَ إِنِّي صَعْبٌ أَبِي
أُجَاهِرُ بِالْعَدَاءِ وَلَا أُبَالِي
فَمَا زَنْدِي لَدَى الْعَوَصَاءِ كَابٍ
يَهَابُ الْقُرُنُ بِأِدْرَتِي فَيَمُضِي
فَإِنْ رُمْتُ السَّلَامَةَ فَاجْتَنِبْنِي
فَقَدْ عَادَيْتُ أَعْظَمَ مِنْكَ قَدْرًا
فَإِنْ تَنْزَعُ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عَفْوِي
عَلَى الْأَقْرَانِ مَرْهُوبُ الْجَنَابِ
وَأَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَلَا أَحَابِي
وَلَا سَيْفِي غَدَاةَ الْحَرْبِ نَابِي
وَمَا جَرَدْتُ سَيْفِي مِنْ قِرَابٍ
عَدُوًّا فَالسَّلَامَةُ فِي اجْتِنَابِي
وَمَا ضَاقَتْ عَلَى بَدَنِي ثِيَابِي
وَإِنْ تَطْمَعُ فَسَوْفَ تَرَى عِقَابِي

وَقَالَ يَهْجُو: (من السريع)

لَا تَبْهَتِ الشَّيْطَانَ فِي فِعْلِهِ
فَاحْسَأْ فَمَا الْخَنْزِيرُ فِي نَوْعِهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مُسْتَوَزَّرًا
ذَاكَ الَّذِي لَوْلَا خُمُولُ الْوَرَى
يَفْعَلُ بِالنَّاسِ أَفَاعِيلَهُ
فَالْخَيْرُ وَالنَّعْمَةُ فِي بُعْدِهِ
أَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ كِبَرًا فَإِنْ
... ..
هَجَوْنَهُ لَا بِالْغَا لُومَهُ
فَإِنْ أَكُنْ قَدْ نِلْتُ مِنْ عَرْضِهِ
فَلَا يَلُومَنَّ سِوَى نَفْسِهِ

وقال: (من البسيط)

وَعَدُّ تَكُونٍ مِنْ لُومٍ وَمِنْ دَنَسٍ
يَلْتَدُّ بِالطَّعْنِ فِيهِ وَالْهَجَاءِ كَمَا
فَمَا يَغَارُ عَلَى عِرْضٍ وَلَا حَسَبٍ
يَلْتَدُّ بِالْحَكِّ وَالتَّظْفِيرِ ذُو الْجَرَبِ

وقال: (من الخفيف)

كَيْفَ أَهْجُوكَ وَالِدَنَاءُ سُورَ
لَكَ عِرْضُ أَرْقُ نَسْجًا مِنَ الرَّيِّ
مَنْ حَدِيدٍ يَقِيكَ طَعْنِي وَضَرْبِي
حِ وَأَوْهَى مِنْ طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبِ

وقال: (من البسيط)

وَذِي خِلَالٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا
نَالَ الْعِلَاءَ وَلَكِنْ خَابَ رَأْيُهُ
مَنْ صِبْغَةَ اللَّؤْمِ أَوْ مِنْ حُمَاةِ الرَّيِّ
عَنْ نُجْعَةِ الْفُضْلِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ
هَجَوْتُهُ رَغْبَةً فِي الصَّدْقِ إِذْ نَفَرْتُ
شَمَائِلِي عَنْ مَقَالِ الْمَدْحِ فِي الْكَذِبِ

وقال: (من الوافر)

عَدِمْتَ حَمِيَّةً وَسَقِمْتَ وَدًّا
فَمَا أَحَزَّتْ فِي حَرْبٍ عَدُوًّا
فَلَمْ تُدْرِكْ لِمَكْرَمَةٍ نَصِيبًا
وَلَا أَفْرَحْتَ فِي سَلَمٍ حَبِيبًا

وقال يعزى: (من الطويل)

أُعْزِيكَ لَا أَنِّي أَظُنُّكَ جَازِعًا
وَكَيْفَ أُعْزِي مَنْ فَرَى الدَّهْرَ خَبْرَةً
فَيَا صَاحِبِي مَهْلًا فَلَسْتَ بِوَاجِدِ
وَصَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ أَكْرَمُ صَاحِبِ
وَلَا تَأْسَ مِنْ وَقَعِ الْخُطُوبِ وَإِنْ جَفَتْ
إِذَا مَا الرَّدَى أَوْدَى بِأَدَمَ قَبْلُنَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَ شَهْمًا مُهَذَّبًا
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَاكَ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ
لِخَطْبٍ وَلَكِنِّي عَمَدْتُ لِوَاجِبِ
وَأَدْرَكَ مَا فِي طَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ
سَوَى حَاضِرٍ يَبْكِي فَجِيعَةَ غَائِبِ
لِمَنْ بَانَ عَنْ مَنَوَاهُ أَكْرَمُ صَاحِبِ
عَلَيْكَ فَإِنَّ النَّاسَ مَرَعَى النُّوَائِبِ
فَهَلْ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِ غَيْرُ ذَاهِبِ
فَكُلُّ ابْنٍ أَنْتَى عُرْضَةً لِلْمَصَائِبِ
وَتُذَكَّرُ عَنْهُ صَالِحَاتُ الْمَنَاقِبِ

وقال في الزُّهْدِ: (من المنسرح)

أَبْعُدَ خَمْسِينَ فِي الصَّبَا أَرْبَ
سَاعَةً وَرُبَّ دَنَا بِهَا الْقَرْبُ
وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مُقْتَرَبُ
لَيْسَ لَهُ عَنْ فَنَائِهَا هَرْبُ
لَا نَسَبُ بَيْنَهُمْ وَلَا قُرْبُ
فِيهَا وَلِلضَّارِيَاتِ مُضْطَرَبُ
فَالْوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ وَالْحَرْبُ
إِنْ كَانَ يُغْنِي الْيَفَاعُ وَالسَّرَبُ
يَخْلُصُ مِنْهُ الْحَمَامُ وَالْخَرْبُ
يَبْقَى عَلَى فَتْكِهِ وَلَا عَرَبُ
بَادَتْ فَغَصَّتْ بِجَمْعِهَا التُّرْبُ
وَمَنْزِلُ بَعْدَ أَهْلِهِ خَرْبُ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا الصَّابُ وَالضَّرْبُ
وَنَبْعُ مَنْ حَارَبَ الرَّدَى غَرْبُ
كَمَا تَحَ حَانَ كَفَّهُ وَالْكَرْبُ
حَذَارُ مَنْ أَنْ يُصِيبَكَ الشَّرْبُ
وَاللَّهُ فِيهِ الْبَوَارُ وَالْتَرَبُ
أَجْرًا وَبِالْبِرِّ تَفْتَحُ الْأَرْبُ
مَنْ صَدَمَةَ الْكَاسِ لَهْذَمُ ذَرْبُ
وَعَقْلُهُ فِي الضَّلَالِ مُغْتَرِبُ
لِسَلْمِهَا فِي الْقُلُوبِ مُحْتَرَبُ
كَمَا تَفْشَى فِي الْمَبْرَكِ الْجَرْبُ
تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
هَذَاهُ الْاِعْتِيَادُ وَالذَّرْبُ
يَنْفَعُ تَمَّ اللُّجَيْنُ وَالْغَرْبُ
قَوْسًا مِنَ الْمَوْتِ سَهْمُهَا غَرْبُ

إِلَامَ يَهْفُو بِجِلْمِكَ الطَّرَبُ
هَيْهَاتَ وَلَى الشَّبَابُ وَأَقْتَرَبْتُ
فَلَيْسَ دُونَ الْحِمَامِ مُبْتَعَدُ
كُلُّ أَمْرٍ سَائِرٍ لِمَنْزِلَةِ
وَسَاكِنُ بَيْنَ جِيرَةٍ قَذَفُ
فِي قَفَرَةٍ لِلضَّلَالِ مُزْدَحَفُ
وَشَاهِدُ مَوْقِفًا يُدَانُ بِهِ
فَارِبًا يَفَاعًا أَوْ اتَّخَذَ سَرِبًا
لَا الْبَارُ يَنْجُو مِنَ الْحِمَامِ وَلَا
مُسَلَّطُ فِي الْوَرَى فَلَا عَجَمُ
فَكَمْ قُصُورٌ خَلَتْ وَكَمْ أُمَمُ
فَمَنْزِلُ عَامِرٍ بِقَاطِنِهِ
يَغْدُو الْفَتَى لَاهِيًا بِعَيْشَتِهِ
وَيَفْتَنِي نَبْعَةً يَصِيدُ بِهَا
لَا يَبْلُغُ الرَّبْحُ أَوْ يُفَارِقُهُ
يَا وَارِدًا لَا يَمَلُ مَوْرِدُهُ
تَصُبُّ إِلَى اللَّهِوِ غَيْرُ مُكْتَرِبُ
وَتَتْرُكُ الْبِرَّ غَيْرَ مُحْتَسِبُ
دَعِ الْحُمِيَّ فَلَابِنَ حَانَتْهَا
تَرَاهُ نُصَبَ الْعُيُونِ مُتَّكِنًا
فَبِئْسَتِ الْخُمُرُ مِنْ مُحَاذِعَةٍ
إِذَا تَفَشَّتْ بِمُهِجَةٍ قَتَلَتْ
فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ مَنْدَمَةٍ
وَاعْتَدُ عَلَى الْخَيْرِ فَالْمَوْفُوقُ مَنْ
وَجَدَ بِمَا قَدْ حَوَتْ يَدَاكَ فَمَا
فَإِنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ

قافية التاء

وقال: (من الخفيف)

وَاسْقِنِيهَا عَلَى جَبِينِ الْغَدَاةِ
رِ، وَسَجُّ الطُّيُورِ فِي الْعَذَبَاتِ
سِ مُدَارٍ عَلَى بَسَاطِ نَبَاتٍ؟
بِشْمَالٍ مَسْكِيَّةِ النَّفَّحَاتِ
قَطُرٍ، وَإِنِّي الصَّبَا، عَلِيلُ الْمَهَاةِ
نَفْسُ الرِّيحِ بَيْنَ مَاضٍ وَأَتِ
فُرْصَةِ الدَّهْرِ قَبْلَ وَشِكِ الْفَوَاتِ
يَلِ ذَاتِ النَّخِيلِ وَالثَّمَرَاتِ
وَمَرَا حُ الْمُنَى، وَمَسْرَى الْحَيَاةِ
مِنْ أَلِيمِ الْأَشْوَاقِ فِي حَسَرَاتِ
مِنْ فُؤَادِ الْحَزِينِ كُلِّ شَكَاةِ
وَرَعَابِيْبٍ كَالْدُمَى حَفِرَاتِ
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي قَمِيصِ إِيَاةِ
حَذَرِ الْفَتَكِ مِنْ صِيَا حِ الْبُرَاةِ
فَةِ، يُرْضِعُنَّهُنَّ كَالْأُمَّهَاتِ
بِسْمَاعٍ، أَوْ هَائِمٍ بِفَتَاةِ
أَرْضٍ ظَلَّتْ تَدُورُ بِالْفُلُواتِ

أَبِرِ الْكَاسَ يَا نَدِيمُ وَهَاتِ
شَاقَ سَمْعِي الْغِنَاءُ فِي رَوْنِقِ الْفَجِّ
أَيُّ شَيْءٍ أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ كَأْ
هُوَ يَوْمٌ تَعَطَّرَتْ طَرْفَاهُ
بِاسْمِ الزَّهْرِ، عَاطِرُ النَّشْرِ، هَامِي الـ
مَسْرَحٍ لِلْعُيُونِ يَمْتَدُّ فِيهِ
فَامْتَثِلْ دَعْوَةَ الصَّبُوحِ، وَبَادِرْ
وَتَدَرِّجْ مَعِيَ إِلَى رَوْضَةِ الْمَنِّ
فَهِيَ مَرْعَى الْهُوَى، وَمَغْنَى التَّصَابِي
أَلْفَتْهَا النُّفُوسُ، فَهِيَ إِلَيْهَا
تَبَعْتُ الْلَّهُوَ وَالسُّرُورَ، وَتَمَحَّوْ
بَيْنَ نَدْمَانٍ كَالْكُوكِبِ حُسْنًا
يَتَسَاقَوْنَ بِالْكُتُوسِ مُدَامًا
فِي أَبَارِيْقٍ كَالطُّيُورِ اشْرَأَبَتْ
حَانِيَاتٍ عَلَى الْكُتُوسِ مِنَ الرَّأْ
لَا تَرَى الْعَيْنُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ صَبٍّ
وَمُغْنٍ إِذَا شَدَا خِلَتْ أَنَّ الـ

مَلَكَ السَّمْعَ وَالْفُؤَادَ بِلَحْنٍ
يَبْعَثُ الصَّوْتُ مُرْسَلًا فَإِذَا مَا
غَرِدٍ يُبْطِلُ الْحَدِيثَ وَيُنْسِي
تِلْكَ وَاللَّهَ لَذَّةَ الْعَيْشِ، لَا سَوْ

يَفْتِنُ الْغَيْدَ دَاخِلَ الْحُجُرَاتِ
غَضٌّ مِنْهُ اسْتَدَارَ بَيْنَ اللَّهَاتِ
رَبَّةَ الْحُزْنِ لَوَعَةَ الذُّكُرَاتِ
مُ الْأَمَانِي فِي عَالَمِ الْخَطَرَاتِ

(من مجزوء الرمل)

زَمَمِي الْكَأْسَ وَهَاتِي
وَأَمْرِجِيهَا بِرُضَابٍ
إِنَّمَا الرَّاحُ مَدَارُ الْـ
طَالَمَا عَاصَيْتُ فِيهَا
لَا أَبَالِي فِي هَوَاهَا
كَيْفَ أَخْشَى قَوْلَ دَاهٍ؟

وَأَسْقِينَهَا يَا مَهَاتِي
مِنْكَ مَعْسُورِ اللَّهَاتِ
أُنْسِ فِي كُلِّ الْجَهَاتِ
أَهْلَ وَدِّي وَنَهَاتِي
بِسَمَاعِ التُّرَاهَاتِ
أَنَا مِنْ قَوْمِ دُهَاتِ

وقال في الغزل: (من الكامل)

سَمِعَ الْخَلِيَّ تَأْوُهُي فَتَلَفَّتَا
فَأَجَبْتُهُ إِنِّي أَمْرُؤُ لِعَبِّ الْأَسَى
انْظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيْالًا بَالِيًا
قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ أَصَابَ سَوَادَهُ
تَبَعَ الْهَوَى قَلْبِي فَهَامَ وَلَيْتَهُ
أَلْقَتْهُ فِي شَرِكِ الْمَحَبَّةِ غَادَةً
كَالْوُرُودِ خَدًّا، وَالْبَنْفَسِجِ طُرَّةً
نَظَرْتُ بِكُحْلَاوَيْنِ أَوْدَعَنَا الْهَوَى
تَالِلَهُ لَوْ عَلِمَ الْعُدُولُ بِمَا جَنَى
طَرَفٌ أَطْلَتْ عَنَانَهُ لِيُصِيبَ لِي
يَا قَلْبُ حَسْبُكَ قَدْ أَفَاقَ مَعَاشِرُ

وَأَصَابَهُ عَجَبٌ، فَقَالَ مَنِ الْفَتَى؟
بِفُؤَادِهِ يَوْمَ النَّوَى فَتَشَتَّتَا
تَحْتَ الثِّيَابِ، يَكَادُ إِلَّا يُنْعَتَا
سَهْمٌ لِطَرَفٍ فَاتِرٍ فَتَفَتَّتَا
قَبْلَ التَّوَعُّلِ فِي الْبَلَاءِ تَثَبَّتَا
هَيْهَاتَ، لَيْسَ بِصَاحِبِي إِنْ أَفْلَتَا
وَالْغُصْنِ قَدًّا، وَالْغَزَالَةَ مَلَفَّتَا
بِالْقَلْبِ حَتَّى هَامَ، ثُمَّ تَحَلَّلْتَا
طَرَفِي عَلَيَّ لِسَاءَهُ أَنْ يَشْمَتَا
بَعْضَ الْمُنَى فَأَصَابَنِي لَمَّا أَتَى
وَأَرَاكَ تَدَابُّ فِي الْهَوَى فَإِلَى مَتَى؟

وقال في الأحمق: (من الطويل)

لَا تُعَاشِرْ مَا عَشَتْ أَحْمَقَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ فِي الْوُجُودِ حَيٌّ كَمَيَّتٍ
لَيْسَ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْحُمُقِ إِلَّا مِثْلُ مَا بَيْنَ أَذْهَمٍ وَكُمَيَّتٍ

وقال وقد ذهب إلى «المقابر» فرأى نسوة ينحن على ميت: (من الطويل)

رَأَيْتُ بِصَحْرَاءِ الْقَرَاةِ نِسْوَةً نَوَازِعَ لَا يَأْوِينَ حُزْنًا إِلَى بَيْتِ
يُنْحَنُ عَلَى مَيِّتٍ سَيَنْبَغُنْ إِثْرُهُ وَمِنْ عَجَبٍ مَيِّتٌ يَنُوحُ عَلَى مَيِّتِ

وقال في الزهد: (من مجزوء الرمل)

كُلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتُ
حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ثُمَّ يَتَلَوَّهَا خُفُوتُ
وَكَلَامٌ لَيْسَ يَحْلُو بَعْدَهُ إِلَّا السُّكُوتُ
أَيُّهَا السَّادِرُ قُلْ لِي أَيْنَ ذَاكَ الْجَبَرُوتُ
كُنْتُ مَطْبُوعًا عَلَى النَّطْ حَقٍّ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ؟
لَيْتَ شِعْرِي، أَهْمُودُ مَا أَرَاهُ، أَمْ قُنُوتُ؟
أَيْنَ أَمْلاكُ لَهُمْ فِي كُلِّ أَفْقٍ مَلَكُوتُ؟
زَالَتْ التَّيْجَانُ عَنْهُمْ وَخَلَتْ تِلْكَ التُّخُوتُ
أَصْبَحَتْ أوطَانُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهِيَ خُبُوتُ
لَا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوُ لَ، وَلَا حَيٌّ يَصُوتُ
عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبُورُ وَخَلَتْ مِنْهُمْ بَيُوتُ
لَمْ تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدِّ دَهْرٌ إِذْ حَانَتْ بُخُوتُ
خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي وَانْقَضَتْ تِلْكَ النُّعُوتُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالُ بَاطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِيهَا غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ قُوتُ

قافية الشاء

وقال: (من الطويل)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنِي بَيْنَ مَعْشَرٍ	سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ
لَهُمُ الْأَسْنُ إِنْ رُمِّنَا أَمْرًا بَلَّغْنَهُ	مِنَ النَّفْسِ، مَصْنُوعٌ لَهُنَّ حَدِيثٌ
تَرْتُّ عَلَى قُرْبِ الْوِدَادِ عُهُودُهُمْ	وَكَيْفَ يَدُومُ الشَّيْءُ وَهُوَ رَثِيثٌ؟
فَلَيْسَ لَهُمْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مَحْتَدٌ	قَدِيمٌ، وَلَا فِي الْمَكْرُمَاتِ حَدِيثٌ
بَرِمْتُ بِهِمْ حَتَّى سَيِّمْتُ مَكَانَتِي	وَأَنْكَرْتُ طِيبَ الْعَيْشِ وَهُوَ دَمِيتٌ
إِذَا لَمْ يُغْنِنِي اللَّهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ	فَمَا لِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ مُغِيثٌ

وقال: (من الخفيف)

أَهْ مِنْ غُرْبَةٍ وَفَقْدِ حَبِيبٍ	أُورِثْنَا مُهْجَتِي عَذَابًا مَكِيثًا
لَا تَسْلُنِي عَمَّا أَقَاسِي فَإِنِّي	بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

وقال: (من الطويل)

أَلَا قُلْ لِقَوْمٍ شَامِتِينَ تَرَبَّصُوا	تَهَزَّمْ شَرًّا بِالْمَنِيَّةِ كَارِثِ
أَرَى سِتْرَ خَطْبٍ قَدْ تَرَفَّعَ، وَانْبَرَتْ	تَلُوحُ لَهُمْ مِنْهُ وَجُوهُ الْحَوَادِثِ

قافية الجيم

وقال يمدح النبي ﷺ: (من البسيط)

حَتَّى فَتَكَّتْ بِهَا ظُلْمًا بَلَا حَرَجٍ
حَتَّى أَصَابَ سَوَادَ الْقَلْبِ بِالدَّعَجِ
يَوْمَ الْكَرْهَةِ، مَا أَبْقَيْتُ عَلَى وَدَجٍ
طَوْعًا إِلَيْهِ، وَخَلَانِي وَلَمْ يَعْجِ
بِهِ حَبَائِلُ ذَاكَ الشَّادِنِ الْغَنَجِ
لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ فِي لُجَجِ
مَا كَانَ لِلْحُبِّ سُلْطَانٌ عَلَى الْمُهْجِ
تَشْفِي تَبَارِيحِ قَلْبٍ بِالْفِرَاقِ شَجِ
يَخْشَى الضَّلَالَةَ فِيهَا كُلُّ مُدْلَجِ
غَيْدٍ بِأَخْبِيَةِ يَنْظُرْنَ مِنْ فُرَجِ
حَسْرَى، وَسَاعَاتُهُ فِي الطُّولِ كَالْحِجَجِ
ظُلُمَاءُهُ ذَاتِ أَسْدَادٍ، فَلَمْ يَلِجِ
فَكَفَّ عَنِّي فُضُولَ الْمَنْطِقِ السَّمِجِ
وَلَا يَكَادُ يَرَى مَا فِيهِ مِنْ عَوَجِ
فَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْهُوجِ
قَلْبٍ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ مُمْتَزِجِ
لَكَانَ أَعْلَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ كَالْهَمَجِ

يَا صَارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَعْرَاكَ بِالْمُهْجِ
مَا زَالَ يَخْدَعُ نَفْسِي وَهِيَ لَاهِيَةٌ
طَرْفٌ، لَوْ أَنَّ الظُّبَا كَانَتْ كُلَّحْظَتِهِ
أَوْحَى إِلَى الْقَلْبِ، فَانْقَادَتْ أَرْمَتُهُ
فَكَيْفَ لِي بِتَلَاْفِيهِ وَقَدْ عَلِقْتُ
كَادَتْ تُذِيبُ فُؤَادِي نَارَ لَوَعَتِهِ
لَوْلَا الْفَوَاتِنُ مِنْ غِزْلَانِ «كَاطِمَةِ»
فَهَلْ إِلَى صَلَةِ مَنْ غَايِرِ عِدَّةٍ
أَبَيْتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ فِي ظَلَمِ
كَأَنَّ أَنْجَمَهُ وَالْجَوُّ مُعْتَكِرٌ
لَيْلٌ غِيَاهِبُهُ حَيْرَى، وَأَنْجَمُهُ
كَأَنَّمَا الصُّبْحُ خَافَ اللَّيْلَ حِينَ رَأَى
فَلَيْتَ مَنْ لَأَمَنِي لَأَنْتَ شَكِيمَتُهُ
يَظُنُّ بِي سَفْهًا أَنِّي عَلَى سَرْفِ
فَاعْدِلْ عَنِ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا فَطِنًا
هَيْهَاتَ يَسْلُكُ لَوْمُ الْعَاذِلِينَ إِلَى
هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي لَوْلَا هِدَايَتُهُ

أَجْنُ شَوْقًا كَطِيرِ الْبَانَةِ الْهَزَجِ
وَأَيُّ صَبٍّ بِذِكْرِ الشَّوْقِ لَمْ يَهْجِ
عَلَى الْبُعَادِ، وَهَمِّي غَيْرُ مُنْفَرَجِ
أَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا بِالنَّفْسِ مِنْ حَوَجِ
مَا كَانَ إِلَّا إِلَى مَغْنَاهُ مُنْعَرَجِي
أَمْ هَلْ إِلَى ضِيقَةِ الْأَخْزَانِ مِنْ فَرَجِ؟
جَرَائِمِي رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ
مَغْلُوكَةً، وَصَبَاحِي غَيْرُ مُنْبَلَجِ
ضَاقَ الزَّحَامُ غَدَاةَ الْمُوقِفِ الْحَرَجِ
تَقْطَعُ رَجَائِي، فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ حَرَجِي

أَنَا الَّذِي بَتُّ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ
هَاجَتْ بِذِكْرَاهُ نَفْسِي، فَكُتِسَتْ وَلَهَا
فَمَا احْتِيَإِلِي؟ وَنَفْسِي غَيْرُ صَابِرَةٍ
لَا أَسْتَطِيعُ بَرَّاحًا إِنْ هَمَمْتُ وَلَا
لَوْ كَانَ لِلْمَرءِ حُكْمٌ فِي تَنْقُلِهِ
فَهَلْ إِلَى صَلَةِ الْأَمَالِ مِنْ سَبَبِ
يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمْتُ
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ، يَدِي
مَا لِي سِوَاكَ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ إِذَا
لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ إِلَّا إِلَيْكَ فَلَا

وقال: (من البسيط)

هَيْهَاتَ، مَا لِامْرِئٍ بَعْدَ الصَّبِّ حَاجُ
لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَصْدٌ وَمِنْهَاجُ
مِنْ جَانِبِيهِ أَعَاصِيرُ وَأَمْوَاجُ
وَيَسْتَعِزُّ بِأَمْنٍ فِيهِ إِزْعَاجُ
سَيَّانٍ عِنْدِي صَفَّارٌ وَشَحَّاجُ
وَكُلُّ قَوْمٍ بِهِمْ لِلظُّلْمِ حَجَّاجُ

أَبْعَدَ سِتِّينَ لِي حَاجٌ فَأَطْلُبُهَا؟
إِنَّ ابْنَ آدَمَ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي فُلْكِ تُحِيطُ بِهِ
يَهْوَى الْبَقَاءَ، وَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ بِهِ
لَا أَحْفَلُ الطَّيْرَ إِنْ غَنَّتْ، وَإِنْ نَعَبَتْ
يَسْتَعْظِمُونَ مِنَ الْحَجَّاجِ صَوْلَتَهُ

قافية الحاء

وقال وهو في حربِ الروس يذكر شوقه إلى الوطن، ويصف هذه الحربَ: (من الطويل)

وَإِنْ طَوَّحْتُ بِي فِي هَوَاهَا الطَّوَائِحُ
تُقْصِرُ عَنْهَا الْغَيْدُ وَهِيَ رَوَاجِحُ
وَدَارَتْ عَلَى مِثْلِ الْقَنَاةِ الْوُشَائِحُ
وَفِي الْبَدْرِ مِنْهَا إِنْ تَجَلَّتْ مَلَامِحُ
وَلَكِنَّهَا إِنْ وَازَنْتَهَا مَقَابِحُ
سَنَا كَوَكَبٍ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ لَائِحُ
بِتَمَثُّلِهَا غَادٍ عَلِيٍّ وَرَائِحُ
وإنْسَانُهَا فِي لُجَّةِ الْمَاءِ سَابِحُ
مَسَالِكُ يَأْوِيهَا الرَّدَى وَمَنَادِحُ
وَتَنْظَلُغُ فِيهَا النَّائِجَاتُ الْبَوَارِحُ
مِنَ الرِّيحِ، دَوَى مَوْجِهَا الْمُتَنَاطِحُ
وَدَمَعِي فَوْقَ الْخَدِّ كَالْمَاءِ سَافِحُ
هَوَايَ الْفَيَافِي وَالْبَحَارُ الطَّوَافِحُ
بَرَاخُ لِنِي عُذْرٍ، وَلَا عَنْهُ بَارِحُ
وَأَعْذُو عَلَى جَمْعِ الْعِدَا فَأُكَافِحُ
وَذَلِكَ عَنْ مَرَمَى الْقَذِيفَةِ نَارِحُ
لَوْ أَنَّ الْهَوَى يُولِي يَدًا، أَوْ يُسَامِحُ

هَنِيئًا لِرِيًّا مَا تَضُمُّ الْجَوَانِحُ
فَتَاةٌ لَهَا فِي مَنْصِبِ الْحُسْنِ سُورَةٌ
أَحَاطَ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ إِزَارُهَا
فَفِي الْغُصْنِ مِنْهَا إِنْ تَنَتَّتْ مِشَابَةٌ
مَحَاسِنُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ
كَأَنَّ اهْتِزَازَ الْقُرْطِ فِي صَفْحِ جِيدِهَا
لَهَا ذُكْرَةٌ عِنْدِي وَطِيفٌ، كِلَاهُمَا
عَجِبْتُ لِعَيْنِي كَيْفَ تَظَلَّمَا دُونَهَا
أَجْنُ لَهَا شَوْقًا، وَدُونَ مَزَارِهَا
فَيَافٍ يَضِلُّ النُّجْمُ فِي قُذْفَاتِهَا
وَلُجَّةٌ بَحْرٌ كُلَّمَا هَبَّ عَاصِفُ
فَقَلْبِي تَحْتَ السَّرْدِ كَالنَّارِ لَافِحُ
وَلَوْ كُنْتُ مَطْلُوقَ الْعِنَانِ لَمَا تَنَتَّتْ
وَلَكِنِّي فِي جَحْفَلٍ لَيْسَ دُونَهُ
يُكَافِحُنِي شَوْقِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَنِي
خَصِيمَانِ: هَذَا بِالْفُؤَادِ مُحَيِّمُ
وَمَا بِي أَخْشَاهُ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا

فَيَا رَوْضَةَ الْمُقْيَاسِ، حَيَّاكَ عَارِضُ
ضُحُوكُ ثَنَائِيَا الْبَرْقِ، تَجْرِي عُيُونُهُ
تَحُوكُ بِخَيْطِ الْمُرْنِ مِنْهُ يَدُ الصَّبَا
مَنَازِلُ حَلِّ الدَّهْرِ فِيهَا تَمَائِمِي
وَإِنْ أَحَقَّ الْأَرْضُ بِالشُّكْرِ مَنَزِلُ
فَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ فِيهِ بِمَا مَضَتْ
لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ النَّوَى، وَتَقَادَفَتْ
وَأُصْبَحْتُ فِي أَرْضٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا
بَعِيدَةً أَقْطَارِ الدِّيَامِيمِ، لَوْ عَدَا
تَصِيحُ بِهَا الْأَصْدَاءُ فِي غَسَقِ الدُّجَى
تَرَدَّتْ بِسُمُورِ الْعِمَامِ جِبَالُهَا
فَأَنْجَادُهَا لِلْكَاسِرَاتِ مَعَاقِلُ
مَهَالِكُ يَنْسَى الْمَرْءُ فِيهَا خَلِيلَهُ
فَلَا جَوْ إِلَّا سَمْهَرِي وَقَاضِبُ
تَرَانَا بِهَا كَالْأَسَدِ نَرْصُدُ غَارَةً
مَدَافِعُنَا نَضُبُ الْعِدَا، وَمُشَاتُنَا
ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ تَقِيهِنَّ سَاقَةٌ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا كُمَاةً بَوَاسِلَا
نُغِيرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحِ بِاسْمِ
بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ أَقْبَلَتْ
وَلَمْ يَكْ مَبْكَاهُ لِخَوْفٍ، وَإِنَّمَا
فَقَالَ اتُّذَقْ قَبْلَ الصِّيَالِ وَلَا تَكُنْ
أَلَمْ تَرَ مَعْقُودَ الدُّخَانِ، كَأَنَّمَا
وَقَدْ نَشَأَتْ لِلْحَرْبِ مُزْنَةٌ قَسْطَلُ
فَلَا رَأْيَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ
فَقُلْتُ تَعَلَّمْ إِنَّمَا هِيَ خُطَّةٌ
فَمَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ نَاجِعُ

مِنَ الْمُرْنِ خَفَّاقُ الْجَنَاحَيْنِ دَالِحُ
بِوَدِّقٍ بِهِ تَحْيَا الرُّبَا وَالصَّحَاصِحُ
لَهَا حُلَّةٌ تَخْتَالُ فِيهَا الْأَبَاطِحُ
وَصَافَحَنِي فِيهَا الْقَنَا وَالصَّفَائِحُ
يَكُونُ بِهِ لِلْمَرْءِ خَلٌّ مُنَاصِحُ
وَيَجْرِي بِوَصْلِ مِنْ «أُمَيْمَةَ» سَانِحُ؟
مَهَامُهُ دُونَ الْمُلتَقَى وَمَطَاوِحُ
وَتَرْهَبُهَا الْجِنَانُ وَهِيَ سَوَارِحُ
«سُلَيْكُ» بِهَا شَاوَا قَضَى وَهُوَ رَازِحُ
صِيَاحُ الثَّكَالَى هَيَّجَتْهَا النَّوَائِحُ
وَمَاجَتْ بِتَيَّارِ السُّيُولِ الْبَطَائِحُ
وَأَغْوَارُهَا لِلْعَاسِلَاتِ مَسَارِحُ
وَيَنْدُرُ عَنْ سَوْمِ الْعُلَا مَنْ يُنَافِحُ
وَلَا أَرْضَ إِلَّا شَمْرِي وَسَابِحُ
يَطِيرُ بِهَا فَتَقُّ مِنَ الصُّبْحِ لَامِحُ
قِيَامُ، تَلِيهَا الصَّافِنَاتُ الْقَوَارِحُ
صِيَالُ الْعِدَا إِنْ صَاحَ بِالشَّرِّ صَائِحُ
وَجُرْدًا تَخُوضُ الْمَوْتَ وَهِيَ ضَوَابِحُ
وَنَأْوِي إِلَى الْأَدْعَالِ وَاللَّيْلِ جَانِحُ
بِأَبْنَائِهَا، وَالْيَوْمُ أَغْبَرُ كَالِحُ
تَوَهَّمُ أَتَى فِي الْكُرْيَةِ طَائِحُ
لِنَفْسِكَ حَرْبًا إِنَّنِي لَكَ نَاصِحُ
عَلَى عَاتِقِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ سَرَائِحُ؟
لَهَا مُسْتَهْلُ بِالْمَنِيبَةِ رَاشِحُ
فَإِنَّكَ مَقْصُودُ الْمَكَانَةِ وَاضِحُ
يَطُولُ بِهَا مَجْدٌ وَتَخْشَى فُضَائِحُ
وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَى مِنَ الْخُطْبِ فَادِحُ

فَقَدْ يَهْلِكُ الرَّعِيدُ فِي عُقْرِ دَارِهِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا مُلَاقٍ حِمَامَهُ
فَمَا بَارِحَ إِلَّا مَعَ الْخَيْرِ سَانِحٌ
فَإِنْ عَشْتُ صَافَحْتُ الثُّرَيَّا وَإِنْ أُمْتُ
وَيَنْجُو مِنَ الْحَتْفِ الْكَمِّي الْمُشَايِحُ
وَإِنْ عَارَ فِي أَرْسَانِهِ وَهُوَ جَامِحٌ
وَلَا سَانِحَ إِلَّا مَعَ الشَّرِّ بَارِحُ
فَإِنْ كَرِيمًا مَنِ تَضُمُّ الصَّفَائِحُ

وَسَأَلَهُ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ أَنْ يُوَارِنَ قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيهِ الَّتِي أَوَّلَهَا:

يَا سَاكِنِي السَّفْحِ كَمْ عَيْنٍ بِكُمْ سَفَحَتْ
نَزَحْتُمْ، فَهِيَ بَعْدَ الْبُعْدِ مَا نَزَحَتْ

فقال: (من البسيط)

مَاذَا عَلَى قُرَّةِ الْعَيْنَيْنِ لَوْ صَفَحَتْ
بَايَعَتْهَا الْقُلُوبُ إِيجَابًا بِمَا وَعَدَتْ
قَدْ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ الْبُخْلَ مَقْطَعَةٌ
خُوطِيَّةُ الْقَدِّ لَوْ مَرَّ الْحَمَامُ بِهَا
خَفَّتْ مَعَاطِفُهَا لَكِنْ رَوَّادِفُهَا
وَيْلَاهُ مِنْ لَحْظِهَا الْفَتَاكِ إِنْ نَظَرَتْ
يَمُوتُ قَلْبِي وَيَحْيَا حَيْرَةٌ وَهْدَى
كَالْبَدْرِ إِنْ سَفَرَتْ وَالظُّبْيِ إِنْ نَظَرَتْ
وَإِنْ حَجَلَةُ الْبَدْرِ إِنْ لَاحَتْ أَسْرَتْهَا
لَهَا رَوَابِطٌ لَا تَنْفُكُ آخِذَةٌ
يَا سَرَحَةَ الْأَمَلِ الْمَمْنُوعِ جَانِبُهُ
تَرْفَقِي بِفُؤَادٍ أَنْتَ مُنْيَتُهُ
حَاشَاكَ أَنْ تَسْمَعِي قَوْلَ الْوُشَاةِ بِنَا
أَفْسَدْتُ فِي حُبِّكُمْ نَفْسِي جَوَى وَأَسَى
مَا زِلْتُ أُسَحِّرُهَا بِالشَّعْرِ تَسْمَعُهُ
حَتَّى إِذَا عَلِمْتُ مَا حَلَّ بِي وَرَأْتُ
حَنْتَ رَثْتُ عَطَفْتُ مَالَتْ صَبَبْتُ عَزَمْتُ
وَعَاوَدْتُ بِوَصَالٍ بَعْدَ مَا صَفَحَتْ
فَيَا لَهَا صَفَقَةً فِي الْحُبِّ مَا رِبَحَتْ
فَمَا لِقَلْبِي يَهْوَاهَا وَمَا سَمَحَتْ
لَمْ يَشْتَبِهْ أَنَّهَا مِنْ أَيْكِهِ انْتَزَحَتْ
بِمِثْلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحَتْ
وَأَهْ مِنْ قَدِّهَا الْعَسَّالِ إِنْ سَنَحَتْ
فِي عَالَمِ الْوُجْدِ إِنْ صَدَّتْ وَإِنْ جَنَحَتْ
وَالْغُصْنِ إِنْ خَطَرَتْ وَالزَّهْرِ إِنْ نَفَحَتْ
وَحَيْرَةَ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ إِنْ لَمَحَتْ
بِعُزَّةِ الْقَلْبِ إِنْ جَدَّتْ وَإِنْ مَرَحَتْ
وَيَا غَزَالَهَ وَإِي الْحُسْنِ إِنْ سَرَحَتْ
وَمُقَلَّةِ لِسَوَى مَرَاكِ مَا طَمَحَتْ
فَإِنَّهَا رُبَّمَا غَشَتْ إِذَا نَصَحَتْ
وَالنَّفْسِ فِي الْحُبِّ مَهْمَا أَفْسَدَتْ صَلَحَتْ
مِنْ ذَاتِ فَهْمٍ تُجِيدُ الْقَوْلَ إِنْ شَرَحَتْ
سُقْمِي وَخَافَتْ عَلَى نَفْسٍ بِهَا افْتَضَحَتْ
هَمَّتْ سَرَتْ وَصَلَتْ عَادَتْ دَنْتْ مَنْحَتْ

مَا شِئْتُ أَوْ جَنَّةُ أَبْوَابِهَا فُتِحَتْ
نَفْسِي وَمِنْ خَدَّهَا الْوَرْدِيُّ مَا اقْتَرَحَتْ
أَفْنَانُهَا وَسَجَتْ أَظْلَالُهَا وَضَحَتْ
بِسُنْدُسِ النَّبْتِ وَالرَّيْحَانِ وَاتَّشَحَتْ
لَمَّا رَأَى الطَّيْرُ فِي أَوْكَارِهَا صَدَحَتْ
مَالَتْ بِخَمْرِ النَّدَى أَغْصَانُهَا وَصَحَتْ
كَأَنَّهَا بِحَسَامِ الْفَجْرِ قَدْ دُبِحَتْ
إِنْ أَعْرَضْتُ قَتَلْتُ أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحَتْ
رَنْتُ، وَإِنْ فَوَّقْتُ أَلْحَظْتُهَا جَرَحَتْ
بِخَمْرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظِلْمَةٍ قَدَحَتْ
كَشْغَلَةٍ لَفَحَتْ فِي ثُلْجَةٍ نَصَحَتْ
عُرُوقُهُ أَوْ دَنَتْ مِنْ صَخْرَةٍ رَشَحَتْ
وَهِيَ الْكُمَيْتُ إِذَا فِي حَلْبَةٍ جَمَحَتْ
كَغُرَّةٍ فِي جَوَادٍ أَدْهَمَ وَضَحَتْ
لَوْ أَنَّهَا لَبِثَتْ حَوْلًا، وَمَا بَرَحَتْ

فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي نِعْمَةٍ عَظُمَتْ
أَنَالَ مِنْ ثَغْرِهَا الدَّرِّيَّ مَا سَأَلْتُ
فِي رَوْضَةٍ بِسَمَتِ أَزْهَارِهَا وَنَمَتُ
تَكَلَّلْتُ بِجَمَانِ الْقَطْرِ وَاتَّزَرْتُ
تَرَنُّحَ الْغُضْنِ مِنْ أَشْوَاقِهِ طَرَبًا
صَحَّ النَّسِيمُ بِهَا وَهُوَ الْعَلِيلُ وَقَدْ
وَلِيلَةٍ سَالَ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقُ
طَالَتْ وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَايَةِ
هَيْفَاءُ، إِنْ نَطَقْتُ غَنَّتْ، وَإِنْ خَطَرْتُ
دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُتَرَعَّةُ
حَمَرَاءَ سَلَسَلَهَا الْإِبْرِيْقُ فِي قَدَحِ
رُوحٍ إِذَا سَلَكَتْ فِي هَامِدٍ نَبَضَتْ
طَارَتْ بِأَلْبَابِنَا سُكْرًا، وَلَا عَجَبُ
حَتَّى بَدَا الْفَجْرُ مِنْ أَطْرَافِ ظِلْمَتِهَا
فَيَا لَهَا لَيْلَةٌ مَا كَانَ أَحْسَنَهَا

وقال على وزن مُخْتَرَع: (من مجزوء المتدارك)

وَاعِصِ مَنْ نَصَحَ
بَابِنَةِ الْفَرَحِ
ذَاقَهَا انْشَرَحَ
فِي الْعَلِيلِ صَحَ
بَاخِلُ سَمَحَ
وَاعْدُ نَصْطَبِخَ
وَالسَّنَا لَمَحَ
أَيْكِهِ صَدَحَ
حَيْثُ مَا سَرَحَ
يَبْعَثُ الْمَرَحَ

امْلَأِ الْقَدَحَ
وَارَوْ غُلَّتِي
فَالْفَتَى مَتَى
وَهِيَ إِنْ سَرَتْ
أَوْ صَبَابَهَا
فَاهْجُرِ الْكَرَى
فَالدُّجَى مَضَى
وَالْحَمَامُ فِي
فَاتَّبَعَ الْهَوَى
وَاضْطَحِبْ بِمَنْ

كُلُّ مُقْتَرَحٍ	فِيهِ لِلْمُنَى
إِنْ وَعَى سَبَحٍ	وَاحْذَرِ الَّذِي
فُرْصَةً قَدَحٍ	كُلَّمَا رَأَى
مِثْلَ مَنْ جَرَحٍ	لَيْسَ مَنْ أَسَا
فَاسِدًا صَلَحٍ	أَيَنْ مَنْ رَأَى
سَوْفَ يَفْتَضِحُ	كُلُّ مَنْ وَشَى
فَالْأَدَى تَرَحٍ	فَاتَرِكِ الْأَدَى
مَنْ سَعَى نَجَحٍ	وَاسِعَ لِلْعَلَا
هَذِهِ الْمُلْحُ	وَارِعَ مَا حَوَتْ

وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أَنْسٍ: (من البسيط)

أَدْرَكْتُ بِاللَّهْوِ فِيهَا كُلَّ مُقْتَرَحٍ	وَلَيْلَةَ بَضِيَاءِ الْكَأْسِ لِامْعَةِ
بِعَادَةٍ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ لَمْ تُلْحِ	أَحْيَيْتُهَا — بَعْدَمَا نَامَ الْخَلِيُّ بِهَا —
لَخَلَّتَنِي مَلَكًا يَخْتَالُ مِنْ مَرَحٍ	فَلَوْ تَأَمَّلْتَنِي وَالْكَأْسُ دَائِرَةٌ
وَالْبَدْرُ فِي مَجْلِسِي وَالشَّمْسُ فِي قَدَحِي	وَكَيْفَ لَا تَبْلُغَ الْأَفْلاكُ مَنْزِلَتِي

وقالَ فِي الْغَزَلِ: (من البسيط)

تَكَادُ تَشْكُرُ مِنْ أَحْدَاقِهَا الرَّاحُ	وَا لَوْعَةَ الْقَلْبِ مِنْ غِزْلَانِ أَخْبِيَةِ
بِدَائِعًا، كُلُّهَا لِلْحُسْنِ أَوْضَاحُ	مِنْ كُلِّ مَا نَسِيَ كَالْغُصْنِ قَدْ جَمَعَتْ
وَالنَّهْدُ رُمَانَةٌ، وَالْخَدُّ تَفَاحُ	فَالْعَيْنُ نَرْجَسَةٌ، وَالشَّعْرُ سَوْسَنَةٌ

وقال: (من الطويل)

وَعُصْنُكَ مَيَّادُ فَفِيمَ تَنْوُحُ	أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ
وَلَكِنَّ قَلْبِي بِالْغَرَامِ جَرِيحُ	غَدَوْتُ سَلِيمًا فِي نَعِيمٍ وَغَبُطَةٍ
لِعَيْنَيْكَ دَمْعًا فَالْبُكَاءُ مُرِيحُ	فَإِنْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الشُّوقِ فَاسْتَعِزُّ
فَلَيْسَ سِوَاءَ بَاذِلٍ وَشَحِيحُ	وَلَا فَدَعْنِي مِنْ هَدِيلِكَ وَانْصَرِفْ

وَقَالَ يَصِفُ سَحَابَةً: (من الرجز)

سَارِيَةٌ خَفَافَةٌ الْجَنَاحِ	تُؤَاصِلُ الْغَدُوَّ بِالرَّوَّاحِ
تَبَيَّتْ فِي مَهْدٍ مِنَ الْبُطَاحِ	بَاكِئَةً بِمَدْمَعِ سَفَاحِ
ضَحَاكَةً كَثِيرَةَ النُّوَاحِ	مَنْشُورَةً فِي الْأَفْقِ كَالْوُشَاحِ
تَحْمِلُهَا كَوَاهِلُ الرِّيَّاحِ	

وقال: (من السريع)

يَا كَوَكَبَ الصُّبْحِ! مَتَى يَنْقُضِي	عُمْرُ الدُّجَى؟ يَا كَوَكَبَ الصُّبْحِ
قَدْ سَدَّ حِصْنُ اللَّيْلِ أَبْوَابَهُ	فَاتْلُ عَلَيْهِ سُورَةَ الْفَتْحِ
إِنِّي أَرَى أَنْجُمَهُ قَدْ وَتَتْ	فَمَا لَهَا أَيْدٍ عَلَى السَّبْحِ
وَقَدْ بَدَأَ ذُو ذَنْبٍ طَالِعًا	كَأَنَّهُ سُنْبُلَةُ الْقَمْحِ

وقال في الرُّوحِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجِسْمِ: (من الوافر)

بَلَغْتَ مَدَاكٍ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي	فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْ فَسِيحِ
تَرَكْتَ الْجِسْمَ فَيَمَا كَانَ مِنْهُ	وَعَبَبْتَ بِلُجَّةٍ لَوْنِ الْمَسِيحِ
فِعَادَتْ صُورَةَ الْجُثْمَانِ عُطْلًا	لِفَقْدِكَ مِثْلَ دِينَارِ مَسِيحِ
وَلَوْ يَقْوَى لَسَارٌ، وَكَيْفَ يَقْوَى	عَلَى هَوْلِ السُّرَى قَدَمُ الْكَسِيحِ
سَبَحَتْ بِعَمْرَةٍ كَالشَّمْسِ نُورًا	وَعَامَ مِنَ الْخَجَالَةِ فِي مَسِيحِ
فَلَيْتَكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصَدَقِ	يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَالِ مَسِيحِ
بِرَبِّكَ، هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا	خِلَافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ

وقال في صباه: (من الخفيف)

هُوَ مَا قُلْتُ فَاحْذَرْنَهَا صَبَا حَا	غَارَةٌ تَمَلَأُ الْفَضَاءَ رِمَا حَا
تَتْرُكُ الْمَاءَ لَا يَسُوعُغُ لِظَامِ	وَتَرُدُّ الدَّمَ الْحَرَامَ مُبَا حَا
لَا تَرَى بَيْنَهَا سِوَى عَبْقَرِيٍّ	يَأْلَفُ الطَّعْنَ نَجْدَةً وَارْتِيَا حَا

لَهْجٌ بِالْحُرُوبِ، لَا يَأْلَفُ الْخَفْضُ	وَلَا يَصْحَبُ الْفَتَاةَ الرَّدَا حَا
مِسْعَرٌ لِلْوَعَى، أَخُو غَدَوَاتِ	تَجْعَلُ الْأَرْضَ مَاتِمًا وَصِيَا حَا
لَا يَرَى عَاتِبًا عَلَى شِيمِ الدَّهْرِ	سِرٌّ وَلَا عَابِتًا، وَلَا مَرَا حَا
يَفْعَلُ الْفَعْلَةَ الَّتِي تَبْهَرُ النَّاسَ	وَتَرْنُو لَهَا الْعُيُونُ طِمَا حَا
لَا كَمَنْ يَسْأَلُ الْوُفُودَ عَنِ الْأَنْبَاءِ	عَجْزًا وَيَرْقُبُ الْأَشْبَا حَا
فَاعْتَبِرْ أَيُّهَا الْمُجَاهِرُ بِالْقُوَّةِ	لِ وَلَا تَبْعَثْنِ عَلَيْكَ نُوَا حَا
إِنَّ فِي بُرْدَتِي هَاتَيْنِ لَيْثًا	يَقْصُ الْقُرْنَ أَوْ يَفْلُ السِّلَا حَا
سِدَكَاتٍ بِالرُّمَحِ مِنْهُ بَنَانٌ	تَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ جِرَا حَا
أَنَا مِنْ مَعْشَرِ كِرَامٍ عَلَى الدَّهْرِ	أَفَادُوهُ عِزَّةً وَصَلَا حَا
فَرَعُوا بِالْقَنَا قِنَانِ الْمَعَالِي	وَأَعْدُوا لِبَابِهَا مِفْتَاحَا
عَمَرُوا الْأَرْضَ مُدَّةً ثُمَّ زَالُوا	مِثْلَمَا زَالَتِ الْقُرُونُ اجْتِيَا حَا
وَأَتَتْ بَعْدَهُمْ عَلَيَّ لَيَالٍ	لَا أَرَى فِي سَمَائِهَا مِضْبَا حَا
فَسَقَاهُمْ مُنْزِلُ الْغَيْثِ سَجَلًا	يَجْعَلُ النُّبْتَ لِلْعَرَاءِ وَشَا حَا

قافية الدال

قال يُهْنِيُ الخديو «محمد توفيق باشا» بِجُلُوسِهِ على الأريكة الخديوية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) ويذكره بما وَعَدَ به من إنشاء مجلس نيابي: (من الكامل)

وَتَثِقُوا بِرَاعِ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحِدِ
تَبَقَى مَا ثَرُّهَا، وَعَيْشِ أَرْغِدِ
مَلَكَتْ بِسُودِهَا عِنَانَ الْفَرْقِدِ
سِنَّةُ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقِدِ
شَرَكُ الْفَوَارِسِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرْبِدِ
وَإِذَا تَكَلَّمَ فَهُوَ «قَيْسٌ» فِي النَّدِيِّ
صَدَقَتْ مَخِيلَتُهُ، وَجَلِيَّةُ أَمْرِدِ
عَيْشًا يَلْدُ بِهِ إِذَا لَمْ يَجْهَدِ
فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ لَيْلُ الْعُبْدِ
بَلَغَ النَّهَايَةَ مِنْ صَنِيعِ يَبْتَدِي
وَالْفَضْلُ فِي الْأَخْلَاقِ إِرْثُ الْمُحْتَدِ
وَسَمَاءُ مُنْتَجِعٍ وَقَبْلَهُ مُهْتَدِ
عَنْ وَجْهِ مَعْشُوقِ السَّمَائِلِ أَعْيَدِ
بَعْدَ الْكُدُورَةِ شَرْعَةً لِلْوُرْدِ
وَالْبَاسُ يَحْمِيهَا بِصَوْلَةِ أَصِيدِ

أَبْنِي الْكِنَانَةَ أَبْشَرُوا بِمَحَمَّدِ
فَهُوَ الزَّعِيمُ لَكُمْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
مَلِكُ نَمَتِهِ أَرْوَمَةُ عَلَويَّةٍ
يَقِظُ الْبَصِيرَةَ لَوْ سَرَتْ فِي عَيْنِهِ
بَدَاهَاتُهُ قَيْدُ الصَّوَابِ، وَعَزْمُهُ
فَإِذَا تَنَمَّرَ فَهُوَ «زَيْدٌ» فِي الْوَعَى
مُتَقَسِّمٌ مَا بَيْنَ حُنْكَةِ أَشْيَبِ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الْفَرَاغِ، وَلَا يَرَى
فَنَهَارُهُ غَيْثُ اللَّهْفِ، وَلَيْلُهُ
لَهَجٌ بِحُبِّ الصَّالِحَاتِ، فَكُلَّمَا
خُلِقَ تَمَيَّزَ عَنْ سِوَاهُ بِفَضْلِهِ
إِقْلِيدُ مُعْضَلَةٍ، وَمَعْقِلُ عَائِدِ
حَسَنْتَ بِهِ الْأَيَّامَ حَتَّى أَصْفَرَتْ
وَصَفَتْ مَوَارِدُ مَضَرٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ
فَالْعَدْلُ يَرْعَاهَا بِرَأْفَةٍ وَالِدِ

بَلَغْتَ بِفَضْلِ «مُحَمَّدٍ» مَا أَمَلْتُ
هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ
فَبِنُورِهِ فِي كُلِّ جُنْحٍ نَهْتَدِي
سَنَ الْمَشُورَةِ، وَهِيَ أَكْرَمُ خُطَّةٍ
هِيَ عِصْمَةُ الدِّينِ الَّتِي أَوْحَى بِهَا
فَمَنْ اسْتَعَانَ بِهَا تَأَيَّدَ مُلْكُهُ
أَمْرَانِ مَا اجْتَمَعَ لِقَائِدِ أُمَّةٍ
جَمْعٌ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ
هَيْهَاتَ يَحْيَا الْمُلْكُ دُونَ مَشُورَةٍ
فَالسَّيْفُ لَا يَمْضِي بِدُونِ رَوِيَّةٍ
فَاعْكُفْ عَلَى الشُّورَى تَجِدْ فِي طَيْفِهَا
لَا غَرَوْ أَنْ أَبْصَرْتَ فِي صَفَحَاتِهَا
فَالْعَقْلُ كَالْمَنْظَارِ يُبْصِرُ مَا نَأَى
وَكِفَاكَ عِلْمُكَ بِالْأُمُورِ، وَلَيْسَ مَنْ
فَلَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ أَفَادَ بَعْدْلِهِ
أَطْلَقْتَ كُلَّ مُقَيِّدٍ وَحَلَلْتَ كُلَّ
وَتَمَتَّعْتَ بِالْعَدْلِ مِنْكَ رَعِيَّةٌ
فَاسْلَمْ لِحَيْرِ وَلَايَةِ عَزَّتْ بِهَا
ضَرَحَتْ قَدَاةُ الْغَيِّ عَنْ جَفْنِ الْهُدَى
ضَمَّتْ إِلَيْكَ زِمَامَ كُلِّ مُثَلِّثٍ
وَتَأَلَّفَتْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَنْفُسُ
فَحَبَاكَ رَبُّكَ بِالْجَمِيلِ كَرَامَةً
وَتَهَنَّ بِالْمُلْكِ الَّذِي أَلْبَسْتَهُ
بَزَعْتَ بِهِ شَمْسُ الْهَدَايَةِ بَعْدَ مَا
لَمْ يَبْقَ مِنْ ذِي خَلَّةٍ إِلَّا اغْتَدَى
بَلَغْتَ بِكَ الْأَمَالَ أَبْعَدَ غَايَةٍ
فَاسْعِدْ وَدُمْ وَاعْتَمِ وَجِدْ وَانْعَمْ وَسُدْ
لَا زَالَ عَدْلُكَ فِي الْأَنَامِ مُحَلِّدًا

مِنْ عَيْشَةٍ رَغِدٍ وَجَدَّ أَسْعَدٍ
فِي الشُّعْرِ حُلِيَّةٌ رَاجِزٌ وَمُقَصِّدٍ
وَبَهْدِيهِ فِي كُلِّ خُطْبٍ نَفْتَدِي
يَجْرِي عَلَيْهَا كُلُّ رَاعٍ مُرْشِدٍ
رَبُّ الْعِبَادِ إِلَى النَّبِيِّ «مُحَمَّدٍ»
وَمَنْ اسْتَهَانَ بِأَمْرِهَا لَمْ يَرْشِدِ
إِلَّا جَنَى بِهَا ثَمَارَ السُّوْدِ
شُورَى، وَجُنْدٌ لِلْعَدُوِّ بِمَرْصِدٍ
وَيَعِزُّ رُكْنُ الْمَجْدِ مَا لَمْ يُعْمِدِ
وَالرَّأْيُ لَا يَمْضِي بِغَيْرِ مُهَنْدٍ
مِنْ بَيِّنَاتِ الْحُكْمِ مَا لَمْ يُوجِدِ
صُورَ الْحَوَادِثِ، فَهِيَ مِرَاةُ الْغَدِ
عَنْهُ قَرِيبًا، دُونَ لَمَسٍ بِالْيَدِ
سَلَكَ السَّبِيلَ كَحَائِرٍ لَمْ يَهْتَدِ
حُرِّيَّةَ الْأَخْلَاقِ بَعْدَ تَعَبُدٍ
لِـلْ مُعَقَّدِ وَجَمَعْتَ كُلَّ مُبَدَّدٍ
كَانَتْ فَرِيْسَةً كُلِّ بَاغٍ مُعْتَدٍ
نَفْسُ النَّصِيحِ، وَذَلَّ كُلُّ مُفْنَدٍ
وَسَرَتْ قِنَاعُ الْيَأْسِ عَنْ أَمَلٍ نَدِ
وَنُتِنَتْ إِلَيْكَ عَنَانُ كُلِّ مُوَحِّدٍ
سَكَنْتَ بِعَدْلِكَ فِي نَعِيمِ سَرْمَدٍ
لِجَزِيلِ مَا أَوْلَيْتَ أُمَّةً «أَحْمَدٍ»
شَرْقًا بِمَثَلِ رِدَائِهِ لَمْ يَرْتَدِ
أَفَلْتَ، وَأَبْصَرَ كُلَّ طَرْفٍ أَرْمَدِ
بِجَمِيلِ صُنْعِكَ مَصْدَرًا لِلْوُقْدِ
قَصَّرْتَ عَلَى الْإِغْضَاءِ طَرْفَ الْحَسَدِ
وَابْدَأَ وَعْدَ وَتَهَنٍّ وَاسْلَمْ وَازْدَدِ
فَالْعَدْلُ فِي الْآيَامِ خَيْرٌ مُحَلِّدِ

وقال يَفْخَرُ، وَيَعْرِضُ بِالْمَظَالِمِ عَلَى عَهْدِ الْحُكُومَةِ الْاسْتِبْدَادِيَّةِ: (من الطويل)

وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
وَأَبْغَى وَفَاءً وَالطَّبِيعَةَ ضِدُّهُ
أَخُو غَدَرَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزَلَ جُدُّهُ
وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَغْبٍ أَشَدُّهُ
يُطِيعُ الْهَوَى فِيمَا يَنَافِيهِ رُشْدُهُ
وَيَأْوِي إِلَى الْأَشْجَانِ وَهِيَ تَكْدُهُ
إِذَا رَامَ أَمْرًا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ
تُغَيِّرُ عَلَى مَثْوَى الضَّمَائِرِ جُنْدُهُ
لِحَاطِظِ الْعَذَارَى، وَالْقَلَائِدُ سَرْدُهُ
مَسَالِكُهُ، وَاشْتَقَّ فِي الْجَوِّ نَدُّهُ
غَرَامًا، وَطَرَفٌ لَيْسَ يَقْذِيهِ شَهْدُهُ
جَهْلُهُ، فَلَا يَغُرُّكَ فَالْصَّابُ شَهْدُهُ
يَضِجُ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ
وَسَاوِسُهُ فِي الصَّدْرِ، وَاخْتَلَّ وَكْدُهُ
فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ
فَوَادِي، وَلَكِنْ خَالَفَ الْحَزَمَ قُصْدُهُ
فَيُوشِكُ أَنْ يَلْقَى حُسَامًا يَقْدُهُ
مِنْ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرْدُهُ
وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أَعْدُهُ
رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ
صُرُوفُ اللَّيَالِي عِنْدَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ
عَلَى أَمْلِي، أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ
خَلِيلًا، فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ
وَأُضِدُّ مَنْ وَالَيْتُ لَمْ يُغْنِ وَدُّهُ
وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجْدُهُ
وَلَا كُلُّ خَلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ
أَحَاوِلُ وَصَلَا وَالصُّدُودُ خَصِيمُهُ
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا، وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ
تَخَفَ لَهُ الْأَحْلَامُ وَهِيَ رَزِينَةُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنَّ الْفَتَى وَهُوَ عَاقِلٌ
يَفِرُّ مِنَ السُّلُوفَانِ، وَهُوَ يَرِيحُهُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا حَاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ
لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيْدِ جَيْشُ مَلَاخَةٍ
ذَوَابِلُهُ قَامَاتُهُ، وَسُيُوفُهُ
إِذَا مَاجَ بِالْهَيْفِ الْحِسَانِ، تَأَرَّجَتْ
فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا تَذُوبُ حَصَاتُهُ
بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا
ظَلُمْتُ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٍ
إِذَا اخْتَلَّ قَلْبًا مُطْمَئِنًّا تَحَرَّكَتْ
فَإِنْ كُنْتُ ذَا لُبٍّ فَلَا تَقْرَبْنَهُ
وَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي
فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ أَرْوَمُهُ؟
وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسِ فِي الْغَدْرِ بَعْدَمَا
وَأَبْعَدُ مَفْقُودِ شَبَابٍ رَمَتْ بِهِ
فَمَنْ لِي بِخِلِّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ
صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلًا فَلَمْ أَجِدْ
فَأَكْثَرَ مَنْ لَأَقِيْتُ لَمْ يَصْفُ قَلْبُهُ
أَطَالِبُ أَيَّامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا
فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ

وَأَصْعَبُ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ
وَلِلنُّجَحِ أَسْبَابُ إِذَا لَمْ يَفْزُ بِهَا
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ
وَمَا أَنَا بِالْمَغْلُوبِ دُونَ مَرَامِهِ
وَمَا أَثَبْتُ بِالْحَرَمَانِ إِلَّا لَأَنْنِي
فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا
أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ
تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا نُعَالُهُ
فَحَتَامَ نَسْرِي فِي دِيَاجِيرِ مَحَنَةٍ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ
وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوْتِ، كَانَتْ حَيَاتُهُ
وَأَقْتُلْ دَاءَ رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا
عَلَامَ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا
يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقَعَهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعْجُ
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشِ
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ
وَإِنِّي أَمْرُؤٌ لَا أَسْتَكِينُ لِصَوْلَةٍ
أَبْتُ لِي حَمَلُ الضَّيْمِ نَفْسَ أَبِيَّةٍ
نَمَانِي إِلَى الْعَلِيَاءِ فَرَعُ تَأَثَّلْتُ
وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعَلَا
إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُهُ
فَإِنْ عَاشَ فَالْبَيْدُ الدِّيَامِيمُ دَارُهُ
أَصْدُ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرْفَعَا
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا
يُمَزَّقُ أَسْتَارَ النُّوَاطِرِ بَرْقُهُ
تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعَانِ كُهُولُهُ

صَحَابَةٌ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقَدُهُ
لَبِيبٌ مِنَ الْفَتَيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ
عَلَى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلُ جَدُّهُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ
أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا تَوَدُّهُ
صَحِبْتُ زَمَانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ
وَيَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أَسَدُهُ
يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غَمْدُهُ
عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
أُضِرَّ عَلَيْهِ مِنْ حِمَامٍ يَوَدُّهُ
بُسِيءٌ، وَيُنْتَلِي فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوْمٍ يَعُدُّهُ؟
كَذِي جَرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ
إِلَى وَزَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ
بِهَا بَطْلًا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ
وَفِي السَّيْفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرِ يَعُدُّهُ
وَإِنْ شَدَّ سَاقِي دُونَ مَسْعَايَ قَدُّهُ
وَقَلْبُ إِذَا سِيمَ الْأَدَى شَبَّ وَقَدُّهُ
أَرْوَمْتُهُ فِي الْمَجْدِ وَأَفْتَرَّ سَعْدُهُ
بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ
دَمُ الصَّيْدِ وَالْجُرْدُ الْعَنَاجِيحُ مَهْدُهُ
وَإِنْ مَاتَ فَالطَّيْرُ الْأَضَامِيمُ لَحْدُهُ
وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيْرَ بَعْدُهُ
أُسُودُ الْوَعَى فِيهِ وَتَمَرُّحُ جُرْدُهُ
وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ
وَتَمْلِكُ تَصْرِيْفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ

قُلُوبُ الرِّجَالِ الْمُسْتَبِدَّةِ أَكْلُهُ وَفَيْضُ الدِّمَاءِ الْمُسْتَهْلَةِ وَرْدُهُ
أَحْمَلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةٌ تُعَدُّ لَأَمْرٍ لَا يُحَاوَلُ رَدُّهُ
فَأَمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلَا وَإِمَّا رَدَى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَقَدُهُ

وَعَلَى رَوِيَّ قَصِيدَةِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ الَّتِي أَوَّلُهَا:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَعَيْرَ مُزَوِّدٍ

قال: (من الكامل)

ظَنَّ الظُّنُونُ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ حَيْرَانَ يَكْلَأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ
تُلَوِي بِهِ الذُّكْرَاتُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَظْلُ مُلْقَى بَيْنَ أَيْدِي الْعُودِ
طَوْرًا يَهُمُّ بِأَنْ يَزِلَّ بِنَفْسِهِ سَرَفًا وَتَارَاتٍ يَمِيلُ عَلَى الْيَدِ
فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرٍ حِلْمِهِ مَشْمُولَةً أَوْ سَاعَ سَمِّ الْأَسُودِ
قَالُوا غَدًا يَوْمَ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ
هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهُوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةً إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدِ
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمَ دَعْوَةٍ مُقْصِدِ
إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي فَرَدُّهُ عَلَيَّ لَأَهْتَدِي
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
بَلْ يَا أَخَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَعْمِدِ
هَذِي لِحَاطُ الْغَيْدِ بَيْنَ شَعَابِكُمْ فَتَكُنْ بِنَا خَلَسًا بِغَيْرِ مُهَنْدِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصَّبَا بِدَوِيَّةٍ رِيًّا الشَّبَابِ سَلِيمَةِ الْمُتَجَرِّدِ
هَيْفَاءَ إِنْ خَطَرْتُ سَبْتُ وَإِذَا رَنْتُ سَلَبْتُ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ
يَخْفِضُنْ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَحْتُلَا لِلنَّفْسِ فِعْلَ الْقَانِتَاتِ الْعَبْدِ
فَإِذَا أَصْبَنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلْبَنَهُ وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفِ أَصِيدِ
وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلْبِنَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَدِ
فَلَيْتُنْ غَدَوْتُ دَرِيئَةً لِعُيُونِهَا فَلَقَدْ أَقْلُ زَعَارَةَ الْمُتَمَرِّدِ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدِ
تَتَقَصَّفُ الْمُرَانُ فِي حَبْرَاتِهَا وَيَعُودُ فِيهَا السَّيْفُ مِثْلَ الْأَدْرَدِ

عَصَفْتُ بِهَا رِيحُ الرَّدَى فَتَدَفَّقْتُ
مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى انْتَنَتْ
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَلْمَعُ نَوْرُهُ
تَجْرِي بِهِ الْأَرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلِ
بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سِرَاتَهُ
خَلَصَتْ لَهُ الْيَمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ
فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلُ رِدَاءَهُ
زَجَلٌ يَرُدُّ فِي اللَّهَاهِ صَهِيلُهُ
مُتَلَفِّتًا عَنْ جَانِبَيْهِ يَهْزُهُ
فَإِذَا تَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانُ وَجَدْتَهُ
وَإِذَا أَطْعَمَتْ لَهُ الْعِنَانُ رَأْيَتَهُ
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا أَحَسَّ بِنَبَاةِ
صُلْبِ السَّنَابِكِ لَا يَمُرُّ بِجَلْمَدِ
نِعَمَ الْعَتَادِ إِذَا الشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفِ
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى الْكُثُوسِ إِذَا جَرَتْ
لَا يَنْطُقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ الْهُوَى
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ
بَلَّ رَبِّ غَانِيَةٍ طَرَقَتْ خِبَاءَهَا
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي
فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضْنَتْهَا
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا الْمَنَامَ غَوَايَةَ
رُوعَاءِ تَفَرُّعٍ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى
حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ
قَالَتْ دَخَلْتُ وَمَا إِخَالُكَ بَارِحًا
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى اطمَأَنَّ فُؤَادُهَا
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعَدَا

بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالْأَبْيِ الْمَرْبِدِ
عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجْسَدِ
فِي كُلِّ وَضَاحِ الْأَسْرَةِ أَغْيَدِ
طَابَتْ مَوَارِدُهَا وَظِلُّ أَبْرَدِ
بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةٍ مِنْ عَسَجِدِ
مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفِ أَجْرَدِ
سَلْبًا وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدِ
رَفْعًا كَرَمَزَمَةِ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ
مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَغَرِّدِ
يَمْطُو كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَدَفْدَا فِي فَدَقِدِ
شَدَّ كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُوقِدِ
فِي الشَّدِّ إِلَّا رَضَ فِيهِ بِجَلْمَدِ
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرِيدِ
شَمُّ الْمَعَاطِسِ كَالْغُصُونِ الْمُئِيدِ
لِعَبَا يَرُوحُ الْجَدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي
فَكَلَامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٍ نَدِي
قَمَرٌ تَوْسَطُ جُنْحِ لَيْلٍ أَسْوَدِ
وَالنَّجْمُ يَطْرَفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ
فَارْجِعْ لِسَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرْصَدِ
وَطَوَيْتُهَا طَيِّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
حَتَّى لَقَدْ بَتْنَا بِلَيْلِ الْأَنْقَدِ
تَرَفًا وَتَجَزَعُ مِنْ صِيَاكِ الْهُدُودِ
زَيْمُ الْكَوَاكِبِ كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ
إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ
وَنَفَيْتَ رُوعَتَهَا بِرَأْيِ مُحْصَدِ
مُتَلَكِّمًا وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

وَلِنَعْمَ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْقُذِ
وَنَعِيمِهِ وَالْمَرْءُ غَيْرُ مُخْلَدٍ

فَلِنَعْمَ ذَاكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقُضِ
يَرْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ

ويقول أيضاً:

وَطَوَيْتُهَا طَيَّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
حَتَّى لَقَدْ بَتْنَا بَلِيلَ الْأَنْقَدِ
تَرْفًا، وَتَجَزَعُ مِنْ صِيَاكِ الْهُدُودِ
زَيْمُ الْكَوَاكِبِ، كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ
إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتِ عَارَ الْمُسْنَدِ

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ، حَتَّى رُضْتُهَا
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا الْمَنَامَ غَوَايَةَ
رَوْعَاءُ تَفَرَّعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضَّحَى
حَتَّى إِذَا نَمَ الصَّبَا، وَتَتَابَعَتْ
قَالَتْ: دَخَلْتُ، وَمَا إِخَالُكَ بَارِحًا

وقال وهو بأقريطش أيام الحرب يَتَشَوَّقُ إلى مصرَ سنة ١٢٨٢هـ: (من الطويل)

وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
عَنِ الْأَلِ وَالْأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي
جَدَاوِلُ يُسْذِبُهَا الْغَمَامُ بِمَا يُسْذِي
حَبَائِكُهَا مِثْلَ الْمُقْدَرَةِ السَّرْدِ
مَنَاصِلُ سَلَّتْ لِلضَّرَابِ مِنَ الْغَمِ
حَبَبْتُكَ بِهَا الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الرَّدِّ
عَلَى مَا طَوَاهُ الدَّهْرُ مِنْ عَيْشِنَا الرَّغْدِ
وَلَمَيَاءُ لَمْ تُخْلِفْ بَلِيَانَهَا وَعَيْدِي
إِذَا سَفَرْتُ وَالْغُصْنُ فِي مَعْقِدِ الْبُنْدِ
عَلَى قَانِتٍ دَبَّتْ بِهِ سُورَةُ الْوُجْدِ
بَنَاتُ الضَّحَى بَيْنَ الْأَرَاكِةِ وَالرَّنْدِ
وَمَا ضَمَّتِ الْأَرْدَانُ مِنْ حَسَبِ عِدِّ
هِيَ الشَّهْدُ ظَنًّا بَلْ أَلَدُ مِنَ الشَّهْدِ
لَخَاصُ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلٍّ جَعْدِ
إِلَيَّ وَلَوْ عَذَّبْتَ قَلْبِي بِالصَّدِّ
وَفِيكَ رَعَيْتِ النَّجْمَ فِي أَفْقِهِ وَحْدِي

سَرَى الْبَرْقُ مَضْرِيًّا فَأَرْقَنِي وَحْدِي
فِيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَدِّقُ
وَعَنْ رَوْضَةِ الْمَقْيَاسِ تَجْرِي خِلَالَهَا
إِذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهْوًا تَجَعَّدَتْ
وَأِنْ ضَاكَكْتَهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّهَا
نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ
فَوَا أَسْفًا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأْسُفُ
إِذْ الدَّهْرُ سَمَحٌ وَاللَّيَالِي سَمِيعَةٌ
فَتَاةُ تَرِيكِ الشَّمْسِ تَحْتَ خِمَارِهَا
مِنْ الْفَاتِنَاتِ الْغِيدِ لَوْ مَرَّ ظِلُّهَا
فَتَالِلِهِ أَنْسَى عَهْدَهَا مَا تَرَنَّمْتُ
حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا
وَبِاللُّوْلُؤِ الْمَنْصُودِ بَيْنَ يَوَاقِيتِ
يَمِينًا لَوْ اسْتَسْقَيْتِ أَرْضًا بِهِ الْحَيَا
لَأَنْتِ وَأَيُّ النَّاسِ أَنْتِ حَبِيبَةٌ
إِلَيْكَ سَلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنَامِهَا

وَذَلَّلْتُ هَذِي النَّفْسَ بَعْدَ إِبَائِهَا
فَحَتَّامَ تَجْزِينِي بُوْدِي جَفْوَةً
سَلِي غَنِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ فَإِنَّهُ
هَلْ اكْتَحَلْتُ عَيْنَايَ إِلَّا بِمَدْمَعِ
أُصْبِرُ عَنْكَ النَّفْسَ وَهِيَ أَبِيَّةٌ
كَأَنِّي الْأَقْيَمُ مِنْ هَوَاكِ ابْنِ خَيْسَةٍ
تَنْكَبُ مُمْسَاهُ وَأَخْطَأُ صَيْدَهُ
لَهُ نَعْرَاتُ بِالْفَلَاةِ كَأَنَّهَا
يُمَزَّقُ أَسْتَارُ الظَّلَامِ بِأَعْيُنِ
كَأَنَّهُمَا مَاوِيَّتَانِ أُدِيرَتَا
فَهَذَا الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْكَ عَلَى النَّوَى

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَسْمَحْ بِحَلٍّ وَلَا عَقْدٍ
أَمَّا تَرْهَبِينَ اللَّهَ فِي حُرْمَةِ الْمَجْدِ
خَبِيرٌ بِمَا أَخْفِيهِ شَوْقًا وَمَا أُبْدِي
إِذَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ سَالَتْ عَلَى خَدِّي
وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِنَاتِ عَنِ الْوَرْدِ
أَخَا فَتَكَاتٍ لَا يُنْهِنُهُ بِالرَّدِّ
فَأَقْعَى عَلَى غَيْظٍ مِنَ الْجُوعِ وَالْكَدِّ
عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ جَلَجَلَةً الرَّعْدِ
تَجِيرُ شَرَارًا كَالسَّقَاطِ مِنَ الزَّنْدِ
إِلَى الشَّمْسِ فَانِبْتُ شَعَاعًا مِنَ الْوَقْدِ
فَرَاخِي وَتَأْقِي يَا بَنَةَ الْقَوْمِ أَوْ شُدِّي

وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م وأرسل بها الأستاذ الشيخ «حسين المرصفي»: (من الطويل)

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لَا سَلَامٌ وَلَا رَدُّ
لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ
سَرَى بِهِمْ سَيْرَ الْعَمَامِ كَأَنَّمَا
فَلَا عَيْنٌ إِلَّا وَهِيَ عَيْنٌ مِنَ الْبُكَى
فَيَا سَعْدُ حَدَّثْنِي بِأَخْبَارٍ مِنْ مَضَى
لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً
هُوَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنْ لَوْقَعَهَا
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيرَةٌ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنٌ نَاطِرٌ
خَلَاءَ مِنَ الْأَلْفِ إِلَّا عَصَابَةً
دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنَبَرِيَّةٌ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِاللَّسَنِ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحٍ زَفْرَةٍ

وَلَا نَظَرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ
فَسَارُوا وَلَا زَمُوا جَمَالًا وَلَا شَدُوا
لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ
وَلَا خَدٌّ إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدٌّ
فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ
مَنْ الْوَجْدُ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ
عَلَى كِبْدِي مِمَّا أَلَذُّ بِهِ بَرْدُ
بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَّنِي بَعْدَهَا عَهْدُ
وَأُمَسْتُ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الْأَسَى وَفَدُ
حَدَاهُمْ إِلَى عَرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ
وَبِالنَّفْحَةِ الْحَسَنَاءِ قَدْ يُعْرِفُ الْوَرْدُ
صَوَامِتَ إِلَّا أَنَّهَا أَلْسُنُ لُدُّ
لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنَّ أَلَمَ بِكَ النَّوَى
فَقَدْ يُشْعَبُ الْإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهُوَى
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي
فَعُودِي صُلْبٌ لَا يَلِينُ لِغَامِزِ
إِبَاءٍ كَمَا شَاءَ الْفَخَارُ وَصَبُوءِ
وَأَنَا أَنْاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ
نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهُوَى
وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيْمَةٌ عَرَبِيَّةٌ
وَبِي ظَمًا لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّهُ
أَوْدٌ وَمَا وَدُّ امْرِئٌ نَافِعًا لَهُ
وَمَا بِي مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٌ
أَنَا الْمَرْءُ لَا يُطْغِيهِ عِزٌّ لِثَرْوَةٍ
أَصْدُ عَنِ الْمَوْفُورِ يُدْرِكُهُ الْخَنَا
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ
وَمَنْ شِيْمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ
وَلَكِنْ إِخْوَانًا بِمَصْرٍ وَرُفْقَةً
أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنَّ دُونَنَا
فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا
أَفِي الْحَقِّ أَنَا ذَاكَرُونَ لِعَهْدِكُمْ
فَلَا ضَيْرَ إِنَّ اللَّهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ جَزَانِي بِمِثْلِهِ
أَبَيْتُ لِيُذَكِّرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلِّمًا
فَلَا تَحْسَبُونِي غَافِلًا عَنْ وِدَائِكُمْ
هُوَ الْحُبُّ لَا يَنْثِنِيهِ نَائِي وَرُبَّمَا
نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ

فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلَاقٍ لَهُ حَدٌّ
وَيَلْتَنِمُ الصَّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحَقْدُ
فَأَوْنَةٌ قَرْبٌ وَأَوْنَةٌ بُعْدُ
تُسِيءُ وَلَكِنَّ الْفَتَى لِلْهُوَى عَبْدُ
وَقَلْبِي سَيْفٌ لَا يُفْلُ لَهُ حَدٌ
يَذِلُّ لَهَا فِي خَيْسِهِ الْأَسَدُ الْوَرْدُ
سِوَى أَنْ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهُوَى نَجْدُ
وَنَغْضَبُ فِي شَرَوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُّ
هِيَ الْحَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَرْدُ
وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْجَهْدُ
وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ
طَلَابُ الْعُلَا مَجْدٌ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدُ
يَعُضُ عَلَيْهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَعْدُ
أَصَابَ وَلَا يُلَوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُّ
وَأَقْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقِبُهُ الْحَمْدُ
لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسَدُ
وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
نَسُونَا فَلَا عَهْدُ لَدَيْهِمْ وَلَا وَعْدُ
مَهَامَةٍ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهَا الرُّبْدُ
ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وَدُّ
يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصِلَةِ الصَّدُّ
عَلَى شَقَّةٍ غَزُرَ الْحَيَاةُ بِهَا تَمْدُ
كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوَرْدُ
رُويْدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ
تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضَّرَامِ لَهُ النَّدُّ
بِوَجْهِهِ أَيَّامٌ خَلَّيْتُهَا نُكْدُ

مَنْ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوَّ
يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسُهُ الْبَطْلُ الْجَعْدُ
وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مَنْ نَقَعَهَا لِبَدُ
بُحُورًا تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
مُرَاغِمَةُ السَّقِيَا وَمَاطَلُهَا الْوَرْدُ
طَلِيحٌ وَمَأْسُورٌ يُجَاذِبُهُ الْقِدُّ
وَنَعْدُو عَلَيْهِمُ بِالْمَنَايَا إِذَا نَعْدُو
وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
وَيَنْغَلُ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفُ فَارَقَهُ الْغَمْدُ
ضُرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسِيفِي لَهَا عَقْدُ
وَلَا كُلُّ طَلَابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُّ
فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءُ هُوَ الْخُلْدُ
حَيَاةٌ لَهُ لَا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ
وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ
لَاتَنَافِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَابِهِمْ وَقْدُ
وَمِنْ شِيْمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضَّدُّ
وَرُبَّ سَوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ
فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتَى وَلَهُ نِدُّ

أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ
جَوَاتٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِعَاذَةٍ
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ
فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كِبَّةٌ
عَلَى الْأَرْضِ مِنْهَا بِالْدمَاءِ جَدَاوِلُ
إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّخْفَ خِلْتَهُمُ
نَشَلُّهُمْ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتَّ بِهَا
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ
نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى
وَنَقَعَ كُلُّجُ الْبَحْرِ خَضَتْ غِمَارُهُ
صَبَرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً
فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثُ أَنْهَضَهُ الطَّوَى
صَنُوءٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى
فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرُمُحِي ضَمِيرُهَا
وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ
إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا
وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سُورَةَ يَوْمِهِ
لِيَضْنَ بِي الْحُسَّادُ غَيْظًا فَإِنِّي
أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سِبَّةٍ
فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهُوَ نَفْسُهُ
فَلَا زِلْتُ مَحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا

وقال في يوم عيد الفطر وهو في تلك الحرب: (من الطويل)

وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ
بِبُشْرَى وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ

أَرَاكَ الْحَمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ
مَضَى زَمَنٌ لَمْ يَأْتِنِي عَنْكَ قَائِدُ

وَحِيدٌ مِنَ الْخَلَانِ فِي أَرْضٍ غُرْبَةٍ
فَهَلْ لِغَرِيبٍ طَوَّحَتْهُ يَدُ النَّوَى
وَهَلْ زَمَنٌ وَلَّى وَعَيْشٌ تَقَيَّضَتْ
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْقَدِيمِ وَإِنَّمَا
وَمَا ذِكْرِي الْأَيَّامُ إِلَّا لِأَنَّهَا
فَلَيْسَ بِمَفْقُودٍ فَتَى ضَمَّهُ الثَّرَى
أَلَا أَيُّهَا الْيَوْمُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لَهُ
أَتَسَّأَلُنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً
فَحَظُّ أَنْاسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وَقَيْنَةٌ
لِيَهْنَ بِهِ مَنْ بَاتَ جَذْلَانِ نَاعِمًا
تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَبْشِرِينَ بِقُرْبِهِ
إِذَا سَارَ عَنْهُمْ سَارَ وَهُوَ مُكْرَمٌ
يُخَاطَبُ كُلًّا بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
فَمَنْ لِغَرِيبٍ «سَرَنْسُوفُ» مَقَامُهُ
بِلَادٍ بِهَا مَا بِالْجَحِيمِ وَإِنَّمَا
تَجَمَّعَتِ الْبُلْغَارُ وَالرُّومُ بَيْنَهَا
إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعَتْ لِصَوْتِهِمْ
قَبَاحُ النَّوَاصِي وَالْوُجُوهُ كَأَنَّهُمْ
سَوَاسِيَةٌ لَيْسُوا بِنَسْلِ قَبِيلَةٍ
لَهُمْ صُورٌ لَيْسَتْ وَجُوهًا وَإِنَّمَا
يَخُورُونَ حَوْلِي كَالْعُجُولِ وَبَعْضُهُمْ
أَدُورٌ بَعِينِي لَا أَرَى بَيْنَهُمْ فَتَى
فَلَا أَنَا مِنْهُمْ مُسْتَفِيدٌ غَرِيبَةٌ
فَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ قَبْلَ هَذِهِ
عَسَى اللَّهُ يَقْضِي قُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةٍ

أَلَا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَحِيدٌ
رُجُوعٌ وَهَلْ لِلْحَائِمَاتِ وَرُودُ
غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ
يَلْذُ اقْتِبَالُ الشَّيْءِ وَهُوَ جَدِيدُ
يَمَامٌ لِعِرْفَانِ الصَّبَا وَعُهْدُ
وَلَكِنَّ مَنْ غَالَ الْبِعَادَ فَاقِيدُ
نَكُورًا سَوَى أَنْ قِيلَ لِي هُوَ عِيدُ
وَأَتُوبُنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ حَدِيدُ
وَحَظُّ رَجَالٍ ذُكْرَةٌ وَنَشِيدُ
أَخَا نَشَوَاتٍ مَا عَلَيْهِ حَقُودُ
فَهُمْ حَوْلَهُ لَا يَبْرَحُونَ شُهُودُ
وَإِنْ عَادَ فِيهِمْ عَادَ وَهُوَ سَعِيدُ
فَمُبْدِئُ شُكْرٍ تَارَةً وَمُعِيدُ
رَمَتْ شَمْلُهُ الْأَيَّامُ فَهُوَ لَهِيدُ
مَكَانَ اللَّطَى ثُلُجٌ بِهَا وَجَلِيدُ
وَزَاخَمَهَا التَّائَارُ فَهِيَ حُشُودُ
هَدِيدًا تَكَادُ الْأَرْضُ مِنْهُ تَمِيدُ
لِغَيْرِ أَبِي هَذَا الْأَنَامِ جُنُودُ
فَتُغْرِفُ آبَاءَ لَهُمْ وَجُدُودُ
تُنَاطُ إِلَيْهَا أَعْيُنٌ وَخُدُودُ
يُهَجَّنُ لَحْنُ الْقَوْلِ حِينَ يُجِيدُ
يَرُودُ مَعِي فِي الْقَوْلِ حَيْثُ أُرُودُ
وَلَا أَنَا فِيهِمْ مَا أَقَمْتُ مُفِيدُ
بِمَصْرٍ وَعَيْشِي لَوْ يَدُومُ حَمِيدُ
فَيَفْرَحَ بِاللُّفْيَا أَبُ وَوَلِيدُ

وقال: (من الطويل)

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَكَيْفَ أُعِيدُهُ
أَحَاوِلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى
فَمَا كُلُّ جَفَرٍ غَاضٍ يَزْتَدُّ نَبْعُهُ
فَإِنْ أَكْ فَارَقْتُ الشَّبَابَ فَقَبْلُهُ
وَأَيُّ شَبَابٍ لَا يَزُولُ نَعِيمُهُ
فَلَا غَرَوْ أَنْ شَابَتْ مِنْ الْحُزْنِ لَمَّتِي
يَهْدُمُ مِنْ أَجْسَادِنَا مَا يَشِيدُهُ
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ لَا يَدُومُ فَمَا الَّذِي
وَلَكِنْ نَفْسًا رُبَّمَا اهْتَاجَ شَوْقُهَا
فَوَا حَسْرَتًا كَمْ زَفْرَةٍ إِنَّرَ لَوْعَةٍ
أَجْنُ إِلَى وَادِي النِّقَا وَيَسُرُّنِي
وَأَصْدُقُهُ وَدِّي وَإِنْ كُنْتُ عَالِمًا
مَعَانُ هَوَى تَجْرِي بِدَمْعِي وَهَادُهُ
تَضُنُّ بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ ظِلَابُوهُ
تَسَاهَمُ فِيهِ الْبَاسُ وَالْحُسْنُ فَاسْتَوَتْ
تَلَاقَتْ بِهِ أَسْيَافُهُ وَلِحَاطُهُ
فَكَمْ مِنْ صَرِيحٍ لَا تَدَاوَى جِرَاحُهُ
وَفِي الْحَيِّ ظَبْيٍ إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ
تَهِيمُ بِهِ أَسْتَارُهُ وَخُدُودُهُ
تَأْنَقُ فِيهِ الْحُسْنُ فَامْتَدَّ فَرْعُهُ
فَالْمِسْكُ رِيَاهُ وَلِلْبَانِ قَدُّهُ
فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ يَا صَاحِبَ الْهَوَى
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنْ سَطَا
أَفْلُ أَنْابِيْبِ الْقَنَا وَيَفْلُنِي
فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهَوَى فَلَطَالَمَا
وَتَحْتَ جَنَاحِ الدَّرْعِ مِنِّي ابْنُ فَتَكَةٍ

وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ
وَذَلِكَ رَأَيْ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
وَلَا كُلُّ سَاقٍ جَفَّ يَخْضَرُّ عُودُهُ
بَكَيْتُ رَضَاعًا بَانَ عَنِّي حَمِيدُهُ
وَسِرْبَالٍ عَيْشٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهُ
فَإِنِّي فِي دَهْرٍ يَشِيبُ وَلِيدُهُ
وَيَنْقُصُ مِنْ أَنْفَاسِنَا مَا يَزِيدُهُ
يَنَالُ أَمْرُ مَنْ حُبٌّ مَا لَا يُفِيدُهُ
فَحَنَّتْ وَقَلْبًا رُبَّمَا اعْتَادَ عِيدُهُ
إِذَا عَصَفَتْ بِالْقَلْبِ كَادَتْ تُبِيدُهُ
عَلَى بُعْدِهِ أَنْ تَسْتَهْلَّ سُعُودُهُ
بِأَنَّ النِّقَا لَمْ يَدُنْ مِنِّي بَعِيدُهُ
وَتُشْرِقُ مِنْ نِيرَانِ قَلْبِي نُجُودُهُ
وَتُكْرَمُ مَثْوَى الطَّارِقِينَ أَسُودُهُ
ضَرَاغِمُهُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَغِيدُهُ
وَمَالَتْ بِهِ أَرْمَاحُهُ وَقُدُودُهُ
وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لَا تُحَلُّ قَيْودُهُ
تَنْمَرُ وَأَشِيهِ وَهَاجَ حَسُودُهُ
وَتَعَشَّقُهُ أَقْرَاطُهُ وَعُقُودُهُ
إِلَى قَدَمَيْهِ وَاسْتَدَارَتْ نُهُودُهُ
وَلِلْوَرْدِ خَدَاهُ وَلِلظَّبْيِ جِيدُهُ
فَإِنَّ الرَّدَى حِلْفُ الْهَوَى وَعَقِيدُهُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ نُجَلَّ الْعُيُونِ شُهُودُهُ
قَوَامٌ تَنْدَتُ بِالْعَبِيرِ بُرُودُهُ
شَهْدَتُ الْوَعَى وَالطَّعْنُ يَذْكُو وَقُودُهُ
مُعَوَّدَةٌ أَلَا تَحَطُّ لُبُودُهُ

تَسَامَى إِلَيْهَا فِي رَعِيلٍ يَقُودُهُ
صَهِيلٌ يَهْدُ الرَّاسِيَاتِ وَيُدِيهِ
عَلَى جُنُثِ الْقَتْلَى وَيَنْغُلُ سَيْدُهُ
وَتَحْفَقُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بُنُودُهُ
سَوَافِرُ عَنْ نَصْرِ يُضِيءُ عَمُودُهُ
نِطَافُ الْكَلَى وَالْمَوْتُ يَمْضِي وَعِيدُهُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الرَّعْدُ دَوَى هَدِيدُهُ
إِذَا مَا عَقِبَدُ الْقَوْمِ رَثْتُ عُقُودُهُ
تَكَلَّفْتُ قَوْلًا غَيْرَهُ لَا أُجِيدُهُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ
وَأَنْكَرُهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ
عَلَى أَمَلٍ لَمْ يَبْقُ إِلَّا شَرِيدُهُ
وَدُونَ الَّذِي أَرْجُوهُ مَا لَا أُرِيدُهُ
عَلِمْتُ عَلَى الْآيَامِ أَيْنَ وَجُودُهُ
لِنَفْسِي صَدِيقٌ لَا تَخِيسُ عُهْدُهُ
يُوزِرُهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ يَبُودُهُ
نَصِيرٌ فَأَخْلَقُ أَنْ تَخِيبَ جُدُودُهُ
بِنَفْسِي عَشِيرٌ لَيْسَ يَنْجُو طَرِيدُهُ
عَلَى جَبَلٍ لَأَنْهَالٍ فِي الدَّوَى رِيدُهُ
وَإِنْ رَقَّ أَرْزَى بِالْعُقُودِ فَرِيدُهُ
وَيَسْبِقُ شَاؤَ النَّيِّرَيْنِ قَصِيدُهُ
كَفَى الْقَوْمَ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ نَشِيدُهُ
وَذَكَرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ خُلُودُهُ

إِذَا حَرَّكَتُهُ هَمَّةٌ نَحَوَ غَايَةٍ
وَمُعْتَرَكٌ لِلْخَيْلِ فِي جَنَابَتِهِ
بَعِيدُ سَمَاءِ النَّقْعِ يَنْقُضُ نَسْرُهُ
تَرْفٌ عَلَى هَامِ الْكُمَامَةِ سَيُوفُهُ
إِذَا اشْتَجَرَتْ فِيهِ الرِّمَاحُ تَرَاجَعَتْ
تَقَحَّمَتُهُ وَالرُّمَحُ صَدْيَانُ يَنْتَجِي
فَمَا كُنْتُ إِلَّا الْغَيْثُ طَارَتْ بَرُوقُهُ
أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْفُوعُ بِالْفِعْلِ قَوْلُهُ
تَعَوَّدْتُ صَدَقَ الْقَوْلُ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي
أَضَاحُكَ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بَشْرُهُ
وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ
فَمَنْ لِي بِخَلٍّ أَسْتَعِينُ بِقُرْبِهِ
أَحَاوِلُ وَدًّا لَا يُشَانُ بَعْدَرَةٍ
سَمِعْتُ قَدِيمًا بِالْوَفَاءِ فَلَيْتَنِي
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْلِكْ صَدِيقًا فَإِنَّنِي
وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرٌ صَاحِبُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ
وَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ فَرْدًا فَإِنَّنِي
وَلِي مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ مَا لَوْ تَلَوْتُهُ
إِذَا اشْتَدَّ أَوْزَى زَنْدَةِ الْحَرْبِ لَفْظُهُ
يُقَطِّعُ أَنْفَاسَ الرِّيَاحِ إِذَا سَرَى
إِذَا مَا تَلَاهُ مُنْشَدٌ فِي مَقَامَةٍ
سَيُنْقَى بِهِ ذِكْرِي عَلَى الدَّهْرِ خَالِدًا

وقال يَذُمُّ رِجَالَ الْحُكُومَةِ الْاسْتِبْدَادِيَّةِ فِي عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ خَدِو مِصْرَ: (من الخفيف)

وَجَفَاءُ الْأَخْلَاقِ شَأْنُ الْجَمَادِ
مَمَّةٌ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ

كَرُمُ الطَّبَعِ شِيمَةُ الْأَمْجَادِ
لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحُكْمُ

مِنْ عِنَادٍ يَجُرُّ حَرْبَ الْفَسَادِ
سَسَ يَنَالُ الْكَمِيَّ يَوْمَ الْجَلَادِ
كُلَّ مَا رُمْتَ نَيْلُهُ مِنْ مُرَادِ
تَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الْيَادِي
نَاسَ أَحْلَاسٍ خُدْعَةٍ وَتَعَادِي
وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ
مَا طَوْتُهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ
لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ
تَحْتَ أَثْوَابِ أُلْفَةٍ وَوَدَادِ
نِي بَوَجْهِ إِلَى الْمَوَدَّةِ صَادِي
إِنَّمَا السَّبْقُ مِنْ خِصَالِ الْجَوَادِ
وَالْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَادِ
غَيْظُ مَوْتٍ لَهُمْ بِلَا مِيعَادِ
صَبَغَ اللُّؤْمُ عَرْضَهُمْ بِسَوَادِ
ذَاتِ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ
مِنْ وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ
بِ وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ
يَا فَاْمَسَتْ وَقَدْ خَلَتْ فِي الْبَوَادِي
جَنَّةٌ لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
بُضْرُوبِ الْفَسَادِ وَقَعَ الْجَرَادِ
أَثَرُ النَّارِ فِي هَشِيمِ الْقِتَادِ
حَطَفَ عَلَى الْأُمَهَاتِ وَالْأَوَّلَادِ
وَمُبِيرٍ مِنَ الْأَدَى رَعَادِ
كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادِي
مَرَّ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعُلَا لِلزَّادِ
إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْدَادِ
هَرَّ غَضًا فَالْعَقْلُ خَيْرُ عِتَادِ
حِ غِذَاءُ كَالطَّبِّ لِلْأَجْسَادِ

وَلَعَمْرِي لَرَقَّةُ الطَّبْعِ أَوْلَى
قَدْ يَنَالُ الْحَلِيمُ بِالرَّفْقِ مَا لَبِ
فَاقْرُنِ الْجَلْمَ بِالسَّمَاحَةِ تَبْلُغْ
وَضَعَ الْبِرَّ حَيْثُ يَزْكُو لِتَجْنِي
وَاحْذَرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الدُّنَى
رَبِّ خَلٍّ تَرَاهُ طَلَقَ الْمُحَيَّا
فَتَأَمَّلْ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمْ
إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ غَضُّو صَغِيرُ
وَأَنَاسٍ صَحِبْتُ مِنْهُمْ ذُنَابَا
يَتَمَنَّوْنَ لِي الْعِثَارَ وَيَلْقَوُ
سَابِقُونِي فَقَصِّرُوا عَنْ لِحَاقِي
أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحَسُودِ
فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ فَاحْتِمَالُ الْ
كَيْفَ تَبْيِضُ مِنْ أَنَاسٍ وَجُوهُ
أَظْهَرُوا زُخْرُفَ الْخِدَاعِ وَأَخْفُوا
فَقَرَى الْمَرْءُ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السِّنِّ
مَعَشَرٌ لَا وَلِيْدُهُمْ طَاهِرُ الْمَهْ
حَكَمُوا مِصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنَى
أَصْبَحَتْ مَنَزِلَ الشَّقَاءِ وَكَانَتْ
وَقَعُوا بَيْنَ رِيْفَهَا وَقَرَاهَا
فِي زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ
حِينَ لَمْ يُرْحَمِ الْكَبِيرُ وَلَمْ يُعْ
تَحْتَ رَجَزٍ مِنَ الْعَذَابِ مُهِينِ
تِلْكَ أَثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى مَا
لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَعَالِي لِلْفَخِ
وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجِدِ
فَاعْتَصِمَ بِالنُّهَى تَفَرَّ بِنَعِيمِ الدَّ
إِنَّ فِي الْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ لِلرُّو

وقال يرثي زوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب: (من الكامل)

وَأَطْرَبْتُ أَيْةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِي
وَحَطَمْتُ عُودِي وَهُوَ رُمْحُ طَرَادٍ
فَأَنَاحَ أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي
تَجْرِي عَلَى الْحَدِيثِ كَالْفِرْصَادِ
حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي
جَسْمِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُودِ
وَأَسْفُهُ الْعِبَرَاتِ وَهِيَ بَوَادِي
تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي
كَانَتْ خُلَاصَةً عُدَّتِي وَعَتَادِي
أَفْلا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي
قَرَحَى الْعُيُونُ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
دُرُّ الدُّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
كَانَتْ لَهْنٌ كَثِيرَةً الْإِسْعَادِ
وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِي
حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِي
فِي جَوْفٍ أَغْبَرَ قَاتِمَ الْأَسْدَادِ
كُنْتُ الضَّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادٍ
بِالنَّفْسِ عَنْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي
لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ
فِيهَا سَوَى التَّسْلِيمِ وَالْإِخْلَادِ
عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عَنَانُ رَشَادِي
أَمْ أَصْحَبُ السُّلُوفَانَ وَهُوَ تَعَادِي
عَذْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْأَحْقَادِ
رَعِي التَّجَلُّدَ وَهُوَ غَيْرُ جَمَادٍ
أَسَفًا لِبُعْدِكَ أَوْ يَلِينُ مِهَادِي
وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِسَوَادِي

أَيْدِ الْمُنُونِ قَدَحْتُ أَيَّ زِنَادٍ
أَوْهَنْتُ عَزْمِي وَهُوَ حَمْلَةٌ فَيَلْقُ
لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمْ بِسَاحَتِي
أَفْدَى الْعُيُونِ فَأَسْبَلْتُ بِمَدَامِعِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاغَ لِحَادِثِ
أَبْلَتْنِي الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكْدُ
أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ
لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ وَلَا يَدِي
يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمَنَّ تَوَجُّعًا
أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصَغْنَ مِنْ
يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
فَخَدَّوْهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٍ
أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيعَةٍ
أَعَزَّزَ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ رَهِينَةً
أَوْ أَنْ تَبِينَنِي عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلِ
لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدِيَّةً
أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكِ
لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعِ
فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الْأَسَى
أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهُوَ فَسَاوَةٌ
جَزَعُ الْفَتَى سِمَةَ الْوَفَاءِ وَصَبْرُهُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقْرَ جَوَانِحِي
وَلَهِي عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي
أَمْسَيْتُ بَعْدَكَ عِبْرَةً لِدَوِي الْأَسَى
مُتَخَشِّعًا أَمْشِي الضَّرَاءَ كَأَنِّي
مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا
وَرَدَّ الْبَرِيدُ بَغِيرَ مَا أَمْلَيْتُهُ
فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ كَأَنَّمَا
وَيَلْمُهُ رُزْءًا أَطَارَ نَعِيَّهُ
قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّمَا
عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا
لَأْمُوا عَلَى جَزْعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا
فَلَيْتُ لَبِيدٌ قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ
لَيْسَ الزَّمَانُ عَلَى اخْتِلَافِ صُرُوفِهِ
كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمْرُهُ
هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ
فَعَلَامٌ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ وَحُكْمُهُ
سِرٌّ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي
أَخْبَرَهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ
طَبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتِ تَرَاهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى
كُلُّ أَمْرِي يَوْمًا مُلَاقٍ رَبَّهُ
وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ
عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَدَ شَمْلَهُمْ
دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سَلْمِهِ
أَفْنَى الْجَبَابِرِ مِنْ مَقَاوِلِ جَمِيرٍ
وَرَمَى قُضَاعَةً فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا
وَأَصَابَ عَنْ غُرُضٍ إِيَادًا فَأَصْبَحَتْ

وَإِذَا أُوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَايِي
فِي يَوْمٍ كُلُّ مُصِيبَةٍ وَجَدَا
أَخْشَى الْفُجَاءَةِ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي
بِلَهَيْبِ سَوْرَتِهِ وَسَقَمِ بَادِي
تَعَسَ الْبَرِيدُ وَشَاءَ وَجْهَ الْحَادِي
نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَيَّةً وَادِي
بِالْقَلْبِ شُعْلَةً مَارِجٍ وَقَادٍ
كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَهَا بِقَتَادٍ
عَظُمَتْ لَدَيَّ شِمَاتُهُ الْحُسَادِ
أَنَّ الْمَلَامَةَ لَا تَرُدُّ قِيَادِي
فِي الْحُزْنِ فَهُوَ قَضَاءٌ غَيْرُ جَوَادٍ
دَوْلًا وَفَلَّ عَرَائِكَ الْآبَادِ
حَقَبًا وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ
تَبْلُغُ شَيْبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ
لَا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الْأَصْدَادِ
بِحِمَى الْإِمَامِ تَحِيَّتِي وَوَدَادِي
يَسْتَجْلِبُونَ صَلَاحَهُمْ بِفَسَادِي
مَرَضَى الْقُلُوبِ أَصْحَاءُ الْأَجْسَادِ
لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادِ
لِلْغَافِلِينَ لَوْ اكْتَفَوْا بِعَوَادِي
لِمَصَارِعِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنَجَادِ
فِي حَرِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَجِلَادِ
وَأُولِي الزُّعَامَةِ مِنْ ثُمُودٍ وَعَادِ
بِالسُّخْطِ مِنْ سَابُورِ ذِي الْأَجْنَادِ
مَنْكُوسَةَ الْأَعْلَامِ فِي سِنْدَادِ

عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
إِلَّا بَقَايَا أَرْسُمَ وَعِمَادِ
بَلْهَيْبٍ فَهُوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي
فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِجَادِ
حَتَّى عَدَتْ مَجْهُولَةَ الْإِسْنَادِ
أَوَّلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ
أَنَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ
مِنْهُ الْمَعُونَةُ فَهُوَ نِعَمُ الْهَادِي
بِالْأَمْسِ فَهُوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي
نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ
ذَهَبَ الرَّدَى بِكَ يَا بَنَةَ الْأَمْجَادِ
هَيْهَاتَ مَا تَرَكَ الْوَفَاءَ بِعَادِي
مُتَوَقِّعًا لُقْيَاكَ يَوْمَ مَعَادِي
نَاحَتْ مُطَوَّقَةً عَلَى الْأَعْوَادِ

فَسَلِ الْمَدَائِنَ فَهِيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ
كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ
وَأَعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا
تُنَبِّئُكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى
أُمِّمْ خَلَّتْ فَاسْتَعْجَمْتَ أَخْبَارُهَا
فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ
تَعَسَّ امْرُؤُ نَسِي الْمَعَادِ وَمَا دَرَى
فَاسْتَهْدُ يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ وَالْتَمَسْ
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى
هِيَ مُهْجَةٌ وَدَعَتْ يَوْمَ زِيَالِهَا
تَالِلِهِ مَا جَفَّتْ دُمُوعِي بَعْدَمَا
لَا تَحْسِبِينِي مِلْتُ عَنْكَ مَعَ الْهَوَى
قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ
فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا

وَقَالَ يَرِثِي وَلَدُهُ: (من المنسرح)

وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي
كَانَتْ تَبْلُ الْغَلِيلَ وَآ كَبْدِي
الصَّبْرَ عَنِّي وَفَتْ فِي عَضْدِي
سَهْرُتُهَا بَاكِيًا بِلَا مَدَدِ
تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ وَالسَّهْدِ
دَامَتْ إِلَى أَنْ تَفُوزَ بِالسَّدَدِ
لَكَ الْعَيْنُ أَنَّ الْحِمَامَ بِالرَّصْدِ
أَعْلَمُ حَتْلًا وَالدَّهْرُ كَالْأَسَدِ
حِلْمٌ هِيَامًا يَحِيقُ بِالْجَلَدِ
أَثْلِمُ حَدَّ الْعِزَاءِ بِالْكَمْدِ
تَبْلُغُ بِالْدَّمْعِ رُتْبَةَ الْخَلَدِ

كَيْفَ طَوْتُكَ الْمُنُونُ يَا وَلَدِي
وَآ كَبْدِي يَا عَلِيٍّ بَعْدَكَ لَوْ
فَقَدْتُ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَدِ
كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا
دَمْعٌ وَسُهْدٌ وَأَيُّ نَاطِرَةٍ
لَهْفِي عَلَى لَمْحَةِ النَّجَابَةِ لَوْ
مَا كُنْتُ أَدْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْ
فَاجَأَنِي الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا
لَوْلَا اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لَاعْتَضْتُ بِآلِ
لَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ أَنَّ
فَلْيَبْكِ قَلْبِي عَلَيْكَ فَالْعَيْنُ لَا

إِنْ يَكُ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيْكَ فَقَدْ
أَخْنَى أَلِيمُ الضَّنَى عَلَى جَسَدِي
عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ تَوَدِّعَ لَا
قَالَ وَلَكِنْ تَوَدِّعَ مُضْطَهَدِ

وقال في صباه يَرِثِي وَالِدَهُ: (من البسيط)

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالْوَادِي
مَاتَ الَّذِي تَرْهَبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ
هَانَتْ لِمَيْتَتِهِ الدُّنْيَا وَزَهَّدْنَا
هَلْ لِلْمَكَارِمِ مَنْ يُحْيِي مَنَاسِكَهَا
جَفَّ النَّذَى وَانْقَضَى عُمْرُ الْجَدَا وَسَرَى
فَلْتَمَرَحِ الْخَيْلُ لَهَا فِي مَقَاوِدِهَا
مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنٍّ سَابِعَةٍ
إِذَا تَلَفْتُ لَمْ أَلْمَحْ أَحَا ثِقَةٍ
فَالْعَيْنُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دَمْعِهَا وَزَرٌّ
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ أَصْرَتِي
بَلَغْتُ مِنْ فَضْلِ رَبِّي مَا غَنِيْتُ بِهِ
فَمَا مَدَدْتُ يَدِي إِلَّا لِمَنْحِ يَدٍ
تَبِعْتُ نَهْجَ أَبِي فَضْلًا وَمَحْمِيَّةَ
أَبِي وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ
مُهَذَّبُ النَّفْسِ غِرَاءُ شَمَائِلُهُ
قَدْ كَانَ لِي وَزَرًا أَوْيَ إِلَيْهِ إِذَا
لَا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ
تَرَاهُ ذَا أَهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ

طَاحَ الرَّدَى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي
وَيَتَّقِي بِأَسْهُ الضَّرْعَامَةِ الْعَادِي
فَرَطُ الْأَسَى بَعْدَهُ فِي الْمَاءِ وَالزَّادِ
أَمْ لِلضَّلَالَةِ بَعْدَ الْيَوْمِ مَنْ هَادِي
حُكْمُ الرَّدَى بَيْنَ أَزْوَاجٍ وَأَجْسَادِ
وَلْتَصُدَّ الْبَيْضُ مُلْقَاةً بِأَغْمَادِ
لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِي وَإِزْعَادِي
يَأْوِي إِلَيَّ وَلَا يَسْعَى لِإِنْجَادِي
وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حُزْنِهِ فَادِي
فَهَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي
عَنْ كُلِّ قَارٍ مِنَ الْأَمْلَاقِ أَوْ بَادِي
وَلَا سَعَتْ قَدَمِي إِلَّا لِإِسْعَادِ
حَتَّى بَرَعْتُ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْبَادِي
أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِعَادِ
بَعِيدُ شَأْوِ الْعُلَا طِلَاعُ أَنْجَادِ
غَاضَ الْمَعِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي
وَلَا يَهُمُّ بِأَمْرِ قَبْلٍ إِغْدَادِ
كَالَلَيْثِ مُزْتَقِبًا صَيْدًا بِمِرْصَادِ

وقال وهو بِسَرَنْدِيبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ: (من الطويل)

تَرَحَّلَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ بِالْوَجْدِ
سَقِيمًا تَظَلُّ الْعَائِدَاتُ حَوَانِيَا
فَبَاتَ سَقِيمًا لَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي
عَلَيْهِ بِإِشْفَاقٍ وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي

وَلَيْسَ بِهِ مَسٌّ سِوَى حُرْقِ الْوَجْدِ
 مِنَ اللَّهِ كَادَتْ نَفْسٌ حَامِلَهَا تُرْدِي
 بِمَنْ لَيْسَ يَغْنِيهِ بُكَائِي وَلَا سُهْدِي
 أَعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي
 يَرِيعُ لَصَوْتِي أَوْ يَرِقُّ لِمَا أُبْدِي
 كَمَا طَارَ مُنْبِثُ الشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ
 فَيَنْسِلُهَا مَا بَيْنَ غُورٍ إِلَى نَجْدِ
 مِنَ السَّيْرِ وَالْأَفَاقِ حَالِكَةُ الْبَرْدِ
 مِنَ الرُّقُطِ أَوْ فِي بُرْتُنِي أَسَدٍ وَرَدِ
 قَتِيرٌ مِنَ الْيَاقُوتِ يَلْمَعُ فِي سَرْدِ
 حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقِ صُلْدِ
 تَطْلُعُ نَحْوِي يَشْرِبُ مِنَ الْغَمْدِ
 وَأَبْطَأَ نَصْرِي عَلَى الشُّوقِ مِنْ فَنْدِ
 دُمُوعًا كُمُرْفُضَ الْجُمَانِ مِنَ الْعَقْدِ
 فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْثَلِمَ الْحَدِّ
 وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ مَا أَنَا بِالْجَلْدِ
 أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدِّ
 أُعْلِقُ فِي خَيْطٍ وَأُحْبَسُ فِي جِلْدِ
 وَدَعْنِي مِنَ الشُّكُوى فِدَاءَ الْهُوى يُعْدِي
 فَمِيلًا إِلَى الْمَقْيَاسِ إِنْ خَفْتُمَا فَقْدِي
 شِفَائِي مِنْ سُقْمِي وَبُرْئِي مِنْ وَجْدِي
 عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدِ
 مَعَ الدَّمْعِ حَتَّى لَا تَنْهَنَهُ بِالرَّدِّ
 بِأَفْنَائِهِ بَيْنَ الْأَرَاكِةِ وَالرَّنْدِ
 بِأَنْفَاسِهَا وَأَنْشَقَ فَجْرُكَ بِالْحَمْدِ
 خَضِيبَةُ كَفِّ الْبَرْقِ حَنَانَةُ الرَّعْدِ
 بِوَادِيهِ وَالْدُنْيَا تَغُرُّ بِمَا تُسْدِي

يَخْلُنَ بِهِ مَسًّا أَصَابَ فُؤَادَهُ
 بِهِ عِلَّةٌ إِنْ لَمْ تُصِبْهَا سَلَامَةٌ
 وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُوَلِّعُ
 أَبَيْتٍ عَلِيلًا فِي سَرَنْدِيبٍ سَاهِرًا
 أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى وَجْهَ صَاحِبِ
 وَمِمَّا شَجَّانِي بَارِقُ طَارَ مَوْهِنًا
 يُمَزِّقُ أَسْتَارَ الدُّجْنَةِ ضَوْءُهُ
 أَرَقْتُ لَهُ وَالشُّهْبُ حَيْرَى كَلِيلُهُ
 فَبِتُّ كَأَنِّي بَيْنَ أَنْيَابِ حَيَّةٍ
 أَقْلُبُ طَرْفِي وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا
 وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحَسَامِ مَنُوطُهُ
 إِذَا حَرَّكَتُهُ رَاحَتِي لِمَلِمَةٍ
 أَشَدُّ مَضَاءً مِنْ فُؤَادِي عَلَى الْعِدَا
 أَقُولُ لَهُ وَالْجَفْنُ يَكْسُو نَجَادَهُ
 لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً
 فَقَالَ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ سُورَةَ الْهُوى
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا شَقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ
 فَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّنِي وَاهِنُ الْقُوى
 فِدُونَكَ غَيْرِي فَاسْتَعِنُهُ عَلَى الْجُوى
 خَلِيلِي هَذَا الشُّوقُ لَا شَكَّ قَاتِلِي
 فَفِي ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي أَنْبَتَ الْهُوى
 مَلَاعِبُ لَهُوَ طَالَمَا سَرْتُ بَيْنَهَا
 إِذَا ذَكَرْتُهَا النَّفْسُ سَالَتْ مِنَ الْأَسَى
 فَيَا مَنْزِلًا رَقَرْتُ مَاءَ شَبِيبَتِي
 سَرْتُ سَحْرًا فَاسْتَقْبَلْتُكَ يَدُ الصَّبَا
 وَزَرَّ عَلَيْكَ الْأَفُقُ طَوْقَ غَمَامَةٍ
 فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً سَلَفْتُ لَنَا

جَدِيدٌ وَإِذْ لَمَيَاءُ صَافِيَةِ الْوُدِّ
وَلِلْغُصْنِ مَا دَارَتْ بِهِ عُقْدَةُ الْبُنْدِ
أَلَا مَا لِهَذَا الْغُرِّ يَتَّبِعُنِي قَصْدِي
بِأَنَّ الَّذِي أَخْفِيهِ غَيْرُ الَّذِي أَبْذِي
فَضَلَ وَعَادَ الْهَزْلُ فَيْكَ إِلَى الْجَدِّ
رُؤِيدًا فَهَذَا الْوَجْدُ آخِرُ مَا عِنْدِي
لَأْمُرِكَ فَاخْشَى حُرْمَةَ اللَّهِ وَالْمَجْدِ
وَأَلْقَى إِذَا أَشْرَفْتَ نَفْسَكَ لِلْوَهْدِ
تَقُولِينَ حَيَّا اللَّهُ عَهْدَكَ مِنْ عَهْدِ
وَلَا تَرْكَبُ الْأَهْوَالَ إِلَّا عَلَى عَمْدِ
بِنَفْسِي وَفِي الْإِقْدَامِ بِالنَّفْسِ مَا يُرْذِي
وَجَارَتْ حُلُومُ الْقَوْمِ عَنْ سَنَنِ الْقَصْدِ
وَإِنْ قُلْتُ لَبَّانِي الْوَلِيدُ مِنَ الْمَهْدِ
إِذَا أَنْشَدْتَ أَفْضَتْ لِذِكْرِ بَنِي سَعْدِ
وَالْطَفُ عِنْدَ النَّفْسِ مِنْ زَمَنِ الْوَرْدِ
أَسَاطِيرَ مَنْ قَبْلِي وَتَعْجِزُ مَنْ بَعْدِي
فِعَالِي وَغَيْرِي قَدْ يَنْبِرُ وَلَا يُسْدِي

إِذِ الْعَيْشُ رَيَّانُ الْأَمَالِيدِ وَالْهَوَى
مُنْعَمَةٌ لِلْبَدْرِ مَا فِي قِنَاعِهَا
سَبَبْتَنِي بَعَيْنَيْهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
وَلَمْ تَذِرْ ذَاتُ الْخَالِ وَالْحُبُّ فَاضِحُ
حَنَانِيكَ إِنَّ الرَّاْيَ حَارَ دَلِيلُهُ
فَلَا تَسْأَلِي مِنِّي الزِّيَادَةَ فِي الْهَوَى
وَهَانَا مُنْقَادًا كَمَا حَكَمَ الْهَوَى
فَلَوْ قُلْتُ قُمْ فَاصْعِدْ إِلَى رَأْسِ شَاهِقِ
لَأَلْقَيْتُهَا طَوْعًا لَعَلَّكَ بَعْدَهَا
سَجِيَّةً نَفْسٍ لَا تَخُونُ خَلِيلَهَا
وَإِنِّي لِمُقْدَامٌ عَلَى الْهَوْلِ وَالرَّدَى
وَإِنِّي لَقَوْلٌ إِذَا التَّبَسَّسَ الْهُدَى
فَإِنْ صُلْتُ فَدَانِي الْكَمِيُّ بِنَفْسِهِ
وَلِي كُلُّ مَلَسَاءِ الْمُتُونِ غَرِيبَةٍ
أَخَفَ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ نَعَمِ الْحَدَا
مُخَدَّرَةً تَمْحُو بِأَذْيَالِ حُسْنِهَا
كَذَلِكَ إِنِّي قَائِلٌ ثُمَّ فَاعِلٌ

وقال أيضًا وهو في سرنديب يتشوق إلى مصر: (من مجزوء البسيط)

أَمْ لَصَبَاحِ اللَّقَاءِ وَعَدُّ
غَذَاؤُهَا مَدْمَعُ وَسْهَدُ
يَزْثِي وَلَا سَامِعُ يَرُدُّ
مِنْ سُنْتَرَاتِ الْعَمَامِ بُرْدُ
وَكُلُّ نَائِي الدِّيَارِ فَرْدُ
بَيْنَ وَشِيحِ الرِّمَاحِ يَعْدُو
وَمَا لِحُكْمِ الْهَوَى مَرْدُ
مَتَى رِعَانُ الْعَقِيقِ تَبْدُو

هَلْ لِسَلَامِ الْعَلِيلِ رَدُّ
أَبِيتُ أَرْعَى الدُّجَى بَعَيْنُ
لَا صَاحِبُ إِنْ شَكَّوْتُ حَالِي
بَيْنَ قِنَانٍ عَلَى ثَرَاهَا
أَطْلُ فِيهَا أَنْوَحُ فَرْدًا
فَمَنْ لِقَلْبِي بِطَبِّي وَادِ
صَارَ بِحُكْمِ الْهَوَى مَلِكِي
يَا سَعْدُ قُلْ لِي فَأَنْتَ أَذْرَى

أَشْتَأَقُ نَجْدًا وَسَاكِنِيهِ
ذَابَ فُؤَادِي بِحُبِّ لَيْلَى
فَكَيْفَ أُمْسِي بِغَيْرِ قَلْبٍ
لِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ تَمَادَى
فَلَيْسَ قَبْلَ الْغَرَامِ قَبْلُ
فَهَلْ لِنَيْلِ الْوَصَالِ يَوْمًا
وَهَلْ أَرَانِي رَفِيقَ حَادٍ
عَسَى إِلَهِي يَفُكُّ أَسْرِي

وقال أيضًا: (من الخفيف)

أَنْسِيْمُ سَرَى بِنَفْحَةِ رَنْدٍ
أَطْرَبْتَنِي أَنْفَاسُهُ فَكَأَنِّي
وَأَخُو الْوَجْدِ لَا يَزَالُ طُرُوبًا
طَالَ شَوْقِي إِلَى الدِّيَارِ وَلَكِنْ
حَبْدًا النِّيلِ حِينَ يَجْرِي فَيُبْدِي
تَتَنَنَّى الْغُصُونُ فِي حَافَتَيْهِ
قَلَدَتْهَا يَدُ الْغَمَامِ عُقُودًا
كَيْفَ لَا تَهْتَفُ الْحَمَامُ عَلَيْهِ
هُوَ مَرَمَى نَبْلِي وَمَلْعَبُ خَيْلِي
كُلَّمَا صَوَّرْتُهُ نَفْسِي لِعَيْنِي
لِي بِهِ صَاحِبٌ عَلَيَّ عَزِيزُ
أَتَمَنَاهُ غَيْرَ أَنَّ فُؤَادِي
فَاهِدٌ مِنِّي لَهُ تَحِيَّةٌ صَدَقَ
أَنَا وَاللَّهِ مُغْرَمٌ بِهِوَاهُ
إِنَّ شَوْقِي إِلَيْهِ أَسْرَعُ شَاوًا
أَسْأَلُ الدَّهْرَ نِعْمَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ
لَوْ سَوَى الدَّهْرِ رَامَ غَيْبِي لِأُصْحَرَ
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الزَّمَانِ وَإِنْ كُنْتُ

أَمْ رَسُولُ أَدَى تَحِيَّةَ هِنْدٍ؟
مَلْتُ سُكْرًا مِنْ جُرْعَةٍ مِنْ بَرْنَدِي
يَتَّبَعُ الشَّوْقُ بَيْنَ سَهْلٍ وَفَنَدٍ
أَيْنَ مِنْ مِصْرَ مَنْ أَقَامَ بِكَنْدِي
رَوْنَقُ السَّيْفِ وَاهْتِرَازُ الْفِرْنَدِ
كَالْعَذَارَى يَسْحَبْنَ وَشَيَّ الْفِرْنَدِ
هِيَ أَبْهَى مِنْ كُلِّ عَقْدٍ وَبَنْدٍ
وَهِيَ تُسْقَى بِهِ سُلَافَةٌ قَنْدٍ
وَحَمَى أَسْرَتِي وَمَرْكَزُ بَنْدِي
قَدَحَ الشَّوْقُ فِي الْفُؤَادِ بَرْنَدٍ
مِثْلُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّوْقِ عِنْدِي
مِنْ إِسَارِ النَّوَى مُحَاطٌ بِجُنْدٍ
وَتَلَطَّفَ بِحَالَتِي يَا أَفْنَدِي
حَيْثُمَا دُرْتُ بَيْنَ هِنْدٍ وَسِنْدٍ
مِنْ سَلِيكَ وَالْوَصْلُ فِي بَطْنِ فَنَدٍ
وَهُوَ كَرٌّ بِنِعْمَةٍ لَيْسَ يُنْدِي
تُ مُشِيحًا بِالنَّضْلِ فَوْقَ سَمْنَدٍ
تُ أَفْلُ الْعِدَا بِقُوَّةِ رَنْدِي

وقال أيضاً: (من الطويل)

كَوَأكِبُهُ أَمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الْغَدُّ؟
طُوالَ اللَّيَالِي وَالْخَلِيقُونَ هُبْدُ
كَذَا النَّفْسُ تَهْوَى غَيْرَ مَا تَمْلِكُ الْيَدُ
نَزَتْ بَيْنَ قَلْبِي شُعْلَةٌ تَتَوَقَّدُ
يَطِيبُ وَلَا بَعْدَ الْجَزِيرَةِ مَعْهَدُ
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الدَّهْرِ يَشْقَى وَيَسْعَدُ
يُعْلِّلُنِي فِيهَا خُوَيْدِمٌ أَسْوَدُ

خَلِيلِي هَلْ طَالَ الدُّجَى أَمْ تَقَيَّدْتُ
أَبَيْتُ حَزِينًا فِي سَرَنَدِيبٍ سَاهِرًا
أُحَاوِلُ مَا لَا أَسْتَطِيعُ طِلَابَهُ
إِذَا خَطَرْتُ مِنْ نَحْوِ حُلُوانٍ نَسَمَةً
وَهَيْهَاتَ مَا بَعْدَ الشَّيْبَةِ مَوْسَمُ
شَبَابٍ وَإِخْوَانُ رَزْنَتْ وَدَادَهُمْ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بِغُرْبَةٍ

وقال في هوى له: (من الطويل)

فَمَنْ كَانَ بِالْمِقْيَاسِ أَقْرَبَكُمْ عَهْدًا
وَمُلْتَفُّ أَفْنَانٍ تَقِي الْحَرَ وَالْبَرْدَا
تَنْبِيرُ عَلَى مَتْنِ الْغَدِيرِ بِهِ بُرْدَا
مَسَائِلُ فِي الْأَرْقَامِ أَوْ تَلْعَبُ النُّرْدَا
وَأَسْدَى لَهَا مِنْ نِعْمَةِ النَّيْلِ مَا أَسْدَى
رَوَّاحٌ إِلَى حُسَانَةِ الْجِيدِ أَوْ مَغْدَى
نِظَامًا وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى نِي هَوَى حَقْدَا
وَتُمْسِي عَلَيْنَا طَيْرٌ أَنْجَمِهِ سَعْدَا
عِنَاقًا كَمَا لَفَّ الصَّبَا الْبَانَ وَالرَّنْدَا
كَمَا شَافَهُ الْبَازِي عَلَى ظَمَأٍ وَرْدَا
لِيَهْتِكَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ بِهِ عَمْدَا
تَسْوِقُ إِلَيْهَا عَنْ فَرَائِسِهَا الْأَسْدَا
تُدِيرُ عَلَيْنَا مِنْ جَنَى حَدِّهَا وَرْدَا
بِهِ عَبْرَتَاهَا وَالنَّوَى تَصْدَعُ الصَّلْدَا
وَأَمْضَى الظُّبَا فِي الْفَتَكِ مَا سَالَ إِفْرِنْدَا
عَلَى بَيْنِهَا وَالْقَلْبُ إِنْ لَمْ يَذُبْ وَقْدَا

أَرَى نَفْحَةً ذَلَّتْ عَلَى كَبِدِي الْوَجْدَا
مَلَاعِبُ آرَامٍ وَمَجَرَى جَدَاوِلِ
إِذَا انْبَعَثَتْ فِيهِ النِّسَائِمُ خِلَتْهَا
كَأَنَّ الصَّبَا تَلْقَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَتْ
أَقَامَ الرَّبِيعُ الطَّلُقَ فِي حَجَرَاتِهَا
فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ صَبُوءَةٍ كَانَ لِي بِهَا
إِنَّ الدَّهْرَ لَمْ يُخْفِرْ زِمَامًا وَلَمْ يَخُنْ
تَدَوُّرُ عَلَيْنَا بِالْأَحَاطِي شُمُوسُهُ
وَيَا رَبُّ لَيْلٍ لَفْنَا بِرِدَائِهِ
وَلَنْتُمْ نَوَالِي إِنْثَرِ لَنْتُمْ بِتَغْرِهَا
فَتَاةٌ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ لِحَظَهَا
لَهَا عِبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ
إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَاسِ خِلَتْ بَنَانُهَا
وَمَا أَنْسَهُ لَا أَنْسَ يَوْمًا تَسَابَقْتُ
فَلَمْ أَرَ لِحَظًا كَانَ أَقْتَلَ بَاكِيًا
حَرَامٌ عَلَى الْعَيْنَيْنِ إِنْ لَمْ تَسِلْ دَمًا

فَيَا قَلْبُ مَا أَشْجَى إِذَا الدَّارُ بَاعَدَتْ
وَيَا صَاحِبِي الْمَذْخُورَ لِلْسَّرِّ إِنَّنِي
حَلَفْتُ بِمَا اسْتَوَلَى عَلَيْهِ نِقَابُهَا
بِأَلَا تَفِيءَ الْعَيْنُ عَنْ سُنَّةِ الْبُكَى
وَكَيْفَ يُفِيقُ الْقَلْبُ مِنْ سُورَةِ الْهَوَى
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْعَدْلُ أَبْدِي خَفِيَّةً
وَمَنْ لِي بِأَنَّ الْقَلْبَ يَكْتُمُ وَجْدَهُ
فَلَا وَضَلَ إِلَّا ذُكْرُهُ تَبَعْتُ الْأَسَى
أَبَيْتُ قَرِيحَ الْجَفْنِ لَا أَعْرِفُ الْكَرَى
فَيَأْيُهَا النُّوَامُ وَالشَّوْقُ عَازِرُ
لَقَدْ ذَلَّ مَنْ يَبْغِي مِنَ النَّاسِ نَاصِرًا
فَيَأْيَاكَ أَنْ تُخَدَعَ بِشِيْمَةِ صَاحِبٍ
فَقَدْ طَالَمَا جَرَّبْتُ خِلًا فَمَا رَعَى
وَمَا النَّاسُ إِلَّا طَالِبٌ غَيْرُ وَاجِدٍ
فَلَا تَحَسَبَنَّ النَّاسَ أَبْنَاءَ شِيْمَةٍ

وَقَالَ: (من الرجز)

وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا بَيْنُ مَا أَرْدَى
ضَلَلْتُ فَهَلْ مِنْ وَثِيَّةٍ تُكْسِبُ الْحَمْدَا
وَيَا لَكَ حَلْفًا مَا أَرَقَّ وَمَا أُنْدَى
وَأَلَا تَرِيحُ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَمُتْ وَجَدَا
وَقَدْ مَدَّهُ سِحْرُ الْعُيُونِ بِمَا مَدَا
وَلَكِنْ تَوَالِي الْقَدَحُ يَسْتَرْعِفُ الزُّنْدَا
وَكَيْفَ تُسَامُ النَّارُ أَنْ تَكْتُمَ النَّدَا
عَلَى النَّفْسِ حَتَّى لَا تُطِيقَ لَهُ رَدَا
طَوَالَ اللَّيَالِي وَالْجَوَانِحِ لَا تَهْدَا
إِلَّا أَحَدٌ يَشْرِي بِغَفْوَتِهِ السُّهْدَا
وَقَدْ حَابَ مَنْ يَجْنِي مِنَ الْأَرْقَمِ الشَّهْدَا
فَمَنْ ظَنَّ خَيْرًا بِالزَّمَانِ فَقَدْ أَكْدَى
وَحَلْفًا فَمَا أَوْفَى وَعَوْنًا فَمَا أَجْدَى
لِمَا يَبْتَغِي أَوْ وَاجِدٌ أَخْطَأَ الْقَصْدَا
فَمَا كُلُّ مَمْدُودٍ الْخُطَا بَطَلًا جَعْدَا

وَصَاحِبِ رَعَيْتُ دَهْرًا وَدَّهْ
وَكُنْتُ أَرْعَى بِالْمَغِيبِ عَهْدَهُ
وَطَالَمَا أَرْغَمْتُ فِيهِ ضِدَّهُ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَى زَنْدَهُ
وَجَارَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ حَدَّهُ
وَلَمْ أَكْذُرْ بِالْعِتَابِ وَرَدَّهُ
لَقُلْتُ فِيهِ مَا يَحْزُ جِلْدَهُ
شَأْنُ امْرِئٍ فِي الْمَجْدِ يَرْعَى مَجْدَهُ
وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَعَدَّهُ

ودعا لعبادة الخالق والنظر إلى أسرار الحياة والتمتع بها فقال: (من السريع):

وَأَلْهَمَ الْقَمْرِيَّ حَتَّى شَدَا
وَصَوَّرَ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَا
حَتَّى بَدَا مِنْ صُنْعِهِ مَا بَدَا
وَقَامَ فِي لَاهُوتِهِ أَوْحَدَا
رَبًّا كَرِيمًا وَمَلِيكًا هَدَى
وَنَسَّالَ اللَّهَ عَمِيمَ النَّدَى
وَكَيْفَ ضَلَّ النُّجْمُ حَتَّى اهْتَدَى
كَصَارِمٍ فِي قَسْطِلٍ جُرَّدَا
وَالْأَرْضُ قَدْ أَنْجَزَتْ الْمَوْعِدَا
وَجَدُولٌ مَدَّ إِلَيْنَا يَدَا
وَأَمْرٌ وَطَبٌّ وَاشْرَبَ لِتَرْوِي الصَّدى
مِيقَاتُهُ وَانْظُرْ إِلَى الْمُبْتَدَا
فَقَلَمًا تَلْقَى فَتَى أَمْجَدَا
أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا
وَلَا تُطِيعُ مَنْ لَمْ أَوْ فَنَدَا
كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ حِسَابِ غَدَا
وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِلرَّدى
وَاعْطِفْ عَلَى الْأَدْنَى تَكُنْ سَيِّدَا
إِنْ هَجَرَ الرَّاحَةَ حَارَ الْمَدَى
لِيَرْتَعُوا بَيْنَ الْبَوَادِي سُدَى
فَلَيْسَ مَنْ أَعْوَى كَمَنْ أَرْشَدَا
وَمَسْمَعٌ يُطْرِبُنِي مَنْ شَدَا
وَأَهْبِطُ الْأَرْضَ عَلَيْهَا النَّدَى
أُصْدِعُ إِلَّا الْبَطْلَ الْأَصِيدَا
لَكِنَّهُ يَمْضِي إِذَا سُدِّدَا
وَلَمْ يَزَلْ فِي جَفْنِهِ مُغَمَّدَا

مَنْ قَلَدَ الزَّهْرَ جُمَانَ النَّدى
وَزَيْنَ الْأَرْضَ بِأَلْوَانِهَا
سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ فِي مُلْكِهِ
تَنْزَهَتْ عَنْ صِفَةٍ ذَاتُهُ
فَاسْجُدْ لَهُ وَأَقْصِدْ حِمَاهُ تَجِدْ
فَقُمْ بِنَا يَا صَاحِ نَزْعِ النَّدى
أَمَا تَرَى كَيْفَ اسْتَحَارَ الدُّجَى
وَلَاخَ خَيْطُ الْفَجْرِ فِي سُحْرَةٍ
فَالْجَوْ قَدْ بَاحَ بِمَكْنُونِهِ
عَمَامَةٌ أَلْقَتْ بِأَفْلَازِهَا
فَانْهَضْ وَسِرْ وَانْظُرْ وَمِلْ وَابْتَهِجْ
وَلَا تَسْلُ عَنْ خَبَرٍ لَمْ يَجِنْ
وَلَا تَلُمْ خِلاَ عَلَى هَفْوَةٍ
لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ
فَدَعُ بَنِي الدُّنْيَا لِأَهْوَائِهِمْ
مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ
هَلْ هِيَ إِلَّا مُدَّةٌ تَنْقُضِي
فَاسْتَعْمِلِ الرَّفْقَ تَعِشْ رَاشِدَا
وَاسْعَ لِمَا أَنْتَ لَهُ فَالْفَتَى
مَا خَلَقَ اللَّهُ الْوَرَى بَاطِلَا
فَاقْبَلْ وَصَاتِي وَاسْتَمِعْ حِكْمَتِي
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَحَا صَبْوَةٍ
فَقَدْ أَزُورُ اللَّيْثَ فِي غَابِهِ
وَأُصْدِعُ الْخَصَمَ وَمَا خِلْتَنِي
بِلَهْذِهِ لَيْسَتْ لَهُ صَعْدَةٌ
أَوْ صَارِمٍ يَفْرِي نِيَاطِ الْكُلَى

لَا يَعْرِفُ الصَّيْقَلَ وَالْمِبْرَدَا
إِلَى أَمْرِي غَيْرُ يَدٍ أَقْصَدَا
يَشُوقُ إِنْ هَيْنَمَ أَوْ غَرَّدَا
فِيهِ وَبَابًا دُونَهُ مُؤْصَدَا
يَوْمَ نِضَالِ صَدَعِ الْجَلَمَدَا
يَجُولُ فِي مَسْكَنِهِ سَرْمَدَا
وَيَعْرِفُ الْأَصْلَحَ وَالْأَفْسَدَا
تَنْقُلُ عَنْهُ نَبْرَاتِ الصَّدَى
إِنْ أَصْدَرَ الْقَوْلَ بِهَا أَوْرَدَا
تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي جَوَّدَا
فِي رَصْفٍ مِنْ لَوْلُو نُضْدَا
مَا أَبْرَقَ الْحَاسِدُ أَوْ أَرْعَدَا

مَاضِي الْغِرَارَيْنِ وَلَكِنَّهُ
أَوْ مَشْقَصٍ إِنْ فَوَّقَتْ نَضْلُهُ
أَوْ طَائِرٍ فِي وَكْرِهِ جَائِمٍ
لَمْ يَعْدُ كِنًّا لَمْ يَزَلْ سَاكِئًا
قَدْ لَانَ إِلَّا أَنَّهُ إِنْ قَسَا
مُعْتَقِلٌ لَكِنَّهُ مُطْلَقٌ
يَحْكُمُ بِالدُّوقِ عَلَى مَا يَرَى
لَهُ صَحَابٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
فَهُوَ بِهَا مُجْتَمِعٌ شَمْلُهُ
مُشْتَبِهَاتِ الرِّصْفِ فِي جَوْدَةٍ
يَبِيتُ مِنْهَا وَهُوَ ذُو مِرَّةٍ
ذَلِكَ لِسَانِي وَهُوَ حَسْبِي إِذَا

وقال في الغزل: (من الخفيف)

أَوَلَمْ يَكْفِ أَنَّهُ ذَابَ وَجَدًا؟
تَرَكْتَنِي فِي عَالَمِ الْحُبِّ فَرْدًا
وَدُمُوعِي مِنْ صَفْحَةِ الْغَيْمِ أُنْدَى
بَعْضُ مَا خَفَّ مِنْ سَلَامٍ فَأَدَى
لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذَكُّرُوا لِي نَجْدَا
لِأَخِي صَبُوءَ ذِمَامًا وَعَهْدَا
فَاقِ مِسْكًَا وَعَطَّرَ الْجَوَّ نَدَا
فَهُوَ حَسْبِي وَأَيُّ مَاءٍ كَصَدَا
رُبَّمَا اسْتَوْجَبْتَ ثَنَاءً وَحَمْدَا
شُعْلَةً شَفَّتِ الْجَوَانِحَ وَقَدَا
عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَصْمَى وَأَزْدَى
وَنَصِيرِي إِذَا خَصِيمٌ تَصَدَّى
بِحُقُوقِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ تَعَدَّى

مَا لِقَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ لَيْسَ يَهْدَا
وَسَمْتَنِي بِنَارِهَا الْغَيْدُ حَتَّى
فَضْلُوعِي مِنْ قَدْحَةِ الزُّنْدِ أَوْرَى
مَا عَلَى الْبَرْقِ لَوْ تَحَمَّلَ عَنِّي
أَيُّهَا السَّاهِرُونَ حَوْلَ وَسَادِي
وَعُھُودًا لَمْ يَتْرَكَ الدَّهْرُ مِنْهَا
وَنَسِيمًا إِذَا سَرَى ضَوْعُ الْآ
لَا تَخَوُّصُوا فِي غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ
هِيَ أَحْدَوْنَةُ نَسَاقٍ وَلَكِنْ
أَهْ مِنْ لَوْعَةٍ أَطَارَتْ بِقَلْبِي
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غِرَامِي
يَا رَفِيقِي إِذَا عَرَانِي خَطْبُ
أَصْبَحْتَ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَخُذْ لِي

وَرَأَى النَّفْسَ طَوْعُهُ فَاسْتَبَدَّ
حَمَةً عَجْزًا سَطَا عَلَيْهَا وَشَدَّ
تَيْتَ حُكْمًا أَوْ قُلْ لِقَلْبِي يَهْدَا
إِنَّ خَيْرَ الصَّحَابِ أَنْفَعُ وَدَا
هَجَرَ يُخَيِّ وَضَلَا وَيَقْتُلُ صَدَا
وَلِحَاطٍ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدَا
هَ فَالَى بِالسَّحَرِ أَلَا يَرَدَا
أَنْ دَعْتَنِي لَهُ الْمَحَبَّةُ عَبْدَا
بِيدِ السَّحَرِ جُلَنَارًا وَوَرَدَا
دُ جَنِيًّا مَا الْغُصْنُ إِذْ يَتَهَدَّى
ظَا وَأَنْدَى حَدَا وَالْأَيْنُ قَدَا
لَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْعَوَازِلِ رُشْدَا
أَنَا أَدْرَى بِلَوْعَتِي مِنْكَ جِدَا
سْتُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَاثِرِ جَلْدَا
أَوْ تَكُنْ ضَلَّةً فَرَبِّي أَهْدَى

وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِيًا فَاحْتَوَاهُ
وَكَذَاكَ السُّلْطَانُ إِنْ ظَنَّ بِالْأَمِّ
فَأَقْلَبْنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحُبِّ إِنْ أَوْ
فَمِنْ الْعَارِ غَضُّ طَرْفِكَ عَنِّي
وَيَنْفَسِي حُلُو الشَّمَائِلِ مُرُّ الـ
دُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمَحِ لِينًا
كَانَ قَلْبِي وَدِيعَةً عِنْدَ عَيْنَيْ
مَا عَلَى قَوْمِهِ وَإِنْ كُنْتُ حُرًّا
غُصْنُ بَانَ قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنُ فِيهِ
مَا هِلَالَ السَّمَاءِ مَا الظُّبْيُ مَا الْوَرُ
هُوَ أَبْهَى وَجْهًا وَأَقْتُلُ أَلْحَا
فَدَعَ اللَّوْمُ يَا عَذُولُ فَإِنِّي
لَا تَخْلِنِي عَلَى غِرَاتِكَ سَهْلًا
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ وَإِنْ كُنْ
إِنْ تَكُنْ رَحْمَةً فَنَفْسِي أَوْلَى

وقال: (من الطويل)

لَأَدْعَى لِشَوْقِي أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
وَعَيْنَايَ فِي بَرْحٍ مِنَ الدَّمْعِ وَالشُّهْدِ
وَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى لَنَا الشَّيْبَ لَمْ يُهْدِ
مَسَحَتْ بِهَا عَنْ نَاطِرِي سِنَةَ الْفَهْدِ
وَتَبًّا لِخَلٍّ لَا يَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ
رَأَى أَنْ سُمَّ الْمَوْتِ فِي ذَلِكَ الشَّهْدِ
سَوَى مُهْلَةٍ فَالْخُدَّ أَشْبَهُ بِالْمُهْدِ
فَمَنْ بَاتَ فِي نَجْدٍ كَمَنْ بَاتَ فِي وَهْدِ
فَسَيَّانَ رَبِّ الْعِيرِ وَالْفَرَسِ النَّهْدِ
لَمَّا عَفَّ عَنِ طَيْبِ النَّعِيمِ أَخُو زُهْدِ

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنَّهُ
تَبَيْتُ عُيُونُ بِالْكَرَى مُطْمَئِنَّةً
فَلَيْتَ الَّذِي حَارَ الشَّيْبَةَ رَدَّهَا
كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً
فَسُخِّقًا لِذَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
وَكَيْفَ يَلْذُ الْمَرْءُ بِالْعَيْشِ بَعْدَمَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَضِدَّهَا
وَلِلْمَوْتِ أَسْبَابُ يَنَالُ بِهَا الْفَتَى
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ لَاقٍ جَمَامَهُ
وَلَوْلَا ارْتِيَاعُ النَّفْسِ مِنْ صَوْلَةِ الرَّدَى

فَدَعُ مَا مَضَى وَاصْبِرْ عَلَى جُحْمَةِ الْقَضَا
فَلَيْسَ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا فَاتَ بِالْجُهْدِ
وَلَا تَلْتَمِسُ مِنْ غَيْرِ مَوْلَاكَ هَادِيَا
إِذَا اللَّهُ لَمْ يَهْدِ الْعِبَادَ فَمَنْ يَهْدِي

وقال معتذراً إلى الأمير «شكيب أرسلان»: (من البسيط)

أَدَّى الرِّسَالَةَ يَا عُصْفُورَةَ الْوَادِي
تَرْقُبِي سِنَةَ الْحُرَّاسِ وَأَنْطَلِقِي
لَعَلَّ نِعْمَةً وَدَّ مِنْكَ شَائِقَةً
هُوَ الْهُمَامُ الَّذِي أَحْيَا بِمَنْطِقِهِ
تَلْقِي بِهِ أَحْنَفَ الْأَخْلَاقِ مُنْتَدِيَا
أَخِي وَذَاذَا وَحَسْبِي أَنَّهُ نَسَبُ
أَفَادَنِي أَدْبًا مِنْ مَنْطِقٍ شَهَدَتْ
عَذَبَ الشَّرِيعَةِ لَوْ أَنَّ السَّحَابَ هَمَى
سَرَتْ بِقَلْبِي مِنْهُ نَشْوَةٌ مَلَكَتْ
يَا بَنَ الْكَرَامِ عَدَنِي عَنْكَ عَادِيَّةٌ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ فَلَوْلَا مَا بِهِ لَجَرَى
وَهَاكُهَا تُحَفَّةٌ مِنِّي وَإِنْ صَغُرَتْ

وَبَاكِرِي الْحَيِّ مِنْ قَوْلِي بِإِنْشَادِ
بَيْنَ الْخَمَائِلِ مِنْ لُبْنَانَ وَارْتَادِي
تَهْزُ عَطْفَ شَكِيبِ كَوْكَبِ النَّادِي
آثَارَ قَوْمٍ أَجَادُوا النُّطْقَ بِالضَّادِ
وَفِي الْكَرِيهِةِ عَمْرًا وَابْنَ شَدَادِ
خَالِي الصَّحِيفَةِ مِنْ غِلٍّ وَأَحْقَادِ
بِفَضْلِهِ النَّاسُ مِنْ قَارٍ وَمِنْ بَادِي
بِمَثَلِهِ لَمْ يَدَعْ فِي الْأَرْضِ مِنْ صَادِي
بِحُسْنِهَا مَسْمَعِي عَنْ نِعْمَةِ الشَّادِي
كَادَتْ تَسُدُّ عَلَى عَيْنِي بِأَسْدَادِ
فِي حَلَبَةِ الشُّكْرِ جَرَى السَّابِقِ الْعَادِي
فَالدُّرُّ وَهُوَ صَغِيرٌ حَلِيٌّ أَجْيَادِ

وقال في رسالة إلى صاحب جريدة النحلة: (من الوافر)

أَلَا يَا نَحْلَةَ سَرَحَتْ فَحَارَتْ
تَلَقَّتْهَا النِّجَادُ بِمَا أَسْرَتْ
سَعَتْ جَهْدًا فَنَالَتْ مَا تَمَنَّتْ
فَلَا عَجَبُ إِذَا جَاءَتْ بِخَيْرِ
وَكَيْفَ وَرَبُّهَا شَهْمٌ ذَكِيٌّ
تَجَافَى النَّوْمَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
فَأَصْبَحَ وَدَّهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ
سُلَالَةَ مَا تَوَلَّتْهُ الْعِهَادُ
ضَمَائِرُهَا وَحَيَّتْهَا الْوِهَادُ
كَذَاكَ الدَّهْرُ سَعَى وَاجْتِهَادُ
فَلَوْلَا النَّحْلُ مَا كَانَ الشَّهَادُ
لَهُ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ جِهَادُ
وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا السُّهَادُ
نَزِيلًا وَالْقُلُوبُ لَهُ مِهَادُ

وَقَالَ مُفْتَخِرًا: (من مجزوء الكامل)

أَنَا مَصْدَرُ الْكَلِمِ النَّوَادِي
أَنَا فَارِسُ أَنَا شَاعِرُ
فَإِذَا رَكِبْتُ فَإِنِّي
وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي
هَذَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي
بَيْنَ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي
فِي كُلِّ مَلَحَمَةٍ وَنَادِي
زَيْدُ الْفَوَارِسِ فِي الْجِلَادِ
فُسُّ بْنُ سَاعِدَةِ الْإِيَادِي
فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ نَادٍ

وَقَالَ: (من الكامل)

وَمُنَادِمِ غَرِيدِ الْحَدِيثِ كَأَنَّمَا
تُغْنِي الْإِشَارَةَ مِنْهُ عَنْ تَصْرِيجِهِ
سَحَرَ الْعُقُولَ بَيَانُهُ فَكَأَنَّهُ
أَلْفَاظُهُ فِي السَّمْعِ نَعْمَةٌ عُودٍ
وَتَدُلُّ لَفْظَتُهُ عَلَى الْمَقْصُودِ
يَسْقِي الْجَلِيسَ سُلَافَةَ الْعُنُقُودِ

وَقَالَ: (من الرجز)

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدٌ
كُلُّ مَسُوقٍ لِمَا أُرِيدَ بِهِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطَّبَاعِ مُخْتَلَفٌ
وَلَوْ تَسَاوَى الرَّجَالُ فِي خُلُقٍ
وَالنَّاسُ شَتَّى وَإِنْ هُمْ اجْتَمَعُوا
فَزَائِعٌ فِي الضَّلَالِ مِنْهُمْ
وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ الـ
لِكُلِّ عَصْرٍ مِنْ كِبَرَةٍ وَصَبَا
فَاسْعَ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّئِدٍ
لَوْ لَا سَرَى الْبَدْرُ مَا اسْتَنَارَ وَلَا
وَلَا يَهْمُنُكَ لَوْمٌ ذِي حَسَدٍ
لَوْ حَذَرَ الْمَرْءُ كُلَّ لَائِمَةٍ
وَلَوْ أَصَحْنَا لِكُلِّ مُنْتَقِدٍ

أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدٌ؟
فَفِيمَ هَذَا الْخِصَامِ وَاللَّدَدُ
مَا شَدَّ عَنْ طَبْعِ وَالِدٍ وَلَدُ
لَزَالَ هَذَا الْخِلَافُ وَالْحَرَدُ
فِي وَاحِدٍ لَيْسَ قَبْلَهُ أَحَدُ
وَنَاسِكَ فِي الصَّلَاحِ مُجْتَهِدُ
لَهُوَ وَأَثَابُ عُمْرِهِ جُدُدُ
شَوْطٌ لَهُ بَعْدَ مَهْلَةٍ أَمَدُ
فَلَنْ يَحُوزَ الْكَمَالَ مُتَّئِدُ
أَذْرَكَ شَأْوُ الْخِطَارِ مُنْجَرِدُ
فَشَانُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الْحَسَدُ
لَضَاعَ مِنْهُ الصَّوَابُ وَالرَّشْدُ
فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الدَّهْرِ مُنْتَقَدُ

وَالْهُ بِمَا شِئْتُ قَبْلَ مَنَدَمَةٍ
فَلَيْسَ بَعْدَ الشَّبَابِ مُقْتَرَحُ
يَكْثُرُ فِيهَا الْعَنَاءُ وَالْكَمَدُ
وَلَا وَرَاءَ الْمَشِيبِ مُفْتَقَدُ

وقال: (من البسيط)

جَاوَزْتَ فِي اللَّوْمِ حَدَّ الْقَصْدِ فَاتَّيَدَ
دَعْنِي مِنَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا فُطِنًا
إِنِّي لَأَرْضَى بِمَا فِي الْحُبِّ مِنْ أَلَمٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ
إِنْ كُنْتَ ذَا إِمْرَةٍ فَانْهِ الصَّبَابَةَ عَنْ
أَوْ لَا فَدَعْنِي وَلَا تَعْنُفْ عَلَيَّ فَمَا
إِنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا
أَغْضَبْتُ فِي حُبِّهَا أَهْلِي فَمَا بَرَحُوا
قَالُوا تَعْلُقُ بِأُخْرَى كَيْ تَذُودَ بِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبْغِي بِهَا بَدَلًا
فَلَسْتُ أَشْفَقَ مِنْ نَفْسِي عَلَى كِبْدِي
فَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ فَنَدٍ
عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْتَبْ عَلَى أَحَدٍ
قَلْبِي لِتَغْنَمَ شُكْرِي آخِرَ الْأَبَدِ
أَمْرِي إِلَيَّ وَلَا حُكْمَ الْهَوَى بِيَدِي
أَخَفْتُ عَلَيَّ سَبِيلَ الْحَزْمِ وَالسَّدَدِ
إِلْبَا عَلَيَّ وَكَانُوا لِي مِنَ الْعُدَدِ
بَرَحَ الْأَسَى عَنْ فُؤَادٍ دَائِمِ الْكَمَدِ
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِنِ فِي جَسَدِ

وقال: (من الوافر)

قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوَدَادِ
إِذَا كَانَ التَّغْيِيرُ فِي اللَّيَالِي
وَمَنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْبًا نَقِيًّا
فَلَا تَبْذُلْ هَوَاكَ إِلَى خَلِيلٍ
وَكُنْ مُتَوَسِّطًا فِي كُلِّ حَالٍ
مُدَارَاةَ الرِّجَالِ أَخْفُ وَطْنًا
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوبًا إِذَا مَا
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى عَجْزٍ وَجَرِصٍ
فَلَوْلَا الْعَجْزُ مَا كَانَ التَّصَافِي
وَمَا عَقَدَ الرِّجَالُ الْوُدَّ إِلَّا
فَلَا تَخْفَلُ بِقُرْبٍ أَوْ بَعَادٍ
فَكَيْفَ يَدُومُ وَدٌّ فِي فُؤَادٍ
وَلَمَّا يَخْلُ قَلْبٌ مِنْ سَوَادٍ
تَطُنُّ بِهِ الْوَفَاءُ وَلَا تُعَادِ
لِتَأْمَنَ مَا تَخَافُ مِنَ الْعِنَادِ
عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَرْبِ الْفَسَادِ
نَحَا فِي سَيْرِهِ قَصْدَ السَّدَادِ
هُمَا أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فِي الْعِبَادِ
وَلَوْلَا الْجَرِصُ مَا كَانَ التَّعَادِي
لِنَفْعٍ أَوْ لِمَنْعٍ مِنَ تَعَادِي

وَمَا كَانَ الْعِدَاءُ يَخِفُّ لَوْلَا
فَيَا بْنَ أَبِي وَلَسْتُ بِهِ وَلَكِنْ
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى أَثَرًا فَإِنِّي
حَيَاةَ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا خَيَالٌ
فَطُوبَى لِمَرْيٍّ غَلَبَتْ هَوَاهُ
أَذَى السُّلْطَانِ أَوْ خَوْفُ الْمَعَادِ
كِلَانَا زَرْعُ أَرْضٍ لِلْحَصَادِ
أَرَى الْآثَارَ تَذْهَبُ كَالرَّمَادِ
وَعَاقِبَةُ الْأُمُورِ إِلَى نَفَادِ
بَصِيرَتُهُ فَبَاتَ عَلَى رَشَادِ

وقال: (من الطويل)

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ
فَإِنْ قَالَ حَقًّا كَذَّبُوهُ وَإِنْ أَبِي
فَحُجَّتْهُ مَطْلُوءَةٌ وَهِيَ حَقَّةٌ
فَحَافِظَ عَلَى مَا نِلْتَ بِالسَّعْيِ مِنْ غِنًى
ذَوُو قُرْبِهِ وَاسْتَهْجَنَتْهُ الْأَبَاعِدُ
مُجَارَاتِهِمْ فِي الْغِيِّ قَالُوا مُعَانِدُ
وَمَنْطِقُهُ مُسْتَكْرَهُ وَهُوَ قَاصِدُ
فَبِالْمَالِ لَا بِالْفَضْلِ تَعْنُو الْمَقَاصِدُ

وَقَالَ فِي الْحَضِّ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ: (من الكامل)

عَوْدٌ فَوَإِذَاكَ أَنْ يَكُونَ مَجَنَّةً
السِّرُّ عَبْدُكَ مَا اسْتَطَعْتَ حِفَاطَهُ
لِلسِّرِّ فَهُوَ لَدَى الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
فَإِذَا أَفْضَتْ بِهِ فَإِنَّكَ عَبْدُهُ

وَقَالَ يَذُمُّ رَجُلًا: (من السريع)

وَصَاحِبٍ لَا كَانَ مِنْ صَاحِبٍ
أَقْبَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَصَلَةٍ
لَوْ أَنَّهُ صَوَّرَ مِنْ طَبْعِهِ
يَصْلُحُ لِلصَّفْعِ لِكَيْلَا يُرَى
يَغْلِبُهُ الضَّعْفُ وَلَكِنَّهُ
يُرَاقِبُ الصَّحْنَ عَلَى غَفْلَةٍ
كَأَنَّمَا أَظْفُورُهُ مِنْجَلٌ
كَأَنَّمَا الْبُطَّةُ فِي حَلْقِهِ
تَسْمَعُ لِلْبُلْعِ نَقِيقًا كَمَا
أَخْلَقَهُ كَالْمِعْدَةِ الْفَاسِدَةِ
أَحْسَنُ مَا فِي نَفْسِهِ الْجَامِدَةِ
كَانَ لِعَمْرِي عَقْرَبًا رَاصِدَهُ
فِي عَدَدِ النَّاسِ بِلَا فَائِدَةٍ
يَهْدِمُ فِي قَعْدَتِهِ الْمَائِدَةَ
مَنْ أَهْلِهِ كَالْهَرَّةِ الصَّائِدَةِ
وَبَيْنَ فَكْيِهِ رَحَى رَاعِدَةٍ
نِعَامَةٌ فِي سَبَسِبِ شَارِدَةٍ
نَقَّتْ ضَفَادِي لَيْلَةٍ رَاكِدَةٍ

كَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ حَرَجَفُ
وَيُلْمُهُ إِذْ مَخَضَتْ هَلْ دَرَتْ
تَبًّا لَهَا شَنْعَاءَ جَاءَتْ بِهِ
لَا رَحْمَةَ لِلَّهِ عَلَى وَالِدِ
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ لَطَى وَاقْدَهُ
أَنَّ الرَّدَى فِي بَطْنِهَا الْعَاقِدَهُ
مِنْ لَقْحَةٍ فِي فَقْحَةٍ كَاسِدَهُ
غَمٌّ بِهِ الدُّنْيَا وَلَا وَالِدَهُ

وقال هاجيًا: (من البسيط)

وَشَامِخٍ فِي ذُرَا شَمَاءَ بَاذِخَةٍ
يَعُودُهُ النَّاسُ إِنْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ
لَا يَهْدُ الدَّهْرُ مِنْ ظُلْمٍ يُحَاوِلُهُ
يَسْطُو بِهِذَا وَيَرْمِي ذَاكَ عَنْ عُرْضِ
أَبَادَهُ الدَّهْرُ رَغْمًا بَيْنَ أُسْرَتِهِ
فَاعْرِفْ إِلَهَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَبِيتَ عَلَى
لَا يَعْرِفُ الصِّدْقَ إِنْ وَالَى وَإِنْ عَادَى
وَلَا يَعُودُ مِنَ الْإِشْفَاقِ مَنْ عَادَا
فَإِنْ قَضَى وَطَرًا مِنْ غَدْرِ عَادَا
كَطَارِدٍ يَقْتَفِي صَيْدِينَ إِذْ عَادَى
كَمَا أَبَادَ بِرِيحٍ صَرَصِرٍ عَادَا
وَزَرَ وَلَا تَتَّخِذْ ظِلْمَ الْوَرَى عَادَا

وقال: (من السريع)

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي مُلْكِهِ
اصْنَعْ بِنَا مَا شِئْتَ مِنْ قَسْوَةٍ
أَغْرَكَ الْمُلْكُ الَّذِي يَنْفَدُ
فَالِلُهُ عَدْلٌ وَالتَّلَاقِي عُدُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ: (من المنسرح)

يَا مَنْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ خَاشِعَةٌ
مَدَدْتُ كَفِّي إِلَيْكَ مُبْتَهَلًا
وَمَنْ عَلَيْهِ فِي الْكُؤْنِ مُعْتَمِدِي
وَأَنْتَ حَسْبِي فَلَا تَرُدُّ يَدِي

وقال في الزُّهْدِ: (من مجزوء الكامل)

لَا عَيْشَ إِلَّا لِلنَّفَادِ
وَابْخُلْ بِنَفْسِكَ أَوْ فَجُدْ
أَيِّنَ الْأَلَى شَقُّوا الْبُحُو
فَاحْبِبْ حَيَاتَكَ أَوْ فَعَادِ
كُلُّ الْأُمُورِ إِلَى فَسَادِ
رَ وَشَيْدُوا ذَاتَ الْعِمَادِ

مَلَكُوا التَّهَائِمَ وَالنَّجَا
بَلْ أَيْنَ أَصْحَابُ الْوُفُو
الطَّاعِمُونَ الطَّاعِنُو
الْكَاشِفُونَ الضَّرَّ وَالْ
بَلْ أَيْنَ صُنَاعُ الْقَرِيبِ
كَالشَّاعِرِ الضَّلِيلِ أَوْ
لَعِبَ الزَّمَانِ بِجَمْعِهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا
بَدَّ وَالْحَوَاضِرَ وَالْبَوَادِي
دِ وَأَيْنَ أَرْبَابُ الْجِلَادِ
رَ الْقَائِلُونَ بِكُلِّ نَادِي
عَافُونَ عَنْ ذَنْبِ الْعِبَادِ
خُصَّ الْجَزَلُ وَالْكَلِمُ الْفَرَادِ
قُسَّ بَنِ سَاعِدَةِ الْإِيَادِي
وَرَمَى بِهِمْ فِي كُلِّ وَايِ
إِلَّا بَيَاضًا فِي سَوَادِ

وقال: (من الطويل)

بَلِينَا وَسِرْبَالُ الزَّمَانِ جَدِيدُ
قَضَى آدَمُ فِي الدَّهْرِ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى
فَلَا تَبْكِ مَيِّتًا حَانَ يَوْمُ رَحِيلِهِ
وَلَا تَلْتَمِسْ أَمْرًا يَزِيدُكَ يَفْظَةً
دَعِ الْفَلَكَ الدَّوَارَ يَجْرِي وَلَا تَسَلْ
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهَا
تَبْجُخُ بِهَا الْأَنْفَاسُ وَهِيَ نَسَائِمُ
فَيَا ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَزْتَادُ غَايَةً
وَهَلْ لَأَمْرِي فِي الْعَالَمِينَ خُلُودُ
وَكُلُّ الَّذِي مِنْ صُلْبِهِ سَيَبِيدُ
فَلِلْمَوْتِ مَا يَمْضِي الْفَتَى وَيَرُودُ
فَلَيْسَ لِإِدْرَاكِ الْيَقِينِ مَزِيدُ
أَفْوَزَ كَهْلُ أَمْ أَهْلُ وَلِيدُ
سِوَى مُهْلَةٍ نَأْتِي لَهَا وَنَعُودُ
وَتَعْفُو بِهَا الْأَبْدَانُ وَهِيَ صَعِيدُ
رُؤْيَدَكَ إِنَّ الْفَوْزَ مِنْكَ بَعِيدُ

قافية الذال

قال: (من الطويل)

فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى
لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ لِبَاكَ وَاحْتَدَى
وَيُرْضِيكَ يَوْمَ الرُّوعِ نَبْلًا مُقَدَّدَا
نَصِيبًا مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُلْتُ حَبَدَا
وَنَوَّهْتُ بِالْأَحْرَارِ لَوْ أَنَّ مُنْقَدَا
أَحَاوِلُ مِنْ هَذِي الْبَسِيطَةِ مَنَقَدَا
عَوِيَّ يَظُنُّ الْمَجْدَ فِي الرَّيِّ وَالْغَدَا
وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدًّا طَرَفْتُ عَلَى قَدَى
تُكَلِّفُ قَلْبِي كُفْلَةَ الرِّيحِ بِالشَّدَا
فَتَخْفِضُ مَأْفُونًا وَتَرْفَعُ جَهْدَا
يَسِيرُ بِنَا فِي ظِلْمَةِ الْجُورِ هَكَذَا

دَعِ الدُّلَّ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ
وَلَا تَصْطَحِبْ إِلَّا أَمْرًا إِنْ دَعَوْتَهُ
يَسْرُكُ عِنْدَ الْأَمْنِ فَضْلًا وَحِكْمَةً
فَيَا حَبَدَا الْخُلُ الصَّفِيِّ وَهَلْ أَرَى
لِعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ لَوْ أَنَّ سَامِعَا
وَطَوَّفْتُ بِالْآفَاقِ حَتَّى كَأَنَّي
فَمَا وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى غَيْرِ أَحْمَقٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
فَحَتَّى مَتَى يَا دَهْرُ أَكُنْ لَوْعَةً
أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَيَّامِ أَنْ تُبْصِرَ الْهُدَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالدَّهْرِ حَبْلٌ لَمَّا غَدَا

وقال: (من المتقارب)

وَلَاخِ الصَّبَاحُ فَيَا حَبَدَا
ثِدِّي الْعِمَامَةِ حَتَّى اعْتَدَى
وَنَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنَا الْأَدَى
وَلَا مِثْلُ صَفْوِ الْحُمَيَّا غَدَا

تَغْنَى الْحَمَامِ وَنَمَّ الشَّدَا
وَمَا زَالَ يَرْضَعُ طِفْلُ النَّبَاتِ
فَقُمْ نَغْنِنِمْ صَفْوًا أَيْامَنَا
فَمَا بَعْدَ عَصْرِ الصَّبَا لَذَّةٌ

وَتَنفِي عَنِ الْعَيْنِ شَوْبَ الْقَذَى	تَذُودُ عَنِ الْقَلْبِ أَحْزَانَهُ
كَأَنَّ بِأَيْدِي السُّقَاةِ الْجُدَا	وَتَجْلُو الظَّلَامَ بِأَلْأَيْهَا
وَإِنْ عَبَّ فِيهَا لَيْئِيمٌ هَذَى	إِذَا مَا احْتَسَاهَا كَرِيمٌ هَذَى
فَلَنْ يَصْلَحَ الْعَيْشُ إِلَّا كَذَا	فَدَعَ مَا تَوَلَّى وَخَذَ مَا أَتَى

قافية الرائ

وقال في وصف الربيع وأيام الشباب: (من الطويل)

وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ النَّدى شَفَّةُ الزَّهْرِ
بَلِيلَةُ مَهْوَى الذَّيْلِ عَاطِرَةُ النَّشْرِ
غَدَاةُ ربيعِ زَهْرُهَا بِاسْمِ الثَّغْرِ
تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَالْغَدْرِ
سُيُولُ تَرَامَى بَيْنَ أودِيَةِ غُرِّ
يَسِيرُ وَهَذَا فِي طَبَاقِ النَّرى يَسْرِي
كَمَا رَفَرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضِرِ
تَجُولُ بِخَدٍّ أَوْ جُمَانٍ عَلَى تَبْرِ
مَنْ الشَّمْسُ رَفَتْ كَالشَّرَارِ عَلَى الْجَمْرِ
وَفِي كُلِّ مَرَمَى خَطْوَةٍ أَجْرَعُ مُثْرِي
سَمَاءُ تَرُوقُ الْعَيْنَ بِالْأَنْجُمِ الزَّهْرِ
مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَنْ دُرِّ
حَنِينٍ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَكْرِ
تَعْلَمَنَّ أَلْحَانَ الصَّبَابَةِ مِنْ شِعْرِي
يُبَدِّدُ أَحْلَامَ النِّيَامِ وَلَا يَدْرِي
مُهْدَلَّةُ الْأَرْدَانِ سَابِغَةَ الْأَزْرِ
مَلِيكَ عَلَيْهِ التَّاجُ يَنْظُرُ عَنْ شَرْزِ

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهَرَبَةِ الْفَجْرِ
وَسَارَتْ بِأَنْفَاسِ الْخَمَائِلِ نَسْمَةً
فَقُمُ نَعْتَنِمُ صَفْوُ الْبُكُورِ فَإِنَّهَا
تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الْأَرْضِ وَالْجَوِّ نَسْبَةً
فَفِي الْجَوِّ هَتَانُ يَسِيلُ وَفِي النَّرى
عَمَامَانِ فَيَاضَانِ هَذَا بِأُفْقِهِ
وَقَدْ مَاجَتْ الْأَعْصَانُ بَيْنَ يَدِ الصَّبَا
كَأَنَّ النَّدى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامُحُ
إِذَا غَازَلَتْهَا لَمْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ
فَفِي كُلِّ مَرَعَى لَحْظَةً وَشَيْ دِيمَةً
مُرُوجٌ جَلَاهَا الزَّهْرُ حَتَّى كَانَتْهَا
كَأَنَّ صِحَافَ النُّورِ وَالطَّلَّ جَامِدُ
وَقَدْ شَاقَنِي وَالصَّبْحُ فِي خَدْرِ أُمِّهِ
هَتَفَنَ فَأَطْرَبَنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا
وَقَامَ عَلَى الْجُدْرَانِ أَعْرَفَ لَمْ يَزَلْ
تَخَايَلَ فِي مَوْشِيَّةٍ عِبْقَرِيَّةٍ
لَهُ كِبَرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ

فَسَارِعْ إِلَى دَاعِي الصُّبُوحِ مَعَ النَّدى
فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ فَنَبَّهَتْ
وَنَادَى الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ بِسُحْرَةِ
فَبَادِرْ لِمِيقَاتِ الصَّلَاةِ وَمَلْ بِنَا
إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ كَانَ تَارِيخُ صَبْوَةٍ
عَصِيَتْ بِهِ سُلْطَانُ حِلْمِي وَقَادَنِي
لَدَى رَوْضَةٍ رِيًّا الْغُصُونُ تَرَنَّنَتْ
تَدُورُ عَلَيْنَا بِالْمَدَامَةِ بَيْنَهَا
تَرَى كُلَّ مَيْلَاءِ الْخِمَارِ مِنَ الصَّبَا
إِذَا انْفَتَلَتْ فِي حَاجَةٍ خَلَتْ جُودُهَا
لَوَى قَدَّهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا
وَعَلَّمَهَا وَحْيَ الدَّلَالِ كَهَانَةَ
أَحَسَّتْ بِمَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَلَاخَةٍ
وَأَعْجَبَهَا وَجَدِي بِهَا فَتَكَبَّرَتْ
فَتَاءَ يَجُولُ السُّحْرُ فِي لَحْظَاتِهَا
إِذَا نَظَرْتُ أَوْ أَقْبَلْتُ أَوْ تَهَلَّلْتُ
فَمَا زِلَنْ يُغَرِّينِ الطَّلَا بِعُقُولِنَا
فَمِنْ وَاقِعٍ يَهْذِي وَآخِرَ ذَاهِلٍ
صَرِيحُ يَطْنُ الشُّهْبِ مِنْهُ قَرِيبَةٌ
إِذَا مَا دَعَوْتُ الْمَرْءَ دَارَ بِلَحْظِهِ
بَعِيدُ عَنِ الدَّاعِي وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا
تَحَكَّمَتِ الصَّهْبَاءُ فِيهِمْ فَغَيَّرَتْ
فَيَا سَامَحَ اللَّهُ الشَّبَابَ وَإِنْ جَنَى
مَلَكَتْ بِهِ أُمْرِي وَجَارَيْتُ صَبُوتِي
إِذَا أَبْصَرُونِي فِي النَّدَى تَحَاجَزُوا
وَقَالُوا فَتَى مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الصَّبَا

لِتَجْنِي بِأَيْدِي اللَّهِ بَاكُورَةَ الْعُمْرِ
عُيُونَ الْقَمَارِي وَهِيَ فِي سَنَةِ الْفَجْرِ
فَاحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَيِّ إِلَى نَشْرِ
إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ
فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخَلَاعَةِ مِنْ وَزْرِ
مَضَى غَيْرِ إِثْرٍ فِي الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرِ
إِلَى اللَّهِ شَيْطَانُ الْخَلَاعَةِ وَالسُّكْرِ
مَعَاطِفُهَا رَقْصًا عَلَى نَعْمَةِ الْقُمْرِي
تَمَاشِيلُ إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي
هَضِيمَةَ مَجْرَى الْبُنْدِ نَاهِدَةَ الصَّدْرِ
أَحَسَّ بِصَيَّارٍ فَأَتْلَعَ مِنْ دُغْرِ
فَمَالَتْ بِشَطْرِ وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ
فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَيْءٍ مِنَ السُّحْرِ
فَتَاهَتْ عَلَيْنَا وَالْمَلَاخَةُ قَدْ تُغْرِي
عَلَيَّ دَلَالًا وَهِيَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِي
مَجَالُ الْمَنَايَا فِي الْمُهَنْدَةِ الْبُتْرِ
فَوَيْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ وَالْغُصْنِ وَالْبُدْرِ
إِلَى أَنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ
لَهُ جَسَدٌ مَا فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ
فَيَسْدُو بِكَفِّهِ إِلَى مَطْلَعِ النَّسْرِ
إِلَيْكَ وَعَشَاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ
كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ
شَمَائِلُ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَذْرِ
عَلَيَّ وَحْيًا عَهْدَهُ سَبْلُ الْقَطْرِ
وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكِبْرِ
عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَعْنَوْا عَنِ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ
وَلَيْسَ عَلَى الْفَتَيَانِ فِي اللَّهِ مِنْ حَجَرٍ

فَيَبْغُونَ عَطْفِي بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ
تَعُودُ وَذَاكَ الْعَيْشُ يَأْتِي عَلَى قَدَرٍ
لَهَا أَثَرٌ يَطْوِي الْفَوَادَ عَلَى أَثَرِ
لَهَا صُورَةٌ تَخْتَالُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ
وَحَلَفْنِي أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي عَصْرِ
مَنْ اللَّهْوِ فِي ظِلِّ الشَّيْبَةِ وَالْيُسْرِ

يَخَافُونَ مِنِّي أَنْ تَتَوَرَّ حَمِيَّتِي
أَلَا لَيْتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَقَدْ مَضَتْ
مَوَاسِمُ لَذَاتٍ تَقْضَتْ وَلَمْ يَزَلْ
إِذَا اغْتَوَرَّتْهَا ذُكْرَةُ النَّفْسِ أَبْصَرَتْ
فَذَلِكَ عَصْرٌ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذَّةً

وقال: (من الطويل)

وَهَلْ بَعْدَ إِيمَانِ الصَّبَابَةِ مِنْ كُفْرِ
فَإِنَّ الْمَنَايَا لَا تَزِيدُ عَنِ الْهَجْرِ
وَلَا شَبَّ نِيرَانَ اللَّوَاعِجِ فِي صَدْرِي
لِعِلْمِي أَنَّ الْفُوزَ مِنْ ثَمَرِ الصَّبْرِ
تَوَسَّمَ خَيْرًا أَوْ تَكَلَّمَ عَنْ خُبَرِ
هَنَاتٍ وَسُوءِ الظَّنِّ دَاعِيَةِ الْوَزْرِ
إِذَا هُمْتُ شَوْقًا أَوْ تَرَنَّمْتُ بِالشَّعْرِ
أَطَاعَ الْهَوَى وَالْحُبُّ مِنْ عَقْدِ السَّحْرِ
إِذَا التَّهَبَّتْ أُرْبَتْ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ
تَغَضُّ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْجِي
وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاضِحَةٍ أُزْجِي
وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِهَا تَجْرِي
فَعِشْتُ بِرِيءِ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُذْرِ
لَقِيتُ عَدُوِّي بِالطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ
إِلَى النَّاسِ مَرْضِيَّ السَّرِيرَةِ وَالْهَجْرِ
وَلَا أَنَا مَلْهُوفُ الْجَنَانِ عَلَى وَثْرِ
بِعَفَّةِ نَفْسٍ لَا تَمِيلُ إِلَى الْوَفْرِ
فَعَامَلَنِي بِاللُّطْفِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي
هَذَاهُ بِنُورِ الْيُسْرِ فِي ظِلْمَةِ الْعُسْرِ

بِنَازِطِكَ الْفَتَّانِ آمَنْتُ بِالسَّحْرِ
فَلَا تَعْتَمِدْ بِالْهَجْرِ قَتْلَ مُتَيْمٍ
فَلَوْلَاكَ مَا حَلَّ الْهَوَى قَيْدَ مَذْمَعِي
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ لَصَابِرٌ
فَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى الْمَلَامَةَ فِي الْهَوَى
رَأَى كَلْفِي لَا يَسْتَفِيقُ فَظَنَّ بِي
وَمَاذَا عَلَيْهِ وَهُوَ خَالٍ مِنَ الْجَوَى
فَإِنْ أَكْ مَشْغُوفًا فَدَوِ الْجِلْمِ رَبِّمَا
وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى رَدِّ لَوْعَةٍ
عَلَى أَتْنِي لَمْ أَتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةً
وَلَكِنِّي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصَّبَا
سَجِيَّةَ نَفْسٍ آثَرَتْ مَا يَسُرُّهَا
مَلَكْتُ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْطِقِي
وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرَبِّمَا
فَأَصْبَحْتُ مَا تُورِ الْخِلَالِ مُحَبَّبًا
فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَثْرِ لِمَعْشَرٍ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُ مُثْرِيًا
وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمَنِ فِيمَا نَوَيْتُهُ
إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ خَيْرًا بَعْبِدِهِ

تَقَلَّدَ وَصَاتِي فَهِيَ لَوْلَاةُ الْفَكْرِ
لَدُودًا وَلَا تَدْفَعُ يَدَ اللَّيْنِ بِالْقَسْرِ
لَقِيتُ بِهِ شَهْمًا يُبْرِ عَلَى الْمُثْرِي
وَرُبَّ غَنِيٍّ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
وَلَا قَانِعًا يَبْغِي التَّرْلَفَ بِالصُّغْرِ
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكَبْرِ
فَإِنَّ الْغَنَى فِي الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ
تَرَى حُجَّةً تَجْلُو بِهَا غَامِضُ الْأَمْرِ
وَكُنْ مِنْ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى حَذَرٍ
وَيَحْلُو الرِّضَا بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ
وَلِلْغَدْرِ فِي أَحْشَائِهِ عَقْرُبٌ تَسْرِي
إِلَى الشَّرِّ أَخْلَاقُ نَبْتَنْ عَلَى غَمْرِ
وُقُوعِ الْأَذَى قَالِمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرِ
تَمَنَّيْتُ مِنْ نَيْلِ السَّعَادَةِ فِي الدَّهْرِ
بِهِ خَبْرَةٌ صَبْرِي عَلَى الْحُلُوِّ وَالْمَرِّ
جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ
وَشَيْبِي مَصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي
إِلَى الْمُنْهَلِ الْمَطْرُوقِ وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ
سِرَاجٌ وَعَضْبٌ ذَا يُضِيءُ وَذَا يَفْرِي
وَلَا عَجَبٌ قَالِدُرٌ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ
لِتَعْرِفَنِي فَالْسَّيْفُ يُعْرِفُ بِالْأَثْرِ
بِهِ كُلُّ أَرْضٍ فَهُوَ رِيحَانَةُ الْعَصْرِ
وَذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمْرِ

فَيَا بَنَ أَبِي وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ وَاجِدٍ
إِذَا شِئْتُ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ
وَلَا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ فَلَرُبَّمَا
فَرُبُّ فَقِيرٍ يَمْلَأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً
وَكُنْ وَسَطًا لَا مُشْرَبًا إِلَى السُّهَا
فَأَحْمَدُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ
وَلَا تَعْتَرِفُ بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الْغَنَى
وَإِيَّاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِالْغَيْبِ قَبْلَ أَنْ
وَدَارَ الَّذِي تَرْجُو وَتَخْشَى وَدَادُهُ
فَقَدْ يَغْدِرُ الْخَلُّ الْوَفَى لِهَفْوَةٍ
وَفِي النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فِي زِيٍّ عَابِدٍ
إِذَا أُمَكَّنْتَهُ فُرْصَةً نَزَعَتْ بِهِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ
فَهَذِي وَصَاتِي فَاحْتَفِظْهَا تَفُزْ بِمَا
فَإِنِّي امْرُؤٌ جَرَبْتُ دَهْرِي وَزَادَنِي
بَلَغْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً
فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً
أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ
وَلِي مِنْ جَنَانِي إِنْ عَزَمْتُ وَمَقُولِي
إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضْ بِالْأَدْرِ مَنْطِقِي
تَدَبَّرْ مَقَالِي إِنْ جَهِلْتُ خَلِيقَتِي
وَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ مَنْطِقِي إِنْ تَأَرَّجَتْ
سَيَذْكُرْنِي بِالشُّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي

وقال: (من الطويل)

وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرٌ
يَنْمُ عَلَيْهَا مَذْمَعٌ وَزَفِيرٌ

أَبَى الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَجِنَّ ضَمِيرُ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ لَوْعَةٍ

أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ
وَأَرْهَبُ لَحْظَ الرَّثْمِ وَهُوَ غَرِيرُ
لَدَى الْبَاسِ إِنَّ طَاشَ الْكَمِي صَبُورُ
وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْحُتُوفَ جَسُورُ
تَبُوحُ لَهَا الْأَنْفَاسُ وَهِيَ تَفُورُ
لَذُو تَذَرَأُ فِي النَّائِبَاتِ مُغِيرُ
جَوَادُ وَسَيْفُ صَارِمٍ وَجَفِيرُ
نَدِيمٌ وَكَأْسُ رِيَّةٍ وَمُديرُ
وَطُورًا لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ سَمِيرُ
تَكَادُ لَهَا شُمُ الْجِبَالِ تَمُورُ
لَهَا نَظْرَةٌ تُسْدي الْهُوَى وَتُنِيرُ
وَطَرْنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ
لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُورُ
وَوَظَلَّتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُنِيرُ
لَهَا مِنْ نُجُومِ الْأَقْحْوَانِ ثُغُورُ
مِنْ الْفَجْرِ حَيْطُ كَالْحَسَامِ طَرِيرُ
وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ الْمُجَنِّحِ زُورُ
زَهَاهُنَّ ظِلُّ سَابِغٍ وَغَدِيرُ
مَنْ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
تَمَائِمٌ لَمْ تَعْقُدْ لَهُنَّ سَيُورُ
عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ
طَلَّاعُ مِنْ حَيْلِ الصَّبَاحِ تَغِيرُ
يَتِيهِ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَدِيرُ
تَقُلُّ شَبَابَةَ الْخَطْبِ وَهُوَ عَسِيرُ
عَنِ الْجَدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهُوَى وَلَطَالَمَا
أَفْلُ شَبَابَةِ اللَّيْلِ وَهُوَ مُنَاجِزُ
وَيَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّدُودِ وَإِنِّي
وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعُيُونَ يِرَاعَةُ
وَلَكِنْ لِأَحْكَامِ الْهُوَى جَبَرِيَّةُ
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهُوَى
يُرَافِقُنِي عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرْتُ
وَيُصَحِّبُنِي يَوْمَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا
فَطُورًا لِفَرْسَانِ الصَّبَاحِ مُطَارِدُ
وَيَا رَبِّ حَيٍّ قَدْ صَبَحْتَ بِغَارَةِ
وَلَيْلٍ جَمَعْتَ اللَّهُو فِيهِ بِغَادَةِ
عَقَلْنَا بِهِ مَا نَدَّ مِنْ كُلِّ صَبُوءِ
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَهَا فَإِنَّمَا
فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ نَهْبِيَّةُ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقْمَنَّا مَكَانَنَا
إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ ثُنْيَ لِثَامِهِ
وَنَبَّهَنَا وَقَعَ النَّدى فِي حَمِيلَةٍ
تَنَاعَتْ بِهَا الْأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا
فَهَنَّ إِلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ نَوَاطِرُ
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ
تَوَسَّدَ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِدًا
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا
إِذَا ضَاكَّتْهَا الشَّمْسُ رَفَتْ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ وَلَّى وَأَقْبَلْتُ
نَهَبْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ تَيْهًا وَإِنَّمَا
وَلِي شِيْمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ
مُعَوَّدَةٌ أَلَا تَكْفُفُ عِنَانَهَا

لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أَدْنُ سَمِيعَةٍ
وَإِنِّي أَمْرُؤُ صَعْبُ الشَّكِيمَةِ بَالِغُ
وَقَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكِرَامُ فِرَاسَةً
فَمَا أَنَا عَمَّا يُكْسِبُ الْعِزَّ نَاكِبُ
إِذَا صَلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوَائِهِ
مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرَكْتُ النَّوَاسِيَ لَمْ يَقُلْ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ
فَيَا رَبِّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلُ

وقال: (من الطويل)

وَعَيْنٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ
بِنَفْسِي شَأْوًا لَيْسَ فِيهِ نَكِيرُ
بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرُ
وَلَا عِنْدَ وَقْعِ الْمُحْفَظَاتِ حَسِيرُ
وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ
لَهَا كَوَكَبُ فَخْمِ الضِّيَاءِ مُنِيرُ
لِبَاءٍ بِفَضْلِي جَزُولُ وَجَرِيرُ
أَجَارَةٌ بَيْنَتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ
وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
وَبَزَّ الْحِيَادِ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ

تَلَاهَيْتُ إِلَّا مَا يُجِنُّ ضَمِيرُ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانُ أَمْرِهِ
فَيَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى مَا أَشَدَّهُ
تَلِينُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَهِيَ أَبِيَّةُ
نَبَذْتُ لَهُ رُمُحِي وَأَعْمَدْتُ صَارِمِي
وَأَصْبَحْتُ مَقْلُوبَ الْمَخَالِبِ بَعْدَمَا
فَيَا لَسَرَاةِ الْقَوْمِ دَعْوَةَ عَائِذِ
لَطَالَ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَلِئْتُهُ
أَلَا فَرَعَى اللَّهُ الصَّبَا مَا أَبْرَهُ
إِنْ الْعَيْشُ أَفَوَافُ تَرَفُّ ظِلَالُهُ
وَإِذْ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَ إِخْوَانٍ لَذَّةِ
تَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَلَاعِبِ
فَالْحَاطِظُنَا بَيْنَ النَّفُوسِ رَسَائِلُ
عَقَدْنَا جَنَاحِي لَيْلِنَا بِنَهَارِنَا
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرَهَا فَإِنَّمَا

وَدَارَيْتُ إِلَّا مَا يَنْمُ زَفِيرُ
وَفِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَارِحٌ وَسَعِيرُ
عَلَى الْمَرْءِ إِذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغَيِّرُ
وَيَجْزَعُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَهُوَ صَبُورُ
وَنَهْنَهْتُ مُهْرِي وَالْمُرَادُ غَزِيرُ
سَطَوْتُ وَلِي فِي الْخَافِقِينَ رَزِيرُ
أَمَا مِنْ سَمِيعٍ فَيَكُمُ فَيُجِيرُ
وَعَهْدِي بِهِ فِيمَا عَلِمْتُ قَصِيرُ
وَحَيًّا شَبَابًا مَرَّ وَهُوَ نَضِيرُ
عَلَيْنَا وَسَلَسَالُ الْوَفَاءِ نَمِيرُ
عَلَى شَيْمٍ مَا إِنْ بِهِنَ نَكِيرُ
بِهَا اللَّهُوَ خَدْنُ وَالشَّبَابُ سَمِيرُ
وَرِيحَانُنَا بَيْنَ الْكُتُوسِ سَفِيرُ
وِطْرُنَا مَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبَابِ يَسِيرُ

فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةٌ لَهَبِيَّةٌ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقْمَنَّا مَكَانَنَا
وَكَمْ لَيْلَةً أَفْنَيْتُ عُمْرَ ظِلَامِهَا
شَغَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاطِرِي
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ الْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ
فَمَا رَاعِنَا إِلَّا حَفِيفُ حَمَائِمِ
تُجَابُوبُ أَتْرَابِ لَهَا فِي خَمَائِلِ
نَوَاعِمٍ لَا يَعْرِفُنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ
تَوَسَّدَ هَامَاتٍ لَهَا وَسَائِدًا
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاحِلُ غَيْرِهِ
إِذَا غَارَزَلَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ رَفَّ جِيدُهُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ تَيْهَا وَإِنَّمَا
وَلِي شِيَمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعِزْمَةٌ
إِذَا سَرَتْ فَالْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ فَوْقَهَا
فَلَا عَجَبُ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنَزَلُ
هَمَامَةٍ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْقِي رِكَابَهَا
مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تَكُفَّ عَنَّا نَهَا
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أَذُنٌ سَمِيعَةٌ
وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكَرَامُ فِرَاسَةً
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلَالِ كَأَنَّنِي
إِذَا صَلَّتْ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلُوقِهِ
مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلَامِ وَحِكْمَةً
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمْ
فَيَا رَبِّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلُ

لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ تُثُورُ
وَوَضَلْتُ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ
وَنَعَمْتُ سَمْعِي وَالْبَنَانُ طَهُورُ
وَجِيرَتِهِ وَالْغَادِرُونَ كَثِيرُ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْغُصُونِ هَدِيرُ
لَهَا بِهَا بَعْدَ الْحَزَنِ صَفِيرُ
وَلَا دَائِرَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَدُورُ
مِنَ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
تَمَائِمٍ لَمْ تُعْقِدْ لَهَا سِيُورُ
زَهَاةً ظِلُّ سَابِغٍ وَغَدِيرُ
عَلَى صَفَحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسِجِ الظَّلَامِ سُنُورُ
يَتِيهِ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهُوَ قَدِيرُ
تَرَدُّ لَهَا مِ الْجَيْشِ وَهُوَ يَمُورُ
مَرَادُ لِمُهْرِي وَالْمَعَاقِلُ دُورُ
فَلَيْسَ لِعَقْبَانِ الْهَوَاءِ وَكُورُ
رَوَاحُ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَبُكُورُ
عَنِ الْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ
وَعَيْنُ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ
بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي الزَّمَانِ أَمِيرُ
وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ
لَهَا كَوَكْبٌ فَخَمُ الضِّيَاءِ مُنِيرُ
لِبَاءُ بِفَضْلِي جَزُولٌ وَجَرِيرُ
أَجَارَةٌ بَيْنَتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ
وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
وَبَدُّ الْحَيَاتِ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ

وَقَالَ مَادَحًا وَمُهَنْتًا بِعِيدِ الْجُلُوسِ: (من البسيط)

أَمْ نُورُ عِيدٍ بِعَقْدِ التَّاجِ مَشْهُورٌ؟
تَخْتَالُ فِي مَوْكِبِ كَالْبَحْرِ مَسْجُورٌ؟
بِصَارِمِ كِلْسَانِ النَّارِ مَسْعُورٌ
وَكَيْفَ يَرْهَبُ لَيْثٌ كَرَّ يَغْفُورٌ
بَادِي الْوَقَارِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَنْصُورٌ
عَلِيَاءَ كَالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي نُورٍ
أَقْطَارُهَا بِضِيَاءِ مِنْكَ مَنْشُورٌ
عَلَى جَبِينِ بِنُورِ السَّعْدِ مَغْمُورٌ
لِلْبَدْرِ مَا بَيْنَ مَنْظُومٍ وَمَنْثُورٍ
تَارِيخٌ مَجْدٍ بِكَفِّ الدَّهْرِ مَسْطُورٌ
إِلَى مَهِيْبٍ بِفَضْلِ الْجَلْمِ مَشْكُورٌ
وَكَمْ وَزِيرٍ بِكَأْسِ الْبُشْرِ مَخْمُورٌ
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ
يَسْرِي وَفِي كُلِّ نَادٍ صَوْتُ تَبْشِيرٍ
كَأَنَّ فِي كُلِّ أذنٍ سَلَكَ طُنْبُورٌ
أَضْحَى بِهِ الْعَدْلُ حَلًّا غَيْرَ مَحْظُورٍ
مَا كَانَ فِي الدَّهْرِ يُسْرُ بَعْدَ مَعْسُورٍ
بِمُرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ الرَّأْيِ مَأْثُورٍ
مَنْ بَعْدَ مَا كَانَ صَدْعًا غَيْرَ مَجْبُورٍ
رَعْيِ السِّيَاسَةِ فِي ثَبَتٍ وَتَحْوِيرٍ
وَلَا يِعَاقِبُ إِلَّا بَعْدَ تَحْذِيرٍ
أَبْشُرْ بِفَتْحِ عَظِيمِ الْقَدْرِ مَنْظُورٍ
بِحُسْنِ رَأْيِكَ لَمْ تُقَدَّرْ لِمَقْدُورٍ
وَنِلْتَ بِالْعَرَبِ حَقًّا غَيْرَ مَنكُورٍ
وَمَنْ يُدَانِيكَ فِي حَزْمٍ وَتَدْبِيرٍ
ضَبَابَةُ الْحَرْبِ إِلَّا بَعْدَ تَغْيِيرٍ

أَضَوْهُ شَمْسٌ فَرَى سَرْبَالَ دَيْجُورٍ
وَأَنْجُمٌ تَلَكَّ أَمْ فُرْسَانُ عَادِيَةِ
مَنْ كُلُّ أَرْوَغٍ يَجْلُو ظِلَّ عَثِيرِهِ
لَا يَرْهَبُونَ عَدُوًّا فِي مُغَاوِرَةِ
مُسْتَوْفِزُونَ لِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ مَلِكٍ
فِي دَوْلَةٍ بَلَغَتْ بِالْعَدْلِ مَنْزِلَةَ
طَلَعَتْ فِيهَا طُلُوعُ الْبَدْرِ فَازْدَهَرَتْ
فَلْيَفْخَرْ التَّاجُ إِذْ دَارَتْ مَعَاقِدُهُ
كَأَنَّمَا صَاغَ كَفُّ الْأَفْقِ أَنْجُمَهُ
فَيَا لَهَا حَفَلَةٌ لِلْمَلِكِ مَا بَرَحَتْ
ظَلَّتْ بِهَا حَدَقُ الْأَمْلَاقِ شَاخِصَةً
فَكَمْ أَمِيرٍ بِحُسْنِ الْحِظِّ مُبْتَهَجٍ
فَالْأَرْضُ فِي فَرْحٍ وَالدَّهْرُ فِي مَرَحٍ
فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ تِيَارٌ كَهْرَبَةٍ
يَوْمٌ بِهِ طَنَّتِ الْأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ
وَكَيْفَ لَا تَبْلُغُ الْأَفْلاكُ دَوْلَةَ مَنْ
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَا مَأْثَرُهُ
فَلَّ النَّوَائِبُ فَاِنْصَاَحَتْ دِيَاجِرُهَا
وَأَصْلَحَتْ عَنَتِ الْأَيَّامِ جِكَمَتُهُ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ مَوْقُوفُ الظُّنُونِ عَلَى
لَا يَغْمِدُ السَّيْفُ إِلَّا بَعْدَ مَلْحَمَةٍ
يَا أَيُّهَا الْمَالِكُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
إِنَّ الْخَطُوبَ الَّتِي ذَلَّلْتَ جَانِبَهَا
بَلَغَتْ بِالشَّرْقِ مَا أَمَلْتَ مِنْ وَطَرٍ
فَمَنْ يُبَارِيكَ فِي فَضْلِ وَمَكْرُمَةٍ
لَوْلَاكَ مَا دَامَ ظِلُّ السَّلَامِ وَانْحَسَرَتْ

بِجَانِبِ الصَّبْرِ هَمَّاتُ الْمَغَاوِيرِ
بِعَيْنِ نِي لِبَدٍ فِي الْغَابِ مَحْذُورِ
رَوْعُ الْحَجَالَةِ مِنْ عَجْزٍ وَتَقْصِيرِ
جَلْبَابٍ فَخْرٍ طَوِيلِ الذِّلِّ مَجْرُورِ
أَبْيَاتُهَا الْغُرُّ مِنْ حُسْنٍ وَتَحْبِيرِ
كَالسَّحْرِ يَفْتِنُ بَيْنَ الْأَعْيُنِ الْحُورِ
عُليَاكَ مِنْ مَنْطِقِي فِي لَوْحِ تَصْوِيرِ
نَادِي عُلَاكَ بِتَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرِ
مُرْفَةِ النَّفْسِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ

وَلَا سَرَى الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَاعْتَصَمْتُ
فَاسْلَمَ لِمُلْكٍ مَنِيعِ السَّرْحِ تَكْلُوهُ
وَأَقْبَلَ هَدِيَّةَ فِكْرٍ قَدْ تَكَنَّفَهَا
وَسَمَّيْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَالْبَسَهَا
لَوْلَا صِفَاتُكَ وَهِيَ الدُّرُّ مَا بَهَرْتُ
شَمَائِلُ زَيْنَتِ قَوْلِي بِرَوْنَقِهَا
شَفْتُ زُجَاةَ فِكْرِي فَارْتَسَمْتُ بِهَا
فَاسْعُدْ بِيَوْمٍ تَجَلَّى السَّعْدُ فِيهِ عَلَى
وَدُمَ عَلَى الدَّهْرِ فِي مُلْكٍ تَعِيشُ بِهِ

وَقَالَ فِي الْفَخْرِ: (من الطويل)

وَأَصْبَحْتُ لَا يُلَوِي بِشِمَتِي الرَّجْرُ
مُعْتَقَةً مِمَّا يَضُنُّ بِهَا التَّجْرُ
تَلَالًا بَرَقَ أَوْ سَرَتْ دِيمٌ غَزْرُ
عَلَى حَسَرَاتٍ لَا يَقَاوِمُهَا صَبْرُ
وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ دُونَهَا السَّحْرُ
وَلَا لِأَمْرِي فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ
لَأَلُوتَ بِهِ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ وَالسُّمْرُ
شَرَارَتُهُ بِالْجَمْرِ لاحتَرَقَ الْجَمْرُ
مَنْ الْوَجْدُ لَا يَقْوَى عَلَى حَمْلِهَا صَدْرُ
عَلَى الْأَرْضِ مَا شَكَّ أَمْرُو أَنَّهُ الْبَحْرُ
بِهِ صَبُوءٌ أَوْ فَلٌ مِنْ غَرْبِهِ الْهَجْرُ
لِسُلْطَانِهِ الْبَدُو الْمُغِيرَةُ وَالْحَضْرُ
لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ
تَفَرَّغَتِ الْأَفْلَاكُ وَالتَّتَفَتِ الدَّهْرُ
وَالْوَيْةُ حُمُرٌ وَأَفْنِيَّةٌ خَضْرُ
لِمُدْرِعِ الظُّلَمَاءِ أَلْسِنَةُ حُمُرُ

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي الْمَخِيلَةُ وَالسَّكْرُ
كَأَنِّي مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِهِ
صَرِيحُ هَوَى يُلَوِي بِي الشُّوقُ كُلَّمَا
إِذَا مَالَ مِيزَانُ النَّهَارِ رَأَيْتَنِي
يَقُولُ أَنَاسُ إِنَّهُ السَّحْرُ ضَلَّةٌ
فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسُ أَمْرِي وَلَيْسَ لِي
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ دِفَاعُهُ
وَلَكِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي لَوْ تَعَلَّقْتُ
عَلَى أَنْبِي كَانَتْ صَدْرِي حُرْقَةً
وَكَفَّكَتْ دَمْعًا لَوْ أَسَلْتُ شُؤْنَهُ
حَيَاءً وَكِبَرًا أَنْ يُقَالَ تَرَجَّحْتُ
وَإِنِّي أَمْرُو لَوْلَا الْعَوَائِقُ أَدْعَنْتُ
مِنَ النَّفَرِ الْغُرِّ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ
إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ
لَهُمْ عُمْدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلُ
وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

تَمُدُّ يَدَا نَحْوِ السَّمَاءِ خَضِيبَةً
وَحَيْلٌ يِعُمُّ الْخَافِقِينَ صَهِيلُهَا
مَعْوَدَةٌ قَطَعَ الْفَيَافِي كَأَنَّهَا
أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَدَ شَمْلَهُمْ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثَارِ نِعْمَةٍ
وَقَدْ تَنْطِقُ الْأَثَارُ وَهِيَ صَوَامِتُ
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ

تُصَافِحُهَا الشُّعْرَى وَيَلْتَمُّهَا الْغَفَرُ
نَزَائِعُ مَعْقُودٍ بِأَعْرَافِهَا النَّصْرُ
خُدَارِيَّةٌ فَتَخَاءُ لَيْسَ لَهَا وَكُرُ
مَلُولٌ مِنَ الْأَيَّامِ شِيَمَتُهُ الْغَدْرُ
تَضُوعُ بَرِيَّاهَا الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
وَيُثْنِي بَرِيَّاهُ عَلَى الْوَابِلِ الرَّهْرِ
يُعَدُّ طَلِيْقًا وَالْمَنُونُ لَهُ أَسْرُ
يَحُلُّ بِهَا سَفَرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفَرُ
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْعُمُرُ

وَقَالَ يَهْنَأُ الْخَدِو عَبَّاسِ حِلْمِي الثَّانِي بِعِيدِ جُلُوسِهِ: (من البسيط)

لِمِثْلِ ذَا الْيَوْمِ كَانَ الْمُلْكُ يَنْتَظِرُ
تَهَلَّلَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَابْتَهَجَتْ
نَالَتْ بِنَصْرِكَ مَا كَانَتْ تُؤَمِّلُهُ
فَالْعَدْلُ مُنْبَسِطٌ وَالْجَوْرُ مُنْقَبِضُ
نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَافَى بَعْدَ دَاجِيَةٍ
فَالنَّاسُ مِنْ طَرَبٍ فِي نَشْوَةٍ أَخَذَتْ
مُسْتَوْفِضُونَ إِلَى الدَّاعِي تَسِيلُ بِهِمْ
فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبٌ حَوْلَ مِنْبَرِهِ
يَسْتَعِذُّ السَّمْعُ مَا يُمْلِي اللِّسَانُ لَهُ
فَلَا شَقَاءَ وَلَا بَأْسَ وَلَا فَرْعَ
عِيدٌ تَهَلَّلَتْ الدُّنْيَا بِهِ فَرَحًا
وَكَيْفَ لَا تَفْخَرُ الدُّنْيَا بِطُلْعَةٍ مَنْ
فَاسْتَبَشَرُوا يَا بَنِي الْأَوْطَانِ إِنَّ لَكُمْ
هُوَ الْمَلِيكَ الَّذِي لَوْلَا سِيَاسَتُهُ
أَفْضَى إِلَى مِصْرَ وَالْدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ
مُؤَفَّقٌ لِصَنِيعِ الْخَيْرِ مُبْتَدِعُ

فَاسْعَدَ بِهَا دَوْلَةً عَنْوَانُهَا الظَّفَرُ
بِكَ الرَّعِيَّةِ حَتَّى عَمَّهَا الْحَبَرُ
لَا زَلَتْ لِلْمُلْكِ وَالْإِسْلَامِ تَنْتَصِرُ
وَالْأَمْنُ مُنْسَدِلٌ وَالْخَوْفُ مُنْشَمِرُ
كَمَا تَبَلَّجَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّحَرُ
بِهِمْ فَمَالُوا كَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَكَرُوا
أَرْضٌ وَتَجَمَّعَهُمْ أُخْرَى فَهُمْ زُمُرُ
جَمْعٌ وَفِي كُلِّ وَادٍ تَرْكُضُ الْبُشْرُ
وَيَعْلُقُ الْقَلْبُ مَا يُوجِي بِهِ الْبَصَرُ
وَلَا عَدَاءَ وَلَا غَدْرَ وَلَا حَذَرَ
وَنِعْمَةً لَيْسَ يَقْضِي حَقَّهَا الْبُشْرُ
لَوْلَاهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا لِامْرِئٍ وَطَرُ
مَنْ عَدْلُهُ جَنَّةٌ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ
مَا كَانَ لِلْعَدْلِ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
فَمَا تَمَثَّلَ حَتَّى أَجْفَلَ الْخَطَرُ
لِمَا تُقْصِرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْفِكْرُ

كَذَلِكَ الدَّهْرُ فِيهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
إِلَى الْعِقَابِ وَيَعْفُو جِئْنَ يَقْتَدِرُ
وَالْجُلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةِ خَوَرُ
كَمَا تَطَايَرَ بَعْدَ الْقُدْحَةِ الشَّرُّ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَثَرُ
جُودًا وَمَا كُلُّ بَرْقٍ خَلْفَهُ مَطَرُ
فِي نِعْمَةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدَرُ
طَابَتْ وَدَلَّ عَلَيْهَا النُّورُ وَالثَّمَرُ
أَبْلُغْ عِلَّاكَ وَأَنْتَى يُدْرِكُ الْقَمَرُ
تُعَدُّ فِي النُّطْقِ إِلَّا أَنَّهَا دُرُ
حُسْنًا تَتِيهِ بِهِ الدُّنْيَا وَتَفْتَخِرُ
حُبًّا بِذِكْرِ عِلَّاكَ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
طِيرُ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تُنْشَرَ الصُّورُ

يَهْمِي نَدَى وَرَدَى جُودًا وَمَحْمِيَّةً
يَسْطُو بِرَفَقٍ إِذَا مَا الْحَزْمُ أَغَوْرُهُ
فَالْبَطْشُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ حِكْمَةٍ سَرْفُ
إِذَا ارْتَأَى بَدَرَتْ أَنْوَارُ حِكْمَتِهِ
دَلَّتْ عَلَى فَضْلِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ
إِذَا تَبَسَّمَ فَاضَتْ رَاحَتَاهُ لَنَا
تَمَلَّ بِالْمُلْكِ يَا عَبَّاسُ وَابْقَ لَنَا
فَأَنْتَ مِنْ دَوْحَةٍ فِي الْمَجْدِ بَاسِقَةٍ
بَلَّغْتَ مَجْهُودَ نَفْسِي فِي الثَّنَاءِ وَلَمْ
فَاقُنْ عَلَيَّ بِإِضْغَاءٍ إِلَى كَلِمٍ
وَسَمَّيْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَالْبَسْتُهَا
إِذَا تَلَاهَا لِسَانُ الشُّكْرِ قَامَ لَهَا
لَا زِلْتُ مَوْرِدَ آمَالٍ تَحُومُ بِهِ

وَقَالَ يَصِفُ الْهَرَمَيْنِ: (من الطويل)

لَعَلَّكَ تَدْرِي غَيْبَ مَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
لِبَانِيهِمَا بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ وَالْفَخْرِ
خَلَّتْ وَهُمَا أَعْجُوبَةُ الْعَيْنِ وَالْفِكْرِ
أَسَاطِيرُ لَا تَنْفُكُ تُتَلَّى إِلَى الْحَشْرِ
لَا بَصَرَتْ مَجْمُوعَ الْخَلَائِقِ فِي سَطْرِ
يُدَانِيهِمَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ وَالْخَبْرِ
وَيَعْتَرِفُ الْإِيوَانُ بِالْعَجْزِ وَالْبَهْرِ
لَأَلْقَى مَقَالِيدَ الْكَهَانَةِ وَالسَّحْرِ
مَنْ النَّيْلِ تُرْوِي غَلَّةَ الْأَرْضِ إِذْ تَجْرِي
أَكْبَّ عَلَى الْكُفَّينِ مِنْهُ إِلَى الصَّدْرِ
كَأَنَّ لَهُ شَوْقًا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

سَلِ الْجِيْزَةَ الْفَيْحَاءَ عَنْ هَرَمِي مَضِرِ
بِنَاءٍ أَنْ رَدَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهُمَا
أَقَامَا عَلَى رَغَمِ الْخُطُوبِ لِيَشْهَدَا
فَكَمْ أُمَمٍ فِي الدَّهْرِ بَادَتْ وَأَعْصُرِ
تَلَوُحٍ لِأَثَارِ الْعُقُولِ عَلَيْهِمَا
رُمُوزٍ لَوْ اسْتَطَلَعَتْ مَكْنُونَ سِرِّهَا
فَمَا مِنْ بِنَاءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
يُقَصِّرُ حُسْنًا عَنْهُمَا صَرُحُ «بَابِلِ»
فَلَوْ أَنَّ «هَارُوتَ» انْتَحَى مَرَصَدِيهِمَا
كَأَنَّهُمَا تَدْيَانِ قَاضَا بِدِرَّةٍ
وَبَيْنَهُمَا «بَلْهِيْبُ» فِي زِيِّ رَابِضٍ
يُقَلِّبُ نَحْوَ الشَّرْقِ نَظْرَةً وَامِقٍ

تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو قَدْرِ
فَأَصْبَحَ وَكُرًّا لِلْسَّمَائِيِّينَ وَالنَّسْرِ
وَنَجَّيَ بِأَيْدِي الْجِدِّ رِيحَانَةَ الْعُمْرِ
وَتَمَّ رُمُوزَ وَحْيِهَا غَامِضُ السَّرِّ
تَمَنِّيْتُهُ مِنْ نِعْمَةِ الدَّهْرِ فِي شَهْرِ
أَزَاهِيرِ عِلْمٍ لَا تَجِفُّ مَعَ الزَّهْرِ
مَعَارِيضُ لَمْ تَفْتَحْ بَرِيحَ وَلَا جَبْرِ
تُرِيكَ مَدَبَّ الرُّوحِ فِي مُهْجَةِ الذَّرِّ
فَيَا لَكَ مِنْ سُكْرِ أَتَيْحَ بِلَا خَمْرِ
أَلْحُوا عَلَيْهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ
مَحَاسِنَ كَانَتْ زِينَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَشَلُّوا يَدَا كَانَتْ بِهَا رَايَةُ النَّصْرِ
بِأَنَّ حَصَاهَا لَا يُقَوِّمُ بِالدَّرِّ
وَأَيْسَرُ مَا فَلَّوْهُ أَغْلَى مِنَ التَّبْرِ
مُنَاهُمْ وَلَا أَبْقَاوْا عَلَيْهَا مِنَ الْخَتْرِ
إِلَى الْغَيِّ أَخْلَاقُ نَبَتْنِ عَلَى غَمْرِ
عَدُوَّةَ مَا شَادَتْهُ فِينَا يَدُ الْفِكْرِ
لَأَعْوَلَ مِنْ حُزْنٍ عَلَى نُوبِ الدَّهْرِ
إِلَى ذَلِكَ الْبُرْجِ الْمُطَّلِّ عَلَى النَّهْرِ
فَصُوبِي عَلَيْهَا بِالنَّارِ مِنَ الْقَطْرِ
بِهَا لَا بَرَبَاتِ الْقَلَائِدِ وَالشَّذْرِ
خُلُودَ الدَّرَارِيِّ وَالْأَوَابِدِ مِنْ شِعْرِي

مَصَانِعُ فِيهَا لِلْعُلُومِ غَوَامِضُ
رَسَا أَصْلُهَا وَامْتَدَّ فِي الْجَوِّ فَرْعُهَا
فَقُمَّ نَغْتَرَفَ خَمَرَ النَّهْيِ مِنْ دِنَانِهَا
فَتَمَّ عُلُومُ لَمْ تَفْتَقِ كِمَامُهَا
أَقَمْتُ بِهَا شَهْرًا فَأَذْرَكْتُ كُلَّ مَا
نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ لِنَجْنَتِي
إِذَا مَا فَتَحْنَا قَفْلَ رَمَزٍ بَدَتْ لَنَا
فَكَمْ نُكَّتِ كَالسَّحْرِ فِي حَرَكَاتِهِ
سَكْرُنَا بِمَا أَهْدَتْ لَنَا مِنْ لُبَابِهَا
وَمَا سَاءَنِي إِلَّا صَنِيعُ مَعَاشِرِ
أَبَادُوا بِهَا شَمْلَ الْعُلُومِ وَشَوْهُوَ
فَكَمْ سَمَلُوا عَيْنًا بِهَا تَبَصَّرَ الْعُلَا
تَمَنَّاوْا لِقَاطَ الدَّرِّ جَهْلًا وَمَا دَرَوْا
وَقَلُّوا لِحْمَعِ التَّبْرِ صَمَّ صُخُورِهَا
وَلَكِنَّهُمْ خَابُوا فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى
فَتَبًا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ نَزَعَتْ بِهِمْ
أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْجَهَالََةَ إِنَّهَا
فَلَوْ رَدَّتِ الْأَيَّامُ مُهْجَةَ «هُزْمِيس»
فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ أَدِّي تَحِيَّتِي
وَيَا لَمَعَاتِ الْبَرْقِ إِنْ جُرْتَ بِالْحِمَى
عَلَيْهَا سَلَامٌ مِنْ فَوَادٍ مُتَيِّمٍ
وَلَا بَرِحْتُ فِي الدَّهْرِ وَهْيَ خَوَالِدِ

وَكَتَبَ إِلَى صَدِيقِهِ «عبد الله باشا فكري»: (من الطويل)

وَصَاحَتْ بِنَا الْأَطْيَارُ أَنْ وَجَبَ السُّكْرُ
كَوَاكِبُهُ لِلْغَرْبِ وَأَنَحَدَرَ النَّسْرُ
فَإِنِّي أَرَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الذِّكْرُ

أَدِيرَا كُتُوسَ الرِّاحِ قَدْ لَمَعَ الْفَجْرُ
أَمَّا تَرَيَانِ اللَّيْلَ كَيْفَ تَسَلَّلْتُ
فَقَوْمًا انْظُرًا مَا يَصْنَعُ الصُّبْحُ بِالدُّجَى

أَرَى أَدَهْمًا يَتَلَوُهُ أَشْهَبُ طَارِدُ
وَقَدْ حَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي وَكُنَاتِهَا
وَأَصْبَحَتِ الْغُذْرَانُ تَصْقِلُهَا الصَّبَا
تَرْفُ كَمَا رَفَّتْ صَحَائِفُ فَضَّةٍ
كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ تَقْرَأُ مَتْنَهَا
عَصَائِبُ حَوْلَ الْمَاءِ يَذْرَمْنَ هُتَفًا
إِذَا صَرَصَرَ الْبَاذِي تَلَبَّدْنَ بِالْتَرَى
يُسَارِقُنَّهُ حَتَّى إِذَا غَابَ ظِلُّهُ
تَرَاهُنَّ أُسْرَابًا عَلَى الْمَاءِ حَوْمًا
تَرَوْحُ وَتَغْدُو بَيْنَ أَفْنَانِ دَوْحَةٍ
لَهَا فِي نَوَاحِي الْأَفْقِ لَفْتَةٌ أَصِيدُ
مَلَاعِبُ لَهَا يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهَا
فَبَا صَاحِبِي نَجَوَايَ قَوْمًا لِسُرْبِهَا
وَشَأْنُكُمَا فِي الرَّاحِ فَالْعَيْشُ وَالصَّبَا
حَبِيبَتُهُ قَوْمٌ خَلَفُوهَا لِغَيْرِهِمْ
فَجَاءَتْ كِمَصْبَاحِ السَّمَاءِ مُنِيرَةٌ
وَإِنْ أَنْتُمَا غَنَيْتُمَانِي فَلْتَكُنْ
أَنَاشِيدُ فِيهَا لِلْمَلِيحَةِ وَالْهَوَى
لَعَلَّ هَوَاهَا أَنْ يَعُودَ كَمَا بَدَا
مِنَ الْبَيْضِ مَيْسَانُ الْعَشِيَّاتِ غَادَةٌ
إِذَا سَفَرَتْ وَالْبَدْرُ لَيْلَةٌ تَمُّهُ
لَهَا لَفْتَةٌ الْخَشْفِ الْأَعْنُ وَنَظْرَةٌ
تَرُدُّ النُّفُوسَ السَّالِمَاتِ سَقِيمَةً
خَفَضْتُ لَهَا مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةٍ
عَلَى أَنْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَشِيرَتِهَا
فَبَا رَبَّةَ الْخُلُخَالِ رَفْقًا بِمُهْجَتِي
وَبُقْيَا عَلَى قَلْبِي فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِهِ

كَلَا الْفَرَسَيْنِ اغْتَالَ شَاوُهُمَا الْحُضْرُ
وَقَامَ يُحْيِينَا عَلَى سَاقِهِ الزُّهْرُ
وَيَرْقُمُ مَتْنَيْهَا بِلَوْلِيهِ الْقَطْرُ
عَلَيْهِنَّ مِنْ لَأْلَاءِ شَمْسِ الضُّحَى تَبْرُ
صَبَاحًا وَظِلُّ الْغُصْنِ لَاحَ بِهَا سَطْرُ
بِلَحْنٍ لَهُ فِي كُلِّ سَامِعَةٍ أَثَرُ
مِنَ الرُّعْبِ حَتَّى لَا يَبِينَ لَهَا صَرُ
عَنِ الْمَاءِ عَادَ اللَّحْنُ وَانْتَشَرَ الْهَدْرُ
يُقَرِّبُهَا ظِمٌّ وَيُبْعِدُهَا دَعْرُ
سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ مُسْتَوَكَّفٌ غَزْرُ
يَلُوحُ عَلَى أَطْرَافِ عِرْنِينِهِ الْكِبْرُ
وَدُنْيَا نَعِيمٍ لَا يُحِيطُ بِهَا الْفِكْرُ
فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ لَنَا الْحُمُرُ
إِذَا الرَّاحُ لَمْ تَخْفَرْهُمَا فَسَدَ الْعُمُرُ
خَلَّتْ دُونَهَا الْإِبَامُ وَاخْتَلَفَ الْعَصْرُ
إِذَا اتَّقَدَّتْ فِي الْكَأْسِ سَارَ بِهَا السَّفَرُ
أَنَاشِيدُ يَهْفُو دُونَ تَسْمَاعِهَا الصَّبْرُ
مَعَاذِيرُ أَحْوَالٍ يَلِينُ لَهَا الصَّخْرُ
رَخِي الْخَوَاشِي قَبْلَ أَنْ يَنْشَبَ الْهَجْرُ
سَلِيمَةٌ مَا تَحْوِي الْمَعَاقِدُ وَالْأَزْرُ
وَلَا حَا سَوَاءٌ قِيلَ أَيُّهُمَا الْبَدْرُ
تُقْصَرُ عَنْ أَمْثَالِهَا الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
وَتَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْبَيْضُ وَالسُّمُرُ
وَدِنْتُ لِعَيْنَيْهَا كَمَا حَكَمَ الدَّهْرُ
قَوَارِعُ سُوءٍ لَا يَنَامُ لَهَا وَتَرُ
فَبِالْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ لَا يَحْسُنُ الْغَدْرُ
سَوَى حُبِّ عَبْدٍ لِلَّهِ كَانَ لَهُ عَذْرُ

أَخِي وَصَدِيقِي وَابْنُ وَدِّي وَصَاحِبِي
هُوَ الصَّاحِبُ الْمَشْكُورُ فِي الْوَدِّ سَعِيَّهُ
أَمِينٌ عَلَى غَيْبِ الصَّدِيقِ إِذَا وَنَتْ
فَلَا جَهْرُهُ سِرٌّ وَلَا سِرُّ صَدْرِهِ
يَدِبُ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ
لَهُ الْبُلْجَةُ الْغَرَاءُ يَسْرِي شِعَاعُهَا
تَزَاحِمُ أَفْوَاجَ الْكَلَامِ بِصَدْرِهِ
لَهُ قَلَمٌ لَوْلَا غَرَارَةُ فِكْرِهِ
إِذَا اخْتَمَرَتْ بِاللَّيْلِ قِمَّةُ رَأْسِهِ
إِلَيْكَ ابْنُ بَطْحَاءِ الْكَلَامِ تَشَدَّرَتْ
قَلَائِصُ لَا يَزْعِينُ عَازِبَةَ الْكَلَا
وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّعْرُ سَارَتْ عِيَابُهُ
فَأَلْقَ إِلَيْهِ السَّمْعُ يُنْبِئُكَ أَنَّهُ
يَزِيدُ عَلَى الْإِنْشَادِ حُسْنًا كَأَنِّي
قَدُمُ لِلْعُلَا وَالْعِلْمِ وَالْجِلْمِ وَالتَّقَى

وقال: (من الكامل)

وَمَوْضِعُ سِرِّي حِينَ يَعْتَلِجُ الصَّدْرُ
وَمَا خَيْرٌ وَدٌّ لَيْسَ يُلْحَقُهُ شُكْرُ
عُهُودُ أَنْاسٍ أَوْ تَطَرَّقَهَا فَتْرُ
إِذَا امْتَحَنَ الْوَأْشِي ضَمَائِرُهُ جَهْرُ
سَوَاءٍ لَدَيْهَا السَّهْلُ فِي ذَاكَ وَالْوَعْرُ
إِذَا غَامَ أَفْقُ الْفَهْمِ وَالنَّبَسُ الْأَمْرُ
فَلَوْ غَضَّ مِنْ صَوْتٍ لَكَانَ لَهَا هَدْرُ
لَجَفَّتْ لَدَيْهِ السُّحْبُ أَوْ نَفَدَ الْبَحْرُ
تَفَجَّرَ مِنْ أَطْرَافِ لِمَتِّهَا الْفَجْرُ
بِرُكْبِ الْمَعَانِي لَا يَكْفِكِفُهَا الزَّجْرُ
وَلَا يَسْتَبْقِنُ الْمَاءُ إِنْ فَاتَهَا الْعِشْرُ
وَفِي طَيْهَا مِنْ طِيبٍ مَا ضُمِنَتْ نَشْرُ
هُوَ الشَّعْرُ لَا مَا يَدْعِي الْمَلَأُ الْعَمْرُ
نَفَقْتُ بِهِ سِحْرًا وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ
وَنِيلُ الْمُنَى مَا أَوْرَقَ الْغُصْنُ النُّصْرُ

لِهَوَى الْكَوَاعِبِ نِزْمَةً لَا تُخْفَرُ
فَعَلَامَ يَنْهَانِي الْعَدُولُ عَنِ الصَّبَا
قَدْ كَانَ لِي فِي بَعْضِ مَا صَنَعَ الْهَوَى
وَمِنْ الْبَلِيَّةِ غَافِلٌ عَمَّا جَنَّتْ
لَمْ يَدْرِ مَنْ كَحَلَ الْكَرَى أَجْفَانَهُ
يَا غَافِلَا عَنِّي وَبَيْنَ جَوَانِحِي
دَعْنِي أَبْتُكَ بَعْضُ مَا أَنَا وَاجِدُ
فَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى تَبَارِيحِ الْجَوَى
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حُبِّكَ أَنَّي
أُورِدْتَنِي بِلِحَاطِ عَيْنِكَ مَوْرِدًا

وَأَخُو الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لَا يَغْدِرُ
أَوَلَيْسَ أَنَّ هَوَى النُّفُوسِ مُقَدَّرُ
عُذْرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَبَصَّرُ
يَدُهُ عَلَيَّ وَلَائِمٌ لَا يَغْدِرُ
مَاذَا يُكَابِدُ فِي الْهَوَى مَنْ يَسْهَرُ
لَهَبٌ يَكَادُ لَهُ الْحَسَا يَتَقَطَّرُ
وَاحْكُمْ بِمَا تَهْوَى فَأَنْتَ مُخَيَّرُ
لَعَلِمْتَ أَيُّ دَمٍ بِحُبِّكَ يُهْدَرُ
أُغْضِي عَلَى مَضِضِ الْهَوَانِ وَأَصْبِرُ
لِلْحُبِّ مَا لِلْقَلْبِ عَنْهُ مَصْدَرُ

وَاللَّحْظُ أَضْعَفُ مَا يَكُونُ وَأَقْدَرُ
 أَنَّ الْعُيُونَ الْجَوْدَرِيَّةَ تَسَحَرُ
 عَلِمُوا بِمَا صَنَعَ السَّنَانُ الْأَخْوَرُ
 أَقْصَرَ فَرْمُحُكَ عَنْ غَرِيمِكَ أَقْصَرُ
 لَحْظُ تَهِيمٍ بِهِ السَّنَانُ الْأَخْزَرُ
 يَسْطُو عَلَيْهِ مُخْلَخِلٌ وَمُسَوِّرُ
 فِي حَوْمَةٍ لَا يَتَّقِيهَا مَغْفَرُ
 لُ صَائِبٌ وَالْقَدُّ رُمَحٌ أَسْمَرُ
 سَهْمٌ وَقَوْسٌ الْحَاجِبِينَ مُوتَرُ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَصِيدَ الْجَوْدَرُ
 يَسْرِي بِهَا وَلِكُلِّ بَذْرٍ مَظْهَرُ
 تَلْقَى الْهَدَايَةَ فَهُوَ لَيْلٌ أَقْمَرُ
 هَذَا الْمُقَنَّعُ فَاحْذَرُوا أَنْ تُسَحَرُوا
 بِزُجَاجَةِ الْعَيْنِينَ فَهُوَ مُصَوِّرُ
 فَمِنَ الْعُرُوقِ بِهِ سُلُوكُ تُخْبِرُ
 مِيقَاتُهَا وَمَوَاعِدُ لَا تُثْمِرُ
 قَفْصًا بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يَصْفِرُ
 فَيَخَالِنِي طَيَّارَةً مَنْ يُبْصِرُ
 فَالْحُبُّ أَغْلَبُ لِلنُّفُوسِ وَأَقْهَرُ
 وَيَهَابُ صَوْلَتَهُ الْكَمِيُّ الْقَسُورُ
 عَمَّا يَهِيمُ بِهِ الْغَوِيُّ الْأَصُورَةُ
 طَمَعُ الْحَرِيصِ وَيَخْضَعُ الْمُتَكَبِّرُ
 حَلِيٌّ يَعِزُّ بِهِ اللَّبِيبُ وَيَفْخَرُ
 فَالْمُسْتَعِزُّ بِغَيْرِهِ لَا يَظْفَرُ
 فِي الْخَطْبِ هَادٍ خَانَهُ مَنْ يَنْصُرُ
 فَالْمَرْءُ يُفْسِدُهُ الْقَرِينُ الْأَحْقَرُ
 تَزْكُو مَوَدَّتُهَا وَمِنْهُمْ مُنْكَرُ

هِيَ نَظْرَةٌ كَانَتْ ذَرِيعَةً صَبُوءَ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ وَحْيِ جُفُونِهَا
 ظَلَمُوا الْأَسِنَّةَ خَاطِئِينَ وَلَيَّتَهُمْ
 أَمْطَاعِنَ الْفُرْسَانَ فِي حَمَسِ الْوَعَى
 أَيْنَ الرِّمَاحُ مِنَ الْقُدُودِ وَأَيْنَ مَنْ
 هَيْهَاتَ يَثْبُتُ فِي الْوَقِيعَةِ دَارِعُ
 لِلْحُسْنِ أَسْلِحَةٌ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَتْ
 فَالْلَّحْظُ عَضْبٌ صَارِمٌ وَالْهُدْبُ نَبْ
 أَنَّى يَطِيشُ عَنِ الْقُلُوبِ لِعَمْرَةٍ
 يَا لِلْحَمِيَّةِ مِنْ غَزَالٍ صَادَنِي
 بَذْرٌ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ مَنَازِلُ
 انْظُرْ لِطَرَّتِهِ وَغُرَّةِ وَجْهِهِ
 نَادَيْتُ لَمَّا لَاحَ تَحْتَ قِنَاعِهِ
 طَبَعَتْهُ فِي لَوْحِ الْفُؤَادِ مَخِيلَتِي
 وَسَرْتُ بِجِسْمِي كَهَرَبَاءَةٍ حُسْنِهِ
 أَنَا مِنْهُ بَيْنَ صَبَابَةٍ لَا يَنْقُضِي
 جِسْمُ بَرَّتِهِ يَدَ الضَّنَى حَتَّى غَدَا
 لَوْلَا التَّنْفُّسُ لَأَعْتَلَّتْ بِي زُفْرَةٌ
 لَا عَزْوُ أَنْ أَصْبَحْتَ تَحْتَ قِيَادِهِ
 يَعْغُو لِقُدْرَتِهِ الْمَلِيكَ الْمُتَقَى
 وَالْعِشْقُ مَكْرَمَةٌ إِذَا عَفَّ الْفَتَى
 يَقْوَى بِهِ قَلْبُ الْحَبَّانِ وَيَرْغَوِي
 فَتَحَلَّ بِالْأَدَبِ النَّفِيسِ فَإِنَّهُ
 وَإِذَا عَزَمْتَ فَكُنْ بِنَفْسِكَ وَاثِقَا
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَاهَتِهِ
 وَاحْذَرُ مُقَارَنَةَ اللَّيْمِ وَإِنْ عَلَا
 وَمِنَ الرِّجَالِ مَنَاسِبٌ مَعْرُوفَةٌ

فَالْمَرْءُ يَكْبُرُ بِالْفِعَالِ وَيَصْغُرُ
وَلَرُبَّمَا جَلَبَ الدَّنِيئَةَ مَعْشَرُ
خَفِيَ الصَّوَابُ لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ
فَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ يُذَكَّرُ

فَانْظُرْ إِلَى عَقْلِ الْفَتَى لَا جِسْمِهِ
فَلَرُبَّمَا هَزَمَ الْكَتِيبَةَ وَاحِدُ
إِنَّ الْجَمَالَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا
فَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ مَا تَعِيشُ بِذِكْرِهِ

وَقَالَ يَصِفُ الرَّبِيعَ: (من الكامل)

وَتَكَلَّمْتُ بِلُغَاتِهَا الْأَطْيَارُ
فِي بَطْنِ كُلِّ قَرَارَةٍ عَطَارُ
عَرِدُ الْهَدِيرِ وَجَدُولُ رَحَارُ
وَهَوَاجِرُ أَعْمَارُهُنَّ قِصَارُ
عُمْدُ مُشْعَبَةِ الذَّرَى وَمَنَارُ
وَسَمْتُ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَبْصَارُ
وَفُرُوعُهَا لِلنَّيِّرَاتِ مَطَارُ
فُتُلًا تَمْشَتْ فِي ذُرَاهَا النَّارُ
تَزْتَدُّ فَهِيَ تَحْرُكُ وَقَرَارُ
فَتَمَايَلَتْ أَوْ بَيْنَهَا أَسْرَارُ
خَضِرَاءُ تَجْرِي بَيْنَهَا الْأَنْهَارُ
وَيَصِيحُ فِيهَا الْعَنْدَلُ الصَّفَارُ
وَالْقَطْرُ دُرٌّ وَالْبَهَارُ نُضَارُ
زَمَنَ دَمِ الْأَثَامِ فِيهِ جُبَارُ
وَالنَّاسُ بَعْدَ لِعَیْرِهِمْ أَخْبَارُ
وَابْيَضَ مِنِّي مَفْرُقٌ وَعِدَارُ
تَقْدَى بِهَا عَيْنُ الْعِدَا وَوَقَارُ
طَرِبًا وَأَنْ لِّجَهْلِي الْإِقْصَارُ
عِنْدَ الْكَرِيهَةِ ضَيَعُمُ زَّارُ
يَوْمَ الطُّعَانِ وَصَارِمِي بَتَّارُ
رَوَيْتُ بِهِ الْأَفْهَامُ وَهِيَ حِرَارُ

رَفَّ النَّدَى وَتَنَفَّسَ النُّوَارُ
وَتَأَرَّجَتْ سُرُرُ الْبِطَاحِ كَأَنَّمَا
زَهْرٌ يَرِفُ عَلَى الْغُصُونِ وَطَائِرُ
وَنَوَاسِمُ أَنْفَاسُهُنَّ طَوِيلَةٌ
وَالْبَاسِقَاتُ الْحَامِلَاتُ كَأَنَّهَا
عَقَدَتْ ذَلَالِ سَوْقِهَا فِي جِيدِهَا
فَأَصُولُهَا لِلْسَّابِحَاتِ مَلَاعِبُ
يَبْدُو بِهَا زَهْوٌ تَخَالُ إِهَانُهُ
طَوْرًا تَمِيلُ مَعَ الرِّيَّاحِ وَتَارَةٌ
فَكَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهَا سِنَّةُ الْكَرَى
فَإِذَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ أَحْسَنَ جَنَّةٍ
يَتَرْتَّمُ الْعُصْفُورُ فِي عَذَابَاتِهَا
فَالْتُرْبُ مِسْكٌ وَالْجَدَاوِلُ فَضَّةٌ
فَاشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الرَّبِيعِ فَإِنَّهُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَلَّدٍ
إِنِّي وَإِنْ لَعِبَ الزَّمَانُ بِصَعْدَتِي
فَلَنِنْعَمَ مَا بَقِيَتْ لَدَيَّ مَهَابَةٌ
وَسَعَى إِلَى الْحِلْمِ فِي أَنْوَابِهِ
أَنَا لِلصَّدِيقِ كَمَا يُحِبُّ وَلِلْعِدَا
خَيْلِي مُسَوَّمَةٌ وَرُمْجِي ذَابِلُ
وَبِرَاحَتِي قَلَمٌ إِذَا حَرَّكَتُهُ

تَرْتَدُّ عَنْهُ قَنَابِلٌ وَجَحَافِلُ
عَرْدُ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَحِيفَةٍ
وَإِذَا امْتَطَى ظَهَرَ الْبِنَانُ لَغَايَةً
فَإِذَا رَكِبْتُ فَكُلُّ قِرْنٍ أُمِيلُ
أَلْقَى الْكَلَامُ إِلَيَّ ثَنِي عَنَانِهِ
وَتَكَلَّلَ عَنْهُ أَسِنَّةٌ وَشَفَارُ
سَجَدْتُ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الْأَوْتَارُ
خَضَعْتُ إِلَيْهِ قَوَارِحَ وَمِهَارُ
وَإِذَا نَطَقْتُ فَكُلُّ نُطْقٍ رَارُ
وَتَفَاخَرْتُ بِكَلَامِي الْأَشْعَارُ

وَقَالَ وَهُوَ فِي جَزِيرَةِ سَرَنْدِيبَ وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى فِي الْمَنَامِ: (من الطويل)

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ سَمِيرَةٍ زَائِرُ
طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبُ
فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمٌ وَدُونُهُ
تَخْطَى إِلَيَّ الْأَرْضَ وَجَدًا وَمَا لَهُ
أَلَمٌ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ
تَحَمَّلَ أَهْوَالَ الظَّلَامِ مُحَاطِرًا
خَمَاسِيَّةً لَمْ تَذَرِ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى
عَقِيلَةً أَتْرَابِ تَوَالِيْنِ حَوْلَهَا
غَوَافِلُ لَا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ
تَعَوَّدْنَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ وَالِدِ
فَهَنَّ كَعْنُقُودِ الثَّرِيَا تَأَلَّقَتْ
تُمَثِّلُهَا الذُّكْرَى لِعَيْنِي كَأَنَّنِي
فَطَوَّرَا أَخَالَ الظَّنَّ حَقًّا وَتَارَةً
فَيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَجَبَّتِي
وَلَوْ لَا أَمَانِي النَّفْسِ وَهِيَ حَيَاتُهَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَنْفَاسُ إِلَّا نَهَائِبُ
إِذَا أَحْسَنْتَ يَوْمًا أَسَاءَتْ ضَحَى غَدِ
تَرُبُّ الْفَتَى حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ
لَهَا تَرَةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ وَمَا لَهَا

وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ
بَأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالْأَفْقِ حَائِرُ
مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ
سَوَى نَزَوَاتِ الشُّوقِ حَادٍ وَزَاجِرُ
أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدِّيَاجِرُ
وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لَا تُخَاطِرُ
وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفَحَتَيْهَا السَّتَائِرُ
كَمَا دَارَ بِالْبَدْرِ النُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
وَلَا هُنَّ بِالْخَطْبِ الْمُلِمِّ شَوَاعِرُ
رَحِيمٌ وَبَيَّتْ شَيْدَتُهُ الْعَنَاصِرُ
كَوَكَبُهُ فِي الْأَفْقِ فَهِيَ سَوَافِرُ
إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْأَرْضِ نَاطِرُ
أَهِيْمُ فَتَغْشَى مُقْلَتِي السَّمَائِرُ
وَيَا قُرْبَ مَا التَّفْتُ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ
لَمَّا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ
لَدَيْهَا وَمَا الْأَجْسَامُ إِلَّا عَقَائِرُ
فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ
دَهْتُهُ كَمَا رَبَّ الْبَهِيمَةَ جَارِرُ
عَلَى طَوْلٍ مَا تَجْنِي عَلَى الْخَلْقِ وَائِرُ

كَثِيرَةُ أَلْوَانِ الْوِدَادِ مَلِيَّةٌ
فَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَةٍ نَاقِدٍ
صَبَرْتُ عَلَى كُرْهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي
وَمَا الْجُلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ
وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزْتُ
فَلَا يَشْمِتُ الْأَعْدَاءُ بِي فَلَرُبَّمَا
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ
وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُنَى
وَطَيْدٌ يَزِلُّ الْكَيْدُ عَنْهُ وَتَنْقُضِي
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى اللَّهِ فِي الَّذِي
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلُوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ
وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَخِبْ
تَقَلُّ دَوَاعِي النَّفْسِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
وَكَيْفَ يَبِينُ الْفَضْلُ وَالنَّقْضُ فِي الْوَرَى
وَمَا حَمَلَ السَّيْفُ الْكَمِيَّ لِزِينَةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَعِيشَةُ مَطْلَبٌ
فَلَوْ لَا الْعُلَا مَا أُرْسِلَ السَّهْمُ نَازِعٌ
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدُّنْيَا مَا جُدَّ
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الرَّدَى
فَمِنْ صِحَّةِ الْإِنْسَانِ مَا فِيهِ سَقْمُهُ
عَلَيَّ طَلَابُ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ
فَمَا كُلُّ مَحْلُولِ الْعَرِيكَ خَائِبٌ
فَمَاذَا عَسَى الْأَعْدَاءُ أَنْ يَتَقَوْلُوا
فَلِي فِي مَرَادِ الْفَضْلِ خَيْرٌ مَغْبِيَّةٌ
مَلَكْتُ عُقَابَ الْمُلِكِ وَهِيَ كَسِيرَةٌ
وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ

بِأَنْ يَتَوَقَّاهَا الْقَرِيبُ الْمُعَاشِرُ
دَرَى أَنَّهَا بَيْنَ الْأَنَامِ تُقَامِرُ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنُذُوحَةً فَهُوَ صَابِرٌ
بِمُسْتَحْسِنِ كَالْجِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
دَوَاعِي الْمُنَى فَالْصَّبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ
وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّا أَحَازِرُ
وَتَنَهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرُ
مُجَاهِدَةِ الْأَيَّامِ وَهُوَ مُتَابِرُ
يُحَازِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهُوَ خَاسِرُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا طَائِشُ اللَّبِّ نَافِرُ
جَبَانٌ وَلَمْ يَحِوِ الْفَضِيلَةَ ثَائِرُ
وَتَقْوَى هُمُومِ الْقَلْبِ وَهُوَ مُغَامِرُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ سَوْمَ الرِّجَالِ الْمَآثِرُ
وَلَكِنْ لِأَمْرِ أَوْجَبَتْهُ الْمَفَاجِرُ
فَكُلُّ زَهِيدٍ يُمْسِكُ النَّفْسَ جَابِرُ
وَلَا شَهْرَ السَّيْفِ الْيَمَانِي شَاهِرُ
وَيَقْبَلُ مَكْدُوبَ الْمُنَى وَهُوَ صَاغِرُ
فَكُلُّ الَّذِي فِي الْكَوْنِ لِلنَّفْسِ ضَائِرُ
وَمِنْ أَمْنِهِ مَا فَاجَأَتْهُ الْمَخَاطِرُ
وَلَا ذَنْبٌ لِي إِنْ عَارَضْتَنِي الْمَقَادِرُ
وَلَا كُلُّ مَحْبُوكِ التَّرِيكَةِ ظَافِرُ
عَلَيَّ وَعِزُّي نَاصِحُ الْجَبِّ وَافِرُ
إِذَا شَانَ حَيًّا بِالْخِيَانَةِ ذَاكِرُ
وَعَادَرْتُهَا فِي وَكْرِهَا وَهِيَ طَائِرُ
لَصَبَحَنِي قَسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرُ

تُعَابُ بِهَا وَالدَّهْرُ فِيهِ الْمَعَايِرُ
إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ
وَقَدْ لَا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ
لِكَأَثَرِ رَبِّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرُ
فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَعَى وَهُوَ حَاسِرُ
نَعِيمٌ وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمَفَاقِرُ
صُئُولٌ وَأَفْوَاهُ الْمَنَآيَا فَوَاقِرُ
وَلَا أَنَا إِنْ أَقْصَانِي الْعُدْمُ بَاسِرُ
وَلَا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرِفِ الْمَرْءَ سَائِرُ
فَحِلْيَتُهُ وَصُمُّ لَدَى الْحَرْبِ ظَاهِرُ
تَقَاسَمَهَا فِي الْأَهْلِ بَادٍ وَحَاضِرُ
وَكَمْ سَيِّدٍ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوَافِرُ
وَتَنْزُرُو بِعَوْرَاءِ الْحَقُودِ السَّرَائِرُ
غَيَابَتُهَا وَاللَّهُ مَنْ شَاءَ نَاصِرُ
تَرَامَتْ بِأَفْلَازِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ
إِلَى غَايَةِ تَنَفَّتْ فِيهَا الْمَرَائِرُ
عَلَى فَلَكَةِ السَّاقِينَ فِيهَا الْمَآزِرُ
وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَائِرُ
فَمَا أَوَّلُ إِلَّا وَيَتْلُوهُ آخِرُ

وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةَ سَوَاءً
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّهُ
فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبُ
وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى
فَلَا غَرَوْ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيَا
أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَنْ دَرْكِ الْعُلَا
قُئُولٌ وَأَحْلَامُ الرِّجَالِ عَوَازِبُ
فَلَا أَنَا إِنْ أَدْنَانِي الْوَجْدُ بِاسْمِ
فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنِسِ الْعِرْضَ فَاضِحُ
إِذَا مَا ذُبَابُ السَّيْفِ لَمْ يَكْ مَاضِيَا
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ قَلَّ رَزِيَّةُ
فَكَمْ بَطَلٍ قَلَّ الزَّمَانُ شَبَابَتُهُ
وَأَيُّ حَسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كِلَالَةُ
فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاطِرِ
وَمَا هِيَ إِلَّا عُمُرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي
فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظِلْمَةِ الْحَبْسِ بَعْدَمَا
فَمَهْلًا بَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا فَإِنَّا
تَطُولُ بِهَا الْأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي
هُنَالِكَ يَغْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

وقال في الغزل: (من البسيط)

أَرَبَّةُ الْعُودِ أَمْ قُمْرِيَّةُ السَّحَرِ
غَنَّتْ فَحَرَكْتَ الْأَشْجَانَ بِالْوَتَرِ
حَوْرَاءُ لِلْسَّحْرِ فِي الْحَاطِظِهَا أَثَرُ
يَرِيكَ أَنَّ الرُّقَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَرِ

لَوْ لَمْ تَكُنْ قَمَرًا فِي الْحُسْنِ مَا ظَهَرَتْ
لَأَعْيُنِ النَّاسِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ
أَمَلْتُ عَلَيَّ بِلَحْظَيْهَا حَدِيثَ هَوَى
عَرَفْتُ مِنْهُ ضَمِيرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ جَفْنَيْهَا إِذَا نَظَرْتُ
«هَارُوتُ» يَغْبِثُ بِالْأَلْبَابِ وَالْفِكَرِ
لَا عَرُوْ أَنْ هِمْتُ مِنْ وَجْدٍ بِصُورَتِهَا
فَالْحُسْنُ مَشْغَلَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْبَصَرِ
لَا تَقْنَعُ الْعَيْنُ مِنْهَا كُلَّمَا نَظَرْتُ
وَكَيْفَ يَقْتَنِعُ الْمُشْتَأَقُ بِالنَّظَرِ
نَاعَيْتُهَا بِلِسَانِ الشَّوْقِ فَازْدَهَرَتْ
لِلْحُسْنِ فِي وَجْنَتَيْهَا وَرَدَتَا خَفَرِ
وَأَزُورَ حَاجِبُهَا عَنْ نَظْرَةٍ رَشَقَتْ
سَوَادَ قَلْبِي بِسَهْمٍ صَيْغَ مَنْ حَوَرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِرُقَى الْأَشْعَارِ أَعْطَفَهَا
وَرُقِيَّةَ الشَّعْرِ تُجْرِي الْمَاءَ فِي الْحَجَرِ
حَتَّى إِذَا عَلِمْتُ أَنِّي بِهَا كَلِفٌ
وَأَنَّني مِنْ تَجَنُّيْهَا عَلَى خَطَرِ
تَبَسَّمْتُ فَجَلَّتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا
يَأْقُوتَةً أُوْدِعْتُ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرِّ
فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي جَنَّةٍ يَنْعَتُ
أَفْنَانُهَا بِثِمَارِ الْأُنْثَى وَالْحَبَرِ
أَبْحْتُ لِلْعَيْنِ فِيهَا مَا تَقَرُّ بِهِ
وَذُدْتُ كَفَّ الصَّبَا عَنْ مَعْقِدِ الْأُزْرِ
حَتَّى اشْرَأَبْتُ عُقَابُ الْفَجْرِ وَأَنْطَلَقْتُ
حَمَائِمُ الشُّهْبِ مِنْ أُحْبُولَةِ السَّحَرِ

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِرَوْنِقِهَا
 تَارِيخَ لَهْوٍ لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطْرِ
 وَسَمْتُهَا بِضِيَاءِ الْكَأْسِ فَالْتَمَعْتُ
 وَزِينَةَ الدُّهْمِ فِي الْأَوْضَاحِ وَالْغَرَرِ
 لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا
 لَبِغْتُ فِيهَا لَذِيذَ النَّوْمِ بِالسَّهَرِ
 وَلَّتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ فَذْلِكَةٍ
 تَلُوحُ فِي دَفْتَرِ الْأَوْهَامِ وَالذُّكْرِ
 وَأَيُّ بَاقٍ عَلَى الْإَيَّامِ نَطْلُبُهُ
 وَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا إِلَى صَدْرِ
 فَلَا تَثِقُ بِوَفَاءِ الدَّهْرِ إِنَّ لَهُ
 غَدْرًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْتَّمَرِ
 وَلَا تَغْرُنْكَ مِنْ وَجْهِ بَشَاشَتِهِ
 فَالْسَّمُّ يُوجَدُ فِي نَضْرِ مِنَ الشَّجَرِ
 قَدْ كِدْتُ أَتِهِمْ ظَنِّي فِي فِرَاسَتِهِ
 مَنْ طُولِ مَا اشْتَبَهَتْ عَيْنَايَ فِي الصُّورِ
 فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا سَمَحَتْ
 بِهِ إِلَيْكَ وَكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ
 وَسَلِّمِ الدَّهْرَ تَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِ
 فَصَاحِبُ الشَّرِّ لَا يَنْجُو مِنَ الْكَدَرِ
 لَا يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ أَرْبٍ
 إِلَّا بِتَرْكِ الَّذِي يَخْشَاهُ مِنْ ضَرَرٍ
 فَانْعَمْ وَطِبْ وَالْهُوَ وَاطْرَبْ وَاسْعَ وَاعْلُ وَسُدْ
 وَأَشْرَبْ وَغَنَّ وَتَهْ وَالْعَبْ وَهَمْ وَطِرْ
 لَا يَقْنَطُ الْمَرْءُ مِنْ غُفْرَانٍ خَالِقِهِ
 مَا لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِالْبَعْثِ وَالْقَدَرِ

وقال: (من البسيط)

لَا شَيْءَ فِي الدَّهْرِ يُغْنِي عَنْ أَخِي ثَقَّةٍ
قَضَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رُمْتَهُ وَطَرًا
يَكُونُ فِيهِ بَلَغُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
إِلَّا مُحَادَثَةَ الْإِخْوَانِ فِي السَّمَرِ

وقال: (من المنسرح)

صَبَحَ مَطِيرٌ وَنَسَمَةٌ عَطِرَةٌ
فَدُرَّ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُ شِئْتَ تَجِدُ
سَمَاوُهَا بِالْغُصُونِ وَاشْجَةً
مَنْظَرُ لَهْوٍ تُعِيدُ بِهِجَتُهُ
فَالْعُفْرُ تَحْتَ الظَّلَالِ رَاتِعَةٌ
وَالطَّلُّ يَنْهَلُ مِنْ مَسَاقِطِهِ
جَدَاوِلُ فِي الْفَضَاءِ جَارِيَةٌ
دُنْيَا نَعِيمٍ تَكَادُ زَهْرَتُهَا
لَا ظِلُّهَا رَاكِدُ النَّسِيمِ وَلَا
فِيَا بَنَ وَدِّي هَلُمَّ نَقْتَسِمِ الْـ
وَحَلْنَا مِنْ سِيَاسَةِ دَرَجَتِ
يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرِ
خَدِيعَةٍ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا
مَا لِي وَلِلنَّاسِ لَا لَدَيَّ لَهُمْ
قَدْ التَّقِينَا مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ
نَلْهُو بِهَا حَقَبَةً وَنَتْرُكُهَا
كُلُّ أَمْرٍ ذَاهِبٌ لِغَايَتِهِ
يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا
وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي

وَأَنْفُسٌ لِلصَّبُوحِ مُنْتَظَرَةٌ
مُلْكًا كَبِيرًا وَجَنَّةَ خَضِرَةٍ
وَأَرْضُهَا بِالنَّبَاتِ مُؤْتَزَرَةٌ
أَكِنَّةَ الْعَيْشِ وَهِيَ مُنْحَسِرَةٌ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْغُصُونِ مُنْتَشِرَةٌ
مِثْلَ عُقُودِ الْجَمَانِ مُنْتَثِرَةٌ
وَمُزْنَةٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُمْ مَرَةٌ
تَزْرِي عَلَى الشَّمْسِ وَهِيَ مُزْدَهَرَةٌ
غُذْرَانُهَا بِالْغَنَاءِ مُحْتَمِرَةٌ
لَهُوَ فَنَسْفِي إِلَى الصَّبَا حَسِرَةٌ
بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغِرَةٌ
فَبَيْسَ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةِ
بَيْنَ هُمُومٍ وَعَيْشَةٍ كَدِرَةٍ
حَقٌّ يُؤَدَّى وَلَا عَلَيَّ تَرَةٌ
فِي دَارِ دُنْيَا بِأَهْلِهَا غَدَرَةٌ
إِلَى مَهَاوٍ فِي الْأَرْضِ مُنْحَدِرَةٌ
وَكُلُّ نَفْسٍ بِالْغَيْبِ مُؤْتِمِرَةٌ
يَسْرُ نَفْسِي فَإِنَّهَا وَجِرَةٌ
فَإِنَّ نَفْسِي إِلَيْكَ مُفْتَقِرَةٌ

وَقَالَ يَرِثِي حَاضِنَتَهُ: (من الطويل)

صَحْبَتُكَ فِي حَفْضِ مِنَ الْعَيْشِ أَنْصَرِ
سَلِيمَةً قَلْبٍ فِي مَغِيبٍ وَمَحْضَرِ
تُؤَافِيكَ فِي رَوْضِ مِنَ الْقُدْسِ أَخْضَرِ

أَمْزَيْمٌ لَا وَاللَّهِ أَنْسَاكَ بَعْدَمَا
فَقَدْ كُنْتَ فِينَا بَرَّةَ الْقَوْلِ سَرَّةَ
فُلُوقِيَّتٍ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خَيْرَ تَحِيَّةِ

وَقَالَ يَرِثِي وَلَدَهُ: (من الطويل)

بَعَيْنِ تَكَادُ الرُّوحُ فِي دَمْعِهَا تَجْرِي
بِرْزُئِي وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ
وَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يَصْدَعُ فِي الصَّخْرِ
وَهَلْ لِأَمْرِي لَمْ يَبِكْ فِي الْحُزْنِ مِنْ عَذْرِ
وَبُؤْسٍ فَلَا يُرْجَى لِنَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ
لَأُصْبِرَ لَكِنَّا إِلَى غَايَةِ نَسْرِي
عَلَى النَّفْسِ مَا أَرْجُوهُ مِنْ مَوْعِدِ الْحَشْرِ

بَكَيْتُ عَلَيَّا إِذْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
وَإِنِّي لِأَدْرِي أَنَّ حُزْنِي لَا يَفِي
وَكَيْفَ أَدُودُ الْقَلْبِ عَنْ حَسْرَاتِهِ
يَلُومُونَنِي أَنِّي تَجَاوَزْتُ فِي الْبُكَاءِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْرَحْ وَيَحْزَنَ لِنِعْمَةٍ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا قِسْمَةُ اللَّهِ فِي الْوَرَى
لَقَدْ خَفَّفَ الْبَلَاؤَ وَإِنْ هِيَ أَشْرَفَتْ

وَقَالَ يَرِثِي وَلَدَهُ أَيْضًا: (من السريع)

لَكِنْ تَصَبَّرْتُ عَلَى جَمْرٍ
أَنْ يَسْبِقَ السَّلَوةَ بِالصَّبْرِ

لَمْ أَصْطَبِرْ بَعْدَكَ مِنْ سَلَوةٍ
وَشِيمَةِ الْعَاقِلِ فِي رُزْئِهِ

وَقَالَ فِي الصَّبْرِ: (من الطويل)

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَابٌ وَلَا نُكْرُ
عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ مَا حِمَدَ الصَّبْرُ

صَبَّرْتُ وَمَا بِالصَّبْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ

وقال: (من البسيط)

لَهُ الْمَقَادِيرُ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى الْحَذَرِ
مِنْ خَبِيَةِ الرَّأْيِ لَمْ يَعْتَبْ عَلَى الْقَدَرِ

لَوْ كَانَ يَذْرِي الْفَتَى مَكُونٌ مَا حَبَّأْتُ
وَلَوْ دَرَى أَنَّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَتٍ

وقال: (من الطويل)

بَلَوْتُ إِخَاءَ النَّاسِ دَهْرًا فَلَمْ أَجِدْ أَخَا ثِقَةٍ يَرْعَى مَغِيبِي كَمَحْضَرِي
فَإِنْ أَتَغَيَّرَ عَنْ وِدَادٍ فَإِنِّي أَرَى كُلَّ شَيْءٍ عُرْضَةً لِلتَّغْيِيرِ

وَقَالَ لِأَحَدِ الْوُلاَةِ فِي يَوْمٍ قَطَعَ سَدَّ النَّيْلِ: (من الوافر)

أَيَا مَلِكًا هَمَّتْ كَفَاهُ جُودًا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ بَادٍ وَقَارِي
عَرَكَ النَّيْلُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ فَالْبَيْسُ الْكَرَامَةُ فَهُوَ عَارِي

وقال: (من الطويل)

يُسَائِلُنِي عَمَّا كَتَمْتُ مِنَ الْهَوَى صَدِيقِي وَفِي بَعْضِ الْإِجَابَةِ مَا يُزْرِي
فَإِنْ لَمْ أَقُلْ حَقًّا كَذَبْتُ عَلَى الْهَوَى وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي عَاشِقٌ بُحْتُ بِالسَّرِّ

وقال: (من الرجز)

يَا رَبَّ بِيضَاءَ مِنَ الْجَوَارِي جَاءَتْ بِطِفْلِ أَسْوَدٍ كَالْقَارِ
أَخْرَجَهُ مِنْ لُجَةِ الْأَنْوَارِ مَنْ أَخْرَجَ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ
سُبْحَانَهُ مَنْ فَاعِلٌ مُخْتَارِ

وقال: (من الطويل)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَظْتُ مَنْ كَانَ رَاقِدًا وَأَنْذَرْتُ لَكِنْ لَمْ تَكُنْ تَنْفَعُ النَّذْرُ
نَصَحْتُ فَكَذَّبْتُمْ فَلَمَّا أَتَى الرَّدَى عَمَدْتُمْ لِتَصْدِيقِي وَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ
فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيكُمْ غَيْرُ حَسْرَةٍ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي غَيْرُ مَا عَافَهُ الصَّدْرُ
فَجَاءَ الَّذِي كُنْتُمْ تَخَافُونَ شَرَّهُ وَزَالَ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهِ شَعْرُ

وقال: (من المتقارب)

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ
فَلَا تَحْسَبْنِي جَهْلْتُ الصَّوَابَ
ثَنْتُ عَزَمَتِي ثَوْرَةُ الْمُفْسِدِينَ
وَكُنَّا جَمِيعًا فَلَمَّا وَقَعْتُ
وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ
وَلَكِنِّي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ
وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَصْبِرْ
وَلَكِنْ هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرْ
وَعَلَّتْ يَدِي فَتْرَةُ الْعَسْكَرِ
صَبَرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِي
لَقُلْتُ مَقَالَةَ مُسْتَبْصِرٍ
رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْعُنْصُرِ

وقال وَهُوَ فِي السَّجْنِ: (من الرمل)

شَفَّنِي وَجِدِي وَأَبْلَانِي السَّهَرُ
فَسَوَادُ اللَّيْلِ مَا إِنَّ يَنْقُضِي
لَا أَنِيسَ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَلَا
بَيْنَ حَيْطَانٍ وَبَابٍ مُوصِدٍ
يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا
كُلَّمَا دُرْتُ لِأَقْضِي حَاجَةً
أَتَقَرَّى الشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَلَا
ظُلْمَةٌ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ كَوَكِبٍ
فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفِرِي
هِيَ أَنْفَاسُ تَقْضَى وَالْفَتَى
وَتَغَشَّتْنِي سَمَادِيرُ الْكَدَرِ
وَبَيَاضُ الصُّبْحِ مَا إِنَّ يُنْتَظَرُ
خَبَرُ يَأْتِي وَلَا طَيْفُ يَمُرُ
كُلَّمَا حَرَّكَه السَّجَّانُ صَرُ
لَحِقَتْهُ نَبَأَةٌ مِنِّي اسْتَقَرُ
قَالَتِ الظُّلْمَةُ مَهْلًا لَا تَدُرُ
أَجْدُ الشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقَرُ
غَيْرُ أَنْفَاسٍ تَرَامِي بِالشَّرَرِ
إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرِ
حَيْثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرِ

وكتب إلى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ: (من الطويل)

لَئِنْ فَرَّقْتَ مَا بَيْنَنَا شُقَّةَ النَّوَى
فَشَخْصُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي
لَعَمْرِي وَحَالَتْ دُونَنَا نُوْبُ الدَّهْرِ
وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَسِرُّكَ فِي صَدْرِي

وقال في النصيحة: (من الرمل)

مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِلا آلَةٍ
فَاصْبِرْ عَلَى الْمَكْرُوهِ تَظْفِرْ بِمَا
وَقِفْ إِذَا مَا عَرَضَتْ شُبْهَةٌ
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ مَضَى
وَلَا تَعَامِلْ صَاحِبًا بِالَّتِي
وَعُضُّ مِنْ طَرْفِكَ إِنْ خِفْتَهُ

أَدْرَكُهُ الدُّلُّ مَكَانَ الظَّفَرِ
شِئْتُ فَقَدْ حَارَ الْمُنَى مِنْ صَبْرٍ
فَاللَّبْتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْغَرَرِ
يَا لَيْتَهُ دَامَ وَخُذْ مَا حَضَرَ
تَرْجِعْ عَنْهَا تَائِبًا تَعْتَذِرُ
فَحَاجِبُ الشَّهْوَةِ غَضُّ الْبَصَرِ

وقال: (من البسيط)

وَنَبَأَةٌ أَطْلَقَتْ عَيْنِي مِنْ سِنَةٍ
فَقُمْتُ أَسْأَلُ عَيْنِي رَجَعَ مَا سَمِعْتُ
ثُمَّ اشْرَأَبْتُ فَأَلَفْتُ طَائِرًا حَذِرًا
مُسْتَوْفِرًا يَتَنَزَّى فَوْقَ أَيْكَتِهِ
لَا تَسْتَقِرُّ لَهُ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ
يَهْفُو بِهِ الْعُصْنُ أَحْيَانًا وَيَرْفَعُهُ
مَا بَالُهُ وَهُوَ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ
إِذَا عَلَا بَاتٍ فِي خَضِرَاءٍ نَاعِمَةٍ
يَا طَيْرُ نَفَرْتُ عَنِّي طَيْفٌ غَانِيَةٌ
حَوْرَاءُ كَالرُّثْمِ أَلْحَاطًا إِذَا نَظَرْتُ
زَالَتْ خَيَالُهَا عَنِّي وَأَعْقَبَهَا
فَهَلْ إِلَى سِنَةٍ إِنْ أَعُورَتْ صِلَةٌ

كَانَتْ جِبَالَةً طَيْفٌ زَارَنِي سَحَرًا
أُذْنِي فَقَالَتْ لَعَلِّي أَبْلُغَ الْخَبْرَا
عَلَى قَضِيبٍ يُدِيرُ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
تَنْزِي الْقَلْبِ طَالُ الْعَهْدِ فَادْكُرَا
فَكُلَّمَا هَذَا أَنْفَاسُهُ نَفَرَا
دَحَو الصَّوَالِجِ فِي الدَّيْمُومَةِ الْأُكْرَا
لَا يَبْعَثُ الطَّرْفَ إِلَّا خَائِفًا حَذِرَا
وَإِنْ هَوَى وَرَدَ الْغُدْرَانُ أَوْ نَقَرَا
قَدْ كَانَ أَهْدَى لِي السَّرَّاءِ حِينَ سَرَى
وَصُورَةَ الْبَدْرِ إِشْرَاقًا إِذَا سَفَرَا
شَوْقٌ أَحَالَ عَلَيَّ الْهَمَّ وَالسَّهْرَا
عَوْدٌ نَنَالَ بِهِ مِنْ طَيْفِهَا الْوَطَرَا

وقال: (من السريع)

مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى السَّاهِرِ
يَا مُخْلِيفَ الْوَعْدِ أَلَا زُورَةٌ
تَرَكْتَنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْهَوَى

أَمَّا لِهَذَا اللَّيْلِ مِنْ آخِرِ
أَقْضِي بِهَا الْحَقَّ مِنَ الزَّائِرِ
فِي لُحْجٍ بَحْرِ بِالرَّدَى زَاخِرِ

أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَيْبَ الْمُنَى وَالْمَحُ الشُّبْهَةَ فِي خَاطِرِي
فَتَارَةً أَهْدَأَ مِنْ رَوْعَتِي وَتَارَةً أَفْزَعُ كَالطَّائِرِ
وَبَيْنَ هَاتَيْنِ شَبَابًا لَوْعَةً لَهَا بِقَلْبِي فَتْكَةُ الثَّائِرِ
فَهَلْ إِلَى الْوَصْلَةِ مِنْ شَافِعٍ أَمْ هَلْ عَلَى الصَّبْوَةِ مِنْ نَاصِرِ
يَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ فَإِنَّ الْمُنَى فِي الصَّبْرِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِ

وَقَالَ يُورُخُ عَوْدَةَ «إِسْمَاعِيلَ بَاشَا» خَدِيوِ مِصْرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ: (من مجزوء
الكامل)

رَجَعَ الْخَدِيوِ لِمِصْرِهِ وَأَتَتْ طَلَائِعُ نَصْرِهِ
وَتَهَلَّلَتْ بِقُدُومِهِ فَرَحًا أَسْرَةً عَصْرِهِ
فَلْتَبْتَهِجْ أَوْطَانَهُ بِحُلُولِهِ فِي قَصْرِهِ
وَلْيَسْتَهْزِ تَارِيخُهُ رَجَعَ الْخَدِيوِ لِمِصْرِهِ

وقال في «محمد توفيق باشا» حِينَ عُنِيَ نَاطِرَ النَّظَارِ: (من السريع)

بِكَ اسْتَقَامَتْ مِصْرُ حَتَّى غَدَتْ يَحْمَدُهَا الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ
وَكَيْفَ لَا تُبْصِرُ قَصْدَ الْهُدَى حُكُومَةً أَنْتَ لَهَا نَاطِرُ

وقال: (من المجتث)

أَغْرَّةٌ تَخْتَطِرُهُ أَمْ نُورٌ فَجَرٍ بِسُحْرِهِ
وَذَاكَ فَرْعٌ وَنَهْدٌ أَمْ صَوْلَجَانٌ وَأُكْرَهُ
سَمَرَاءُ تَهْفُو بِقَدِّ كَالرُّمَحِ لَيْنًا وَسُمْرُهُ
مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَاةِ بِشَبْرِهِ
فَقُلْتُ يَا نُورَ عَيْنِي مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرُهُ
فَنَقَبْتُ وَجَنَّتِيهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرِهِ
وَقَالَتْ اسْكُتْ وَإِلَا تَصِيرُ فِي النَّاسِ شُهْرُهُ
فَقُلْتُ هَلْ مِنْ وَصَالٍ يَكُونُ لِلْحُبِّ أَجْرُهُ
فَاسْتَضَحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ عَلَى الْخَدِيعَةِ بُكْرُهُ

وقال: (من الخفيف)

غَادَةً كَالْمَهَاةِ تَهْفُو بِخَضِرٍ
تِلْكَ عَمْرِي هِيَ الْحَيَاةُ فَلَا تُؤْ
فَاقْسِمِ الْعُمْرَ بَيْنَ جَدٍّ وَهَزَلٍ
وَأَسْعَ تَبْلُغَ مَا رُمْتَهُ مِنْ نَفْسٍ
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى إِذَا كَانَ شَهْمًا
تَحْتَ بِنْدٍ كَمَعْصَمٍ فِي سَوَارٍ
ثِرٌ عَلَيْهَا جَلِيلٌ الْأَوْطَارِ
وَوَقَارٌ طَوْرًا وَخَلْعٌ عِذَارٍ
فَالْمَسَاعِي مَدَارِجُ الْأَحْرَارِ
مُبْتَغَاهُ فِي ضَحْوَةٍ مِنْ نَهَارٍ

وقال: (من الطويل)

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي فَإِنْ جَفَا
فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُدْتُ وَإِنْ أَبَى
فَإِنْ زَادَنِي هَجْرًا ضَرَبْتُ عَنْ اسْمِهِ
وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ غَيْرَ أَنَّي
عَتَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَافٍ وَلَا وَعِرٍ
صَبِرْتُ لِأَرْعَى زِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ
وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي
أُنْزَهُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْغَدْرِ

وقال: (من البسيط)

لِكُلِّ حَيٍّ نَذِيرٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ
يَرْجُو وَيَخْشَى أُمُورًا لَوْ تَدَبَّرَهَا
تَرَاهُ يَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ مُعْتَقِدًا
وَكَيْفَ تَنْقَى ثِيَابُ الْمَرْءِ مِنْ دَنَسٍ
يَا فَارِسَ الْخَيْلِ كَفَكِفَ عَنْ أَعْنَتِهَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَا مَا لَسْتَ تَبْلُغُهُ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ إِلَى أَمَدٍ
لَا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ
فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَوْهَبْهُ مَغْفِرَةً
وَاعْجَلْ وَلَا تَنْتَظِرْ تَوْبًا غَدَاةً غَدٍ
هَيْهَاتَ لَا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَمَلٍ
يُوجِي إِلَيْهِ بِمَا تَعَيَّا بِهِ النُّذُرُ
لَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأْمِيلُ وَالْحَذَرُ
أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَدَيْهِ السَّامُ وَالشَّدَرُ
وَقَلْبٌ لَا يَسْهَى مِنْ غَدْرِهِ قَذَرُ
فَقَدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الْأَحْلَاسُ وَالْعُدْرُ
مَنْ الْبَقَاءِ فَبُئْسَ الْبُطْلُ وَالْهَذَرُ
وَالدَّهْرُ قُرْحَانٌ لَا يُبْقِي وَلَا يَدُرُ
وَلَا يَدُومُ عَلَيْهِ النَّاطِقُ الْبَذَرُ
تَمَحُّو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْبِ يَعْتَدِرُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ تُقْبَلُ الْعِذْرُ
هَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا فَاسِدٌ مَذَرُ

وقال: (من الطويل)

فَطُفَ بِالْحُمَيَّا فَهِيَ رِيحَانَةُ الْعُمْرِ
سُلَافًا وَإِيَّاكَ الْفُضِيخُ مِنَ التَّمْرِ
وَصَافِيَةُ الْعُنُقُودِ لِلْمَاجِدِ الْعُمْرِ
تَدُورُ بِهَا فِي ظِلِّ أَلْوِيَةِ حُمَرِ
عَلَيْهَا كَمَا دَارَ الشَّرَارُ عَلَى الْجَمْرِ
بِلا كَوَكِبِ وَالْأَرْضُ تَسْبَحُ فِي غَمْرِ
لَكَانَتْ خَفَا بَيْنَ الدَّسَاكِرِ كَالضُّمْرِ
كَمَا زُفَّتِ الْحَسَنَاءُ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ
ثَمِيلَتُهَا وَالْخَيْلُ تَحْمَدُ بِالضُّمْرِ
وَبَيْنَ لَيَالٍ مِنْ كَوَاكِبِهَا نُمْرِ
بِمَا دَارَ مِنْ أَقْدَاحِهَا فُزْتُ بِالْقُمْرِ
وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النُّحَاةِ وَمِنْ عَمُرِ
وَلَكِنْ خَلْتُ مِنْ فَتَكَةِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
قُلُوبُ الْوَرَى فِيهَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْغُمْرِ
وَلَا تَحْتَلِبْ ضَرَعَ الشَّقَاقِ وَلَا تَمْرِ
فَيَا رَبِّ فَضْلٍ يَبْهَرُ الْعَقْلَ فِي طَمْرِ
وَلِلْمَوْتِ فِينَا وَثْبَةُ اللَّيْثِ وَالنُّمْرِ
وَلَكِنْ صَفَاءُ الْعَيْشِ لِلْجَاهِلِ الْعُمْرِ
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الدَّهْرِ يَسْعَى إِلَى أَمْرِ

أَلَا هَتَفْتُ بِالْأَيِّكَ سَاجِعَةَ الْقُمْرِ
وَإِنْ أَنْتَ أَتَرَعْتَ الْأَبَارِيقَ فَلْتَكُنْ
فَقَاتِلَةُ الْعُرْجُونَ لِلْفَاقِدِ النَّدَى
مُورَدَةٌ تَمْتَدُّ مِنْهَا أَشْعَةُ
إِذَا سَجَّهَا السَّاقُونَ دَارَ حَبَابُهَا
ثَوْتُ فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ وَالْجَوُّ ظُلْمَةٌ
فَجَاءَتْ وَلَوْلا عَرْفُهَا وَبَرِيقُهَا
تُزَفُّ بِالْحَانَ الْمُنَانِي كُتُوسُهَا
كُمَيْتٌ جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الدَّهْرِ فَانطَوَتْ
فَكَمْ بَيْنَ أَصَالٍ أَدْرَنَّا كُتُوسُهَا
إِذَا أَنْتَ قَامَرْتَ الزَّمَانَ عَلَى الْمُنَى
فَخُذْ فِي أَفَانِينَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا
أَوَّلِكَ قَوْمٌ فِي حُرُوبٍ تَفَاقَمَتْ
فَمَا تَصْلُحُ الْإَيَّامُ إِلَّا إِذَا خَلَتْ
وَلَا تَتَعَرَّضُ لِأَمْرٍ بِمَسَاءَةٍ
وَلَا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ بَيْنَ طَمْرِهِ
وَكَيْفَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ أَمْنًا
وَمَا أَحْسَبُ الْإَيَّامَ تَصْفُو لِعَاقِلٍ
سَعَيْتُ فَأَذْرَكْتُ الْمُنَى فِي طِلَابِهَا

وقال: (من السريع)

وَاسْتَحَرَ الصَّاهِلُ وَالْهَادِرُ
مَصْقُولَةً يَلْهُو بِهَا النَّاضِرُ
مَنَازِلُ يَجْهَلُهَا الْخَابِرُ
مِنَ النُّجُومِ الْفَلَكَ الدَّائِرُ

نَمَّ الصَّبَا وَانْتَبَهَ الطَّائِرُ
وَأَضْحَتِ الْأَرْضُ لِفَيْضِ الْحَيَا
تَبْدُو بِهَا أَنْجُمُ زَهْرِ لَهَا
كَأَنَّهَا أَلْبَسَهَا نَثْرَةً

فَقُمْ بِنَا نَلُهُ بِلَذَاتِنَا
وَلَا تَقُلْ نَنْظُرُ مَا فِي غَدٍ
فَإِنَّمَا الْعَيْشُ وَلَذَاتُهُ
لَا يَغْنَمُ اللَّذَّةُ غَيْرُ امْرِئٍ
قَدْ خَبَرَ الدَّهْرَ فَمَا غَائِبٌ
يَا سَاقِيَّ اعْتَوِرَا كَأْسَهَا
حَمْرَاءُ تُلْقِي بِلِحَازِ الْفَتَى
تَفْعَلُ بِالشَّارِبِ أَضْعَافَ مَا
عَتَقَهَا الدُّهْقَانُ فِي دَيْرِهِ
شَجَّ بِهَا يَكْتُمُهَا نَفْسُهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّتْ مَوَاقِبَتُهَا
جَاءَتْ وَقَدْ شَاكَلَهَا كَأْسُهَا
بِمِثْلِهَا تُعْجِبُنِي صَبُوتِي
فَمَا لِهَذِي النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ
أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ مَضَتْ قَبْلَهُمْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَمْرِ مِنْ حِكْمَةٍ
كُلُّ امْرِئٍ أَسْلَمَهُ عَقْلُهُ

فَإِنَّمَا الْعَيْشُ لَهُ آخِرُ
رُبَّ غَدٍ أَمَلُهُ خَاسِرُ
فِي سَاعَةٍ أَنْتَ بِهَا سَادِرُ
لَيْسَ لَهُ عَنْ لَهْوِهِ رَاجِرُ
بِجَهْلِهِ مِنْهُ وَلَا حَاضِرُ
فَلْيِ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا عَازِرُ
صَبْغًا بِهِ يَعْتَرِفُ النَّاكِرُ
جَرَّ عَلَى عُنُقُودِهَا الْعَاصِرُ
حِينَ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا شَاعِرُ
وَهُوَ لِيَرِضَاهَا غَدًا صَابِرُ
وَزَالَ عَنْهَا الزَّبْدُ الْمَائِرُ
فَاشْتَبَهَ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ
وَيَزْدَهِيَنِ اللَّيْلُ وَالسَّامِرُ
عَمَّا إِلَيْهِ يَنْتَهِي السَّائِرُ
مَنْ أُمَمٍ لَيْسَ لَهَا ذَاكِرُ
فَفَيْمَ هَذَا الشَّعْبِ الثَّائِرُ
فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ نَاصِرُ

وقال: (من الطويل)

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ فِي رَوْثِ الضُّحَى
تَحَوَّلَ رَاعِي الصَّبْرِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
وَقَطَعَ أَنْفَاسَ الْمُقِيمِ الْمُسَافِرِ
وَبَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ النُّوَاطِرِ

وقال في الهجاء: (من البسيط)

يَا بَنَ الَّذِي رَهَنَ الْخَمَارَ سُبْحَتَهُ
مَا زَالَ يَشْرَبُ خَمْرًا غَيْرَ مُدَكِّرٍ
حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ السُّكْرُ قَامَ إِلَى
فَكُنْتُ نُطْفَةً سَوْءٍ قَدْ تَعَجَّلَهَا

يَوْمَ الْعُرُوبَةِ فِي عَدِّ الْقَوَارِيرِ
إِنَّمَا وَيَأْكُلُ سُحْتًا غَيْرَ مَنْحُورٍ
فَيَاضَةِ الْقَرءِ لَمْ تُعْهَدْ بِتَطْهِيرِ
دَاعِي الْغَوَايَةِ مِنْ خَمْرٍ وَخَنْزِيرِ

وقال: (من الكامل)

يَا أَيُّهَا السَّرَفُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ
أَتَظُنُّ أَنَّ الْفَخْرَ ثَوْبٌ مُعْلَمٌ
هَيْهَاتَ ظَنُّكَ فَالْعُلَا أُمْنِيَّةٌ
أَتَلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتِيَتْهَا
تَاللَّهِ لَوْ رَاجَعْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً
حَتَّامٌ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ وَلَمْ تَنْلُ
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فِعَالِكَ شَاهِدًا

وقال يذم: (من المجتث)

فَعَلْتُ خَيْرًا بِقَوْمٍ
فَلَا تَلُمْنِي إِذَا مَا
فَعَامَلُونِي بِضَيْرٍ
أَصْبَحْتُ أَلَعُنُ خَيْرِي

وقال في الزهد: (من السريع)

أَلْهَتَكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ
وَعَرَّكُمْ مِنْهَا وَأَنْتُمْ بِكُمْ
يَمْشِي الْفَتَى تَيْهَا وَفِي ثَوْبِهِ
كَأَنَّهُ فِي كِبَرِهِ سَادِرٌ
كَمْ أَنْفُسٍ عَزَّتْ بِسُلْطَانِهَا
وَعُصْبَةٍ كَانَتْ لِأَمْوَالِهَا
فَأَصْبَحَتْ يَرْحَمُهَا مَنْ يَرَى
فَلَا جَوَادَّ صَاهِلُ عَزْهُمْ
بَلْ عَمَّ دُنْيَاهُمْ صُرُوفُ لَهَا
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ
أَنْتُمْ قُعُودٌ وَالرَّدَى قَائِمٌ
فَانْتَبِهُوا مِنْ غَفَلَاتِ الْهَوَى

وَهِيَ مِنَ الْجَهْلِ بِكُمْ سَاخِرَةٌ
جُوعٌ إِلَيْهَا قَدَرُهَا الْبَاخِرَةٌ
مِنْ مَعْطَفِيهِ جِيفَةٌ جَاخِرَةٌ
سَفِينَةٌ فِي لُجَّةٍ مَآخِرَةٌ
فِي مَا مَضَى وَهِيَ إِذَنْ دَاخِرَةٌ
مَظَنَّةُ الْفَقْرِ بِهَا دَاخِرَةٌ
وَقَدْ غَنَتْ فِي نِعْمَةٍ فَآخِرَةٌ
يَوْمًا وَلَا خَيْفَانَةٌ شَاخِرَةٌ
مَنْ الرَّدَى أَوْدِيَةٌ زَاخِرَةٌ
وَاخْشَوْا عَذَابَ اللَّهِ وَالْآخِرَةَ
يُسْقِيكُمْ بِالْكُوبِ وَالصَّاحِرَةَ
وَاغْتَبِرُوا بِالْأَعْظَمِ النَّآخِرَةَ

وقال: (من الطويل)

لِصُنْعِكَ يَا رَبَّ السَّمَوَاتِ شَاكِرُ
وَهَذَّبْتَنِي حَتَّى اصْطَفَيْتَنِي الْعَشَائِرُ
وَبَاعَدْتَنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرُ
وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرُ
وَلَا لِأَمْرِي أَوْرَدْتَهُ الْغَيَّ نَاصِرُ
مَقَامَ ضَلِيلٍ بِالَّذِي أَنْتَ أَمْرُ
وَلَا طَارَ لِي فِي قَنَةِ الْعِزِّ طَائِرُ

لَكَ الْحَمْدُ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ وَإِنِّي
فَأَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ
فَقَرَّبَ لِي الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبُ
فَلَيْسَ لِمَنْ تَقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعُ
وَلَا لِأَمْرِي أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ حَاذِلُ
فَإِنْ أَدْرَكْتَ نَفْسِي الْمَرَامَ وَلَمْ أَقْمُ
فَلَا لَاحَ لِي فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ كَوَكْبُ

وقال: (من البسيط)

وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ قَلَّ نَاصِرُهُ
مِنَ الزَّمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ قَاهِرُهُ
مَا لَمْ تَكُنْ فَوْقَ مَرَاهُ سَرَائِرُهُ
مِثْلُ الصَّدِيقِ الَّذِي يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا تُخْفِي ضَمَائِرُهُ
عُذْرُ الْهَوَى وَهُوَ غَضَاتُ مَكَاسِرُهُ
حَتَّى أَصَابَ سَوَادَ الْقَلْبِ نَاقِرُهُ
وَالدَّهْرُ مَأْمُونَةٌ فِينَا بَوَايِرُهُ
وَلَا رَفِيقَ يَرُوقُ الْعَيْنَ حَاضِرُهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّ سَاءَتْنَا مَصَائِرُهُ
وَالْعَقْلُ مُحْتَبَلٌ مِمَّا يُحَاذِرُهُ
فَصَارَ فِي الْخَلْفِ الْبَاقِينَ ضَائِرُهُ
وَأَقْرَبَ الشَّرِّ مَنْ نَفْسٍ تُحَاذِرُهُ
كَرِهْتُ بِمِثْلِ أَوَالِيهِ أَوَاخِرُهُ
فِي مَا أَرَى وَأَطَاعَ الْغَيَّ زَاجِرُهُ
قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى رِيحَ طَائِرُهُ

مَنْ خَالَفَ الْحَزَمَ خَانَتْهُ مَعَاذِرُهُ
وَمَنْ تَرَبَّصَ بِالْإِخْوَانِ بَادِرُهُ
لَا يَجْمَلُ الْمَرْءُ فِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبٍ
وَمَا الصَّدِيقُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ
قَدْ لَا يَفُوهُ الْفَتَى بِالْأَمْرِ يُضْمِرُهُ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ عَصْرًا قَدْ خَلَعْتُ بِهِ
لَمْ يَمُضْ مِنْ حُسْنِهِ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى حَالٍ نَعِيشُ بِهَا
إِنْ لَا صَدِيقَ يَسُرُّ السَّمْعَ غَائِبُهُ
كُنَّا نَوُدُّ انْقِلَابًا نَسْتَرِيحُ بِهِ
فَالْقَلْبُ مُضْطَرَّبٌ فِي مَا يُحَاوِلُهُ
قَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ الْمَاضِينَ نَافِعُهُ
مَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِطَالِبِهِ
أَكْلَمَا مَرَّ مِنْ دَهْرٍ أَوَائِلُهُ
إِنْ دَامَ هَذَا أَضَاعَ الرُّشْدَ كَافِلُهُ
تَنَكَّرْتُ مِصْرُ بَعْدَ الْعُرْفِ وَاضْطَرَبْتُ

فَأَهْمَلَ الْأَرْضَ جَرًّا الظُّلُمَ حَارِثُهَا
وَأَسْتَحَكَمَ الْهَوْلَ حَتَّى مَا يَبِيتُ فَتَى
وَيُلْمُهُ سَكَنًا لَوْلَا الدَّفِينُ بِهِ
أَرْضَى بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ
يَا نَفْسُ لَا تَجْزَعِي فَالْخَيْرُ مُنْتَظَرُ
لَعَلَّ بُلْجَةَ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا
إِنِّي أَرَى أَنْفُسًا ضَاقَتْ بِمَا حَمَلَتْ
شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ اخْتَدَمَتْ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأْيٍ مَلَكْتُ بِهِ

وقال: (من الطويل)

أَبَابِلُ رَأْيِي الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ
نَوَاعِيسُ أَيْقَظُنَّ الْهَوَى بِلَوَاحِظِ
فَلَيْسَ لِعَقْلِ دُونَ سُلْطَانِهَا جَمَى
فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السَّحْرَ مَرَّةً
فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَدُوبُ صَبَابَةً
بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ
فَتَاةٌ يَرِفُ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا
تُرِيكَ جَمَانَ الْقَطْرِ فِي أَقْحَوَانَةٍ
تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاجِرَ بَابِلِ
فَيَا رَبَّةَ الْخَدْرِ الَّذِي حَالَ دُونَهُ
أَمَا مِنْ وَصَالٍ أَسْتَعِيدُ بِأَنْسِهِ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكَ عَالِمًا
فَلَا تَحْسَبِي شَوْقِي فُكَاهَةً مَازِحَ
هَوَى كَضَمِيرِ الرِّدِّ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي
إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا
يَظُنُّونَ بِي شَرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ

وَأَسْتَرْجَعَ الْمَالَ خَوْفَ الْعُدْمِ تَاجِرُهُ
فِي جَوْشَنِ اللَّيْلِ إِلَّا وَهُوَ سَاهِرُهُ
مِنْ الْمَآثِرِ مَا كُنَّا نَجَاوِرُهُ
وَفِي سِوَاهُ الْمُنَى لَوْلَا عَشَائِرُهُ
وَصَاحِبُ الصَّبْرِ لَا تَبْلَى مَرَائِرُهُ
بَعْدَ الظَّلَامِ الَّذِي عَمَّتْ دِيَاجِرُهُ
وَسَوْفَ يَشْهَرُ حَدَّ السَّيْفِ شَاهِرُهُ
وَفِي الْجَدِيدَيْنِ مَا تُغْنِي فَوَاقِرُهُ
عِلْمُ الْغُيُوبِ وَرَأْيُ الْمَرَّةِ نَاطِرُهُ

فَإِنِّي أَرَى فِيهَا عُيُونًا هِيَ السَّحَرُ
تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
وَلَا لِفُؤَادٍ دُونَ غَشْيَانِهَا سِتْرُ
فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجَزَاتِ وَذَا عَصْرُ
وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لَا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ
مِنْ الْعَيْنِ فِي أَجْفَانٍ مُقْلَتَهَا فِتْرُ
وَيَخْطُرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ
مُفْلَجَةِ الْأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا نَغْرُ
وَتَسْكُرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيْقَتِهَا الْخَمْرُ
ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابَهَا الْأَسْلُ السُّمْرُ
نَضَارَةُ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ
بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الْفَخْرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ
تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لَاحْتَرَقَ الصَّدْرُ
قُلُوبُ رَجَالٍ حَشَوْ أَمَاقَهَا الْغَدْرُ
وَضُنُّ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَزُرُ

بِقَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا وَلَا نُكْرُ
وَيُبْلَى فَلَا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ حُرُّ
بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشَّعْرُ
فَإِنَّ الْهَوَى فِيهِ لِمُعْتَذِرٍ عَذْرُ
لَمَّا ذَلَّ حَيُّ لِلْهَوَى وَلَهُ قَدْرُ
وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلَا صَبْرُ
وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ حُمْرُ
عَظِيمٌ وَلَا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذُعْرُ
وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعْنَتِهِ الشَّعْرُ

وَمَازَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمْ شَاعِرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَهَا
وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوَى شَبٍّ وَقْدُهُ
فَلَا يَبْتَدِرُنِي بِالْمَلَامَةِ عَاذِلُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النَّهْيِ
وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى
لِيَهْنُ الْهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ
وَإِنِّي أَمْرُؤُ تَأْتِي لِي الضِّيمُ صَوْلَةُ
أَبِي عَلَى الْجَذْبَانِ لَا يَسْتَفِرُّنِي
إِذَا صَلَّتْ صَالِ الْمَوْتِ مِنْ وَكَرَاتِهِ

وقال: (من البسيط)

مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرِ
كَالدَّهْرِ يَجْرِي بِمَيْسُورٍ وَمَعْسُورِ
فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ إِذْلَاجٍ وَتَهْجِيرِ
يَغْتَالُ بِالْبَهْرِ أَنْفَاسَ الْمَحَاضِيرِ
عَلَى إِطَارٍ مِنَ الْأَضْوَاءِ مَسْعُورِ
فِي جَوْشَنِ مِنْ حَبِيبِ الْمُزْنِ مَزْرُورِ
لِلدَّهْرِ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَعْمُورِ
وَيَتَّقِي الْبَاسَ مِنْهَا كُلُّ مَعْمُورِ
وَكَمْ بِهَا خَمَدَتْ أَنْفَاسٌ مَغْرُورِ
مَا خَطَّهُ الْفِكْرُ مِنْ بَحْثٍ وَتَنْقِيرِ
رَفْعًا وَخَفَضًا بِمَرْجُوٍّ وَمَحْذُورِ
مِنَ الْفَخَارِ حَدِيثًا جَدًّا مَأْثُورِ
فَبَاءَ مِنْهُ بِصَدْعٍ غَيْرِ مَجْبُورِ
عَادُوا بِغَيْرِ حَدِيثٍ مِنْهُ مَشْهُورِ
مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا ذِكْرُ «كَافُورِ»

لِلشَّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيِّرُهُ
يَسْمُو بِقَوْمٍ وَيَهْوِي آخِرُونَ بِهِ
لَهُ أَوَابِدٌ لَا تَنْفُكُ سَائِرَةٌ
مِنْ كُلِّ عَائِرَةٍ تَسْتَنُّ فِي طَلْقِ
تَجْرِي مَعَ الشَّمْسِ فِي تَيَّارِ كَهْرَبَةٍ
تُطَارِدُ الْبَرْقَ إِنْ مَرَّتْ وَتَتْرُكُهُ
صَحَائِفُ لَمْ تَزَلْ تُتْلَى بِالسَّنَةِ
يَزْهَى بِهَا كُلُّ سَامٍ فِي أَرْوَمَتِهِ
فَكَمْ بِهَا رَسَخَتْ أَرْكَانُ مَمْلَكَةٍ
وَالشَّعْرُ دِيوَانُ أَخْلَاقٍ يَلُوحُ بِهِ
كَمْ شَادَ مَجْدًا وَكَمْ أَوْدَى بِمَنْقَبَةٍ
أَبْقَى «زُهَيْرٌ» بِهِ مَا شَادَهُ هَرَمُ
وَقَلَّ «جَزُولٌ» غَرَبَ «الزَّبْرَقَانُ» بِهِ
أَخْزَى «جَرِيرٌ» بِهِ حَيَّ النَّمِيرِ فَمَا
لَوْلَا «أَبُو الطَّيِّبِ» الْمَأْثُورُ مَنْطِقُهُ

وقال: (من الوافر)

فَوَائِدِي وَالْهَوَى قَدْ حُ وَخَمْرُ
يَلُومُونِي عَلَى كَلْفِي بَلِيلِي
لَهَا حَدٌّ بِهِ لِلْحُسْنِ وَرَدُّ
تَضُنُّ عَلَيَّ بِالتَّسْلِيمِ تَيْهَا
يَلُوحُ جَبِينُهَا فِي طَرَّتَيْهَا
وَتَبَسُّمٌ عَنِ جُمَانٍ فِي عَفِيقِ

وقال: (من الطويل)

أَبَى الضَّيْمُ فَاسْتَلَّ الْحُسَامَ وَأَصْحَرَ
وَطَارَتْ بِهِ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ عَزْمَةٌ
فَرَدَّ ذُبَابَ الْمَشْرِفِيِّ مُثَلَّمًا
جَلَادٌ أَمْرِي أَلَى بَقَائِمِ سَيْفِهِ
جَدِيرٌ إِذَا مَا هَمَّ أَنْ يَكْسُو الْقَنَا
وَمَا كُلُّ مَنْ سَاسَ الْأَعْنَةَ فَارِسًا

وقال: (من الخفيف)

حَبَبًا الرِّاحُ فِي أَوَانِ الْبَهَارِ
وَرَنِينُ الْأَوْتَارِ فِي فَلَقِ الصُّبْرِ
بَيْنَ جَوْ مَعَ الْغَمَائِمِ سَارِ
مَنْظَرٌ يَفْتِنُ الْعُقُولَ وَيَجْلُو
إِنَّ عَصَرَ الشَّبَابِ فِينَا مُعَارِ
فَاسْرَحَا وَامْرَحَا فَقَدْ آذَنْتَنَا
وَإِغْنَمَا صَفْوَةَ الرَّبِيعِ بِدَارَا
هُوَ فَضْلٌ تَخْتَالُ فِيهِ غُصُونُ الرِّ
مَائِسَاتٍ مِثْلَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ

وَأَقْتِرَانُ الْكُتُوسِ بِالنُّوَارِ
حِجٌّ وَسَجْعُ الطُّيُورِ فِي الْأَوْكَارِ
وَفَضَاءٌ مَعَ الْجَدَاوِلِ جَارِي
صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ
وَاللَّيَالِي تَرُدُّ كُلَّ مُعَارِ
نَسَمَاتِ الصَّبَا بِخَلْعِ الْعِدَارِ
فَالْأَمَانِي مَعْقُودَةٌ بِالْبِدَارِ
رَوْضٌ فِي حُلِيَّةٍ مِنَ الْأَزْهَارِ
ثِيَابٌ دُرِّيَّةُ الْأَزْرَارِ

غَمَزَتْهَا يَدُ الصَّبَا فَتَلَوْتُ
رَشَفَتْ خَمْرَةَ النَّدى مِنْ كُؤُسِ الز
فَانْتَبَهَ يَا نَدِيمُ وَاسْتَصْبَحَ السَّاءِ
وَاسْقِيَانِي وَغَنِّيَانِي بِلَحْنِ
فَلَقَدْ أَذِنَ الشِّتَاءُ بِسَيْرِ
وَاسْتَدَارَ النَّهَارُ حَتَّى تَسَاوَتْ
رَاقِصَاتٍ عَلَى غِنَاءِ الْقَمَارِي
هَرٍ حَتَّى تَمَايَلَتْ مِنْ خُمَارِ
قِي بِكَأْسِ تَفِيضُ بِالْأَنْوَارِ
يَبْعَثُ النَّفْسَ مِنْ إِسَارِ الْوَقَارِ
وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ النَّوْبَهَارِ
كَفَّتَاهُ بَيْنَ الدُّجَى وَالنَّهَارِ

وقال يَفْتَخِرُ: (من الطويل)

يَلُومُونَنِي فِي الْجُودِ وَالْجُودُ مُزْنَةٌ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَالِ وَسِعَ مَا
دَعَتْهُ الْمَعَالِي فَالْثَرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ
إِذَا هَمَلْتُ فِي مَوْضِعِ نَبَتِ الشُّكْرِ

وقال: (من الطويل)

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ عُرْضَةً لِلتَّغْيِيرِ
تَرَسَّمْ فِضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَمَا بَالُنَا بَعْدَ الْحَقِيقَةِ نَمْتَرِي؟
عَسَاكَ تَرَى آثَارَ كِسْرَى وَقَيْصَرِ

وقال: (من الطويل)

أَلَا تَمْتَنِي كُفِّي الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي
فَلَوْلَا سُرَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ لَعَاقَهُ
أُحَاوِلُهُ مِنْ رِحْلَةٍ وَسَفَارِ
عَنِ التَّمُّ لُبْتُ فِي مَغِيبِ سِرَارِ

قافية الزاي

قال مادحًا ديوانَ «حافظ إبراهيم»: (من الكامل)

هِيَاهُ لَا يَسْ لِحَافِظٍ مِنْ مُشْبِهٍ
جَارَاهُ فِي حُسْنِ الْبَيَانِ وَفَاتَهُ
لَبِيقُ بِنْتَصْرِيفِ الْكَلَامِ يَسُوقُهُ
فَإِذَا تَغَزَّلَ فَالْنُّفُوسُ نَوَازِعُ
كَالْصَّارِمِ الْبَتَّارِ فِي إِفْرَنِيدِهِ
حَاكَ الْقَرِيضُ بِلَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ
أَلْفَافُهَا نَمَتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا
فَإِذَا تَلَاهَا قَارِئٌ لَمْ يَشْتَبِهْ
عَبَقَتْ كَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَعَلَّقَتْ
قَدْ كَانَ جِيدُ الْقَوْلِ عُطْلًا قَبْلَهُ
مَلَكَتْ مَوَدَّتُهُ الْقُلُوبَ فَأَصْبَحَتْ
لَا زَالَ يَبْلُغُ شَأْوُ كُلِّ فَضِيلَةٍ
فِي الْقَوْلِ غَيْرُ سَمِيهِ الشِّيرَازِي
فِي الْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ بِالْإِعْجَازِ
مَا شَاءَ بَيْنَ سُهُولَةٍ وَعَزَازِ
وَإِذَا تَحَمَّسَ فَالْقُلُوبُ نَوَازِي
وَصِقَالِهِ وَالْمَارِنِ الْهَزْهَازِ
أَغْنَتْ عَنِ الْإِسْهَابِ بِالْإِيجَازِ
وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الْأَعْجَازِ
فِي الْقَوْلِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ
بِالرَّوِضِ غَبَّ الْعَارِضِ الْمُجْتَازِ
فَحَبَّاهُ أَحْسَنَ حِلْيَةٍ وَطِرَازِ
تَلَقَّاهُ بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْزَازِ
بِمَضَاءِ صَمْصَامٍ وَصَوْلَةٍ بَازِ

قافية السين

قال يَصِفُ رَوْضَةَ الْمَقْيَاسِ: (من الكامل)

بَيْنَ الْخَلِيجِ وَرَوْضَةِ الْمَقْيَاسِ؟
وَلِبَاسِهِ الْمَوْشِيَّ أَيَّ لِبَاسٍ
فَتَشَكَّلَتْ فِي جُمْلَةِ الْأَغْرَاسِ
فَتَخَالَه قَبَسًا مِنَ الْأَقْبَاسِ
ذَيْلُ الْخَمَائِلِ رَطْبُهَا وَالْعَاسِي
مَهْوَى الْفَرَّاشَةِ لَامِعُ النَّبْرَاسِ
فِيَمَا أَظُنُّ لَحَارَ عَقْلٍ إِيَّاسٍ
وَثَرَى بُلْهَنِيَّةٍ وَدَارُ أَنْاسِ
حَتَّى أَبَيْتَ بِهَا صَرِيحَ الْكَاسِ
فَلَقَّ الصَّبَاحَ وَلَاتَ حِينَ نَعَّاسِ
أَثْنَاءَ رَوْحَتِهِ بِسِرِّ الْأَسِ
فِي مُخْدَعِ بَقَرَارَةِ الدِّيمَاسِ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الدَّيْرِ وَالشَّمَّاسِ
نَزَوَ الْمَعَابِلِ طَرْنَ عَنْ أَقْوَاسِ
حَذَرَ الْمَهَانَةِ أَيَّمَا إِيْجَاسِ
يَا قُوَّةٌ قَدْ رُصِّعَتْ بِالْمَاسِ
لِلشَّرْبِ إِلَّا آذَنْتَ بِعُطَاسِ

هَلْ فِي الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا مِنْ بَاسٍ
أَرْضُ كَسَاها النَّيْلُ مِنْ إِبْدَاعِهِ
فَكَأَنَّمَا هَوَتْ الْمَجْرَةُ بَيْنَهَا
يَتَلَهَّبُ النُّوَارُ فِي أَطْرَافِهَا
لَوْلَا مَسَاسُ الطَّلِّ أَحْرَقَ ضَوْءَهُ
تَصْبُو الْعُيُونُ إِلَى سَنَاهُ فَتَرْتَمِي
لَوْ شَامَ بَهْجَتَهَا وَحُسْنَ رَوَائِهَا
مَلْهَى أَخِي طَرَبٍ وَمَلْعَبُ صَبْوَةٍ
مَا كُنْتُ فِي عُمْرِي لِأَغْدُو نَحْوَهَا
يَا سَاقِيَّيْ تَنْبَهَا فَلَقَدْ بَدَا
طُوفًا عَلَيَّ بِهَا فَقَدْ نَمَّ الصَّبَا
مِنْ حَمْرَةِ أَفْنَى الزَّمَانِ شَبَابِهَا
حُبِسَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ حَتَّى إِنَّهَا
يَنْزُرُو لَوْقَعَ الْمَاءِ دُرٌّ حَبَابِهَا
فَإِذَا تَعَاوَرَهَا الْمِزَاجُ تَوَجَّسَتْ
تُشْتَفُّ مِنْ تَحْتِ الْحَبَابِ كَأَنَّهَا
مَا حُلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ عَقْدٌ وَكَائِهَا

إِنَّ الْمُدَامَةَ نُهْزَةً الْأَكْيَاسِ
فَاجْعَلْ بِنَاءَ اللَّهْوِ فَوْقَ أَسَاسِ
فِي الْقَلْبِ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْوَسْوَاسِ
وَذَرَا الْمَطِيِّ تَمُورٌ بِالْإِحْلَاسِ
يَبْغُونَ نَيْلَ الْيُسْرِ بِالْإِفْلَاسِ
لَمُقَدَّرٌ وَاللَّهُ ذُو قِسْطَاسِ
مُتَقَلِّبًا بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَاسِ
وَسِدَادُ مَسْغَبَةٍ وَنَغْبَةٌ حَاسِي
عِلْمِي لِبَاغُوهَا بِغَيْرِ مَكَاسِ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بِهَذَا النَّاسِ
لِلنَّفْسِ قَبْلَ تَعَذُّرِ وَشِمَاسِ
فَاسْتَمَخِضَاهُ الْيُسْرَ بِالْإِيْنَاسِ
إِلَّا بِلَيْنِ الْمَسْحِ وَالْإِنْسَاسِ
قُطِعَتْ عَلَيْهِ مَرَائِرُ الْأَنْفَاسِ
إِنَّ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَقِيَاسِ

لَا يَخْدَعَنَّكَ فِي الْمُدَامَةِ جَاهِلٌ
إِنَّ الْمُدَامَ أَسَاسُ كُلِّ طَرِيفَةٍ
لَا تَجْمَعُ الْأَيَّامُ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ
فَاسْتَوْثِقَا أَحْوَيَّ مِنْ شَأْنَيْكُمَا
إِنَّ الْفَلَاةَ لَهَا رَجَالٌ غَيْرُنَا
إِنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ فِي هَذَا الْوَرَى
فَعَلَامٌ يُبْلِي الْمَرْءَ جِدَّةَ عُمْرِهِ
أَوَّلَيْسَ أَنَّ الْعَيْشَ لُبْسُ عِبَاءَةٍ
تَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الرَّجَالُ بِمَكْرَهَا
هِيَ سَاعَةٌ تَمُضِي وَتَأْتِي سَاعَةٌ
فَحَذَا مِنَ الْأَيَّامِ مَا سَمَحَتْ بِهِ
وَإِذَا أَرَابَكُمَا الزَّمَانُ بِوَحْشَةٍ
إِنَّ الرِّوَائِمَ لَا تَدُرُّ لَبُونُهَا
فَلَرَبِّ صَعْبٍ حَادٍ سَهْلًا بَعْدَمَا
مَا كُلُّ مَا طَلَبَ الْفَتَى هُوَ مُدْرِكٌ

وقال (من الطويل)

عَلَى غَرَّةِ الْأَحْرَاسِ وَاللَّيْلِ دَامِسُ
إِلَى أَنْ هَفَا سُكْرًا وَإِنِّي لَجَالِسُ
وَأَحْرُسُهُ إِنِّي لَدَى الْخَوْفِ حَارِسُ
حِذَارًا وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِ الْهُوَاجِسُ
تَجَادَبُ فِي أَرْسَانِهَا وَتَمَارَسُ
قَلِيلًا وَحَنَّتْ لِلصَّبَاحِ النَّوَاقِسُ
بِرْفَقٍ وَأَدْعُو بِاسْمِهِ وَهُوَ نَاعِسُ
يُسَائِلُ مَاذَا تَبْتَغِي وَهُوَ غَابِسُ
عَلَيْنَا وَهَذِي فِي الدَّهَابِ الْحَنَادِسُ
إِلَيْهَا عَلَى كُرْهِهِ بِهِ وَهُوَ آيسُ

وَذِي نَخْوَةٍ نَارَعْتُهُ الْكَأْسَ مَوْهِنًا
فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلُهُ
فَبِتُّ أَقْبَاهُ السُّوءِ إِذْ كَانَ صَاحِبِي
لَدَى مَوْطِنٍ لَا يَصْحَبُ الْمَرْءَ قَلْبُهُ
عَدُوٌّ وَلَيْلٌ مُظْلِمٌ وَصَوَاهِلُ
فَلَمَّا اسْتَهْلَ النُّورَ وَانْحَسَرَ الدُّجَى
دَنَوْتُ أَفْئِدِيهِ وَأَعِمَزُ كَفَّهُ
فَجَاوَبَنِي وَالسُّكْرُ فِي لَحْظَاتِهِ
فَقُلْتُ أَفَقَ هَذَا هُوَ الصُّبْحُ مُقْبِلُ
وَنَاوَلْتُهُ كَأْسًا فَمَدَّ بَنَانَهُ

فَمَا ذَاقَهَا حَتَّى تَهْلَلْ ضَاغًا وَأَقْبَلَ مَسْرُورًا بِمَا هُوَ آنَسُ
وَمِنْ شِيَمِي بَذُلُ الْوِدَادِ لِأَهْلِهِ كَذَلِكَ أَنِّي فِي الْوِدَادِ أَنَافِسُ

وقال: (من الكامل)

خَلَّ الْمِرَاءَ لِغَيْتَةِ الدَّرْسِ وَاعْكُفْ عَلَى صَفَرَاءِ كَالْوَرْسِ
نُورٌ تَوَقَّدَ بَيْنَ آنِيَةٍ كَبَيَاضِ صُبْحٍ شَفَّ عَنْ شَمْسِ
هِيَ جَوْهَرٌ كَالنَّفْسِ مَا بَرَحَتْ تُهْدِي السُّرُورَ لِكُلِّ ذِي نَفْسِ
قَدْ شَاكَلَتْهَا فَهِيَ تَأْلُفُهَا وَالْجِنْسُ يَأْلَفُ صُحْبَةَ الْجِنْسِ
رَقَّتْ وَدَقَّتْ فِي قَرَارَتِهَا فَسَمَتْ عَنِ الْإِذْرَاكِ بِالْجِسِّ
يَسْقِيكُهَا حَبْثُ شَمَائِلُهُ تَدْعُو إِلَى التَّقْبِيلِ وَاللَّمْسِ
فَاهْنَأُ بِعَيْشٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ الْكَرَى أَوْ عَالَمِ الْحَدْسِ

وقال: (من السريع)

يَا رَبِّ لَيْلٍ بَتُّ أُسْقَى بِهِ مَشْمُولَةً صَفَرَاءَ كَالْوَرْسِ
كَأَنَّهَا فِي كَاسِهَا شُعْلَةٌ مَقْبُوسَةً مِنْ كَوْكَبِ الشَّمْسِ

وقال: (من الكامل)

أَحْمَى الْجَزِيرَةَ مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَمْ لَاحَ ضَوْؤُ غَزَالَةِ الْإِنْسِ؟
خَرَجْتُ إِلَى الْبُسْتَانِ لِأَهْيَةٍ تَخْتَالُ بَيْنَ كَوَاعِبِ خَمْسِ
فَتَبِعْتُ مَسْرَاهَا عَلَى عَجَلٍ حَتَّى ظَفِرْتُ بِنَظَرَةٍ خَلَسِ
فَسَتَرْنَهَا عَنِّي وَبَسَرَنَ بِهَا فِي رَوْضَةٍ فَيْنَانَةِ الْغَرَسِ
فَوَقَفْتُ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدٍ وَمَضَتْ عَلَى آثَارِهَا نَفْسِي
تِلْكَ الَّتِي لَوْلَا هَوَايَ بِهَا مَا بَتُّ مِنْ أَمَلٍ عَلَى يَأْسِ
هَيْهَاتَ أَنْسَى حُسْنَ صُورَتِهَا وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ قَدْ تَنَسِي

وقال: (من الوافر)

نَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا وَعَصَيْتُ نَفْسِي
وَقُلْتُ لِصَبَوَتِي وَالْعَيْنُ غَرَقِي
فَقَدْ وَلَّى الصَّبَا إِلَّا قَلِيلًا
وَمَنْ يَكُ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ تَتَرَى
فَقَدْ سَفَرَتْ لِعَيْنَيْهِ اللَّيَالِي
نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَكَشَفْتُ لِي
وَكُنْتُ وَكَانَ فِينَا أَثِيثًا
فَعُدْتُ وَقَدْ دَوَى مِنْ بَعْدِ لَيْنٍ
فَمَا أُمْسِي كَيَوْمِي حِينَ أَغْدُو
وَمَا الْإِيَّامُ إِلَّا صَائِبَاتٌ
أَبَادَتْ قَبْلَنَا إِرْمًا وَعَادًا
وَالْوَتُ «بِالْمُضَلِّ» وَاسْتَمَالَتْ
فَلَا «جَمَشِيدُ» دَافِعَ إِذْ أَتَتْهُ
عَلَى هَذَا يَسِيرُ النَّاسُ طُرًّا

وَدَافَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالتَّاسِي
بِأَدْمُعِهَا رُؤْيِدَكَ لَا تَمْسِي
أَنَازِعُ سُورَهُ بِفُضُولِ كَأْسِي
وَأُرْدَفُهَا بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِ
وَبَانَ لَهُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ لَبْسِ
قِنَاعًا لَاحَ فِيهِ قَتِيرُ رَأْسِي
أَنَازِعُ شِرَّتِي وَأَدُودُ بَأْسِي
أُدَارِي صَبَوَتِي وَأَسِرُّ يَأْسِي
عَلَى كِبَرٍ وَمَا يَوْمِي كَأَمْسِي
تَمُرُّ بِكُلِّ سَابِغَةٍ وَتُرْسِ
وَطَارَتْ بَيْنَ «ذُبْيَانٍ وَعَبَسِ»
عِمَادَ «الشَّنْفَرَى» وَهُوتُ بِقُسِّ
بِحَادِثِهَا وَلَا رَبُّ الدَّرْفَسِ
وَيَبْقَى اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ نَفْسِ

وقال في تَهْنِئَةِ الْخَدِيو «عباس باشا حلمي الثاني» بِعِيدِ الْفِطْرِ: (من الطويل)

أَمْوَلَايَ دُمُ لِلْمَلِكِ رَبًّا نَسُوهُ
وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَجْرِي سُعُودُهَا
فَلَوْلَاكَ مَا فَازَتْ يَدُ الْقَطْرِ بِالْمُنَى
وَهَذَا لِسَانُ الشُّكْرِ يَدْعُو مُورَخًا

بِحِكْمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْحِلْمِ وَالْبَاسِ
عَلَيْكَ وَتَحْطَى مِنْ غُلَاكَ بِإِينَاسِ
وَلَا نَشَأَتْ رُوحَ الْعَدَالَةِ فِي النَّاسِ
حَوَى الْعِيدِ أَنْوَاعَ الْفَخَارِ بَعْبَاسِ

وقال يَهْجُو: (من الطويل)

يَقُولُ أَنَا وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ عُصْبَةً فِي فَنَائِهِ
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْجَبُوا لِاجْتِمَاعِهِمْ

مَتَى أَصْبَحَ الْوَزَانُ رَبَّ مَجَالِسِ
تُجَادِبُهُ أَطْرَافَ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ
لَدَيْهِ فَإِنَّ الْحُشَّ مَأْوَى الْخَنَافِسِ

وقال: (من الطويل)

أَمَلْتُ رَجَائِي فِي غَدٍ فَأَنْتَظَرُهُ فَمَا جَاءَ حَتَّى طَالَ حُزْنِي عَلَى أَمْسِي
وَقَلَّبْتُ أَمْرِي فِيكَ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ وَسَائِلُ مَا آتِي بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي

قافية الشين

قال وهو بسرّنديب: (من الطويل)

تَبَلُّ بِهِ الْأَكْبَادَ وَهِيَ عِطَاشُ
وَمَوْضِعُ رَحْلِي لَمْ يُصِبْهُ رَشَاشُ
بِهَا كَبِدُ ظَمَأَنَةٍ وَمُشَاشُ
لَهَا مِنْ زَرَائِي النَّبَاتِ فِرَاشُ
عَلَيْهَا مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ رِيَاشُ
كَمَا هَاجَ إِبَّانَ الرَّبِيعِ فِرَاشُ
وَأَطْيَبُ أَرْضِ اللَّهِ حَيْثُ يُعَاشُ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ السَّهْمُ حِينَ يُرَاشُ

مَتَى تَرِدُ الْهَيْمُ الْخَوَامِسُ مِنْهَلًا
أَرَى الْغَيْثَ عَمَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَهَلْ نَهْلَةٌ مِنْ جَدُولِ النَّيْلِ تَرْتَوِي
وَهَلْ مِنْ مَقِيلٍ تَحْتَ أَفْنَانٍ سِدْرَةٍ
لَدَى أَيْكَةٍ رِيًّا الْغُصُونِ كَأَنَّمَا
تَرَى الزَّهْرَ أَلَوَانًا يَطِيرُ مَعَ الصَّبَا
دِيَارٌ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا مُنْعَمًا
فَيَا رَبِّ رَشْنِي كَيْ أَعِيشَ مُسَدَّدًا

وقال في الغزل: (من الوافر)

فَيَا عَجَبًا لِسَهْمٍ لَا يَطِيشُ
بِهَا سَهْمَانٍ وَالْأَهْدَابُ رِيَشُ

رَمَيْتُ فَلَمْ أَصِبْ وَرَمَتْ فَأَصُمْتُ
حَوَاجِبُهَا الْقِسْيُ وَلَحْظَتَاهَا

قافية الصاد

قال يصفُ غَيْضَةً احتَلَّهَا في «قنديَّة» أَيَّامَ الحَرْبِ: (من الطويل)

وَلِلصُّبْحِ أَنْفَاسٌ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ
بِمِنْقَارِهِ عَنْ حَبَّةِ النَّجْمِ يَفْحَصُ
فَرِيًّا وَأَمَّا زَهْرُهُ فَمُنْصَصُ
سَلَاسِلَ تُلَوَّى أَوْ عَدَائِرَ تُعْقَصُ
عُيُونٌ يَسِيلُ الدَّمْعُ مِنْهَا وَتَشْخَصُ
بِسَاحَتِهِ الشَّجَرَاءُ لَا يَتَخَلَّصُ
إِذَا رَدَّ فِيهِ سَارِقٌ يَتَرَبَّصُ
يُحَاوِلُ مِنْهَا غَايَةً ثُمَّ يَنْكُصُ
وَلِلْقَوْمِ طَرْفٌ مِنْ أَدَى السُّهْدِ أَخَوْصُ
بِفُرْسَانِهَا وَاسْتَتَلَعَتْ كَيْفَ تَخْلُصُ
عَلَى زَهْرِهِ وَالظِّلُّ لَا يَتَقَلَّصُ
نِهَابًا وَتُعْلِي فِي النَّبَاتِ وَتُرْخِصُ
عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُجْبِ يَخْرِصُ
وَأَعْرَضَ تَيْهَوْرٌ مِنَ اللَّيْلِ أَعْوَصُ
لَوَاعِبَ فِي أَرْسَانِهَا تَتَرَقَّصُ
بِأُظْلَالِهِ كُرَّهَ الرَّحِيلِ مُنْغَصُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ مَخْلَصُ

وَمُرْتَبِعَ لُذْنَا بِهِ غَبَّ سُحْرَةٍ
وَقَدْ مَالَ لِلْغَرْبِ الْهَلَالُ كَأَنَّهُ
رَقِيقٌ حَوَاشِي النَّبْتِ أَمَّا غُصُونُهُ
إِذَا عَبَتْ أَفْنَانُهُ الرِّيحُ خِلَتْهَا
كَأَنَّ صِحَافَ الزَّهْرِ وَالطَّلُّ ذَائِبُ
يَكَادُ نَسِيمُ الْقَجَرِ إِنْ مَرَّ سُحْرَةٍ
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ وَالرِّيحُ رَهْوَةٌ
يَمُدُّ يَدَا دُونَ الثُّمَارِ كَأَنَّمَا
عَطَفْنَا إِلَيْهِ الْخَيْلَ فَلَّ مَسِيرَةٍ
فَمَا أَبْصَرْتُهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَمَطَّرَتْ
مَدَى لَحْظَةٍ حَتَّى أَتَتْهُ وَمَاؤُهُ
فَمَدَّتْ بِهِ الْأَعْنَاقُ تَعْطُو وَتَخْتَلِي
أَقْمَنَّا بِهِ شَمْسَ النَّهَارِ وَكُلُّنَا
فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الشَّمْسُ جُنْحٌ مِنَ الدُّجَى
دَعَوْنَا بِأَسْمَاءِ الْجِيَادِ فَأَقْبَلَتْ
وَقُمْنَا وَكُلُّ بَعْدَ مَا كَانَ لِأَهْيَا
يَوْدُ الْفَتَى إِلَّا يَزَالُ بِنِعْمَةٍ

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ حُسْنِهِ وَمَا أَنَا فِيمَا قُلْتَهُ أَتَخَرَّصُ
ظَفِرْتُ بِهِ فِي حَقْبَةٍ فَقَنْصَتُهُ عَلَى غِرَّةِ الْيَّامِ وَاللَّهُ يُقْنِصُ

وقال في الحكمة: (من الرمل)

بَادِرِ الْفُرْصَةَ وَاحْذَرْ فَوْتَهَا فَبُلُوغُ الْعَرِّ فِي نَيْلِ الْفُرْصِ
وَاعْتَنِمْ عُمْرَكَ إِبَّانَ الصَّبَا فَهُوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقْصُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا حَيَالٌ عَارِضُ قَلَمًا يَبْقَى وَأَخْبَارُ تُقْصُ
تَارَةً تَدْجُو وَطَوْرًا تَنْجَلِي عَادَةُ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ قَلْصُ
فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ بَادَرَ الصَّيْدَ مَعَ الْفَجْرِ قَنْصُ
لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى إِنَّمَا الْفَوْرُ لِمَنْ هَمَّ فَنَصُ
يَكْدُحُ الْعَاقِلُ فِي مَأْمَنِهِ فَإِذَا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ شَخْصُ
إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ عَنْ حِمَاهُ مِثْلُ طَيْرٍ فِي قَفْصُ
وَلْيَكُنْ سَعْيُكَ مَجْدًا كُلُّهُ إِنْ مَرَعَى الشَّرَّ مَكْرُوهُ أَحْصُ
وَاتْرِكِ الْحَرْصَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ قَلَمًا نَالَ مِنْهُ مَنْ حَرَصُ
قَدْ يَضُرُّ الشَّيْءُ تَرْجُو نَفْعُهُ رَبُّ ظَمَانٍ بِصَفْوِ الْمَاءِ غُصُ
مَبِيزِ الْأَشْيَاءِ تَعْرِفْ قَدْرَهَا لَيْسَتْ الْغُرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْبَرَصُ
وَاجْتَنِبْ كُلَّ غَيْبِيٍّ مَائِقٍ فَهُوَ كَالْعَيْرِ إِذَا جَدَّ قَمَصُ
إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَدَى حَيْثُمَا كَانَ وَفِي الصَّدْرِ غَصَصُ
وَاحْذِرِ النَّمَامَ تَأْمَنْ كَيْدَهُ فَهُوَ كَالْبُرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَصُ
يَرْقُبِ الشَّرَّ فَإِنْ لَاحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ تَصْلُحُ لِلْخِتْلِ فَرَصُ
سَاكِنِ الْأَطْرَافِ إِلَّا أَنَّهُ إِنْ رَأَى مَنْشَبَ أَظْفُورِ رَقَصُ
وَاخْتَبِرْ مَنْ شِئْتَ تَعْرِفُهُ فَمَا يَعْرِفُ الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَنْ فَحَصُ
هَذِهِ حِكْمَةُ كَهْلٍ خَابِرٍ فَاقْتَنَصْهَا فَهِيَ نِعْمَ الْمُقْتَنَصُ

وقال في واجبات الحاكم: (من المتقارب)

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصَا
وَوَالِ الْكَرِيمَ وَدَارِ السَّفِيَةَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ وَخُذْ مَنْ عَصَى

وَنَقَّبُ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ	فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا
وَلَا تُبْقِيَنَّ عَلَى فَاجِرٍ	فَإِنَّ اللَّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا
وَإِنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ	وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَصَّصَا
وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ فِي كُلِّ مَا	نَوَيْتَ تَجِدْ عِنْدَهُ مَخْلَصَا
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا خَيَالٌ سَرَى	وِظْلٌ إِذَا مَا سَجَا قَلَّصَا

وقال مُفْتَخِرًا: (من الوافر)

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا خَفَّتْ حَصَاتِي	لِنَازِلَةٍ وَلَا ارْتَعَدَ الْفَرِيصُ
وَمَا قَصُرْتُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي	وَلَكِنْ رُبَّمَا خَابَ الْحَرِيصُ

قافية الضاد

قال في الغزل: (من السريع)

ذَلِكَ عَهْدٌ لَيْتَهُ مَا انْقَضَى
حَتَّى إِذَا وَلَّى عَدِمْتُ الرُّضَا
ذَكَرْتُهَا ضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا
جَارَ عَلَيْنَا وَقَضَى مَا قَضَى
وَأَيُّ ثَوْبٍ مِنْ نَعِيمِ نَضَا
يَا لَيْتَهُ سَوَدَ مَا بَيَّضَا
أَشْرَقَ صُبْحٌ مِنْ مَشْيَبَى مَضَى
وَعَارِضٌ غَامَ وَبَرَقَ أَضَا
بَيْنَ الْحَشَا كَالصَّارِمِ الْمُنتَضَى
مَا شَبَّ فِي قَلْبِي جَمْرُ الْغَضَى
عَذَّبَنِي بِالصَّدِّ بَلْ أَرْمَضَا
تَعَلَّمَ الْخَطِيئُ مِنْهُ الْمَضَا
عَنْ نَاطِرِي بِالْبَيْنِ مَا غَمَّضَا
وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضَا
لَوْ نَهَضَ الدَّهْرُ بِهَا خَفَضَا
وَاسْتَلَبَ الْقَلْبَ وَمَا عَوَّضَا
أَلَمْ يَجْنِ لِلدَّيْنِ أَنْ يُقْتَضَى

أَيْنَ لَيَالِينَا بِوَادِي الْغَضَا
كُنْتُ بِهِ مِنْ عَيْشَتِي رَاضِيَا
أَيَّامٌ لَهُوَ وَصَبًا كُلَّمَا
فَآهٍ مِنْ دَهْرٍ بِأَحْكَامِهِ
أَيُّ قِنَاعٍ مِنْ شَبَابٍ سَرَا
قَدْ بَيَّضَ الْأَسْوَدَ مِنْ لِمَتِي
عَهْدٌ كَطَيْفٍ زَارَ حَتَّى إِذَا
مَا كَانَ إِلَّا كَنَسِيمٍ سَرَى
وَلَّى وَلَمْ يُعْقِبْ سِوَى حَسْرَةٍ
لَوْلَا الْغَضَا وَهُوَ مَطَافُ الْهُوَى
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ بِهِ شَادِنَا
مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ ذُو لَحْظَةٍ
طَبْنِي جَمَى مَذْ عَرَبَتْ شَمْسُهُ
قَدْ سَرَنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلَا
حَمَلَنِي مِنْ وَجْدِهِ لَوْعَةٍ
قَدْ أَخَذَ النَّوْمَ وَمَا رَدَّهُ
مَا بَالُهُ مَا طَلَّ فِي وَعْدِهِ

قَاضِيَّتُهُ عِنْدَ مَلِكِ الْهَوَى
فَمَنْ لَهُ أَشْكُو وَقَدْ سَامَنِي
تَالِلِهِ لَوْلَا خَوْفُ هَجْرَانِهِ
فَإِنَّ لِي مِنْ عَزْمَتِي صَاحِبًا
وَلَسْتُ مِمَّنْ إِنْ دَجَا حَادِثُ
لَكِنَّنِي أَلْقَى الرَّدَى حَاسِرًا
أَسْتَحْقِبُ الشَّهْدَ لِمَنْ وَدَّني
جَرَدْتُ نَفْسِي لِطِلَابِ الْعُلَا
وَلِي مِنَ الْقَوْلِ نَصِيرٌ إِذَا
سَلَ عَنِّي الْمَجْدُ وَلَا تَحْتَشِمُ

فَعَلَّ حَقِّي وَأَسَاءَ الْقَضَا
جَوْرًا وَحَقُّ الْجَوْرِ أَنْ يُرْفَضَا
مَا بَاتَ قَلْبِي عَانِيًا مُحْرَضَا
يَمْنَعُنِي فِي الرُّوْعِ أَنْ أَدْحَضَا
أَلْقَى زَمَامَ الْأَمْرِ أَوْ فَوْضَا
وَأَصْدَعُ الْخَصْمَ إِذَا عَرَّضَا
وَأَنْفُتُ السُّمَّ لِمَنْ أَبْغَضَا
وَالسَّيْفُ لَا يُرْهَبُ أَوْ يَنْتَضَى
دَعْوَتُهُ فِي حَاجَةٍ أَوْفَضَا
فَالْمَجْدُ يَدْرِي أَيَّ سَيْفٍ نَضَا

وَقَالَ يَصِفُ نَاقَةً مِنَ النُّعْمَانِيَّاتِ: (من الوافر)

وَرَوْعَاءِ الْمَسَامِعِ مَا تَمَطَّتْ
خَرَجْتُ بِهَا عَلَى الْبَيْدَاءِ وَهَنَا
تُقَلِّبُ أَيْدِيًا مُتَسَابِقَاتِ
مَدَدْتُ زَمَامَهَا وَالصُّبْحُ بَادِ
فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى
أَحَالَ السَّيْرُ جَرَّتَهَا رَمَادًا
وَمَا كَانَتْ لِتَسْأَمَ غَيْرَ أَنِّي
هَتَكْتُ بِهَا سُنُورَ اللَّيْلِ حَتَّى

بَحْمَلٍ بَيْنَ سَائِمَةٍ مَخَاضِ
خُرُوجِ اللَّيْلِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ
إِلَى الْغَايَاتِ كَالنَّبْلِ الْمُوَاضِي
فَمَا كَفَّكَفْتُهَا وَاللَّيْلُ غَاضِي
أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَاضِي
فَرَاخَتْ وَهِيَ خَاوِيَةُ الْوِفَاضِ
رَمَيْتُ بِهَا اعْتِرَاضِي وَاعْتِرَاضِي
خَرَجْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَيَاضِ

وَقَالَ يَعْتَذِرُ: (من البسيط)

رَبِّ الْفُتُوَّةِ لَا تَسْبِقْ إِلَى عَدَلٍ
فَإِنْ تَكُنْ هَفُوءَةً أَوْ زَلَّةً عَرَضَتْ

يَبِيتُ مِنْ مَسِّهِ قَلْبِي عَلَى مَضَضِ
فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَانًا عَنِ الْغُرَضِ

وقال: (من الطويل)

إِذَا أَنْتَ أَبْعَضْتَ امْرَأً فَأَخْشَ ضَرَّهُ
فَإِنَّ قُلُوبَ النَّاسِ تَمْتَارُ فِطْرَةً
وَعَاشِرُ مِنَ الْخُلَانِ مَنْ كَانَ سَالِمًا
فَقَدْ لَا يُفِيدُ الْقَوْلُ نَصْحًا وَحِكْمَةً
فَأَنْتَ لَدَيْهِ مِثْلُ ذَاكَ بَغِيضُ
فَمِنْهَا لِبَعْضِ أَلْفٍ وَنَقِيضُ
فَلَيْسَ سَوَاءً سَالِمٌ وَمَرِيضُ
إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ الْقَرِيضِ جَرِيضُ

وقال: (من الطويل)

تَحَبَّبَ إِلَى الإِخْوَانِ بِالْجِلْمِ تَغْتَنِمُ
فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ مَا لَمْ تُجَارِهِ
مَوَدَّتَهُمْ فَالْجِلْمُ لِلشَّرِّ يَرْحَضُ
بِأَفْعَالِهِ وَأَفَاكُ بِالْعَذْرِ يَرْكُضُ

وقال: (من الوافر)

أَبَيْتُ الرَّدَّ لِلِسُّؤَالِ عِلْمًا
فَأَيُّمَا عَائِلٍ فَأَصُونُ مِنْهُ
بِمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَسْطٍ وَقَبْضِ
وَأَيُّمَا فَاجِرٍ فَأَصُونُ عَرِضِي

وقال: (من البسيط)

رَضِيتُ بِالْبَيْنِ إِثَارًا عَلَى سَكْنِ
فَمَا أَسَيْتُ لِسَيِّئٍ كُنْتُ أَمْلِكُهُ
فِي مَعْشَرٍ وَدُهُمُ إِنْ أَخْلَصُوا مَرَضُ
فِي فَقْدِ أَوْجُهُمْ عَنْ تَرَوْتِي عَوْضُ

قافية الطاء

وقال: (من البسيط)

أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ فِي طَيِّهَا قَنَطُ
مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بُقْيَا فَنَخْتَلِطُ
وَصَحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِهَا السَّقَطُ
لِلرَّائِدِينَ وَرَوْضًا زَهْرُهُ شَطَطُ
فَإِنَّمَا هُوَ بِشَرِّ تَحْتَهُ سَخَطُ
تَبَّتِ الْعَزِيمَةُ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ
أَوْ هَمَّهُ الْأَمْرُ لَمْ يَغْلُقْ بِهِ الثَّبَطُ
إِنَّ النَّجَاحَ بِسَعْيِ الْمَرْءِ مُرْتَبِطُ
وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا الْهَيَّابَةُ الْخِلَطُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يُدْرِكُ الْوَسَطُ
فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِي هَذَا الْوَرَى لَقَطُ
مَنِّي وَأَخْنَى عَلَيَّ الضَّعْفُ وَالشَّمَطُ
وَأَفْجَأُ الْبَطْلَ الْحَامِي فَأَخْتَبِطُ
تَحْتَ الْعَجَاجِ بِأَطْرَافِ الْقَنَا نُحُطُ
نَكُلُ وَلَا فِي جَفِيرِي أَسْهُمُ مُرْطُ
جَرِي السَّوَابِقِ وَالْوَحَادَةُ النُّشُطُ
مُبَدَّدًا تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَضَى خَبَطُ

هَلْ فِي الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَتَشْتَرِطُ
نَبْكِي عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ثُمَّ يُضْجِكُنَا
وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الْأَيَّامِ عَافِيَّةُ
نَزَعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثًا نَبْتُهُ أَسْفُ
فَلَا يَغْرُنْكَ مِنْ دَهْرٍ بِشَاشَتِهِ
لَا يُدْرِكُ الْعَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ
إِنَّ مَسَّهُ الضِّيمُ نَاجَى السَّيْفِ مُنْتَصِرًا
فَاقْذِفْ بِنَفْسِكَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهَا
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ
وَإِنْ شَأْنُكَ الْمُنَى فَاقْنَعْ بِأَقْرَبِهَا
لَا تَعْفُلَنَّ إِذَا أُمْنِيَّةٌ عَرَضَتْ
إِنِّي وَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ قَدْ أَخَذَتْ
فَقَدْ أَدُودُ السَّبَبْنَتَى عَنْ فَرِيستِهِ
وَأَصْدَعُ الْجَيْشِ وَالْفُرْسَانَ مِنْ مَرَحٍ
فَمَا بِنَصْلِي إِنْ لَاقَى ضَرِيبَتَهُ
وَرَبَّ يَوْمٍ طَوِيلِ الْعُمَرِ قَصَّرَهُ
كَأَنَّمَا الْوَحْشُ مِنْ تَلْهَابٍ جَمَّرَتِهِ

تَرَى بِهِ الْقَوْمَ صَرَعى لَا حَرَكَ بِهَمْ
وَلَيْلَةَ ذَاتِ تَهْتَانٍ وَأَنْدِيَةٍ
لَفَ الْغَمَامِ أَقَاصِيهَا بِبُرْدَتِهِ
بَهْمَاءَ لَا يَهْتَدِي السَّارِي بِكُوكِبِهَا
يَكَادُ يَجْهَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ
يَطْغَى بِهَا الْبَرْقُ أَحْيَانًا فَيَزْجُرُهُ
كَأَنَّمَا الْبَرْقُ سَوْطٌ وَالْحَيَا نُجْبُ
كَأَنَّهُ صَارِمٌ يَرْفُضُ مَنْ عَلَقَ
مَزَقْتُ جَلْبَابَهَا بِالْخَيْلِ طَالِعَةً
وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظَلَمَتَهَا
كَأَنَّهَا وَصْدِيعُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا
وَمَرْبَعِ لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَمَةً
كَأَنَّمَا الْقَطْرُ دُرٌّ فِي جَوَانِبِهِ
وَلِلنَّسِيمِ خِلَالِ النَّبْتِ غُلْغُلَةٌ
وَالرَّيْحُ تَمْحُو سُطُورًا ثُمَّ تُثَبِّتُهَا
وَلِلسَّمَاءِ خَيْوُطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ
كَأَنَّهَا وَأَكْفُ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا
فَالضَّوْءُ مُحْتَبِسٌ وَالْمَاءُ مُنْطَلِقُ
لُذْنَا بِأَطْرَافِهِ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ
فِي فَتْيَةٍ رَضِعُوا تَذِي الْوَفَاقِ فَمَا
تَحَالَفُوا فِي صَفَاءِ الْوُدِّ وَاجْتَمَعُوا
كَالْغَيْثِ إِنْ وَهَبُوا وَاللَّيْثِ إِنْ وَكَبُوا
تَكْشَفُ الدَّهْرُ عَنْهُمْ بَعْدَ غُمَّتِهِ
مِيلٌ بِأَبْصَارِهِمْ نَحْوِي لِيَسْتَمِعُوا
إِنْ سَرْتُ سَارُوا وَإِنْ أَصَعَدْتُ إِلَى نَشْرِ
يَمْشُونَ حَوْلِي كَمَا يَمْشِي الْقَطَا بَدَاً
إِنْ يَكْنُفُونِي مِنْ حَوْلِي فَلَا عَجَبُ

كَأَنَّهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا
كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِيهَا صَارِمٌ سَلِطُ
وَأَنهَلُ فِي حَجَرَتَيْهَا وَابِلٌ سَبِطُ
مِنَ الْغَمَامِ وَلَا يَبْدُو بِهَا نَمَطُ
لَوْلَا صَهِيلُ جِيَادِ الْخَيْلِ وَاللَّغَطُ
مُخْرَنْطِمٌ رَجُلٌ مِنْ رَعْدِهَا خَمِطُ
يَلُوحُ فِي جِسْمِهَا مِنْ مَسِّهِ حَبَطُ
بِالْأَفْقِ يُغَمِّدُ أَحْيَانًا وَيُخْتَرِطُ
مِثْلَ الْحَمَائِمِ فِي أَجْيَادِهَا الْعُلُطُ
كَمَا تَخَلَّلَ شَعْرُ اللَّمَّةِ الْوَحْطُ
مِنْ جَانِبِ أَنَّهُمْ قَدْ مَسَّهُ نَبَطُ
فِيهِ وَلِلطَّيْرِ فِي أَرْجَائِهِ لَغَطُ
يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقِطُ
كَمَا تَغْلَغَلُ وَسَطَ اللَّمَّةِ الْمُشْطُ
فِي النَّهْرِ لَا صَحَّةَ فِيهَا وَلَا غَلَطُ
تَكَادُ تُجْمَعُ بِالْأَيْدِي فَتُرْتَبَطُ
سُلُوكُ عِقْدٍ تَوَاهَتْ فَهِيَ تَنْخَرِطُ
وَالْجَوُّ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطُ
عَلَيْهِ وَالنُّورُ بِالظُّلُمَاءِ مُخْتَلِطُ
فِيهِمْ إِذَا مَا انْتَشَوُا جَوْرٌ وَلَا شَطَطُ
عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَّهْرِ وَاشْتَرَطُوا
وَالْمَاءِ إِنْ عَدَلُوا وَالنَّارِ إِنْ قَسَطُوا
كَمَا تَكْشَفُ الدَّهْرُ عَنْ مَكُونِهِ السَّقَطُ
قَوْلِي وَكُلُّ لَأَمْرِي طَائِعٌ نَشِطُ
كَأَنُوا صُعُودًا وَإِنْ أَهْبَطُ بِهِمْ هَبِطُوا
فَإِنْ مَضَى بَقِطٌ مِنْهُمْ أَتَى بَقِطُ
لَا يَسْقُطُ الطَّيْرُ إِلَّا حَيْثُ يَلْتَقِطُ

نَمْشِي بِهِ بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عَلَى
مِثْلِ الطَّوَاوِيسِ فِي أَذْنَابِهَا عَجَبٌ
كَأَنَّهِنَّ جِمَالَاتٌ مُوقَّرَةٌ
وَلِلْفَوَاحِشِ فِي أَفْنَانِهَا هَزَجٌ
خَضِرُ الْجَنَاحَيْنِ وَالْأَطْوَاقِ تَحْسَبُهَا
حَتَّى إِذَا حَلَّ ضَاحِي الْيَوْمِ حَبَوْتُهُ
رُحْنَا نَجْرُ ذُبُولِ الْعِزِّ ضَافِيَةً
يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ أَهْوَى لَوْ بَدَلْتُ لَهُ
أَفْنَانِهَا مِنْ بُرُودِ الْيَمْنَةِ الرِّيطُ
لِلنَّاضِرِينَ وَفِي أَجْيَادِهَا عَنُطُ
تَمُورٌ مُورًا عَلَى أَثْبَاجِهَا الْغُبُطُ
قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهَا السَّهْلُ وَالْفُرْطُ
أَطْفَالٌ مَلِكٌ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ
وَكَادَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الْغَرْبِ تَنْهَبُطُ
وَكُلُّنَا بِنَعِيمِ الْعَيْشِ مُغْتَبِطُ
مَا شَاءَ فِي مِثْلِهِ لَوْ كَانَ يَشْتَرُطُ

وقال: (من الطويل)

تَمَهَّلْ وَلَا تَعْجَلْ إِذَا رُمْتَ حَاجَةً
فَذُو الْحَزْمِ يَرْعَى الْقَصْدَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَقَدْ يَلْحَقُ الْخُسْرَانُ مَنْ يَتَوَرَّطُ
وَذُو الْجَهْلِ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفْرِطُ

قافية الظاء

قَالَ فِي الْغَزْلِ: (من الكامل)

وَتَكَلَّمْتُ بِضَمِيرِكَ الْأَلْفَاظُ
فِي حُبِّهَا الْفَتَاكُ وَالْوَعَاظُ
نَارًا لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شَوَاظُ
مَنْ الْكَرِيمُ وَقَلْبُهُ مُغْتَازُ
فَقَلُوبُهُمْ أَبَدًا عَلَيَّ غِلَاظُ
غَيْرَ الْمَدَامِ وَالسُّهَادِ لِمَاظُ
بِدَمِي وَلَا احْتَكَمْتُ عَلَيَّ لِحَاظُ
عَنِّي إِلَيْكَ الْحَاسِدُ الْجَوَاظُ
فِي دَيْنِ حُبِّكَ وَالْغَرَامُ حِفَاظُ
فِي حُبِّكَ الْإِيذَاءُ وَالْإِحْفَازُ
سِنَّةُ الْكَرَى وَأَوَّلُ الْهَوَى أَيْقَازُ
أَهْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ لِفَاطُوا
مَنْ دَمَعِهِ وَإِذَا تَنَفَّسَ قَاطُوا
تِلْكَ الصُّدُورُ وَقَلَّتِ الْحِفَازُ

سَكِرْتُ بِخَمْرِ حَدِيثِكَ الْأَلْفَاظُ
يَا دُمِيَّةَ لَوْلَا التَّقِيَّةُ لَأَسْتَوْتُ
مَا لِي مَنَحْتُكَ خُلَّتِي وَجَزَيْتَنِي
هَلَّا مَنَنْتُ إِذِ امْتَلَكْتِ فَطَالَمَا
فَلَقَدْ هَجَرْتُ إِلَيْكَ جُلَّ عَشِيرَتِي
وَنَفَيْتُ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَ فَمَا لَهَا
هَذَا وَمَا اخْتَضَبْتَ لِغَيْرِكَ أَسْهَمُ
فَعَلَامَ تَسْتَمِعِينَ مَا يَأْتِي بِهِ
فَصِلِي مُجِبًا مَا أَصَابَ خَطِيئَةً
يَهْوَاكِ حَتَّى لَا يَمِيلُ بِطَبْعِهِ
نَابِي الْمَضَاجِعِ لَا تَزُورُ جُفُونَهُ
مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضُهُ
فَإِذَا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِيمَا جَرَى
هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ

وقال: (من الطويل)

مَتَى يَجِدُ الْإِنْسَانُ خَلًّا مُوَافِقًا يُخَفِّفُ عَنْهُ كُلْفَةَ الْمُتَحَفِّظِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ بَيْنَ مُخَادِعٍ لِإِخْوَانِهِ أَوْ حَاسِدٍ مُتَغَيِّظِ

وقال: (من مجزوء الخفيف)

مَنْ لِقَلْبِي بِشَادِنٍ لَمْ يُمَتِّعْ بِحَظِّهِ
قَدْ سَبَّانِي بِطَرْفِهِ وَشَجَّانِي بِلَفْظِهِ
كُلُّ شَيْءٍ سَيْرَعَوِي غَيْرَ قَلْبِي وَلَحْظِهِ

وقال: (من الخفيف)

أَنْتَ مِنِّي مَا بَيْنَ فِكْرٍ وَلَفْظٍ فَمَتَى يَشْتَفِي بِقُرْبِكَ لِحْظِي
غَبَّتْ عَنِّي مَدَى ثَلَاثٍ فَرَادَتْ حَسْرَاتِي وَغَابَ أُنْسِي وَحَظِّي
فَأَجِبْ دَعْوَتِي وَلَا تَنْسَ وَعْدًا لَكَ بِالْوَصْلِ لَا يَزَالُ بِحِفْظِي

قافية العين

وقال: (من الطويل)

وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْأَبِيَّةِ وَازِعُ
لِكُلِّ أَخِي لَهْوٌ عَنِ اللَّهْوِ رَادِعُ
وَتَهْفُو بِلَيْتِكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ
يَكْفُكَ عَنْ هَذَا بَلَى أَنْتَ طَامِعُ
إِذَا لَمْ تَهْذُبْ جَانِبِيهِ الْوَقَائِعُ
وَيَذْهَبُ يُلْهِي نَفْسَهُ وَيُصَانِعُ
تَدِبُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذَنْبٌ مُخَارِعُ
فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ
وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ
وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعُمُرِ ضَائِعُ
إِلَيْهِ وَلَمَّا يَدِرْ مَا اللَّهُ صَانِعُ
وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ
فَيُحْرَمُ دُوْكَدٌ وَيُرْزَقُ وَادِعُ
عَلَى حَسْرَةٍ فَالِلَهُ مُعْطٍ وَمَانِعُ
لَمَّا بَاتَ رِثْبَالُ الشَّرَى وَهُوَ جَائِعُ
يُنَارِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَارِعُ
قَدِيمًا وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ نَافِعُ

مَتَى أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الْغَيِّ نَارِعُ
أَلَا إِنَّ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً
فَحَتَّامُ تُصْبِيكَ الْغَوَانِي بَدَلَهَا
أَمَّا لَكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِرُ
وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرْءُ مِنْ سَكْرَةِ الصَّبَا
يَرَى الْمَرْءُ عُنْوَانَ الْمُنُونِ بِرَأْسِهِ
أَلَا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَارِبُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُغْبَةً هَازِلُ
فَيَا رُبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهُوَ آمِنُ
فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِذُ
يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الْأَرْضَ كُلَّهَا
فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ حَتْفًا لِرَبِّهِ
أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا
فَلَا تَقْعُدَنَّ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غَبَّهِ
فَلَوْ أَنَّ مَا يُعْطَى الْفَتَى قَدَّرَ نَفْسِهِ
وَدَعَى كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ
فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِي أَنَا عَالِمُ

وَلَسْتُ بِعَلَامِ الْغُيُوبِ وَإِنَّمَا
وَذَرُهُمْ يَخُوضُوا إِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ
فَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَائِنٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَجْسَامُ إِلَّا هَيَاكِلٌ
فَأَيُّ الْمُلُوكِ الْأَقْدَمُونَ تَسَنَّمُوا
مَضَوْا وَأَقَامَ الدَّهْرُ وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ
أَرَى كُلَّ حَيٍّ ذَاهِبًا بِيَدِ الرَّدَى
أُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ أَسْأَلُ عَنْهُمْ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءً وَلَمْ تُحِزْ
خَيَالٌ لِعَمْرِي لَيْسَ يُجِدِي طِلَابُهُ
فَمَنْ لِي وَرَوَعَاتِ الْمُنَى طَيْفٌ حَالِمٌ
أَشَاطِرُهُ وَدِّي وَأَفْضِي لِسَمْعِهِ
لَعَلِّي إِذَا صَادَفْتُ فِي الْقَوْلِ رَاحَةً
لِعَمْرٍ أَبِي وَهُوَ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ
لَمَا نَارَعَتْنِي النَّفْسُ فِي غَيْرِ حَقِّهَا
وَمَا أَنَا وَالْدُّنْيَا نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ
فَلَا السَّيْفُ مَفْلُولٌ وَلَا الرَّأْيُ عَازِبٌ
وَلَكِنِّي فِي مَعْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ
لَوَاعِبُ بِالْأَسْمَاءِ يَبْتَدِرُونَهَا
وَهَلْ فِي التَّحَلِّيِ بِالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ
أَعَاشِرُهُمْ رَغْمًا وَوُدِّي لَوْ أَنَّ لِي
فِيَا قَوْمُ هُبُوا إِنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ
أَصْبَرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ
وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذَّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ
أَرَى أَرْوَسًا قَدْ أَيْنَعَتْ لِحْصَايَهَا
فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ أَوْ أَفْرَعُوا
أَهْبْتُ فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً

أَرَى بِلِحَاطِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ
لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ
لَمَا نَامَ سُمَارٌ وَلَا هَبَّ هَاجِعُ
مُصَوَّرَةٌ فِيهَا النُّفُوسُ وَدَائِعُ
قِلَالِ الْعُلَا فَلَاأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ
مُلُوكٌ وَبَادُوا وَاسْتَهَلَّتْ طَلَائِعُ
فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ
فَهَلْ أَنْتَ يَا دَهْرَ الْأَعَاجِبِ سَامِعُ
جَوَابًا فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أَنْزَعُ
وَمَا سَفَةُ تُدْمَى عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
بِذِي حُلَّةٍ تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ
بِسِرِّي وَأُمْلِيهِ الْمُنَى وَهُوَ رَابِعُ
نَضَحْتُ غَلِيلًا مَا رَوْتُهُ الْمَشَارِعُ
لَمَا اخْتَالَ فَخَارٌ وَلَا اخْتَالَ خَادِعُ
وَلَا ذَلَّلْتَنِي لِلرَّجَالِ الْمَطَامِعُ
بِذِي تَرْفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ
وَلَا الزُّنْدُ مَغْلُولٌ وَلَا السَّاقُ ظَالِعُ
كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِعُ
سَفَاهَا وَبِالْأَلْقَابِ فَهِيَ بَضَائِعُ
إِذَا لَمْ تُزَيَّنْ بِالْفِعَالِ الطَّبَائِعُ
بِهِمْ نَعَمًا أَدْعُو بِهِ فَيُسَارِعُ
وَفِي الدَّهْرِ طُرُقُ جَمَّةٍ وَمَنَافِعُ
عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ
فَأَيُّنَ وَلَا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضِّيمَ دَافِعُ
إِلَيَّ وَلِبَانِي الصَّدَى وَهُوَ طَائِعُ

تَمَائِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعُ
قَوَارِيرُ مَحْبِيٍّ عَلَيْهَا الْأَضَالِغُ
تَفُلُّ شَبَا الْأَرْمَاحِ وَهِيَ شَوَارِعُ
وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ
وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ جَوَامِعُ
عَلَى جَبَلٍ أَهْوَتْ بِهِ فَهُوَ خَاشِعُ

فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ قَبْلَكُمْ
فَلَا تَدْعُوا هَذِي الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا
وَدُونَكُمْ مَوْهَا صَعْدَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ
تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشَحُ وَقَلَائِدُ
أَلَا إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي لَوْ تَنْزَلَتْ

وقال: (من الكامل)

وَنَدَى الْغَمَامَةِ يَسْتَهْلُ لِمَدْمَعِي
أَتْرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاوِلِ أَدْمَعِي
أَسَمَتْ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي
فَرَثَى لَهَا أَمْ هَاجَتْ الدُّنْيَا مَعِي
وَالطَّيْرُ تَبْكِي رَحْمَةً لِقَوَّجِعِي
نَارًا يَدِبُ أَرِيزُهَا فِي مِسْمَعِي
لِلصَّبْرِ بَيْنَ مَقِيلِهِ مِنْ مَفْزَعِ
يَرِثِي لَوِيْلَاتِ الْمَشُوقِ الْمُوَلَعِ
خَلًّا يَرِقُ إِلَى شَكَاتِي أَوْ يَعِي
وَإِذَا لَجَأْتُ إِلَى أَحْ لَمْ يَنْفَعِ
وَالذَّنْبُ لِي فِي كُلِّ مَا أَنَا مُدْعِي
أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَجِيبُ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ
لَا تُسْتَقَالُ فَخْذُ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعِ
فَرِدِي وَهَذَا رَوْضُ قَلْبِي فَارْتَعِي
فَلَقَدْ بَلَغْتَ مُنَاكَ مِنْهَا فَأَقْنَعِي
أَيَّامُهَا وَغَوَايَةِ لَمْ تُقْلِعِ
وَهِيَ الدُّمُوعُ فَحَقُّهَا لَمْ يُدْفَعِ
إِنَّ الْوَفَى بَعْهْدِهِ لَمْ يَخْدَعِ
وَأَعْدَهَا صِلَةً إِذَا لَمْ تَمْنَعِي
عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَهِيَ أَكْبَرُ مُقْنَعِ

أَتَرَى الْحَمَامَ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي
مَا لِلنَّسِيمِ بَلِيلَةً أَذْيَالُهُ
بَلْ مَا لِهَذَا الْبَرْقِ مُلْتَهَبِ الْحَشَا
لَمْ أَدْرِ هَلْ شَعَرَ الزَّمَانُ بِلَوْعَتِي
فَالْغَيْثُ يَهْمِي رَقَّةً لَصَبَابَتِي
خَطَرَاتُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ بِجَوَانِحِي
وَجَوَى كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ لَمْ يَدْعِ
يَا أَهْلَ ذَا النَّادِي أَلَيْسَ بِكُمْ فَتَى
أَبْكِي فَيَرْحَمُنِي الْجَمَادُ وَلَا أَرَى
فَإِذَا دَعَا دَعَا بَصَاحِبِ لَمْ يَلْتَفِتْ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّيَ أَشْكُو الْهُوَى
قَدْ طَالَمَا يَا قَلْبُ قَلْتُ لَكَ احْتَرَسْ
أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ فِي حَبَائِلِ خُدْعَةٍ
يَا ظَبِيَّةَ الْمُقْيَاسِ هَذَا مَدْمَعِي
إِنْ كَانَ لَا يَرْضِيكَ إِلَّا شَفَوَتِي
أَنَا مِنْكَ بَيْنَ صَبَابَةٍ لَا تَنْقُضِي
فَتَقِي بِمَا تُمْلِيهِ الْأَسْنَةُ الْهُوَى
لَا تَحْسَبِي قَوْلِي خَدِيعَةً مَآكِرِ
إِنِّي لَأَقْنَعُ مَنْ هَوَاكَ بِنَظَرَةٍ
هَذِي مُنَايَ وَحَبْدًا لَوْ نَلْتُهَا

وقال: (من السريع)

بَيْنَ خُذُورِ الْعَيْنِ بِالْأَجْرِعِ
فَمَرَّ بِالْحَيِّ وَلَمْ يَرْجِعِ
يُفِيْقُ مِنْ سَكْرَتِهِ أَوْ يَعِي
أَغْوَاهُ لَحْظُ الرَّشَاءِ الْأَتْلَعِ
وَيَا بَنَاتِ الْأَيْكِ نُوحِي مَعِي
مُرِّي بِرِيَاكِ عَلَى مَرْبَعِي
بِاللَّهِ غَنِّي طَرَبًا وَأَسْجَعِي
بِذِمَّةِ الدَّمْعِ فَلَا تَهْجَعِي
وَدَلَّتِ السُّهْدَ عَلَى مَضْجَعِي
لَوْلَا دُمُوعِي أَحْرَقْتَ أَضْلَعِي
ضَلَّ بِهَا الصُّبْحُ فَلَمْ يَطْلُعِ
تَقِي حَيَاتِي مِنْ يَدَيِّ مَضْرَعِي
وَتَارَةً يَغْلِبُنِي مَدْمَعِي
أَمْ هَلْ إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ مَرْجِعِ
لَا بُدَّ لِلْمِخْنَةِ مِنْ مَقْطَعِ

هَلْ مِنْ فَتَى يَنْشُدُ قَلْبِي مَعِي
كَانَ مَعِي ثُمَّ دَعَاهُ الْهَوَى
فَهَلْ إِذَا نَادَيْتُهُ بِاسْمِهِ
هَيْهَاتَ يَلْقَى رَشْدًا بَعْدَ مَا
فِيَا دُمُوعَ الْقَطْرِ سِيلِي دَمًا
وَأَنْتِ يَا نَسَمَةَ وَايِي الْغَضَى
وَأَنْتِ يَا عُصْفُورَةَ الْمُنْحَنَى
وَأَنْتِ يَا عَيْنُ إِذَا لَمْ تَفِي
صَبَابَةً أَغْرَتْ عَلَيَّ الْأَسَى
وَيْلَاهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى إِنَّهَا
أَبَيْتُ أَرْعَى النُّجْمَ فِي سُدْفَةٍ
لَا أَهْتَدِي فِيهَا إِلَى حِيلَةٍ
طَوْرًا أَدَارِي لَوْعَتِي بِالْمُنَى
فَهَلْ إِلَى الْأَشْوَاقِ مِنْ غَايَةٍ
لَا تَأْسُ يَا قَلْبُ عَلَى مَا مَضَى

وقال: (من الطويل)

وَعَيْنٌ عَلَى إِثْرِ التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
عَلَى بَطَلٍ لَانْقَدَّ مِنْهُ الْمُقْنَعُ
غُرُوبٌ مِنَ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ تَهْمَعُ
يَكَادُ الصَّفَا مِنْ مَسْهَا يَتَصَدَّعُ
وَهَلْ لِشَبَابٍ فَاتٍ بِالْأَمْسِ مَرْجِعُ
وَأَتْلُو عَلَيْهَا الْيَأْسَ طَوْرًا فَتَجَزَعُ
تَذِلُّ لَهَا نَفْسَ الْعَزِيزِ وَتَخْضَعُ
وَإِنْ كَانَ فِي أَثْنَائِهِ الْحِلْمُ أَجْمَعُ

فَوَادُ بِأَقْمَارِ الْأَكَلَّةِ مُوَلَّعُ
وَشَوْقُ كَنْصَلِ السَّيْفِ لَوْ شِمْتُ حَدَّهُ
أَحَاوِلُ كَيْثَمَانَ الْهَوَى فَتَشِي بِهِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَفْثَةُ بَابِلِيَّةٍ
خَلِيلِي هَلْ بَعْدَ الصَّبَابَةِ سَلْوَةٌ
أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ طَوْرًا فَتَرَعَوِي
وَمَا ذِكْرُ رِيْعَانِ الصَّبَا غَيْرُ حَسْرَةٍ
فَلَا رَجَمَ اللَّهُ الْمَشِيبَ وَعَصْرَهُ

وَلَيْلُ شَبَابٍ سَرَّني وَهُوَ أَسْفَعُ
وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِلْبَشَاشَةِ مَوْضِعُ
هُمُومٍ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْقَلْبِ يَفْرَعُ
وَقَلَّ لَهُ مِنِّي نَجِيعُ وَأَدْمَعُ
إِذَا خَطَرْتُ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَنْزَعُ

نَهَارُ مَشِيبٍ سَاءَني وَهُوَ أَبْيَضُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ فُؤَادُهُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي مَشِيبٍ وَرَاءَهُ
لِيَبْكُ الصَّبَا قَلْبِي وَطَرْفِي كِلَاهُمَا
زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ

وقال في الغزل: (من المتقارب)

فَأَلْهَبَ نَارَ الْغَضَى فِي ضُلُوعِي
أَدْعَتْ الْهُوَى بِلِسَانِ الدُّمُوعِ

كَتَمْتُ الْهُوَى خَوْفَ إِفْشَائِهِ
فَلَمَّا خَشِيتُ عَلَى مُهْجَتِي

وقال: (من الطويل)

إِذَا مَا التَّقِينَا لَذَّةَ الْعَيْنِ وَالسَّمْعِ
فَعَاقَبَهَا حَدِيثِنِ بِالسُّهْدِ وَالِدَّمْعِ

أَلَا بِأَيِّ مَنْ حُسْنُهُ وَحَدِيثُهُ
رَأَى مُقْلَتِي تَرْعَى رِيَاضَ جَمَالِهِ

وَقَالَ فِي الْعِتَابِ: (من المتقارب)

فَأَشْكُو إِلَيْكَ نَمُومًا سَعَى
وَأُمَكْنَهُ الرَّغْبَى حَتَّى رَعَى
رَجِيْبًا وَأَرْعِيْتَهُ مِسْمَعًا
تَأَنَّقَ فِي صُنْعِهَا وَادَّعَى
نَ يَخْلُقُ مِنْ ضَحْكِهِ أَدْمَعًا
عَنِ الْقَصْدِ مَا لَمْ يَجِدْ مَنَزْعًا
تَمَكَّنَ مِنْ فُرْصَةٍ أَوْضَعَا
لِيَرْغَبَ فِي الْقَوْلِ أَوْ يَطْمَعَا
نُ مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكُمْ إِصْبَعَا
أَصَابَتْ هَوَى فُلُوتُ أَخْدَعَا
وَلَكِنْ مَلَامِي عَلَى مَنْ وَعَى

أَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَسْمَعَا
أَطَاعَ لَهُ الْمَاءُ حَتَّى اسْتَقَى
أَتَاكَ فَأَغْشَيْتَهُ مَنَزَلًا
فَأَبْدَعَ مَا شَاءَ فِي فِرْيَةٍ
صَنَاعُ اللِّسَانِ خُلُوبُ الْبَيَا
حَرِيصٌ عَلَى الشَّرِّ لَا يَنْتَنِي
يَسِيرُ مَعَ الرَّفْقِ حَتَّى إِذَا
وَمَا كَانَ لَوْلَا خِلَاجُ الظُّنُونِ
وَلَا وَحِفَاطُكَ وَهُوَ الْيَمِي
وَلَكِنَّهَا نَزَعَاتُ الْوُشَاةِ
وَلَيْسَ مَلَامِي عَلَى مَنْ وَشَى

أَجْمَلُ بِالْعَهْدِ أَنْ يُسْتَبَاحَ
فَشْتَانُ مَا بَيْنَنَا فِي الْوَدَا
وَمَنْ أَشْرَكَ النَّاسَ فِي أَمْرِهِ
فَخُذْهَا إِلَيْكَ عِتَابِيَّةً
وَلَوْ لَا مَكَانُكَ مِنْ مُهْجَتِي
لَوَاشٍ وَلِلْوُدِّ أَنْ يُقْطَعََا
دِ جُلُّ أَضَاعٍ وَجُلُّ رَعَى
دَعْتُهُ الضُّرُورَةَ أَنْ يُخْذَعَا
تَرُدُّ عَصِيَّ الْمُنَى طِيْعَا
لَمَّا قُلْتُ لِابْنِ عَثَارٍ لَعَا

وَقَالَ فِي الْوَدَاعِ: (من الخفيف)

إِنَّ قَلْبِي وَهُوَ الْأَبْيُّ دَهْتُهُ
لَا تَرَى غَيْرَ وَاقِفٍ يَسْفَحُ الدَّمَ
وُضْلَةً قَرَّبْتُ بَعَادًا وَبَيْنُ
كُنْتُ أَخْشَى الْوَدَاعَ حَتَّى إِذَا مَا
فُرْقَةٌ صَيَّرْتُهُ نَهَبًا مُشَاعَا
عَ وَسَاهٍ لَا يَسْتَطِيعُ زَمَاعَا
مِنْ حَبِيبٍ أَجَدَّ فِيهِ اجْتِمَاعَا
فَارْقُونِي أُمْسِيْتُ أَرْجُو الْوَدَاعَا

وقال: (من الطويل)

إِذَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ حَتْمًا مُقَدَّرًا
فَمَاذَا يُفِيدُ الْحِرْصُ وَالْأَمْرُ وَاقِعُ

وقال: (من مجزوء الكامل)

إِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تَحْضُرُ
فَاسْمَعْ فَإِنْ خَيْرًا أَصَبَ
خُضُّ عَلَى الْأَنَى إِنَّ لَمْ تَزَعْ
تَ فَخُذْ وَإِنْ شَرًّا فَدَعْ

وقال: (من البسيط)

لِكُلِّ قَوْلٍ مَنَارٌ يَسْتَقِيمُ بِهِ
فَالْعَنْبُ إِنَّ جَارَ حَدِّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةٌ
عِنْدَ الْخِطَابِ فَمَلْفُوظٌ وَمَسْمُوعُ
وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّرِّ تَقْرِيعُ

وَقَالَ يَرِثِي صَدِيقَهُ «أَحْمَدَ فَارِسَ» وَيُعْزِي ابْنَهُ: (من الطويل)

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَاحِلٌ لَيْسَ يَرْجِعُ
لَهَا بَارِقٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
عَلَى حَذَرٍ مِنْ هَوْلٍ مَا يَتَوَقَّعُ
تَسِيلٌ لَهَا مِنْ نَفُوسٍ وَأَدْمَعُ
وَأَرْوَاحَنَا فِي مَسْرَحِ الْجَوِّ رَتُّعُ
وَنُذْرُكَ أَسْبَابِ الْفَنَاءِ وَنَطْمَعُ
لَهَا نَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ وَيَفْجَعُ
وَتَذْفَعُنَا الْأَرْحَامُ وَالْأَرْضُ تَبْلُعُ
وَفَاءٌ وَلَا فِي عَيْشِهَا مُتَمَتِّعُ
تَقَرُّ جُنُوبٌ أَوْ يُلَاثِمُ مَضْجَعُ
فُؤَادًا مِنَ الْحَدَثَانِ لَا يَتَصَدَّعُ
إِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ التَّصَبُّرُ يَجْزَعُ
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ غُلَّةٌ لَيْسَ تَنْقَعُ
عَلَى لَوْعَةٍ أَوْ مُقْلَةٍ لَيْسَ تَدْمَعُ
رَوِيٌّ فَمَا لِلْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ
تَظَلُّ بِهَا هَيْمُ الْخَوَاطِرِ تَشْرَعُ
تَنَافَسَ قَلْبٌ فِي هَوَاهَا وَمِسْمَعُ
مِنَ الْمُزْنِ قِيَاضُ الْجَدَاوِلِ مُتَرَعُ
طَوَاهَا الرَّدَى فَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُوجِعُ
فَإِنَّ ابْنَهُ عَنْ حَوَازَةِ الْمَجْدِ يَدْفَعُ
يُؤَلِّفُ أَشْتَاتِ الْمَعَالِي وَيَجْمَعُ
إِلَى اللَّهِوِ طَبْعُ فَهَوٍ بِالْجَدِّ مُوَلِّعُ
تَدُلُّ عَلَى طِيبِ الْخِلَالِ وَتَنْزَعُ
يُسَيِّغُ الْفَتَى بِالصَّبْرِ مَا يَتَجَرَّعُ
فَمَاذَا تَرَاهُ فِي الْمُقَدَّرِ يَصْنَعُ
وَأَذْرَكَ مِنْهَا مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

مَتَى يَشْتَفِي هَذَا الْفُؤَادُ الْمَفْجَعُ
نَمِيلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى ظِلِّ مُزْنَةٍ
وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْمَرْءُ قَائِمُ
بِنَا كُلِّ يَوْمٍ لِلْحَوَادِثِ وَقَعَةٍ
فَأَجْسَادُنَا فِي مَطْرَحِ الْأَرْضِ هُمْدُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَا نُسَاءُ وَنَرْتَضِي
وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ عُقْبَانَ أَمْرِهِ
تَسِيرُ بِنَا الْأَيَّامُ وَالْمَوْتُ مَوْعِدُ
عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا لِعِدَاتِهَا
أَبْعَدُ سَمِيرِ الْفَضْلِ أَحْمَدَ فَارِسِ
كَفَى حَزْنًا أَنَّ النُّوَى صَدَعَتْ بِهِ
وَمَا كُنْتُ مَجْزَاعًا وَلَكِنَّ ذَا الْأَسَى
فَقَدْنَاهُ فَقَدَانُ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَا
وَأَيُّ فُؤَادٍ لَمْ يَبْتَ لِمُصَابِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلدَّمْعِ فِي الْخَدِّ مَسْرَبُ
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ غُلُومًا غَزِيرَةً
إِذَا تُلِيَتْ آيَاتُهَا فِي مَقَامَةٍ
سَقَى جَدًّا فِي أَرْضِ لُبْنَانَ عَارِضُ
فَإِنَّ بِهِ لِلْمَكْرُمَاتِ حُشَاشَةٌ
فَإِنَّ يَكُنُ الشُّدْيَاقُ خَلَى مَكَانَهُ
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ فَاضِلًا
رَزِينُ حَصَاةِ الْحِلْمِ لَا يَسْتَخِفُّهُ
تَلَوُّحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلُ
فَصَبْرًا جَمِيلًا يَا سَلِيمُ فَإِنَّمَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
وَمِثْلُكَ مَنْ رَاى الْأُمُورَ بِعَقْلِهِ

فَلَا تُعْطِينَ الْحُزْنَ قَلْبَكَ وَاسْتَعِنْ
وَهَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبَةً
عَلَيْهِ بَصِيرٌ فَهُوَ فِي الْحُزْنِ أَنْجَعُ
إِلَى النَّفْسِ يَدْعُوهَا الْوَفَاءَ فَتَتَّبِعُ
وَلِلْحَقِّ فِي حُكْمِ الْبَصِيرَةِ مَقْطَعٌ
رَغِيَتْ بِهَا حَقَّ الْوِدَادِ عَلَى النَّوَى

وَقَالَ يُجِيبُ الْأَمِيرَ «شكيب أرسلان» عن قَصِيدَةِ لَهُ: (من الكامل)

رُدِّي التَّحِيَّةَ يَا مَهَاةَ الْأَجْرَعِ
وَتَرَفَّقِي بِمُتَيِّمٍ عَلِقَتْ بِهِ
طَرِبَ الْفُؤَادُ يَكَادُ يَحْمِلُهُ الْهَوَى
لَا يَسْتَنِيمُ إِلَى الْعِزَاءِ وَلَا يَرَى
ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ إِلَيْكَ رِسَالَةً
فَمَتَى يَبُوحُ بِمَا أَجَنَّ ضَمِيرُهُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَكَ فِي دِيَارِ غُرْبَةٍ
لَا يَهْتَدِي فِيهَا لِرَحْلِي طَارِقُ
أَرَعَى الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّ لِي
زَهْرٌ تَأَلَّقَ بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
وَكَأَنَّهَا حَوْلَ الْمَجَرِّ حَمَائِمُ
وَتَرَى الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
بَيْضَاءُ نَاصِعَةٌ كَبِيضُ نَعَامَةٍ
وَكَأَنَّهَا أَكْرُ تَوَقَّدَ نُورُهَا
وَاللَّيْلُ مَرْهُوبُ الْحَمِيَّةِ قَائِمُ
مُتَوَشِّحٌ بِالنِّيَّزَاتِ كِبَاسِلُ
حَسَبَ النُّجُومِ تَخَلَّفَتْ عَنْ أَمْرِهِ
مَا زِلْتُ أَرْقُبُ فَجْرَهُ حَتَّى انْجَلَى
وَتَرَنَمْتُ فَوْقَ الْأَرَاكِ حَمَامَةً
تَدْعُو الْهَدِيلَ وَمَا رَأَتْهُ وَتِلْكَ مِنْ
رَبِّ الْمَسَالِكِ حَيْثُ أُمْتُ صَادَفْتُ
فَإِذَا عَلَتْ سَكَنْتُ مَظَلَّةَ أَيْكَةٍ

وَصَلِي بِحَبْلِكَ حَبْلَ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ
نَارُ الصَّبَابَةِ فَهُوَ ذَاكِي الْأَضْلَعِ
شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ الْبُرُوقِ اللَّمْعِ
حَقًّا لِسَبُوتِهِ إِذَا لَمْ يَجْزَعْ
عُنُونُهَا فِي الْحَدِّ حُمْرُ الْأَدْمَعِ
إِنْ كُنْتُ عَنْهُ بِنَجْوَةٍ لَمْ تَسْمَعِ
مَا لِلصَّبَاحِ بَلِيلُهَا مِنْ مَطْلَعِ
إِلَّا بِأَنَّةٍ قَلْبِي الْمُتَوَجِّعِ
عِنْدَ النُّجُومِ زُهَيْنَةً لَمْ تُدْفِعِ
حَبَبٌ تَرَدَّدَ فِي غَيْرِ مُتَرَعِ
بَيْضُ عَكْفَنَ عَلَى جَوَانِبِ مَشْرِعِ
حَلَقَاتُ قُرْطٍ بِالْجَمَانِ مُرْصَعِ
فِي جَوْفِ أَدْحِي بِأَرْضٍ بَلْقَعِ
بِالْكُهْرَبَاءَةِ فِي سَمَاوَةِ مَصْنَعِ
فِي مَسْجِدِ كَالرَّاهِبِ الْمُتَلَفِّعِ
مَنْ نَسَلَ حَامَ بِاللُّجَيْنِ مُدْرِعِ
فَوَحَى لَهُنَّ مِنَ الْهَلَالِ بِإِصْبَعِ
عَنْ مِثْلِ شَادِحَةِ الْكُمَيْتِ الْأَتْلَعِ
تَصِفُ الْهَوَى بِلِسَانِ صَبٍّ مُوَلِّعِ
شِيمَ الْحَمَائِمِ بِدَعَا لَمْ تَسْمَعِ
مَا تَشْتَهِي مِنْ مَجْثَمٍ أَوْ مَرْتَعِ
وَإِذَا هَوَتْ وَرَدَّتْ قَرَارَةً مَنْبَعِ

أَمَلْتُ عَلَى قَصِيدَةٍ فَجَعَلْتُهَا
 هِيَ مِنْ أَهَارِيحِ الْحَمَامِ وَإِنَّمَا
 هُوَ ذَلِكَ الشَّهْمُ الَّذِي بَلَغَتْ بِهِ
 نِبْرَاسُ دَاجِيَةٍ وَعُقْلُهُ شَارِدِ
 صَدَقُ الْبَيَّانِ أَغْضُ «جَزُول» بِاسْمِهِ
 لَمْ يَتَّخِذْ بَذَرَ الْمُقْنَعِ آيَةً
 أَحْيَا رَمِيمَ الشَّعْرِ بَعْدَ هُمُودِهِ
 كَلِمَ لَهَا فِي السَّمْعِ أَطْرَبُ نِعْمَةٍ
 كَالزَّهْرِ حَامِرُهُ النَّدَى فَتَأَرَّجَتْ
 يَغْنُو لَهَا الْخَصْمُ الْأَلْدُ وَيَغْتَذِي
 هِيَ نُجْعَةُ الْأَدَبِ الَّتِي مِنْ أَمَّهَا
 مَلَكْتُ هَوَى نَفْسِي وَأَحْيَيْتُ خَاطِرِي
 فَاسْلَمَ شَكِيبٌ وَلَا بَرَحَتْ بِنِعْمَةٍ
 فَلَأَنْتِ أَجْدَرُ بِالتَّنَاءِ لِمِنَّةٍ
 أَرْهَفْتَ حَدِي فَهُوَ غَيْرُ مُفْلِلٍ
 وَبَثَّقْتَ لِي مِنْ فَيْضِ بَحْرِكَ جَدُولًا
 عَذَبْتَ مَوَارِدَهُ فَلَوْ أَلَقْتَ بِهِ
 وَزَهَتْ فَرَائِدُهُ فَصَارَتْ غُرَّةً
 هُوَ ذَلِكَ النِّظْمُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ
 أَبْصَرْتُ مِنْهُ أَحَا «إِيَاد» خَاطِبًا
 وَحَلَمْتُ أَنِّي فِي خَمَائِلِ جَنَّةٍ
 فَضُلٌّ رَفَعَتْ بِهِ مَنَارَ كَرَامَةٍ
 فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي
 فَاغْزِرْ إِذَا قَصَرَ التَّنَاءُ فَإِنِّي
 لَا زِلْتُ تَرْفُلُ فِي وَشَاءِ سَعَادَةٍ

لَشَكِيبَ تُخَفَّةٍ صَادِقٍ لَمْ يَدَّعِ
 ضَمْنَتْهَا مَدَحَ الْهُمَامِ الْأَزْوَاعِ
 مَسْعَاتُهُ أَمَدَ السَّمَاءِ الْأَرْفَعِ
 وَخَطِيبُ أُنْدِيَّةٍ وَفَارِسُ مَجْمَعِ
 وَثْنِي «جَرِيرًا» بِالْجَرِيرِ الْأَطْوَعِ
 بَلْ جَاءَ خَاطِرُهُ بِآيَةٍ يُوشِعِ
 وَأَعَادَ لِلْأَيَّامِ عَصَرَ «الْأَصْمَعِي»
 وَبِحُجْرَةِ الْأَسْرَارِ أَحْسَنُ مَوْعِ
 أَنْفَاسُهُ بِالْعَنْبَرِ الْمُتَضَوِّعِ
 بِلِبَانِهَا ذَهْنُ الْخَطِيبِ الْمُصْقَعِ
 أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ بِوَادٍ مُمْرِعِ
 وَرَوَتْ صَدَى قَلْبِي وَلَدَّتْ مَسْمَعِي
 تَحْنُو عَلَيْكَ بِأَيْكِهَا الْمُتَفَرِّعِ
 أَوْلَيْتَهَا وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا رُعي
 وَرَعَيْتَ عَهْدِي فَهُوَ غَيْرُ مُضَيِّعِ
 غَمَرَ الْبِحَارَ بِسَيْلِهِ الْمُتَدَفِّعِ
 هَيْمُ السَّحَابِ بِلَاءَهَا لَمْ تَقْلَعِ
 لَجَبِينَ كُلِّ مُتَوَجٍّ وَمُقْنَعِ
 أَهْلُ الْبَرَاعَةِ بِالْمَقَالِ الْمُبْدَعِ
 وَسَمِعْتُ «عَنْتَرَةَ» الْفَوَارِسِ يَدْعِي
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ حَالِمٌ لَمْ يَهْجَعِ
 صَرَفَ الْغُيُوثَ عَنِ الْمَنَارِ «لِتَبَّعِ»
 وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ غَايَةٍ مِنْ مَنْزِعِي
 رَزَتْ الْمَقَالِ فَلَمْ أَجِدْ مِنْ مُقْنَعِ
 وَحَبِيرٍ عَافِيَةٍ وَعَيْشٍ أَمْرَعِ

وقال: (من البسيط)

هَلْ بِالْجَمَى عَنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ مَنْ يَزْعُ
هَذِي الْجَزِيرَةَ فَاَنْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا
أَضَحَتْ خَلَاءً وَكَانَتْ قَبْلُ مَنْزِلَةً
فَلَا مُجِيبَ يَرُدُّ الْقَوْلَ عَنْ نَبَاٍ
كَانَتْ مَنَازِلَ أَمْلاكَ إِذَا صَدَعُوا
عَاثُوا بِهَا حَقَبَةً حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا مِقْدَارَ مَا فَعَرَتْ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الْأَيَّامِ فَاَنْشَعَبُوا
كَانَتْ لَهُمْ عُصْبٌ يَسْتَنْدِفِعُونَ بِهَا
أَيْنَ الْمَعَاقِلُ بَلْ أَيْنَ الْجَحَافِلُ بَلْ
لَا شَيْءَ يَدْفَعُ كَيْدَ الدَّهْرِ إِنْ عَصَفَتْ
زَالُوا فَمَا بَكَتِ الدُّنْيَا لِفُرْقَتِهِمْ
وَالدَّهْرُ كَالْبَحْرِ لَا يَنْفَكُ ذَا كَدَرٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ فِكْرٌ فِي عَوَاقِبِهِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ
دَهْرٌ يَغُرُّ وَأَمَالٌ تَسْرُ وَأَعْدٌ
يَسْعَى الْفَتَى لَأُمُورٍ قَدْ تَضُرُّ بِهِ
يَا أَيُّهَا السَّادِرُ الْمُرُورُ مِنْ صَلَفٍ
دَعُ مَا يَرِيبُ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ
إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ تَخْلَعُهُ

هَمِيَّاتٍ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَّبِعُ وَالتَّبَعُ
يُنْأَى بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُو بِهِ الطَّمَعُ
لِلْمُلْكِ مِنْهَا لَوْفِدِ الْعِزِّ مُرْتَبِعُ
وَلَا سَمِيعٌ إِذَا نَادَيْتَ يَسْتَمِعُ
بِالْأَمْرِ كَادَتْ قُلُوبُ النَّاسِ تَنْصَدِعُ
طَيْرُ الْحَوَادِثِ مِنْ أَوْكَارِهَا وَقَعُوا
بِهِ الْحَوَادِثُ مَا شَادُوا وَلَا رَفَعُوا
أَيْدِي سَبَاٍ وَتَخَلَّتْ عَنْهُمْ الشُّيْعُ
كَيْدَ الْعَدُوِّ فَمَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا
أَيْنَ الْمَنَاصِلُ وَالْخَطِيئَةُ الشَّرْعُ
أَحْدَاثُهُ أَوْ يَبْقَى مِنْ شَرٍّ مَا يَقَعُ
وَلَا تَعَطَّلَتْ الْأَعْيَادُ وَالْجُمُعُ
وَإِنَّمَا صَفْوُهُ بَيْنَ الْوَرَى لَمُعُ
مَا شَانَ أَخْلَاقَهُ حِرْصٌ وَلَا طَبَعُ
مَنْ لَمْ يَزَلْ يَغُرُّورُ الْعَيْشِ يَنْخَدِعُ
مَمَارٌ تَمُرُّ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ
وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَعُ
مَهْلًا فَإِنَّكَ بِالْأَيَّامِ مُنْخَدِعُ
لَعَلَّ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ يَنْتَفِعُ
وَكُلُّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رَثَ يَنْخَلِعُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرِنْدِيب: (من البسيط)

أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأَتْ أَسْمَاعِي
يَدِي إِلَيْهِ فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
وَلَا أَبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخُدَاعِ

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الْأَشْوَاقِ مِنْ دَاعِي
مُرْنِي بِمَا شِئْتُ أَبْلُغُ كُلَّ مَا وَصَلْتُ
فَلَا وَرَبِّكَ مَا أَصْغِي إِلَى عَذَلِ

إِنِّي أَمْرُو لَا يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرْتِي
أَجْرِي عَلَى شِيْمَةٍ فِي الْحُبِّ صَادِقَةٌ
لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُودُ بِهِ
بَذَلْتُ فِي الْحُبِّ نَفْسِي وَهِيَ غَالِيَةٌ
أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُصْغِي لِمَعْدِرَتِي
وَيْلَاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامٌ بِهَا
أُسْعَى لَهَا وَهِيَ مِنِّي غَيْرُ دَانِيَةٍ
يَا حَبِذَا جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ
وَنَسْمَةً كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلْتُ
يَا هَلْ أَرَانِي بِذَلِكَ الْحَيِّ مُجْتَمِعًا
وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِلطَّرَادِ إِلَى
مَنَازِلُ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلْهَنِيَةٍ
إِذَا أَشْرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا
يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرْتِي
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَهْمِي بَذِي صَرِدِ
أَبَيْتُ فِي قَنَّةٍ قَنَوَاءَ قَدْ بَلَّغْتُ
يَسْتَقْبِلُ الْمُزْنَ لِيَتَيْنَهَا بِوَابِلِهِ
يَظَلُّ شَمْرَاخَهَا يَبْسَا وَأَسْفَلُهَا
إِذَا الْبُرُوقُ اِزْمَهَرَتْ خَلَّتْ زُرُوتَهَا
تَكَادُ تَلْمَسُ مِنْهَا الشَّمْسُ دَانِيَةً
أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَتِسًا
لَا فِي سَرَنْدِيبٍ خَلُّ أَسْتَعِينُ بِهِ
يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَا حَكًا جَذَلًا
وَلَا وَرَبِّكَ مَا وَجِدِي بِمُنْدَرِسِ
لَكِنَّنِي مَالِكُ حَزْمِي وَمُنْتَظَرُ
أَكْفُ غَرْبِ دُمُوعِي وَهِيَ جَارِيَةٌ
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادَرَنِي
فَإِنْ فِي مِصْرٍ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ

وَلَا تَفُلُّ شَبَابَةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي
لَيْسَتْ تَهُمُّ إِذَا رِيَعَتْ بِإِقْلَاعِ
مِنْ غَدَرِ كُلِّ أَمْرِي بِالشَّرِّ وَقَاعِ
لِبَاخِلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَاعِ
مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَّتَهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي
قَلْبِي وَقَصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بِاعِي
وَكَيْفَ يَبْلُغُ شَاوُ الْكُوكَبِ السَّاعِي
وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ
رِيَا الْأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ
بِأَهْلِ وَدْيٍ مِنْ قَوْمِي وَأَشْيَاعِي
صَيْدُ الْجَاذِرِ فِي خَضِرَاءَ مِمْرَاعِ
مُمْتَعًا بَيْنَ عِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي
قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي
وَيُرْعَدَ الْجَيْشُ بِاسْمِي قَبْلَ إِيقَاعِي
إِذَا رَمَيْتُ وَلَا سَيْفِي بِقِطَاعِ
هَامَ السَّمَاءِ وَقَاتَتْهُ بِأَبْوَاعِ
وَتَصْدِمُ الرِّيحُ جَنْبَيْهَا بِزَعْرَاعِ
مُكَلَّلًا بِالْأَنْدَى يَزْعَى بِهِ الرَّاعِي
شَهْمًا تَدْرَعُ مِنْ تَبَرٍ بِأَذْرَاعِ
وَتَحْبِسُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلَاعِ
نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعِ
عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلَا رَاعِي
أَنِّي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
عَلَى الْبِعَادِ وَلَا صَبْرِي بِمَطْوَاعِ
أَمْرًا مِنَ اللَّهِ يَشْفِي بَرْحَ أَوْجَاعِي
خَوْفُ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جَدُّ مُلْتَاعِ
رَهْنُ الْأَسَى بَيْنَ جَذَبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ
قُرْبِي وَيَعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي

قافية الفاء

وقال يُجِيبُ أحد شعراء الهند عن قصيدة أرسلها إليه يخطبُ بها مودَّته: (من الطويل)

فَمَنْ لِي بِخُلِّ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي
يَدُومَ عَلَى وَدِّ بَغِيرِ تَكْلُفِ
بِشِيمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْمَجْدِ مُسْعِفِ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً يَتَكَلَّفِ
عَلَى عُدَوَاءِ الدَّارِ لَمْ أَتْلَهْفِ
مُقِيمًا لَدَى قَوْمٍ عَلَى الْبُدِّ عُكْفِ
كَخِيطِ نَعَامٍ بَيْنَ جَرْدَاءِ صَفْصَفِ
تَطِيرُ كَنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ الْمُسَدَّفِ
كَنَضْحِ دَمٍ يَنْهَلُ مِنْ أَنْفِ مُرْعَفِ
عَزِيفًا كَجَنِّ فِي الْمَفَاوِزِ هَتَفِ
وَمَنْ حَسَرَاتِي بَيْنَ شَمْلِ مُؤَلَّفِ
وَأَشْتَاقُ خُلَانِي وَأَضْبُو لِمَالِفِي
وَلَا أَنَا أَلْقَى مَنْ أَحَبُّ فَأَشْتَفِي
لَبَاقٍ عَلَى وَدِّي لِمَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي
وَذِمَّةُ عَهْدٍ بَيْنَ سَيْفٍ وَمُصْحَفِ
وَلَا كُلُّ مَنْسُوبٍ إِلَى الْوَدِّ بِالْوَفِي
بِهَا يُعْرَفُ الْمَاضِي مِنَ الْمُتَخَلَّفِ

قَلِيلُ بِآدَابِ الْمَوَدَّةِ مَنْ يَفِي
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ صَاحِبًا
فَهَلْ مِنْ فَتَى يَسْرُو عَنِ الْقَلْبِ هَمَّهُ
رَضِيْتُ بِمَنْ لَا تَشْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ
وَلَوْ أَنَّني صَادَقْتُ خَلًّا يَسْرُنِي
وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ
رَعَانِفُ هَدَّاجُونَ فِي عَرَصَاتِهِمْ
حُفَاةُ عُرَاةٍ غَيْرِ أَخْلَاقِ صُدْرَةٍ
يَمْجُونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ رَشْحَ مُضْغَةٍ
إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعَتْ لِصَوْتِهِمْ
فَهَا أَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ شَمْلِ مُبَدَّدِ
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَذْكُرُ جِيرَتِي
فَلَا أَنَا أَسْلُو عَنْ هَوَايَ فَأَنْتَهِي
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ النَّوَى
سَجِيَّةُ نَفْسٍ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى
وَمَا كُلُّ مُوَشَّيِّ الْحَدِيثِ بِصَادِقِ
تَشَابَهَتْ الْأَخْلَاقُ إِلَّا بَقِيَّةً

وَمَا شَرَفُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِنَفْسِهِ
وَلَوْ كَانَ نَيْلُ الْفَضْلِ سَهْلًا لَزَاخَمْتُ
فَإِنْ أَخْلَفْتُ نَفْسَ طَوِيَّةَ مَا وَأَتُ
هُمَا دَعَا بِاسْمِي فَلَبَّيْتُ صَوْتَهُ
وَلَوْ صَاحَ بِي فِي غَارَةٍ لَوَزَعْتُهَا
وَلَكِنَّنِي لَبَّيْتُ دَعْوَةَ نَظْمِهِ
إِذَا حَرَّكَتُهُ رَاحَتِي فَوْقَ مُهْرَقِ
هُوَ الْبَطْلُ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ غَايَةٍ
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ بَيَانًا لِقَائِلِ
لَهُ قَلَمٌ لَوْ كَانَ لِلْسَّيْفِ حَدُّهُ
وَشُعْلَةٌ فِكْرٌ لَوْ بِمِثْلِ ضِيَائِهَا
فَسِيحُ مَجَالِ الْفِكْرِ ثَبُتَ يَقِينُهُ
أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشَّعْرِ دَوْحَةٌ
إِذَا نَوَّرَتْ أَفْنَانُهَا غَبَّ دِيمَةٍ
تَرْنَمٌ فِيهَا مِنْ ثَنَائِي بُلْبُلٌ
حَفِيْتُ لَهُ بِالْوَدِّ مِنِّي وَكَيْفَ لَا
تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَ مَا زَالَ أَنْسَهَا
وَحَرَّكَ أَسْلَاكَ التَّرَاسُلِ بَيْنَنَا
وَفِي النَّاسِ مَعْطُوفٌ عَلَى الْوَدِّ قَلْبُهُ
تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ
وَمَا حَرَكَاتُ النَّفْسِ إِلَّا دِلَالَةٌ
فَقَدْ تَكْذِبُ الْعَيْنُ الْفَتَى وَهُوَ غَافِلٌ
وَفَيْتُ بِوَعْدِي فِي الثَّنَاءِ وَإِنْ يَكُنْ
وَكَيفَ وَإِنْ أُوتِيتُ فِي النِّظْمِ قُدْرَةٌ

وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ تَلِيدٍ وَمُطَرَفٍ
رَجَالُ الْخَنَا أَهْلُ الْعُلَا وَالتَّعَطُّفِ
فَلِي مِنْ عَلِيٍّ صَاحِبٍ غَيْرِ مُخْلِفِ
بَيَا مَرْحَبَاهُ مِنْ فُؤَادٍ مُكَلَّفِ
عَلَى مَتْنِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ بِمُرْهَفِ
بِأَسْمَرَ مَشْفُوقِ اللِّسَانِ مُحَرَّفِ
بِذِكْرِ عُلَاهُ بَزَّ كُلِّ مُتَّقِفِ
يَهَابُ رَدَاهَا الْمَرْءُ قَبْلَ التَّعَسُّفِ
وَإِنْ سَارَ لَمْ يَتْرُكْ مَجَالًا لِمُقْتَفِي
لَقَلَّ حَبِيكَ السَّرْدِ فِي كُلِّ مَوْقِفِ
أَنَارَ سِرَاجِ الْأُفُقِ مَا كَانَ يَنْطَفِي
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ حُرُّ التَّصَرُّفِ
أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرَفِ
مِنْ الْفِكْرِ جَاءَتْ بِالْبَدِيعِ الْمُقَوِّفِ
بَلَحْنٌ لَهُ فِي السَّمْعِ نَبْرَةٌ مِعْرَفِ
أَسَابِقُهُ فِي وَدِّهِ وَهُوَ بِي حَفِي
وَنَوَّهُ بِاسْمِي بَعْدَ مَا كَادَ يَخْتَفِي
بَسِّيَالٍ وَدُّ لَفْظُهُ لَمْ يُحَرَّفِ
وَمِنْهُمْ سَقِيمُ الْعَهْدِ بَادِي التَّحَرُّفِ
وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبْرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
عَلَى صِدْقِ مَا قَالُوا بِهِ فِي التَّعْيِيفِ
وَيَصْدُقُ ظَنُّ الْعَاقِلِ الْمُتَشَوِّفِ
مَقَالِي بِهَاتِيكَ الْفَضَائِلِ لَا يَفِي
أَضْمُ شَتَاتِ الْكُونِ فِي بَعْضِ أَحْرِفِ

وَقَالَ فِي الْغَزْلِ: (من المتقارب)

لَوَى جِيدَهُ وَانْصَرَفَ	فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفَ
غَزَالٌ لَهُ نَظْرَةٌ	أَعَانَتْ عَلَيَّ الْكَلَفَ
تَبَسَّمَ عَنْ لُؤْلُؤٍ	لَهُ مِنْ عَقِيقٍ صَدَفَ
وَتَاهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ	وَشَانُ الْجَمَالِ الصَّلَفَ
جَرَى الْبُنْدُ فِي خَصْرِهِ	عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيْفِ
وَمَا ذَاكَ خَالٌ بَدَا	وَلَكِنْ وَسَامُ التَّرَفِ
رَأْنِي بِهِ مُوَلَّعًا	فَعَاتَبَنِي وَانْحَرَفَ
وَلَمْ يَدِرْ أَنِّي بِهِ	عَلَى جَمَرَاتِ التَّلَفِ
فَقُلْتُ لَهُ سَيِّدِي	تَرَفُّقٌ بِصَبِّ دَنِفِ
فَقَالَ أَخَافُ الْعِدَا	فَقُلْتُ لَهُ لَا تَخَفْ
فَأَنَّنِي عَفِيفُ الْهَوَى	وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَعْفُ
وَأَنشَدْتُهُ قِطْعَةً	وَشِعْرِي إِحْدَى الطَّرَفِ
فَأَصْغَى لَهَا بِاسِمًا	وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَسْفُ
وَنَمَّتْ بِهِ خَجَلَةٌ	تَدُلُّ عَلَى مَا اقْتَرَفُ
وَقَالَ أَهَذَا الضَّنَى	جَنَاهُ عَلَيْكَ الشَّغْفُ
فَقُلْتُ نَعَمْ سَيِّدِي	وَأَبْرَحُ مِمَّا أَصِفُ
فَصَدَّقَ لِكِنَّهُ	تَجَاهَلَ لَمَّا عَرَفُ
وَقَالَ أَطَعْتَ الْمُنَى	وَبَعْضُ الْأَمَانِي سَرَفُ
وَمَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ	يَفُوزُ بِهَا إِنْ عَكَفُ
فَأَشْفَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ	وَلَكِنْ رَبِّي لَطَفُ
فَلَمَّا رَأَى أَدْمُعِي	تَوَالَتْ وَقَلْبِي رَجَفُ
تَبَسَّمَ لِي ضَاحِكًا	وَمَانَعَ ثُمَّ انْعَطَفُ
فَأَغْرَمْتُهُ قُبْلَةً	«عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفُ»

وقال: (من البسيط)

مَنْ لِي بِطَبِيبَةٍ خَدِرَ كُلَّمَا وَعَدَتْ
تَحْكِي الْغَزَالَهَ الْأَحَاظَ إِذَا نَظَرَتْ
تَاهَتْ بِنُقْطَةٍ خَالٍ فَوْقَ وَجْنَتِهَا
بِزُورَةٍ أَعْقَبَتْ لِلْوَعْدِ إِخْلَافًا
وَالْوَرْدَ خَدًا وَغُصْنَ الْبَانِ أَغْطَافًا
زِيدَتْ بِهَا عَشْرَاتُ الْحُسْنِ أَضْعَافًا

وقال: (من الكامل)

بَكَرَ النَّدَى وَتَرَفَّعَ السَّدْفُ
وَدَعَتْ إِلَى شَرْبِ الصُّبُوحِ وَقَدْ
فَافْتَهُضَ عَلَى قَدَمِ الرَّبِيعِ فَمَا
وَأَنْظُرُ فَتَمَّ غَمَامَةً أَنْفُ
زَهْرٍ يَرِفُ عَلَى كَمَائِمِهِ
فَالطَّلُ مُنْتَشِرٌ وَمُنْتَظَمٌ
وَالرَّوْضُ يَرْفُلُ فِي مُعْصَفَرَةٍ
عُنِيَ الرَّبِيعُ بِنَسْجِ بُرْدَتِهَا
لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ بُلْهَنِيَّةٍ
وَعِصَابَةٍ غَلَبَ الْكَمَالُ عَلَى
نَارَعَتِهِمْ طَرْفَ الْحَدِيثِ وَقَدْ
قَلْبِي بِهِمْ كَلِفٌ وَنَاطِرَتِي
فَمَحَبَّتِي لَهُمْ كَمَا عَرَفُوا
لِلْهِ أَيَّامٌ بِهِمْ سَلَفَتْ
إِذْ لِمَتِي فَيْنَانَةٌ وَيَدِي
أَجْرِي عَلَى إِثْرِ الشَّبَابِ وَلَا
ضَافِي الْغُدِيرَةِ عَارِمٌ شَرِسُ
إِنْ سَرْتُ سَارَ النَّاسُ لِي تَبَعًا
فَالآنَ أَصْبَحُ طَائِرِي وَقَعُ
وَوَعْدُوتُ بَعْدَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى

وَأَتَتْ وَفُودُ اللَّهْوِ تَخْتَلِفُ
رَقَّ الظَّلَامُ حَمَائِمُ هُتَفُ
فِي نَيْلِ أَيَّامِ الصَّبَا سَرَفُ
تُولِي الْجَمِيلِ وَرَوْضَةُ أَنْفُ
وَنَدَى يَشْفُ وَمُزْنَةٌ تَكِفُ
وَالْغُصْنُ مُفْتَرِقٌ وَمُؤْتَلِفُ
بِالزَّهْرِ لِلْأَبْصَارِ تَخْتَلِفُ
إِنَّ الرَّبِيعَ لَصَانِعٌ ثَقِفُ
فِي الْعَيْشِ قَلْدٌ جِيدُهَا الشَّغْفُ
أَخْلَاقُهُمْ وَغَذَاهُمُ التَّرَفُ
جَرَتْ الْكُتُوسُ بِنَا فَمَا اخْتَلَفُوا
عَنْ حُسْنِهِمْ تَالِلَهُ تَنْحَرِفُ
صِدْقُ وَوَجْدِي فَوْقَ مَا أَصْفُ
لَوْ أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتِنَفُ
فَوْقَ الْأَكْفِ وَقَامَتِي أَلْفُ
يَمْشِي إِلَى سَاحَاتِي الْجَنَفُ
صَعْبُ الْمَرِيرَةِ سَادِرُ أَنْفُ
وَإِذَا وَقَفْتُ لِحَاجَةٍ وَقَفُوا
بَعْدَ السُّمُوِّ وَصَبُوتِي أَسْفُ
كُلُّ الْوَرَى بِالْعَجْزِ اعْتَرَفُ

بَعْدَ الشَّبَابِ الضَّعْفُ وَالْخَرَفُ
يَوْمًا لِصَائِبَةِ الرَّدَى هَدَفُ
وَلِنِعَمَ مَا وَلَّى بِهِ السَّلَفُ

وَكَذَلِكَ الْإِيَّامُ آخِرُهَا
وَالْمَرْءُ مَهْمَا طَالَ طَائِلُهُ
فَلْيَبْسُ مَا قَدِمَ الْمَشِيبُ بِهِ

وَقَالَ يَصِفُ غَيْثًا: (من الطويل)

عَلَى غَيْرِ سَاقٍ وَهُوَ بِالْأَرْضِ أَعْرَفُ
مُحَبَّرَةٌ مِنْهَا قَصِيرٌ وَمُسَدَّفُ
عَلَى عَرْشِهِ وَالْجَنُّ بِالْجِنِّ تَعْرِفُ
وَيَضْحَكُ أَحْيَانًا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفُ
فَلَا الْمَاءُ يُطْفِئُهَا وَلَا النَّارُ تَضْعِفُ
وَإِنْ حَلَّ عَمَّهَا مِنْهُ زُخْرُفُ
ضَبَّتْ مِنْهُ نَارٌ أَوْ سَطَا مِنْهُ مُرْهَفُ
وَقَلْبُ كَزْهَرَاءِ الْمَصَابِيحِ يَرْجِفُ
يُخْضِخُضُ سَجَلًا فِي الْبَحَارِ فَيَغْرِفُ
فَأَلْقَتْ بِهِ عَنْ ظَهْرِهَا فَهُوَ يَرْسِفُ
مَنَاكِبُ أَطْوَادٍ عَلَى الْأَرْضِ تَزْحَفُ
يَسِيرُ فَشِمْنَا بِرَقَهُ وَهُوَ يَخْطِفُ
بِهِ وَرَوَانَا فَهُوَ بِالنَّاسِ أَرَأَفُ
إِلَيْنَا وَوَأَفَى رَائِدُ الْحَيِّ يَحْلِفُ
نَسِيرُ وَيَعْرِوْنَا السُّرُورُ فَنَهْتِفُ
قُعُودًا فَظَلَّتْ وَهِيَ بِالْمَاءِ تَرْعِفُ
بِأَكْوَابِهَا وَالْهَمُّ يَدْنُو فَيَغْرِفُ
مَرْمَجَرَةٌ هُوَجَاءُ بِالْقَاعِ تَعْصِفُ
لَهَا مَسْحَبٌ نَضْرُ وَجَيْبٌ مُقَوِّفُ
عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ بِالشَّرِّ أَكْلَفُ

وَذِي نَعَرَاتٍ يَقْطَعُ الْأَرْضَ سَارِيًا
لَهُ فَوْقَ أَغْنَاقِ الرِّيَّاحِ سَبَائِبُ
كَأَنَّ «سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ» فَوْقَهُ
يَجِدُّ بِنَا فِي أَمْرِهِ وَهُوَ لَاعِبُ
تَلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ وَالْمَاءُ سَافِحُ
إِذَا سَارَ عَنْ أَرْضٍ غَدَتْ وَهِيَ جَنَّةُ
يَكُونُ حَيَاةً لِلنَّفُوسِ وَرَبِّمَا
لَهُ زُفْرَةٌ تَتَرَى وَعَيْنٌ سَخِيَّةُ
يَسِيرُ عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ وَتَارَةً
أَضَرَّ بِأَغْنَاقِ النِّعَائِمِ حَمْلُهُ
لَهُ هَيْدَبٌ مِلءُ الْفَضَاءِ كَأَنَّهُ
فَزَعْنَا إِلَيْهِ نَحْسَبُ الْجَوْنَ عَسْكَرًا
فَقُلْنَا سَحَابٌ يَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَنَا
فَمَا تَمَّ أَنْ سَارَتْ بِهِ الرِّيحُ سَيْرَةً
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاثْقَيْنِ بِجُودِهِ
دَنَا فَتَنَّاوَلْنَا حَيَاشِيمَ مُزْنِهِ
وَطَافَتْ بِهِ الْوِلْدَانُ يَخْلُجْنَ مَاءَهُ
فَلَاكِبًا بِلَائِي مَا تَوَلَّتْ حُدَاءَهُ
فَأَبْقَى لَنَا أَثَرًا حَمِيدًا وَنِعْمَةً
كَذَلِكَ مَا كُنَّا لِنُكْفَرَ صُنْعَهُ

وَقَالَ — وَهُوَ مُتَرَجِّمٌ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ: (من مجزوء الخفيف)

هَتَفَ الدَّيْكَ سُحْرَةً فَاصْطَبَحْنَا لِهَتْفِهِ
بِشَرَابٍ كَعَيْنِهِ وَكَبَابٍ كَعُزْفِهِ

وَقَالَ: (من مجزوء الوافر)

حَيَاتِي فِي الْهَوَى تَلَفُ وَأَمْرِي فِيهِ مُخْتَلَفُ
أَبَيْتُ اللَّيْلَ مَكْتَتِبًا وَقَلْبِي فِي الْحَشَا يَجِفُ
فَنَوْمِي كُلُّهُ سَهْرُ وَعَيْشِي كُلُّهُ أَسْفُ
وَمَا أُخْفِيهِ مِنْ وَجْدِي وَحُزْنِي فَوْقَ مَا أَصْفُ
فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ يَرِثِي لِمَا أَلْقَى فَيَنْعَظِفُ
أَقْتُلْنِي الْهَوَى ظُلُمًا وَمَا فِي النَّاسِ لِي خَلْفُ
وَهَبْنِي فَارِسَ الْهَيْجَا عِ أَغْشَاهَا فَتَنْكَشِفُ
أَلَيْسَ الْعِشْقُ سُلْطَانًا لَهُ الْأَكْوَانُ تَرْتَجِفُ
إِذَا كَانَ الْهَوَى خَصْمِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَنْتَصِفُ

وقال: (من مجزوء الخفيف)

قَلْبِي عَلَيْكَ يَرْفُ وَعَبْرَتِي لَا تَجِفُ
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي بِلَوْعَتِي تَسْتَخِفُ
قَدْ شَفَّنِي طَوْلُ وَجْدِي وَالْحُبُّ دَاءٌ يَشْفُ
فَارْحَمْ قَدَيْتُكَ صَبًّا إِلَى لِقَاكَ يَخِفُ

وقال: (من مجزوء الكامل)

عَيْنِي لِبُعْدِكَ أَصْبَحَتْ لَا تَسْتَقِلُّ الْجَفْنَ ضُعْفَا
إِنْسَانُهَا فِي غَمْرَةٍ مِنْ أَدْمَعِي يَبْدُو وَيَخْفَى

والبيتُ الثاني مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ: (من الطويل)

وَإِنْسَانٌ عَيْنِي يَحْسُرُ الْمَاءَ تَارَةً فَيَبْدُو وَأَحْيَانًا يَجْمُ فَيَغْرَقُ

وَقَالَ يَحْتُ عَلَى السَّعْيِ: (من الطويل)

تَعَرَّبَ إِذَا أَتَرَبَّتْ وَالتَّمَسَ الْغِنَى فَمَا الْعِزُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ التَّعَسُّفِ
فَقَدْ يَعْذَمُ الْإِنْسَانُ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاهُ وَيُلْقَى حَظُّهُ فِي التَّطَوُّفِ
فَكُلُّ مَكَانٍ يَضْمَنُ الرِّزْقَ لِلْفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَدِيمُ التَّصَرُّفِ

قافية القاف

وَقَالَ يَنْعُتُ الْبَازِي وَالْأَسَدَ وَالْحَيَّةَ: (من الكامل)

وَمَضَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا الْأَشْوَاقُ
بَعْدَ الْمَشِيبِ وَلِلشَّبَابِ نِزَاقُ
عَنِّي وَلَا تِلْكَ الرَّفَاقُ رِفَاقُ
جَرِي الْكُمَيْتِ وَلِلْغَرَامِ سَبَاقُ
وَنَزَعْتُهُ وَقَمِيصُهُ أَخْلَاقُ
هَدْيِي لِفَاغِرَةِ الْمُنُونِ يُسَاقُ
سَبَقْتُ وَلَيْسَ لِسَبْقِهِنَّ لِحَاقُ
عَذْبُ وَأَنِيَّةُ السُّرُورِ يَهَاقُ
زَاهٍ وَعَيْثُ مُدَامِهَا غِيْدَاقُ
وَتَجَمَّعَتْ بِغِنَائِهَا الْعُشَاقُ
بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالسَّلَامِ عِنَاقُ
قَدْ قَامَ فِيهَا لِلْخَلَاعَةِ سَاقُ
وَتَحَارُ فِي تَمْثِيلِهَا الْأَحْدَاقُ
وَعَلَى الْخَمَائِلِ لِلْغُيُومِ رُوقُ
فَسَمَتْ طِبَاقُ فَوْقَهُنَّ طِبَاقُ
وَنَعِيمٌ دُنْيَا مَا لَهَا مِثْلُاقُ
وَسَمَا إِلَيَّ الْهَمُّ وَالْإِيرَاقُ

سَكَنَ الْفُؤَادُ وَجَفَّتِ الْأَمَاقُ
وَنَزَعْتُ عَنْ نَزَقِ الشَّبِيبَةِ وَالصَّبَا
لَا الدَّارُ دَارٌ بَعْدَ مَا رَحَلَ الصَّبَا
وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الْغَوَايَةِ وَالصَّبَا
وَلَيْسْتُ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ أَطْرَافِهِ
فَإِذَا الشَّبَابُ وَدِيعَةٌ وَإِذَا الْفَتَى
لِلَّهِ أَيَّامٌ لَنَا مَعْرُوفَةٌ
حَيْثُ الصَّبَا نَهَبُ وَسَلْسَالُ الْهُوَى
فِي جَنَّةِ خَضِرَاءَ وَرَدُ خُدُودِهَا
سَفَرْتُ بِهَا الْأَقْمَارُ مِنْ أَطْوَاقِهَا
فَالنُّطْقُ جَهْرٌ وَالتَّحِيَّةُ قُبْلَةٌ
لَا يَسْأَمُونَ اللَّهْوُ بَيْنَ مَلَاعِبِ
يَفْتَنُ عَقْلَ الْمَرْءِ فِي تَصْوِيرِهَا
فَعَلَى الْمُرُوجِ مِنَ الْخَمَائِلِ رَفْرَفُ
بَعَثَ الرَّبِيعُ لَهُنَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ
دُنْيَا نَعِيمٍ لَا بَقَاءَ لِحُسْنِهَا
فَلَقَدْ مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ بِحُسْنِهِ

وَعَدَوْتُ حَرَّانَ الْفُؤَادِ كَأَنَّمَا
نَفَسْتُ عَلَيَّ بَنُو الزَّمَانِ شَمَائِلِي
حَسِبُوا التَّحَوُّلَ فِي الطَّبَاعِ خَلِيقَةً
تَاللَّهِ أَهْدَأُ أَوْ تَقُومُ قِيَامَةً
تَرْتَدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ فِي سَتَرَاتِهَا
شَعَوَاءُ تَلْتَهُمُ الْفَضَاءُ وَيَرْتَقِي
أَنَا لَا أَقْرُ عَلَى الْقَبِيحِ مَهَابَةً
قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ وَنَفْسِي حُرَّةٌ
فَعَلَامُ يَخْشَى الْمَرْءُ فُرْقَةَ رُوحِهِ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ وَهِيَ فِي أَثْوَابِهَا
لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْجَبَانِ يَحُوطُهُ
عَابُوا عَلَيَّ حَمِيَّتِي وَنِكَايَتِي
فَاضْرَحُهُمْ ضَرْحَ الْعُيُونِ قَذَاتِهَا
فَالنَّاسُ أَشْبَاهُ وَشَتَّى بَيْنَهُمْ
فَاعْرِضْهُمْ وَاحْذَرْ تَشَابُهُ أَمْرَهُمْ
لَا تَحْسَبَنَّ الرِّفْقَ يَنْزِعُ غِلَّهُمْ
شَرُّوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَاعْتَزَّهُمْ
فَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ كَأَنَّ بَرَأْسَهُ
مُتَلَوِّنُ الْأَخْلَاقِ بَيْنَ عَشِيرِهِ
لَهْجٌ بِعَارِيَةِ الْحَيَاةِ وَمَا دَرَى
لَوْ كَانَ يَسْلُمُ فِي الزَّمَانِ مِنَ الرَّدَى
أَرَبَى عَلَى شِمْرَاخٍ أَرْعَنَ بَاذِخٍ
نَهْمَانُ يَعْتَلِقُ الْقَطَا بِمَخَالِبِ
لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ الْجَنَاحُ وَطَرَفُهُ
بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَ عَصَابَةً
فَسَمَا فَحَلَقَ فَاسْتَدَارَ فَصَكَّهَا
تَسْمُو فَيَتْبَعُهَا فَتَهْوِي وَهُوَ فِي

ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرُحْبِهَا الْأَفَاقُ
فَلَهُمْ بِذَلِكَ خِفَةٌ وَنَزَاقُ
وَتَحَوُّلُ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ يُطَاقُ
فِيهَا الدِّمَاءُ عَلَى الدِّمَاءِ تُرَاقُ
وَيَضِلُّ فِي هَبَوَاتِهَا الْإِمْرَاقُ
مِنْهَا عَلَى حُبِّكَ السَّمَاءُ نَطَاقُ
إِنَّ الْقَرَارَ عَلَى الْقَبِيحِ نِفَاقُ
تَأْبَى الدُّنْيَى وَصَارِمِي ذَلَّاقُ
أَوَلَيْسَ عَاقِبَةُ الْحَيَاةِ فِرَاقُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ شَامٌ فَتِلْكَ عِرَاقُ
مَنْ جَانَبِيهِ الذُّلُّ وَالْإِمْلَاقُ
وَالنَّارُ لَيْسَ يَعِيبُهَا الْإِحْرَاقُ
وَحَذَارُ لَا تَعْلُقُ بِكَ الْعِلَاقُ
تَذْنُو الْجُسُومُ وَتَبْعُدُ الْأَخْلَاقُ
لَا تَسْتَوِي الْأَغْلَالُ وَالْأَطْوَاقُ
الشَّرُّ دَاءٌ مَا لَهُ إِفْرَاقُ
لَيْنُ الْحَيَاةِ وَمَاؤُهَا الرِّقْرَاقُ
نَزَعُ الْجُنُونِ فَلَيْسَ فِيهِ لِيَاقُ
جَهْلًا كَمَا يَتَلَوَّنُ الشِّقْرَاقُ
أَنَّ الْحَيَاةَ إِلَى الْمُنُونِ مَسَاقُ
حَيٌّ لِعَاشٍ بِجَوْهِ السَّيْدَاقُ
سَامٌ لَهُ فَوْقَ السَّحَابِ طَاقُ
حُجْنٌ لَهُنَّ بِوَقْعِهَا تَضَعَاقُ
مُتَقَلِّبٌ يَسْمُو بِهِ الْإِرْشَاقُ
لِلطَّيْرِ أَرْسَلَهَا صَدَى مَخْرَاقُ
بِمُذَرَّبٍ تَمْكُو لَهُ الْأَعْنَاقُ
أَثَارَهَا مَرَّ الشَّهَابِ حِرَاقُ

إِنَّ الْفِرَارَ مِنَ الْمَنُونِ وَثَاقُ
سَقَطَتْ فَلَيْسَ لِنَفْسِهَا أَرْمَاقُ
وَلِكُلِّ نَفْسٍ مَرَّةٌ إِزْهَاقُ
تَنْجَابُ عَنْ أَنْيَابِهِ الْأَشْدَاقُ
فِي سَيْرِهَا الطَّرَاقُ وَالْمُرَاقُ
مِنْ جَانِبِيهِ كَأَنَّهُ مِخْرَاقُ
هَامُ الْوُحُوشِ لَهُ حَشَا وَصِفَاقُ
بِالْعِيرِ تَصْدَحُ بَيْنَهُنَّ نِيَّاقُ
صُمُّ الصُّخُورِ لَوَقْعِهَا أَفْلَاقُ
يَقْظُ تَلِينُ لِكَفِّهِ الْأَرْزَاقُ
رَفَّ الْمَصَابِيحِ شَفَقُهُنَّ لِيَّاقُ
مَا كَانَ عِنْدَهُمَا وَضَاقُ خِنَاقُ
لَهُمَا بِهَا حَتَّى الْمَعَادِ وَفَاقُ
بَيْنَ الْخَمَائِلِ جَدُولُ دَفَاقُ
رُغْبًا فَلَيْسَ لِمَسِّهِ دِرْيَاقُ
تَقْدَانُ لَيْسَ عَلَيْهِمَا أَطْبَاقُ
بَسَنَاهُمَا الْمُتَنَبِّلُ الْمِرْشَاقُ
طَلَبَ النِّجَاجَ فَجَمَعَهَا أَحْدَاقُ
تِيهَا بِهَا وَخَلَتْ لَهُ الْأَعْمَاقُ
إِنَّ الزَّمَانَ لَنَابِلُ مِيفَاقُ
وَتَنَارَعَتْ أَسْبَابُهَا الْحَذَاقُ
وَلِكُلِّ قَوْلٍ فِي السَّمَاعِ مَذَاقُ
وَتَمَثَّلَتْ بِحَدِيثِي الْأَفَاقُ

مَدْعُورَةٌ تَبْغِي الْفِرَارَ مِنَ الرَّدَى
حَتَّى إِذَا فَتَرَتْ وَحَطَّ بِهَا الْوَنَى
فَأَتَى فَمَزَقَهَا كَمَا حَكَمَ الرَّدَى
أَفْذَاكَ أَمْ ضِرْعَامُ خَيْسٍ مُدْهَسُ
مَنْعَ الطَّرِيقِ فَمَا تَجُوسُ خِلَالَهُ
غَضِبَانُ يَضْرِبُ ذَيْلَهُ وَيَلْقُهُ
عَصَفَتْ عَلَيْهِ النَّائِحَاتُ وَخَابَ مِنْ
فَسَمًا فَأَبْصَرَ رَاعِيَيْنِ تَخَلَّفَا
فَأَجَمَ قُوَّتَهُ وَشَدَّ بِوَثْبَةٍ
حَتَّى إِذَا اغْتَرَضَ الرَّحَالُ إِذَا بِهَا
مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا تَرَفُّ مُتُونُهُ
فَتَصَاوَلَا حَتَّى إِذَا مَا اسْتَنْقَدَا
هَمًّا بِبَعْضِهِمَا فَمَاتَا مِيتَةً
أَمْ أَرْقَشُ مَرَسُ يَسِيلُ كَأَنَّهُ
يَتَنَادَرُ الرَّاقُونَ سُمَّ لُعَابِهِ
تِسْمُ الظَّلَامِ ذُبَالَتَانِ بِرَأْسِهِ
يَسْرِي فَيَقْتَحِمُ السَّرَارَ وَيَرْتَمِي
تَرَكَ الْوُحُوشَ لَهُ الْفَلَاةُ وَأَوْغَلَتْ
حَتَّى إِذَا ظَنَّ الظُّنُونُ بِنَفْسِهِ
أُنْحَى فَأَقْصَدَهُ الزَّمَانُ بِسَهْمِهِ
حِكْمُ تَحَيَّرَتِ الْبَرِيَّةُ دُونَهَا
فَاسْمَعْ فَمَا كُلُّ الْكَلَامِ بِطَيِّبِ
نَزَلَ الْكَلَامُ إِلَيَّ مِنْ شُرَفَاتِهِ

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من السريع)

فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ
وَأَنْتِ صِنُوقُ الْقَمَرِ الْمُشْرِقِ

عُودِي بِوَصْلٍ أَوْ خُذِي مَا بَقِيَ
أَيُّ فَوَادٍ بِكَ لَمْ يَغْلِقِ

عَلَّمْتَنِي الذُّلَّ وَكُنْتُ امْرَأً
فَارْحَمَ فَوَادًا أَنْتَ أَبْلَيْتَهُ
لَمْ أَدْرِ حَتَّامَ أَقَاسِي الْجَوَى
إِذَا تَذَكَّرْتُكَ فِي خَلْوَةٍ
تَالِلِهِ مَا أَنْصَفَ مَنْ لَامَنِي
وَكَيْفَ لَا أَعْشَقُ مَنْ حُسْنُهُ
لَكَ الْجَمَالُ التَّمُّ دُونَ الْوَرَى
فَاعْطِفْ عَلَى قَلْبٍ بِهِ لَوْعَةٌ
يَكَادُ يَرْفُضُ هَوَى كُلِّمَا
جَمَى بِهِ مَا شِئْتُ مِنْ صَبْوَةٍ
حَاطَتْ بِهِ الْفُرْسَانُ حُورَ الْمَهَا
مِنْ كُلِّ هَيْفَاءٍ كَخُوطِ الْقَنَا
تَخْطِرُ فِي الْفَيْنَانِ مِنْ فَرْعِهَا
أَرْنُو إِلَيْهَا وَهِيَ فِي شَأْنِهَا
فَمَا تَرَانِي صَانِعًا وَهِيَ لَا
يَا رَبَّةَ الْقُرْطُقِ هَلْ نَظَرْتُ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ ذَهَابُ الَّذِي
لَمْ تُبْقِ مِنِّي صَدَمَاتُ الْهَوَى
قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْحُبِّ ذَا تُدْرَأُ
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ عَدِيمَ الْقُوَى
وَالْحُبُّ مَلِكٌ نَافِذُ حُكْمِهِ
فَلْيَقِلْ الْعَاذِلُ مَا شَاءَهُ
لَوْ لَمْ أَكُنْ ذَا شِيَمَةٍ حُرَّةٍ

وقال: (من الخفيف)

أَوَلَمْ يَكْفِ أَنْنِي ذُبْتُ عِشْقًا
شَبَحًا شَفَهُ السَّقَامُ فَدَقًا

أَيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُودِكَ بَبَقِيَ
لَمْ تَدْعُ مِنِّي الصَّبَابَةَ إِلَّا

وَدُمُوعًا أَسَالَهَا الْوَجْدُ حَتَّى
فَتَصْدُقَ بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي
كَأَنَّ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلًا
لَا تَسْلُنِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا فِيهِ
سَلْ إِذَا شِئْتَ أَنْجِمِ اللَّيْلَ عَنِّي
نَفْسٌ لَا يَبِينُ ضَعْفًا وَجِسْمٌ
فَتَرَفَّقْ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوَجْدُ
إِنْ يَكُنْ دَابُّكَ الصُّدُودَ فَقَلْبِي
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي فَإِنِّي

وقال: (من الوافر)

أَلَيْلَى مَا لِقَلْبِكَ لَيْسَ يَرِثِي
كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى نَمَّ دَمْعِي
وَرَقَّتْ لِي قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى
تَلُومِينِي عَلَى عِبَرَاتِ عَيْنِي
وَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى يَا لَيْلُ أَنِّي
وَمَا إِنْ عَشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا
وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي قَيْدِ سُقْمٍ

وقال: (من الخفيف)

رَبِّ خُذْ لِي مِنَ الْعُيُونِ بِحَقِّي
قَدْ تَوَقَّيْتُ مَا اسْتَطَعْتُ مِنَ الْحُبِّ
وَتَرَفَّقْتُ بِالْفُقُودِ وَلَكِنْ
لَا تَلْمَنِي عَلَى الْهَوَى فَعُغْمُوضِ الـ
سَلْ دُمُوعِي فَهَنْ يُنْبِئُنَ عَمَّا
كَيْفَ لِي بِالنَّجَاةِ مِنْ شَرِّ الْحُبِّ
وَأَجْرَنِي مِنْ ظَالِمٍ لَيْسَ يُبْقِي
سَبِّ وَلَكِنْ مَاذَا يَرُدُّ التَّوَقِّي
غَلَبَتْ لَوْعَةُ الصَّبَابَةِ رَفَقِي
حَقُّ عَذْرُ يَرُدُّ كُلَّ مُحِقِّ
فِي ضَمِيرِي وَيَعْتَرِفَنَ بِصِدْقِي
سَبِّ سَلِيمًا وَالْحُبُّ مَا لِكَ رَفِي

قَدْ تَلَقَّيْتُ لَوْعَتِي مِنْ عُيُونٍ عَلَّمْتَنِي دَرَسَ الْهَوَى بِالتَّلَقِّي
وَرَشَوْتُ الْهَوَى بِلَوْلُو دَمْعِي وَالرُّشَا وَصَلَّةً لِنَيْلِ التَّرَقِّي
فَلَعَلِّي أَفُوزُ يَوْمًا بِوَصْلٍ أَتَوَلَّى بِهِ إِمَارَةَ عِشْقٍ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِهِ: (من البسيط)

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ لِدَاءِ الْحُبِّ أَوْ رَاقِي
قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا
حُزْنُ بَرَانِي وَأَشْوَاقُ رَعَتْ كَبِدِي
أَكْلَفُ النَّفْسِ صَبْرًا وَهِيَ جَاذِعَةٌ
لَا فِي سَرَنْدِيبَ لِي خُلُّ الْوَدِّ بِهِ
أَبَيْتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا
تَقَلَّدْتُ مِنْ جُفَاكِ الشُّهْبِ مَنْطِقَةً
كَأَنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا وَهُوَ مُضْطَرِبٌ
يَا رَوْضَةَ النَّيْلِ لَا مَسَّتْكَ بَائِقَةٌ
وَلَا بَرَحَتْ مِنَ الْأُورَاقِ فِي حُلٍّ
يَا حَبْدًا نَسَمٌ مِنْ جَوْهَا عَيْقُ
بَلْ حَبْدًا دَوْحَةً تَدْعُو الْهَدِيدَ بِهَا
مَرَعَى جِيَادِي وَمَأْوَى جِيرَتِي وَحَمَى
أَصْبُو إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ وَيُعْجِبُنِي
وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارًا قَدْ تَرَكْتُ بِهَا
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا بِهِمْ سَلَفْتُ
فَيَا بَرِيدَ الصَّبَا بَلِّغْ ذَوِي رَحِمِي
وَإِنْ مَرَرْتَ عَلَى الْمِقْيَاسِ فَاهْدِ لَهُ
وَأَنْتَ يَا طَائِرًا يَبْكِي عَلَى فَنَنِ
أَذْكُرْتَنِي مَا مَضَى وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
أَيَّامَ أَسْحَبِ أَذْيَالِ الصَّبَا مَرَحًا
فَيَا لَهَا ذُكْرَةً شَبَّ الْغَرَامُ بِهَا

يَشْفِي عَلِيلًا أَخَا حُزْنٍ وَإِيرَاقٍ
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَاقِي
يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ
وَالصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلِّ مُشْتَاقٍ
وَلَا أَنْيْسَ سِوَى هَمِّي وَإِطْرَاقِي
فِي قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَى الرَّاقِي
مَعْقُودَةٌ بِوَشَاحٍ غَيْرِ مَقْلَاقٍ
دُونَ الْهَلَالِ سِرَاجٍ لَاحٍ فِي طَاقٍ
وَلَا عَدَّتْكَ سَمَاءُ ذَاتِ أَغْدَاقٍ
مِنْ سُنْدُسٍ عِنْقَرِي الْوَشْيِ بَرَّاقٍ
يَسْرِي عَلَى جَذُولِ بَالْمَاءِ دَفَاقٍ
عِنْدَ الصَّبَاحِ قَمَارِي بِأَطْوَاقٍ
قَوْمِي وَمَنْبِتُ آدَابِي وَأَعْرَاقِي
أَنْيَ أَعِيشَ بِهَا فِي ثَوْبِ إِمْلَاقٍ
أَهْلًا كِرَامًا لَهُمْ وَدِّي وَإِشْفَاقِي
تَحَدَّرْتُ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ أَمَاقِي
أَنْيَ مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِي وَمِيثَاقِي
مِنْ تَحِيَّةِ نَفْسٍ ذَاتِ أَغْلَاقٍ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَاقٍ عَلَى سَاقٍ
بِمَضَرٍ وَالْحَرْبُ لَمْ تَنْهَضْ عَلَى سَاقٍ
فِي فَتْيَةٍ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ سَبَاقٍ
نَارًا سَرَتْ بَيْنَ أَرْدَانِي وَأَطْوَاقِي

يَكَادُ يَشْمَلُ أَحْشَائِي بِإِحْرَاقِ
لَا يَمْلِكُ الْأَمْرَ مَنْ نُجِحَ وَإِخْفَاقِ
وَمَا عَلَيَّ إِذَا ضَنْتُ بِرَقْرَاقِ
فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلَاقِي
رَاجٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالْمَوْلَى هُوَ الْوَاقِي
لَاقٍ مِنَ الدَّهْرِ مَا كُلُّ أَمْرٍ لَاقِي
يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلَاقِ
وَكُلُّ دَاجِيَةٍ يَوْمًا لِإِشْرَاقِ

عَصْرُ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ هَوَى
وَالْمَرْءُ طَوْعُ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا
عَلَيَّ شَيْمُ الْغَوَادِي كُلَّمَا بَرَقَتْ
فَلَا يَعْزُبُنِي حَسُودٌ أَنْ جَرَى قَدَرُ
أَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَوْلَى لَا يَخِيبُ لَهُ
وَهَوْنُ الْخَطْبِ عِنْدِي أَنَّنِي رَجُلُ
يَا قَلْبُ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُ قَدَرُ
لَا بُدَّ لِلضَّيْقِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجٍ

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةً كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ غَزِيرَةَ الْمِيَاهِ فِي «كُنْدِي» مِنْ جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ»:
(من الطويل)

مَكَانٌ كَفَرْدَوْسِ الْجَنَانِ أُنِيقُ
فَطَامَ وَأَمَّا غُصْنُهُ فَرَشِيقُ
مَنْ الْأَيْكُ فَيَنَانُ السَّرَاةِ وَرِيقُ
لَهَا عِنْدَ إِحْدَى النَّبَرَاتِ عَشِيقُ
سَلَّاسِلُ مِنْ نُورٍ لَهُنَّ بَرِيقُ
أَخُو صَبُوءَةٍ أَوْ دَبٍّ فِيهِ رَحِيقُ
كَرْكَبٍ عَجَالٍ ضَمَّهِنَّ طَرِيقُ
عَلَيْهَا فَطَافَ فَوْقَهَا وَغَرِيقُ
فَيَنْمُو وَأَقْطَارُ الظَّلَامِ تَضِيقُ
وَلِلطَّلِّ فِي ثَغْرِ الْأَقَاخَةِ رِيقُ
لِيَحْسُنَ لَهُوَ يَزْنُهُ رَفِيقُ
رَتَائِمُ لَهُوَ عَقْدُهُنَّ وَثِيقُ
وَمَا كُلُّ يَوْمٍ بِالسُّرُورِ حَقِيقُ
رَفِيقُ بَحْسِ الْمُلْهِيَاتِ لَبِيقُ
عَلَيْنَا وَجُوهُ الْعَيْشِ وَهُوَ رَقِيقُ
غَوِيٍّ وَلَمْ يَحْلُلْ حِمَاهُ لَصِيقُ

دَعَانِي إِلَى غَيِّ الصَّبَا بَعْدَمَا مَضَى
فَسِيحُ مَجَالِ الْعَيْنِ أَمَّا غَدِيرُهُ
كَسَا أَرْضَهُ ثَوْبًا مِنَ الظَّلِّ بَاسِقُ
سَمَتْ صُعْدًا أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّهَا
يَمُدُّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا
وَيَشْدُو بِهَا الْقَمَرِيُّ حَتَّى كَانَتْ
تَمُرُّ طُيُورُ الْمَاءِ فِيهَا عَصَائِبًا
إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ رَفَرَفَتْ
غَدُونًا لَهُ وَالْفَجْرُ يَنْصَاحُ ضَوْؤُهُ
وَلِلطَّيْرِ فِي مَهْدِ الْأَرَاكِةِ رَنَّةُ
مَلَاعِبُ زَانَتْهَا الرِّفَاقُ وَلَمْ يَكُنْ
وَمَنْزِلُ أُنْسٍ قَدْ عَقَدْنَا بِجَوْهٍ
جَمَعْنَا بِهِ الْأَشْتَاتَ مِنْ كُلِّ لَدَّةٍ
وَعَنَى لَنَا شَادٍ أَعْنُ مُقَرِّطُوقُ
إِذَا مَدَّ مِنْ صَوْتٍ وَرَجَعَ أَقْبَلْتُ
فَيَا حُسْنَهُ مِنْ مَنْزِلٍ لَمْ يَطْفُ بِهِ

جَعَلْنَاهُ تَارِيخًا لِأَيَّامِ صَبَوَةٍ
أَقَمْنَا بِهِ يَوْمًا طَلِيقًا وَلِيلَةً
فَلَمَّا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ تَرَوَّعَتْ
فَلَيْلُهُ قَلْبٌ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعٌ
وَقَالَ لِي الْخُلَّانُ صِفْ حُسْنَ يَوْمِنَا
فَرَوَيْتُ شَيْئًا ثُمَّ جِئْتُ بِمَنْطِقٍ
وَكَيْفَ يَغُبُّ الْقَوْلُ عَنِّي وَفِي فَمِي

وَقَالَ يُعْرَضُ بِرُؤَسَاءِ الْجُنْدِ الَّذِينَ تَخَاضَلُوا فِي الثَّوَرَةِ الْعَرَابِيَّةِ: (من الطويل)

لَأَيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أَرَأَفُ
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ صَادِقًا
أُحَاوِلُ أَمْرًا قَصَّرتُ دُونَهُ النُّهَى
وَأَعْظَمُ مَا تَرْجُوهُ مَا لَا تَنَالُهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ حَدَّ الرُّوِيَّةَ حَازِمٌ
أَضَعْتُ زَمَانِي بَيْنَ قَوْمٍ لَوْ أَنَّ لِي
فَإِنْ أَكْ مُلْقَى الرَّحْلِ فِيهِمْ فَإِنِّي
مَعَاشِرُ سَادُوا بِالنِّفَاقِ وَمَا لَهُمْ
فَاعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْخُصُومَةِ جَاهِلٌ
طَلَّاقَةٌ وَجْهٌ تَحْتَهَا الْغَيْظُ كَاشِرٌ
وَأَخْلَقُ صَبِيحَانِ إِذَا مَا بَلَوْتَهُمْ
تَعَلَّمْتُ كَظَمَ الْغَيْظِ فِيهِمْ وَإِنَّهُ
دَعَوْنِي إِلَى الْجُلَى فَقُمْتُ مُبَادِرًا
فَلَمَّا اسْتَمَرَ الْجِدُّ سَاقُوا حُمُولَهُمْ
فَلَا رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا بَاعَ دِينَهُ
عَلَى أَتْنِي حَذَرْتُهُمْ غَبَّ أَمْرِهِمْ
وَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا عَنِ الشَّرِّ تَغْنَمُوا
فَظَنُّوا بِقَوْلِي غَيْرَ مَا فِي يَقِينِهِ

وَأَكْثَرُ مَنْ لَاقَيْتُ خُبٌّ مَنَافِقُ
فَأَيْنَ لَعْمَرِي الْأَكْرَمُونَ الْأَصَادِقُ
وَشَابَتْ وَلَمْ تَبْلُغْ مَدَاهُ الْمَفَارِقُ
وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّاهُ مَنْ لَا يُوَافِقُ
وَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّوِيَّةَ فَارِقُ
بِهِمْ غَيْرُهُمْ مَا أَرْهَقْتَنِي الْبَوَائِقُ
لَهُمْ بِالْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ مُفَارِقُ
أُصُولُ أَظَلَّتْهَا فُرُوعٌ بَوَاسِقُ
وَأَتَقَاهُمْ عِنْدَ الْعَفَافَةِ فَاسِقُ
وَنِعْمَةٌ وَدَّ بَيْنَهَا الْغَدْرُ نَاعِقُ
عَلِمْتُ بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ نَافِقُ
لِحِلْمٍ وَلَكِنْ لِلْحَفِيزَةِ مَاجِقُ
وَإِنِّي إِلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَسَابِقُ
إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُ حَادٍ وَسَائِقُ
بِدُنْيَا سِوَاهُ وَهُوَ لِلْحَقِّ رَامِقُ
وَأُنْذَرْتُهُمْ لَوْ كَانَ يَفْقَهُ مَائِقُ
فَلِلشَّرِّ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَاجِقُ
عَلَى أَنَّنِي فِي كُلِّ مَا قُلْتُ صَادِقُ

وَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْخَفَاءِ الْحَقَائِقُ
رَشِيدٌ وَلَا مِنْهُمْ خَلِيلٌ مُصَادِقُ
لَهَا شَجَنٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لاصِقُ
رَعِيمًا وَعَاقَتْنِي لِذَاكَ الْعَوَائِقُ
وَلَمْ أَرْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ الْوَتَائِقُ
سِرَاعًا وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقُ
سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءَ طَوَالِقُ
وَلَا الْبَيْضُ فِي أَيْدِي الْكُمَاةِ دَوَالِقُ
كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ
وَكَمْ وَاقِفٍ تَلَقَّاهُ وَالْعَقْلُ أَبِقُ
وَجُبْنَ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ
وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَائِقُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نُحْمَى الْحَقَائِقُ

فَهَلْ عَلِمُوا أَنِّي صَدَعْتُ بِحُجَّتِي
فَتَبًّا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَيْسَ فِيهِمْ
ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْرًا فَأَبْتُ بِحَسْرَةٍ
فَيَا لَيْتَنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
هُمْ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا
وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا فَمَا بَدَا
مَضُوا غَيْرَ مَعْدُورِينَ لَا النَّقْعُ سَاطِعُ
وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا
فَكَمْ أَبَقِ تَلَقَّاهُ مِنْ غَيْرِ طَارِدٍ
إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصًا يَقُولُونَ جَحْفَلُ
أَسُودَ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ

وقال: (من الكامل)

مَجْمُوعَةَ الْأَجْزَاءِ فِي أَخْلَاقِهِ
فِي بَطْشِهِ وَسُكُونِهِ وَنِزَاقِهِ
أَقْرَانِهِ أَدَّى إِلَى إِقْلَاقِهِ
الْفَيْتَةُ كَالنَّارِ فِي إِحْرَاقِهِ
أَوْ كَالْهَوَاءِ يَجُولُ فِي آفَاقِهِ
حَرَكَاتُهَا كَانَتْ دَلِيلَ وَفَاقِهِ
لَا يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى أَعْرَاقِهِ

إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعٍ أَرْبَعٍ
تَبْدُو فَوَاعِلُهَا عَلَى حَرَكَاتِهِ
فَإِذَا تَغَلَّبَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى
بَيْنَا تَرَاهُ كَالزَّلَالِ لَطَافَةٍ
أَوْ كَالْتُرَابِ يَهِيلُ مِنْ عَقْدَاتِهِ
فَإِذَا تَعَادَلَ جَمْعُهَا وَتَوَازَنْتْ
وَالْمَرْءُ مَهْمَا كَانَ فِي أَعْمَالِهِ

وقال: (من الوافر)

وَأَمَّنْهُ السَّوِيَّةَ فِي الْحُقُوقِ
أَقُومُ بِنَصْرِهِ فَعَلَ الصَّدِيقُ

أَضُنُّ بِصَاحِبِي وَأَذُودُ عَنْهُ
وَإِنْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِهِ فَإِنِّي

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعِ أَخَاهُ
عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقٍ
فَدَعَاهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ
فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

وقال (من الطويل)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزِمِ الْهِنَاةَ بِمِثْلِهَا
لِيُدْفَعَ ضَيْمًا فَهُوَ بِالذُّلِّ أَخْلُقُ
وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ
يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ أَحْمَقُ

وَقَالَ: (من الكامل)

اَكْتُمُ ضَمِيرَكَ مِنْ عَدُوِّكَ جَاهِدًا
وَحَذَارٍ لَا تَطْلُعَ عَلَيْهِ رَفِيقًا
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ مُعَادِيًا
وَلَرُبَّمَا رَجَعَ الْعَدُوُّ صَدِيقًا

وَقَالَ يَفْتَخِرُ بِشِعْرِهِ: (من الطويل)

تَرَنَّمْ بِأَشْعَارِي وَدَعْ كُلَّ مَنْطِقٍ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَانِي طَوْرًا وَتَارَةً
يُغْنِي بِي شَادٍ وَيَحْدُو رِكَابَهُ
فَطَوْرًا تَرَاهُ زَهْرَةً بَيْنَ مَجْلِسٍ
وَمَا كَلْفِي بِالشَّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ
عَلِقْتُ بِهِ طِفْلًا وَشَبْتُ وَلَمْ يَزَلْ
إِذَا قُلْتُ بَيْتًا سَارَ فِي الدَّهْرِ ذِكْرُهُ
يَهِيئُ بِهِ رَبُّ الْحُسَامِ حِمَاسَةً
بَلَغْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ فَلَمْ أَدْعُ
فَهَذَا نَمِيرُ الشَّعْرِ فَاقْصِدْ حَيَاضَهُ
فَمَا بَعْدَ قَوْلِي مِنْ بَلَاغٍ لِمُفْلِقٍ
يَتَوَرَّعُ الشَّجَا مِنْهُ مَكَانُ الْمُخَنَّقِ
بِهِ كُلُّ حَادٍ بَيْنَ بَيْدَاءٍ سَمَلِقٍ
وَطَوْرًا تَرَاهُ لَهْذَمًا بَيْنَ فَيْلِقٍ
مَنَارٌ لِسَارٍ أَوْ نَكَالٌ لِأَحْمَقٍ
شَدِيدًا بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعَلَّقِي
مَسِيرَ الْحَيَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
وَتَلْهُو بِهِ ذَاتُ الْوِشَاحِ الْمُنَمَّقِ
بِدَائِعٍ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتِّقِ
لِتَرَوِي وَهَذَا مُرْتَقَى الْفَضْلِ فَارْتَقِ

وقال: (من الطويل)

سَلِ الْفَلَكَ الدَّوَارَ إِنْ كَانَ يَنْطِقُ
وَكَيْفَ يُحِيرُ الْقَوْلَ أَخْرَسَ مُطَرِّقُ
نَسَائِلُهُ عَنْ شَأْنِهِ وَهُوَ صَامِتُ
وَنَخْبُرُ مَا فِي نَفْسِهِ وَهُوَ مُطَبَّقُ

وَلَا سَأُوهُ يَذْنُو وَلَا نَحْنُ نَلْحُقُ
وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ عَنِ الظَّنِّ أَسْحَقُ
يَقْصُ جَنَاحَ الْفِكْرِ وَهُوَ مُحَلِّقُ
تَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ يَنْفُقُ
وَفَرَّقَ جَمْعًا وَهُوَ لَا يَتَفَرَّقُ
بِهِ صِبْغَةٌ مِنْ لَوْنِهَا فَهُوَ أَزْرَقُ
تَغِيبُ إِلَى مِيقَاتِهَا ثُمَّ تَشْرُقُ
بِلُجَّةٍ مَاءٍ فَهُوَ يَطْفُو وَيَغْرُقُ
يُقْصِرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ الْمُتَعَمِّقُ
رُوَيْدًا فَإِنَّ الْبَابَ دُونَكَ مُغْلَقُ
تُحَاوِلُهُ وَالظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُوبِقُ
سَرِيرَةٌ غَيْبٍ دُونَهَا الْحِسُّ يَصْعَقُ
تَصَوَّرَهُ الْإِنْسَانُ وَهُمْ مُلَفَّقُ
فَمَا كُلُّ جِنِّ قَائِفٍ الْحَدْسِ يَصْدُقُ
بِهَا يُنْشِئُ اللَّهُ الْقُرُونُ وَيَمْحَقُ؟
كَفَاهُ وَلَكِنْ ابْنُ آدَمَ أَخْرَقُ
عَنِ الْقَوْلِ فِيمَا لَمْ يَفْذْ فَهُوَ أَحْمَقُ
يَزُولُ وَمَلْبُوسُ الْجَدِيدَيْنِ يَخْلُقُ
سَتَخْشَنُ مِنْ بَعْدِ اللَّيَانِ وَتَخْرُقُ
يَدُومُ وَلَا مَوْعُودَهَا يَتَحَقَّقُ
وَحَانَتْ وَفِيَا فَهِيَ بِلَهَاءٍ تَنْزُقُ
سَقِيمٌ يُغَادِي بِالْهُمُومِ وَيُطْرُقُ
مَسَافَةً يَوْمَ فَهُوَ صَفْوٌ مُرْتَقُ
وَفِي طَوْلِهَا شَمْلُ الْهَنَاءِ مُفَرَّقُ
فَجَذَرَكَ مِنْهُ فَهُوَ غَضَبَانُ مُطْرُقُ
عَلَيْنَا بِهِ وَالنَّجْمُ سَهُمٌ مُفَوَّقُ
فَيَا عَجَبًا مِنْ وَالِدٍ لَيْسَ يُشْفِقُ

فَلَا سِرُّهُ يَبْدُو وَلَا نَحْنُ نَرَعُوي
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ مِنْهُ لُبَانَهُ
فَضَاءٌ يَرُدُّ الْعَيْنَ حَسْرَى وَمَسْرَحُ
أَقَامَ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَكُلُّ مَا
فَكَمْ ثَلَّ عَرْشًا وَاسْتَبَاحَ قَبِيلَهُ
تَحَسَّى مَرَارَاتِ الْكُبُودِ فَلَمْ تَزَلْ
نَهَارٌ وَلَيْلٌ يَذْأَبَانِ وَأَنْجَمُ
تَرَفٌ كَزَهْرٍ طَوَّحْتَهُ عَوَاصِفُ
سَوَابِحُ لَا تَنْفُكَ تَجْرِي لِغَايَةِ
فَيَا أَيُّهَا السَّارِي عَلَى غَيْرِ هُدْيَةٍ
أَتَحْسَبُ أَنَّ الظَّنَّ يَذْرُكُ بَعْضُ مَا
وَكَيْفَ يَنَالُ الْحِسُّ وَهُوَ مُحَدَّدُ
فَلَا تَتَّبِعْ رَبِّبَ الظُّنُونِ فَكُلُّ مَا
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحَدْسَ يَذْرُكُ مَا نَأَى
وَأَيْنَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِذْرَاكَ جُكْمَةٍ
فَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ حَالَةَ نَفْسِهِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْلِكْ بَوَادِرَ وَهْمِهِ
فَأَيَّاكَ وَالْدُنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا
فَإِنَّ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا
فَلَا وَدُّهَا يَبْقَى وَلَا صَفْوُ عَيْشِهَا
فَكَمْ أَخْلَفْتَ وَعْدًا وَمَلَّتْ صَحَابَةُ
وَكَيْفَ يَعْيشُ الدَّهْرُ خُلُوعًا مِنَ الْأَسَى
لَعَمْرُ أَبِي إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ صَفَتْ
فَفَيْمَ يَوْمِ الْمَرْءِ طَوْلَ حَيَاتِهِ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مُسْتَعْدِدٌ لِوُثْبَةٍ
كَأَنَّ هِلَالَ الْأَفْقِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ
أَبَادَ بَنِيهِ ظَالِمًا غَيْرَ رَاحِمٍ

فَقَدْ يَأْمَنُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَفْرُقُ
وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَاهُ فِي الدَّهْرِ يَطْرُقُ
فَلَلَّهُ أَوْلَى بِالْعِبَادِ وَأَرْفَقُ

فَلَا تَبْتَئِسْ بِالْأَمْرِ تَخْشَى وَقُوعَهُ
فَمَا كُلُّ مَا تَهْوَاهُ يَأْتِيكَ بِالْمُنَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ

وَقَالَ وَهُوَ «بِسَرْنَدِيْبَ»: (من الطويل)

أَضَاعَتْ لَنَا وَهْنًا سَمَاوَةٌ بَارِقِ
بِزْفَرَةٍ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةٍ وَامِقِ
تَذُلُّ عَلَى مَا جَنَّهُ كُلُّ عَاشِقِ
وَتَفْرِى صُدُورًا عَنْ قُلُوبِ خَوَافِقِ
وَيَعْرِفُ مَعْنَى الشَّوْقِ مَنْ لَمْ يَفَارِقِ
لَفِي وَلَهُ مِنْ سَوْرَةِ الْوَجْدِ مَاحِقِ
نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَائِقِ
لِقَاءِ الْمَنَايَا وَأَقْتَحَامِ الْمَضَائِقِ
وَتَلَمَّنَ حَدْيِي بِالْخُطُوبِ الطَّوَارِقِ
وَلَا حَوْلَتْنِي خُدْعَةٌ عَنْ طَرَائِقِي
وَيُغْضِبُ أَعْدَائِي وَيَرْضَى أَصَادِقِي
كَفَرَحَةٍ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَازِقِ
مِنَ النَّاسِ وَالْدُّنْيَا مَكِيدَةٌ حَازِقِ
وَلَمْ يَدِرْ أَنِّي دُرَّةٌ فِي الْمَفَارِقِ
فَإِنَّ الْعُلَا لَيْسَتْ بِلُغْوِ الْمَنَاطِقِ
وَيَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ كُلُّ مَائِقِ
قَضَى وَهُوَ كُلُّ فِي خُذُورِ الْعَوَاتِقِ
لَهُ الْحَالُ لَمْ يَعْقِدْ سَيُورَ الْمَنَاطِقِ
إِذَا هَمَّ جَلَى عَزْمُهُ كُلُّ غَاسِقِ
وَتِلْكَ هَنَاتُ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي
رِضَا اللَّهِ وَاسْتَنْهَضْتُ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
وَذَلِكَ حُكْمٌ فِي رِقَابِ الْخَلَائِقِ

أَسَلَّةٌ سَيْفِ أُمِّ عَقِيْقَةٍ بَارِقِ
لَوَى الرِّكْبُ أَعْنَاقًا إِلَيْهَا خَوَاضِعًا
وَفِي حَرَكَاتِ الْبَرْقِ لِلشَّوْقِ آيَةٌ
تَقْضُ جُفُونًا عَنْ دُمُوعِ سَوَائِلِ
وَكَيْفَ يَعْجِي سِرُّ الْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
لَعَمْرُ الْهَوَى إِنِّي لَدُنْ شَفْنِي النَّوَى
كَفَى بِمَقَامِي فِي سَرْنَدِيْبِ غُرْبَةٍ
وَمَنْ رَامَ نَيْلَ الْعِزِّ فَلْيُصْطَبِرْ عَلَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرَبِي
فَمَا غَيْرَتْنِي مِحْنَةٌ عَنْ خَلِيقَتِي
وَلَكِنَّنِي بَاقٍ عَلَى مَا يَسْرُنِي
فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبِ مُصَادِقِ
فَتِلْكَ بِهَذِي وَالنَّجَاةُ غَنِيْمَةٌ
أَلَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِجَهْلِهِ
تَعَزَّ عَنِ الْعُلْيَاءِ بِاللُّؤْمِ وَاعْتَزَلْ
فَمَا أَنَا مِمَّنْ تَقْبَلُ الضِّيمَ نَفْسُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ لِمَا فِيهِ مَجْدُهُ
وَأَيُّ حَيَاةٍ لَامِرِيٍّ إِنْ تَنَكَّرْتُ
فَمَا قَذَفَاتِ الْعِزِّ إِلَّا لِمَاجِدِ
يَقُولُ أَنَاسُ إِنِّي ثُرْتُ خَالِعًا
وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِبًا
أَمَرْتُ بِمَعْرُوفٍ وَأَنْكَرْتُ مُنْكَرًا

أَرَدْتُ بِعُصَيَانِي إِطَاعَةَ خَالِقِي
وَفِيهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهُدَى كُلُّ فَارِقِ
عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسُوقٍ وَسَائِقِ
وَيَرْضَى بِمَا يَأْتِي بِهِ كُلُّ فَاسِقِ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ مُنَافِقِ
أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقِ
إِلَى نَقْضِ مَا شَادَتْهُ أَيْدِي الْوَثَاقِ
مَنْ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ
إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَلاحِقِ
تَأْلَاهُ مَنْ وَعَدَ إِلَى النَّاسِ صَادِقِ
وَحَالَ طِلَابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافِقِ
نِفَاقًا وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُمْ بِدَانِقِ
بَخْدَعَةٍ مُغْتَالٍ وَحِيلَةٍ سَارِقِ
بِعَجْرِ الْمُحَامِي دُونَهَا وَالْمَوَاقِقِ
وَمَا أَحَدٌ مَنَا لَهَا بِمُفَارِقِ
عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى الْبَوَاقِقِ
إِمَارَتُهُ الْقَعَسَاءُ نُهْرَةً مَارِقِ
سَوَايَ فَإِنِّي عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ
ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النَّيْلِ دَافِقِ
أَرِيحًا يُدَاوِي عَزْمُهُ كُلُّ نَاشِقِ
وَمَلْعَبٍ أَتْرَابِي وَمَجْرَى سَوَابِقِي
وَنَاطِ نَجَادِ الْمَشْرِفِي بِعَاتِقِي
لِعَيْنِي فِي زِيٍّ مِنَ الْحُسْنِ رَاقِقِ
لَهُمْ جِيرَةٌ تَعْتَادُنِي كُلُّ شَارِقِ
وَوَدَّعْتُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ الْغُرَاقِ
وَيَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا مَشُوقٌ بِشَائِقِ
وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ شَتَى الْمَوَاقِقِ

فَإِنْ كَانَ عُصِيَانًا قِيَامِي فَإِنِّي
وَهَلْ دَعْوَةُ الشُّورَى عَلَيَّ غَضَاضَةٌ
بَلَى إِنَّهَا فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ
وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَرْءُ حُرًّا مُهَذَّبًا
فَإِنْ نَافَقَ الْأَقْوَامُ فِي الدِّينِ غَدْرَةٌ
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْ نُصْحًا لِمَعْشَرٍ
رَأَوْا أَنْ يَسُوسُوا النَّاسَ قَهْرًا فَاسْرِعُوا
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ
وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ فَأَقْبَلُوا
يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا
فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا
أُنَاسٌ شَرُّوا خِزْيَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى
فَجَاءُوا إِلَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ضَلَالَهُمْ
فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا فِي الْبِلَادِ وَأَيَّقَنُوا
أَقَامُوا وَقَالُوا تِلْكَ يَا قَوْمُ أَرْضُنَا
وَعَاثُوا بِهَا يَنْفُونَ مَنْ خِيفَ بِأَسْهُ
وَأَصْبَحَ وَادِي النَّيْلِ نَهَبًا وَأَصْبَحَتْ
فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَلَا تَسْلُ
فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ وَارْتَوَى
وَلَا بَرِحَتْ تَمْتَارُ مِنْكَ يَدُ الصَّبَا
فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي وَمَشْعَبُ أَسْرَتِي
بِلَادٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي
إِذَا صَاغَهَا بَهْزَارُ فِكْرِي تَصَوَّرْتُ
تَرَكْتُ بِهَا أَهْلًا كِرَامًا وَجِيرَةً
هَجَرْتُ لَذِيذَ الْعَيْشِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
فَهَلْ تَسْمَحُ الْأَيَّامُ لِي بِلِقَائِهِمْ
لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ النُّوَى وَتَقَطَّعَتْ

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ سَاءَتْ صُرُوفُهَا فَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَآثِقِ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلْأَوْطَانِ كُلُّ مُفَارِقِ

قافية الكاف

قَالَ فِي الْغَزْلِ: (من الرمل)

وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ فَشَكَا
عِلَّةَ الشُّوقِ فَكَانَتْ مَهْلَكَا
مَهْبِطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا
ثُمَّ أَغْرَاهَا فَكَانَتْ شَرْكََا
وَسَقَتْهُ أَدْمِيعِي حَتَّى زَكَا
بَيْنَ جَنْبَيَّ مِنَ النَّارِ ذَكَا
فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكََا
فِي سَبِيلِ الشُّوقِ حَتَّى هَلَكََا
لَيْتَ شَعْرِي أَيَّ وَادٍ سَلَكََا
لَحَجٍّ فِي نَيْلِ الْمُنَى فَارْتَبَكَا
كُلَّمَا جَدَّدَ وَعْدًا أَفْكََا
قُبْلَةً فَازْوَرَّ حَتَّى فَرِكََا
لَمْ يَكُنْ بِاللَّهِ يَوْمًا أَشْرَكََا
بِيدِ السُّحْرِ لِضَمِّي شَبَكََا
إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكََا
بَعْدَ مَا تَيَمَّمْتَهُ فَهُوَ لَكََا
فِيكَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الضَّحِكِ الْبُكََا

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ فَبَكَى
وَتَمَنَّى نَظْرَةً يَشْفِي بِهَا
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ
نَظْرَةً ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ
غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُبَّهُ
أَهٍ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى إِنَّ لَهُ
كَانَ أَبْقَى الْوَجْدِ مِنِّي رَمَقًا
إِنَّ طَرْفِي غَرَّ قَلْبِي فَمَضَى
قَدْ تَوَلَّى إِثْرَ غَزْلَانِ النَّقَا
لَمْ يَعُدْ بَعْدُ وَظَنَّنِي أَنَّهُ
وَيْحَ قَلْبِي مِنْ غَرِيمٍ مَاطِلٍ
ظَنَّ بِي سُوءًا وَقَدْ سَاوَمْتُهُ
فَاعْتَفَرَهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِي
يَا غَزَالًا نَصَبْتَ أَهْدَابَهُ
قَدْ مَلَكْتَ الْقَلْبَ فَاسْتَوْصِ بِهِ
لَا تُعَذِّبْهُ عَلَى طَاعَتِهِ
غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى

فَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي
سَلَكْتُ نَفْسِي سَبِيلًا فِي الْهَوَى
مَنْ غَرَامٍ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى؟
لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِغَيْرِي مَسَلًا

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ أَيْضًا: (من السريع)

يَا وَبِحَ نَفْسِي مِنْ هَوَى شَادِنِ
ذِي نَظْرَةٍ كَالسَّحَرِ لَوْ صَادَفْتُ
فَكَيْفَ أَحْمِي مُهَجَّتِي بَعْدَمَا
فَلَا يَلْمُنِي غَافِلٌ فَالْهَوَى
غَازَلَ قَلْبِي لَحْظُهُ فَاَنْهَتَكَ
عَمَرْتُهَا لَيْثٌ وَعَمَى مَا فَتَكَ
خَامَرَهَا الْوَجْدُ فَطَارَتْ بِتَكَ
سَيْفٌ إِذَا مَرَّ بِشَيْءٍ بَتَكَ
بِالْوَصْلِ لَوْ قَبَّلْتُ طَرْفَ الْأَتَكُ
مَادَا عَلَى مَنْ بَخَلَتْ نَفْسُهُ

وقال: (من الكامل)

نَالِهِ لَسْتُ بِهِالِكٍ جُوعًا وَلَا
إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى
لَاقَ وَإِنْ طَوَّفْتَ إِلَّا رَزَقًا
وَأَقَاتَهُ فَعَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسًا

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من مجزوء الكامل)

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِي
أَوْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعُو
أَمْ خِلْتَ أَنَّ يَدَ الزَّمَا
هَيْهَاتَ صَدَّ بِكَ الْهَوَى
سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّذِي
وَدَعَ التَّعَلُّقَ بِالْمَحَا
فَعَسَاكَ تَنْزِعُ مِنْ يَدِ الْـ
قُ مِنْ الْهَوَى يَا قَلْبُ مَا لَكَ
دَ عَنِ الصَّبَا أَوْ مَا بَدَا لَكَ
نَ قَصِيرَةٌ عَنْ أَنْ تَنَالَكَ
عَنْ أَنْ تَرِيْعَ وَلَنْ إِخَالَكَ
أَنْشَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَعَالَكَ
لَ فَإِنَّهُ يَبْرِي مَحَالَكَ
أَهْوَاءِ يَا قَلْبِي حِبَالَكَ

قافية اللام

وقال في ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل. وذلك في عهد «إسماعيل باشا» خديو مصر: (من البسيط)

وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ
عَنْ شُرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الْأَعْيُنِ النُّجَلِ
عَنْ غُرَّةِ النَّصْرِ لَا بِالْبَيْضِ فِي الْكِلَالِ
فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ التَّمَلِّ
وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ
مَرْيَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلِيِّ وَالْعَطَلِ
فَالْبَارُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقَلَلِ
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ
وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيْبَةِ الْوَكَلِ
أَلْقَى بِهِ الْأَمْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ
فَرَوْنَقُ الْأَلِ لَا يَشْفِي مِنَ الْغَلَلِ
لَبَاتَ مِنْ وَدَّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ
فَالْكُحْلُ أَشْبَهَ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ
يُصْلِيكَ مِنْ حَرِّهَا نَارًا بِلا شَعَلِ
وَمَزَقَتْ شَمْلَ وَدَّ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
عَنِّي فَمَا كُلُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعَلِ

قَلَدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حُلِيَّةَ الْغَزَلِ
يَأْبَى لِي الْغِيَّ قَلْبٌ لَا يَمِيلُ بِهِ
أَهِيمٌ بِالْبَيْضِ فِي الْأَعْمَادِ بِاسْمَةٍ
لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلَابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٍ
كَمْ بَيْنَ مُنْتَدِبٍ يَدْعُو لِمَكْرَمَةٍ
لَوْلَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ
فَانْهَضَ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا
وَدَعُ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِابْتَعِدِهِ
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الْأَلْوَى بِحَاجَتِهِ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمَ قَرَبٌ فَتَى
وَلَا يَغُرَّنْكَ بِشْرٌ مِنْ أَخِي مَلَقٍ
لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ دَخَنِ
فَلَا تَثِقْ بِوَدَادٍ قَبْلَ مَعْرِفَةٍ
وَاخْشِ النَّمِيمَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ قَائِلَهَا
كَمْ فَرِيَّةٌ صَدَعَتْ أَرْكَانَ مَمْلَكَةٍ
فَاقْبَلْ وَصَاتِي وَلَا تَصْرِفْكَ لِأَغْيَةٍ

إِنِّي أَمْرُؤُ كَفَنِي جُلْمِي وَأَدَبَنِي
فَمَا سَرَيْتُ قِنَاعَ الْجُلْمِ عَنْ سَفَهِي
حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً
لَكِنَّا غَرَضٌ لِلشَّرِّ فِي زَمَنٍ
قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ
مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ
ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ وَاضْطَرَبَتْ
وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْفُسْطَاطِ خَاضِعَةً
قَوْمٌ إِذَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلًا وَجَمُوعًا
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلَا عَجَبُ
نَزَهْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُونَ بِهِ
بَيْتَ الْعَشِيرِ وَبَيْتَ مِصْرَ مِنْ بَلَدٍ
أَرْضُ تَأْتَلُ فِيهَا الظُّلْمُ وَانْقَذَفَتْ
وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمَيَاءٍ مُظْلِمَةٍ
لَمْ أَدْرِ مَا حَلَّ بِالْأَبْطَالِ مِنْ خَوَرٍ
أَصَوَّحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ أَمْ نَضَبَتْ
لَا يَدْفَعُونَ يَدًا عَنْهُمْ وَلَوْ بَلَغَتْ
خَافُوا الْمَنِيَّةَ فَاحْتَالُوا وَمَا عَلِمُوا
فَفَيْمَ يَتَّهِمُ الْإِنْسَانُ خَالِقَهُ
هَيْهَاتَ يَلْقَى الْفَتَى أَمْنًا يَلِدُ بِهِ
فَمَا لَكُمْ لَا تَعَاوَى الضَّمِيمَ أَنْفُسَكُمْ
وَتَلَكُ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلَادُ بِهَا
قَوْمٌ أَقْرُوا عِمَادَ الْحَقِّ وَامْتَلَكُوا
جَنُودَ ثَمَارِ الْعُلَا بِالْبَيْضِ وَاقْتَتَفُوا
فَأَصْبَحَتْ مِصْرُ تَزْهُو بَعْدَ كُذْرَتِهَا
لَمْ تَنْبُتِ الْأَرْضُ إِلَّا بَعْدَمَا اخْتَمَرَتْ

كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ مَاضٍ وَمُقْتَبَلٍ
وَلَا مَسَحَتْ جَبِينِ الْعِزِّ مِنْ حَجَلٍ
وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَافٍ وَمِنْ عَسَلٍ
أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَةِ الْعَمَلِ
أَهْلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
أَذْهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُوْسٍ عَلَى ثَكَلٍ
بُغْضًا وَيَلْفِظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلَلٍ
قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ
بَعْدَ الْإِبَاءِ وَكَانَتْ زَهْرَةُ الدُّوَلِ
عَيْطًا وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقُذُ مِنْ دَعَلٍ
فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَاءُ أَفَقِ الْمَقَلِ
وَنَخْلَةُ الرُّوضِ تَأْبَى شِيَمَةَ الْجَعَلِ
أَضَحَتْ مُنَاحَا لِأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
لَمْ يَخْطُ فِيهَا أَمْرُؤُ إِلَّا عَلَى زَلَلٍ
بَعْدَ الْمَرَاسِ وَبِالْأَسْيَافِ مِنْ فَلَاحٍ
غُدْرُ الْحَمِيَّةِ حَتَّى لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ
مَسَّ الْعَفَافَةَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَزَلٍ
أَنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَرْتَدُّ بِالْحِيلِ
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا قَيْدٌ مِنَ الْأَجَلِ
مَا لَمْ يَخْضُ نَحْوَهُ بَحْرًا مِنَ الْوَهْلِ
وَلَا تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَلِ
لَفَيْفَ أَسْلَافِكُمْ فِي الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
أَزِمَةُ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
مِنْ بَيْنِ شَوْكِ الْعَوَالِي زَهْرَةُ الْأَمَلِ
فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِبِ النَّدَى خَضِلِ
أَقْطَارُهَا بِدَمِ الْأَعْنَاقِ وَالْقَلَلِ

شَنُّوا بِهَا غَارَةً أَلْقَتْ بِرُوعَتِهَا
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي مَعْقِلٍ أَشْبِ
أَخْنَى الزَّمَانِ عَلَى فُرْسَانِهَا فَغَدَتْ
فَأَيَّ عَارٍ جَلَبْتُمْ بِالْخُمُولِ عَلَى
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ
فَبَادِرُوا الْأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَانْتَزِعُوا
وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمًا أَوْ ثَقَّةً
مَاضِي الْبَصِيرَةِ غَلَابٌ إِذَا اسْتَبَهَتْ
إِنْ قَالَ بَرٌّ وَإِنْ نَادَاهُ مُنْتَصِرٌ
يَجْلُو الْبِدِيهَةَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ إِذَا
وَلَا تَلَجُّوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِالتَّدْبِيرِ مَا عَجَزَتْ
هَبْهَاتُ مَا النَّصْرُ فِي حَدِّ الْأَسِنَّةِ بَلْ
وَطَالِبُوا بِحُقُوقٍ أَصْبَحَتْ غَرَضًا
وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُوكُمْ
عَيْشُ الْفَتَى فِي فَنَاءِ الذَّلِّ مَنْقَصَةٌ
لَا تَتْرَكُوا الْجِدَّ أَوْ يَبْدُو الْيَقِينُ لَكُمْ
طَوْرًا عَرَكًَا وَأَحْيَانًا مَيَاسِرَةً
حَتَّى تَعُودَ سَمَاءُ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً
هَذِي نَصِيحَةٌ مَنْ لَا يَبْتَغِي بَدَلًا
أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَظْمٍ قَافِيَةٍ
كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَالرَّعْدِ فِي زَجَلٍ
غَرَاءُ تَعْلَقُهَا الْأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ
حَوْلِيَّةٌ صَاغَهَا فِكْرٌ أَقْرَ لَهُ
تَلُوحُ أَبْيَاتُهَا شَطْرَيْنِ فِي نَسَقٍ
إِنْ أَخْلَقْتَ جِدَّةَ الْأَشْعَارِ أَثْلَهَا
تَفْنَى النُّفُوسُ وَتَبْقَى وَهْيَ نَاضِرَةٌ

أَمَّنَا يُؤْلَفُ بَيْنَ الذُّئْبِ وَالْحَمَلِ
يَرُدُّ عَنْهَا يَدَ الْعَادِي مِنَ الْمَلِ
مِنْ بَعْدِ مَنْعَتِهَا مَطْرُوقَةَ السُّبُلِ
مَا شَادَهُ السَّيْفُ مِنْ فَخْرٍ عَلَى زُحْلِ
فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ
شِكَاَلَةُ الرِّيثِ فَالْذُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ
يَكُونُ رَدًّا لَكُمْ فِي الْحَادِثِ الْجَلِ
مَسَالِكُ الرَّأْيِ صَادَ الْبَارِ بِالْحَجَلِ
لَبَّى وَإِنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلَا نَقْلِ
عَزَّ الْخِطَابُ وَطَاشَتْ أَسْهُمُ الْجَدْلِ
إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفَشْلِ
عَنْهُ الْكُمَاةُ وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى بَطْلِ
بِقُوَّةِ الرَّأْيِ تَمْضِي شَوْكَةُ الْأَسْلِ
لِكُلِّ مُنْتَزِعٍ سَهْمًا وَمُخْتَلِلٍ
فَالْحُوتُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلْلِ
وَالْمَوْتُ فِي الْعِزِّ فَخْرُ السَّادَةِ الذَّلِّ
فَالْجِدُّ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَطْلَبِ الْعُضْلِ
رِيَاضَةُ الْمُهَرِّ بَيْنَ الْعُنْفِ وَالْمَهْلِ
وَيَرْفُلُ الْعَدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلِّ
بِكُمْ وَهَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلٍ
مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشَّعْرِ مِنْ مَثَلٍ
وَالْغَيْثُ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلُ فِي هَمَلٍ
وَتَسْتَطِيرُ بِهَا الْأَلْبَابُ مِنْ جَدَلٍ
بِالْمُعْجَزَاتِ قَبِيلُ الْإِنْسِ وَالْخَبَلِ
كَالْمُشْرِفِيَّةِ قَدْ سَلَّتْ مِنَ الْخَلَلِ
لَفْظُ أَصِيلٍ وَمَعْنَى غَيْرُ مُنْتَحَلٍ
عَلَى الدُّهُورِ بَقَاءُ السَّبْعَةِ الطَّوْلِ

وَقَالَ وَهُوَ بِحُلُوانٍ وَقَدْ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً لِمُلَازِمَةِ الْحَمَامَاتِ: (من الطويل)

طَرِبْتُ وَلَوْلَا الْجُلْمُ أَذْرِكُنِي الْجَهْلُ
فَرَحْتُ كَأَنِّي خَامَرْتَنِي سَبِيئَةُ
سَلِيلَةٍ كَرُمَ شَابٌ فِي الْمَهْدِ رَأْسُهَا
إِذَا وَلَجَتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ رَأَيْتَهَا
كَأَنَّ لَهَا ضِغْنًا عَلَى الْعَقْلِ كَامِنًا
تُعَبِّرُ عَنْ سِرِّ الضَّمِيرِ بِالسُّنَنِ
مُحَبَّبَةً لِلنَّفْسِ وَهِيَ بِلَاؤُهَا
يَكَادُ يَذُودُ اللَّيْثَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
تَرَى لِخَوَابِيهَا أَزِيذَا كَأَنَّهَا
سَوَاكِنُ أَطَامَ زَفَتَهَا مَعَ الضُّحَى
دَنَا نَمَّ أَلْقَى النَّارَ بَيْنَ بُيُوتِهَا
مُرْوَعَةً هِيَجَتْ فَضَلَّتْ سَبِيلَهَا
فَبِتُّ أَدَارِي الْقَلْبَ بَعْضُ شُجُونِهِ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي وَالشَّبَابُ مَطِيئَةٌ
رَمَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْعُيُونَ بِمَا رَمَتْ
فَقَدْ تَرَكْنَنِي سَاهِي الْعَقْلِ سَادِرًا
أَسِيرٌ وَمَا أَذْرِي إِلَى أَيْنَ يَنْتَهِي
فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ هَوَايَ فَإِنِّي
فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ نَظَرْتُ فُجَاءَةً
إِلَى نِسْوَةٍ مِثْلَ الْجُمَانِ تَنَاسَقَتْ
مِنَ الْمَاطِلَاتِ الْمَرَّةَ مَا قَدْ وَعَدْنَهُ
تَكَنَّفَنَ تِمْنَالًا مِنَ الْحُسْنِ رَائِعًا
فَكَانَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا دُرْتُ هَائِمًا
فَوَيْلُهَا مِنْ نَظَرَةٍ مَضْرَحِيَّةٍ
رُمِيتُ بِهَا وَالْقَلْبُ خَلُوٌ مِنَ الْهَوَى
لَقَدْ عَلِقْتُ مَا لَيْسَ لِلنَّفْسِ دُونَهَا

وَعَاوَدَنِي مَا كَانَ مِنْ شَرِّتِي قَبْلُ
مِنَ الرَّاحِ مَنْ يَعْلُقُ بِهَا الدَّهْرُ لَا يَسْلُو
وَدَبَ لَهَا نَسْلٌ وَمَا مَسَّهَا بَعْلُ
وَرَاءَ بَنَاتِ الصَّدْرِ تَسْفُلُ أَوْ تَعْلُو
فَإِنْ هِيَ حَلَّتْ مَنْزِلًا رَحَلَ الْعَقْلُ
مِنَ السُّكْرِ مَقْرُونٌ بِصَحَّتِهَا النُّقْلُ
كَمَا حُبِّبَتْ فِي فَتْكِهَا الْأَعْيُنُ النُّجْلُ
إِذَا مَا تَحَسَّى كَأَسْهَى الْعَاجِزُ الْوَعْلُ
خَلَايَا تَغْنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النُّحْلُ
يَدَا عَاسِلٍ يَشْتَارُ أَوْ خَابِطٍ يَفْلُو
فَطَارَتْ شِعَاعًا لَا يَقِرُّ لَهَا رَحْلُ
فَسَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا انْتَشَرَ الرَّجُلُ
وَأَزَجِرُ نَفْسِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا الْهَزْلُ
إِلَى الْجَهْلِ أَنْ الْعَشْقَ يَعْقُبُهُ الْخَبْلُ
وَحَاسِبَهَا حُسْبَانٌ مِنْ حُكْمِهِ الْعَدْلُ
إِلَى الْغَيِّ لَا عَقْدٌ لَدَيَّ وَلَا حَلُ
بِي السَّيْرِ لِكِنِّي تَلَقَّفَنِي السُّبُلُ
وَرَبَّكَ أَذْرِي كَيْفَ زَلَّتْ بِي النُّعْلُ
بِحُلُوانٍ حَيْثُ انْهَارَ وَانْعَقَدَ الرَّمْلُ
فَرَأَيْتُهُ حُسْنًا وَالْفَهْهُ الشَّمْلُ
كَذَابًا فَلَا عَهْدَ لَهُنَّ وَلَا إِلُ
يُجَنُّ جُنُونًا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ الْعَقْلُ
أَرُودُ الْفَيَافِي لَا صَدِيقٌ وَلَا خَلُ
رُمِيتُ بِهَا مِنْ حَيْثُ وَاجَهْنِي الْأَثْلُ
فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ شُغْلُ
غَنَاءٌ وَلَا مِنْهَا لِي صَبُوءٌ وَصَلُ

لَهَا مَنْظَرٌ مِنْ رَائِدِ الْعَيْنِ لَا يَخْلُو
عَلَى سَارِبَاتِ الدَّرِّ مَا آدَهُ الْجُمْلُ
إِلَى كَبِدٍ فَالْوَيْلُ مِنْ ذَاكَ وَالْتِكُلُ
وَتَخْرُجُ مِنْهَا لَا قِصَاصُ وَلَا عَقْلُ
يَهْيِجُ الرَّدَى فِيهَا وَيَلْتَهَبُ الْقَتْلُ
وَمَرَمَى نَفُوسٍ لَا يَطِيرُ بِهِ نَبْلُ
فَوَارِسٍ لَا خُرْسُ الصَّفَاحِ وَلَا غَزْلُ
إِذَا اسْتَنْتَبَتِ الْغَارَاتُ أَوْ فَعَرَ الْمَحْلُ
فَقَوْمِي قَوْمٌ لَا يَنَامُ لَهُمْ دَخْلُ
فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلُ
وَسَالِ بَدِيعِ الْقَنَا الْحَزْنُ وَالسَّهْلُ
أَلَا إِنَّ تَهْيَابَ الْحُرُوبِ هُوَ الذَّلُّ
لِإِطْرَاقِهِمْ أَوْ بَيَّنُّوا رَكَدَ الْحَفْلُ
تَحَارُ بِهَا الْأَلْبَابُ كَانَ لَهَا الْخِصْلُ
فَلَا رَبْعُهُمْ مَحَلٌ وَلَا مَاؤُهُمْ ضَحْلُ
عَطَائِهِمْ وَعَدٌ وَلَا بَعْدُهُ مَطْلُ
عَلَيْكَ وَبَابَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قَفْلُ
إِلَى فِتْنَةٍ إِلَّا وَطَائِرُهُ يَغْلُو
وَلَا يَتَهَادَى بَيْنَ تَسْرَاعِهِ الْمَهْلُ
طِعَانًا وَيَشْكُو فِعْلَ سَاعِدِهِ النَّصْلُ
وَإِنْ قَالَ أَوْرَى زَنْدَهُ الْمُنْطِقُ الْفُصْلُ
يَدُورُ عَلَى آدَابِهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ
مَخَائِلُ سَاوَى بَيْنَهَا الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ
وَأَمْرُدُنَا فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ كَهْلُ
لَدَيْنَا وَفِيمَا بَعْدَ ذَاكَ لَنَا الْفُصْلُ

فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِي قَسَمَاتِهَا
لَطِيفَةٌ مَجْرَى الرُّوحِ لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ
لَهَا نَظْرَةٌ سَكْرَى إِذَا أُرْسَلَتْ بِهَا
تُرْبِيقُ دِمَاءٍ حَرَّمَ اللَّهُ سَفْكَهَا
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي هَوَاهَا مَصَارِعُ
مَصَارِعُ شَوْقٍ لَيْسَ يَجْرِي بِهَا دَمٌ
هَنِيئًا لَهَا نَفْسِي عَلَى أَنَّ دُونَهَا
مِنَ الْقَوْمِ ضَرَابِي الْعَرَاقِبِ وَالطَّلَى
إِذَا نَامَتِ الْأَصْغَانُ عَنْ وَتَرَاتِهَا
رِجَالُ أَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَنَجْدَةٍ
إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا إِلَى الْأَفْقِ شَمْسُهُ
مَسَاعِيرُ حَرْبٍ لَا يَخَافُونَ ذِلَّةً
إِذَا أَطْرَقُوا أَبْصَرْتَ بِالْقَوْمِ خَيْفَةً
وَإِنْ زَلَّتِ الْأَقْدَامُ فِي دَرْكِ غَايَةٍ
أُولِيكَ قَوْمِي أَيُّ قَوْمٍ وَعُدَّةٌ
يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيُضَا فَلَيْسَ فِي
فَزْرَهُمْ تَجْدُ مَعْرُوفَهُمْ دَانِي الْجَنَى
تَرَى كُلَّ مَشْبُوبِ الْحَمِيَّةِ لَمْ يَسِرْ
بَعِيدُ الْهَوَى لَا يَغْلِبُ الظَّنُّ رَأْيَهُ
تَصِيحُ الْقَنَا مِمَّا يَدُقُّ صُدُورَهَا
إِذَا صَالَ رَوَى السَّيْفُ حَرَّ غَلِيلِهِ
لَهُ بَيْنَ مَجْرَى الْقَوْلِ آيَاتُ حِكْمَةٍ
تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ
فَأَشْيَبُنَا فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ أَمْرُدُ
لَنَا الْفُصْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وَهُوَ قَائِمُ

وَقَالَ وَكَتَبَ بِهَا إِلَى الْأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ «حُسَيْنِ الْمَرْصَفِيِّ»: (من الطويل)

وَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا بَوَاقَ قَلَائِلُ
يُورِثُهَا فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ
وَحَبْلُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلُ
بِي الْبُرْءِ غَالَتَنِي لِدَاكَ الْغَوَائِلُ
أَسَالَ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نَقَاتِلُ
لَلدُّ إِذَا التَّقَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
بَنُوهَا وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ
سَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّذَانِ مَعَاوِلُ
أَلَمْ يَذَرْنِي الشَّمْرِيُّ الْحُلَاجِلُ
إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ الْأَفَاكِلُ
عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقُرْنُ إِنِّي هَازِلُ
وَنَارَلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ
أَرْتَنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ حَائِلُ
فَأُضَيِّعُ شَيْءٌ مَا تَقُولُ الْعَوَائِلُ
تَنَازَعُ فِيهِ النَّاجِذِينَ الْأَنَامِلُ
مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ الْوَرَى وَفَوَاضِلُ
يَسِيرُ عَلَى قَصْدٍ وَآخِرُ جَاهِلُ
وَدُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلُ
مَنْ الْوُدُّ أَمْ الْوُدُّ فِي النَّاسِ هَابِلُ
وَأَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُشَاكِلُ
سَوَى الْمَرْصَفِيِّ الْخَبِرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ
وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَتَنِي الْأَمَائِلُ
إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ
أَرَاكَ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلُ
وَمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَحْثِ إِلَّا مَخَايِلُ
لَا وَرَدَتْهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ

مَضَى اللَّهُو إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلُ
بَوَاقِ تُمَارِيهَا أَفَانِينَ لَوْعَةٍ
فَلِلشَّوْقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
أَلْفَتُ الضَّنَى إِلْفَ السُّهَادِ فَلَوْ سَرَى
فَلِلَّهِ هَذَا الشَّوْقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ
رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا وَإِنَّا
وَإِنَّا رَجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنا
إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونَ فَمَا لَنَا
فَمَا لِلَّهْوَى يَقْوَى عَلَيَّ بِحُكْمِهِ
وَإِنِّي لَنَبْتُ الْجَاشِ مُسْتَحْصِدُ الْقُوَى
إِذَا مَا اعْتَقَلْتُ الرُّمْحَ وَالرُّمْحُ صَاحِبِي
لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِنِ
وَشَاعَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعِزْمَةٍ
إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحَسَّدًا
لَعَمْرُكَ مَا الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمُ
فَدُو الْعِلْمِ مَأْخُودٌ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ
فَلَا تَطْلُبُنْ فِي النَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
مَنْ الْعَارُ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى غَيْرَ طَبِيعِهِ
بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طَرًّا فَلَمْ يَكُنْ
هُمَامُ أَرَانِي الدَّهْرَ فِي طَيِّ بُزْدِهِ
أَخٌ حِينَ لَا يَبْقَى أَخٌ وَمُجَامِلُ
بَعِيدُ مَجَالِ الْفِكْرِ لَوْ خَالَ خَيْلُهُ
طَرَحْتُ بَنِي الْأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ
فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا

فَلَا بَرِحْتُ مِنِّْي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ
وَلَا زَالَ غَضُّ الْعُمْرِ مُمْتَنِعَ الذَّرَا

وَقَالَ فِي الْفَخْرِ: (من الطويل)

تَنَاقَلَهَا عَنِّي الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ
مَرِيْعَ الْفِنَا تَطَوَّى إِلَيْهِ الْمَرَا حِلُ

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ
وَنَارَعْتُ أَرْسَانَ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
فَخَذْتُ فِي حَدِيثٍ غَيْرَ لَوْمِي فَإِنِّي
إِذَا كَانَ سَمْعُ الْمَرْءِ غَرَضَةَ أَلْسِنِ
رُؤْيِدَكَ لَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ عَلَى أَمْرِي
فَلَيْسَتْ بِعَارِ صَبَوَةِ الْمَرْءِ ذِي الْحَجَا
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ كَأْسٍ وَلَذَّةٍ
وَقَوْرٍ وَأَحْلَامِ الرِّجَالِ خَفِيفَةٍ
إِذَا رَاعَتْ الظُّلُمَاءُ غَيْرِي فَإِنَّمَا
أَنَا ابْنُ الْوَغَى وَالْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالظُّبَا
فَقُلْ لِلَّذِي ظَنَّ الْمَعَالِي قَرِيبَةً
فَمَا تَصْدُقُ الْأَمَالَ إِلَّا لِفَاتِكِ
لَهُ بِالْفَلَا شُغْلٌ عَنِ الْمَدَنِ وَالْقَرَى
إِذَا ارْتَابَ أَمْرًا أَلْهَبَتْهُ حَفِيفَةٌ
فَلَا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خَوْفَ مَنِيَّةٍ
وَلَا تَلْتَمِسْ نَيْلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَةٍ
فَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدُ دُو مَكِيدَةٍ
تَبَاعَ هَوَى يَمْشُونَ فِيهِ كَمَا مَشَى
وَمَا أَنَا وَالْأَيَّامُ شَتَّى صُرُوفُهَا
أَسِيرٌ عَلَى نَهْجِ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ
تَرَكْتُ ضَغِينَاتِ النُّفُوسِ لِأَهْلِهَا
كَذَلِكَ دَأْبِي مُنْذُ أَبْصَرْتُ حُجَّتِي
وَرُبُّ صَدِيقٍ كَشَفَ الْخُبْرَ نَفْسَهُ

وَأَغْضَبْتُ فِي مَرَضَةٍ حُبِّ الْمَهَا عَقْلِي
إِلَى غَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا أَحَدٌ قَبْلِي
بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلَامِكَ فِي شُغْلٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْخَدِيعَةِ وَالْخَتْلِ
أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ فِيهِ الدَّهْرُ مَا يُسْلِي
إِذَا سَلِمْتَ أَخْلَاقَهُ مِنْ أَدَى الْخَبْلِ
لَدُو تُدْرِكُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْأَزْلِ
صَبُورٌ وَنَارُ الْحَرْبِ مَرْجُلُهَا يَغْلِي
هَلَالُ الدُّجَى قَوْسِي وَأَنْجُمُهُ نَبْلِي
وَسُمْرُ الْقَنَا وَالرَّأْيِ وَالْعَقْدِ وَالْحَلِّ
رُؤْيِدًا فَلَيْسَ الْجِدُّ يَذْرُكُ بِالْهَزْلِ
إِذَا هُمْ لَمْ تَعْطِفْهُ قَارِعَةُ الْعَدْلِ
وَفِي رَائِدَاتِ الْخَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الْأَهْلِ
تُمِيتُ الرِّضَا بِالسُّخْطِ وَالْحِلْمَ بِالْجَهْلِ
فَإِنَّ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْقَتْلِ
فَتَجْنِي ثَمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ
وَأَخْرُ مَحْنِي الضُّلُوعَ عَلَى دَخْلِ
وَسَمَاعٍ لَعَوٍ يَكْتَبُونَ كَمَا يُمْلِي
بِمُهْتَضِمٍ جَارِي وَلَا حَازِلٍ خَلِي
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ
وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي أَنْ أُبَيَّتَ عَلَى دَخْلِ
وَلِيدًا وَحُبُّ الْخَيْرِ مَنْ سَمَةِ النُّبْلِ
فَعَايَنْتُ مِنْهُ الْجَوْرَ فِي صُورَةِ الْعَدْلِ

وَهَبْتُ لَهُ مَا قَدْ جَنَى مِنْ إِسَاءَةٍ
وَمُسْتَخْبِرٍ عَنِّي وَمَا كَانَ جَاهِلًا
أَتَى سَادِرًا حَتَّى إِذَا قَرَأَ أُوجِسْتُ
وَمَنْ حَدَّثَتْهُ النَّفْسُ بِالْغَيِّ بَعْدَمَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أَرَى
أَقُولُ وَأَتْلُو الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ كُلَّمَا
أَرَى السَّهْلَ مَقْرُونًا بِصَعِبٍ وَلَا أَرَى
وَيَوْمَ كَأَنَّ النِّقْعَ فِيهِ غِمَامَةٌ
تَقَحَّمَتْهُ فَرْدًا سِوَى النَّضْلِ وَحْدَهُ
لَوَيْتُ بِهِ كَفِّي وَأَطْلَقْتُ سَاعِدِي
فَمَا يَبْعَثُ الْغَارَاتِ إِلَّا مُهَنِّدِي

وَلَوْ شِئْتُ كَانَ السَّيْفُ أَذْنَى إِلَى الْفَضْلِ
بِشَأْنِي وَلَكِنْ عَادَةُ الْبُغْضِ لِلْفَضْلِ
سُوَيْدَاؤُهُ شَرًّا فَأَغَضَى عَلَى ذُلِّ
تَنَاهَى إِلَيْهِ الرُّشْدُ سَارَ عَلَى بُطْلِ
صَرِيحٍ مَرَامٍ لَا يَفُوزُ بِهَا حَصْلِي
أَرَدْتُ وَبِئْسَ الْقَوْلُ كَانَ بِلَا فِعْلِ
بِغَيْرِ اقْتِحَامِ الصَّعْبِ مُدْرِكَ السَّهْلِ
لَهَا أَثَرٌ مِنْ سَائِلِ الطَّعْنِ كَالْوَبْلِ
وَحَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَطْلُبَ النَّصْرَ بِالنَّضْلِ
وَقُلْتُ لِدَهْرِي وَيْكَ فَاْمُضْ عَلَى رِسْلِ
وَلَا يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ إِلَّا فَتَى مِثْلِي

وَقَالَ يَذْكُرُ مَقَامَهُ فِي «سِيلَان» وَيَتَشَوَّقُ إِلَى الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ: (من البسيط)

رُدُّوا عَلَيَّ الصَّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي
مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا لَاحَتْ مَخَالِيهُ
سَلَتْ قُلُوبٌ فَقَرَّتْ فِي مَضَاجِعِهَا
لَمْ يَدِرْ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ
يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ
غَبِئْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُنِي مِنْكُمْ عَلَى ثِقَةٍ
لَمْ أَجُنْ فِي الْحُبِّ دَنْبًا أَسْتَحِقُّ بِهِ
وَمَنْ أَطَاعَ رِوَاةَ السُّوءِ نَفَرَهُ
أَذْهَى الْمَصَائِبِ غَدْرٌ قَبْلَهُ ثِقَةٍ
لَا عَيْبَ فِي سِوَى حُرِّيَةِ مَلَكْتِ
تَبِعْتُ خُطَّةَ آبَائِي فَسِرْتُ بِهَا
فَمَا يَمُرُّ خَيَالُ الْغَدْرِ فِي خَلْدِي
قَلْبِي سَلِيمٌ وَنَفْسِي حُرَّةٌ وَيَدِي

وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّمَّةِ الْبَالِي
فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ إِلَّا هَاجَ بَلْبَالِي
بَعْدَ الْحَنِينِ وَقَلْبِي لَيْسَ بِالسَّالِي
أَنِّي بَنَارُ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي
بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أَنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي
وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ
حَتَّى مُنِيتُ بِمَا لَمْ يَجُرْ فِي بَالِي
عَتَبًا وَلَكِنَّهَا تَحْرِيفُ أَقْوَالِ
عَنِ الصَّدِيقِ سَمَاعُ الْقِيلِ وَالْقَالَ
وَأَقْبَحُ الظُّلْمِ صَدٌّ بَعْدَ إِقْبَالِ
أَعْنَتِي عَنْ قَبُولِ الذَّلِّ بِالْمَالِ
عَلَى وَتِيرَةِ آدَابٍ وَأَسَالِ
وَلَا تُلُوحُ سِمَاتُ الشَّرِّ فِي خَالِي
مَأْمُونَةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ خَتَالِ

لَكِنَّنِي فِي زَمَانٍ عَشْتُ مُغْتَرِبًا
 بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحْمَدْتُ سِيرَتَهُ
 حَلَبْتُ شَطْرِيهِ مِنْ يُسْرِ وَمَعْسَرَةٍ
 فَمَا أَسْفَتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ
 عَفَافَةً نَزَهْتُ نَفْسِي فَمَا عَلَقْتُ
 فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا
 لَمْ يَبْقُ لِي أَرْبٌ فِي الدَّهْرِ أَطْلُبُهُ
 وَأَيْنَ أَدْرِكُ مَا أَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ
 لَا فِي سَرَنْدِيبٍ لِي أَلْفُ أَجَادِبُهُ
 أَبَيْتُ مُنْقَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ
 إِذَا تَلَقَّتْ لَمْ أَبْصِرْ سَوَى صُورٍ
 تَهْفُو بِِي الرِّيحُ أَحْيَانًا وَيَلْحَفُنِي
 فَفِي السَّمَاءِ غَيْومٌ ذَاتُ أَرْوَقَةٍ
 كَأَنَّ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرَّ قَنْطَرَةٌ
 إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى خَلْفَهَا نَشَرَتْ
 فَلَوْ تَرَانِي وَبَرَيْدِي بِالْنَدَى لَثِقُ
 غَالِ الرَّدَى أَبْوِيهِ فَهُوَ مُنْقَطِعُ
 أَرْيَغِبُ الرَّأْسَ لَمْ يَبْدُ الشَّكِيرُ بِهِ
 كَأَنَّهُ كُرَّةٌ مَلْسَاءٌ مِنْ أَدَمٍ
 يَظُلُّ فِي نَصَبٍ حَرَّانٍ مُرْتَقِبًا
 يَكَادُ صَوْتُ الْبُرَاةِ الْقَمَرِ يَقْدِفُهُ
 لَا يَسْتَطِيعُ انْطِلَاقًا مِنْ غِيَابَتِهِ
 فَذَاكَ مِثْلِي وَلَمْ أَظْلِمُ وَرَبَّتَمَا
 شَوْقٌ وَنَأْيٌ وَتَبْرِيحٌ وَمَعْتَبَةٌ
 أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ الثُّوبَ أَصْحَبُهُ
 وَلَا تَكَادُ يَدِي تُجْرِي شَبَا قَلَمِي
 فَإِنْ يَكُنْ جَفَّ عُودِي بَعْدَ نَضْرَتِهِ

فِي أَهْلِهِ حِينَ قَلْتُ فِيهِ أَمَثَالِي
 فِي سَابِقٍ مِنْ لَيَالِيهِ وَلَا تَالِي
 وَذُقْتُ طُعْمِيهِ مِنْ خُصْبٍ وَإِمْحَالٍ
 وَلَا فَرَحْتُ بِوَفْرِ بَعْدَ إِقْلَالٍ
 بَلَوْتُهُ مِنْ غُبَارِ الدَّمِّ أَذْيَالِي
 قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَالٍ
 إِلَّا صَحَابَةً حُرًّا صَادِقَ الْخَالِ
 وَالصَّدُوقُ فِي الدَّهْرِ أَعْيَا كُلِّ مُحْتَالٍ
 فَضَّلَ الْحَدِيثَ وَلَا خَلَّ فَيْرَعَى لِي
 مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمِرْبَا الْعَالِي
 فِي الدَّهْنِ يَرْسُمُهَا نَقَاشُ أَمَالِي
 بَرْدُ الطَّلَالِ بِبُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالٍ
 وَفِي الْفَضَاءِ سَيُولُ ذَاتُ أَوْشَالٍ
 مَعْقُودَةٌ فَوْقَ طَامِي الْمَاءِ سَيَالٍ
 بَدَائِعًا ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالٍ
 لَخِلْتَنِي فَرَحٌ طَيْرٍ بَيْنَ أَدْعَالٍ
 فِي جَوْفٍ غَيْنَاءٍ لَا رَاعٍ وَلَا وَالِي
 وَلَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ مِنْ كَيْدٍ مُغْتَالٍ
 خَفِيَّةُ الدَّرَزِ قَدْ عَلَّتْ بِجَزْيَالٍ
 نَفَعَ الصَّدَى بَيْنَ أَشْحَارٍ وَأَصَالٍ
 مِنْ وَكْرِهِ بَيْنَ هَابِي التُّرْبِ جَوَالٍ
 كَأَنَّمَا هُوَ مَعْقُولٌ بِعُقَالٍ
 فَضَلَّتُهُ بِجَوَى حُزْنٍ وَإِعْوَالٍ
 يَا لِلْحَمِيَّةِ مِنْ غَدْرِي وَإِهْمَالِي
 وَقَدْ أَكُونُ وَضَافِي الدَّرْعِ سَرْبَالِي
 وَكَانَ طَوْعُ بَنَانِي كُلُّ عَسَالٍ
 فَالدَّهْرُ مَصْدَرٌ إِذْبَارٍ وَإِقْبَالٍ

بِصِدْقِ مَا كَانَ مِنْ وَصْفِي وَإِغْفَالِي
بِصِيرَتِي فِيهِ مَا يُرَى بِأَعْمَالِي
وَقَدْ سَرَتْ حِكْمِي فِيهِمْ وَأَمْثَالِي
وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
تَلَوْتُ فِي وَجَنَةِ الْيَوْمِ كَالْخَالِ
وَيَهْتَدِي بِسَنَاهَا كُلُّ قَوَالِ
فِي صَفَحَتِي فَقَوْلِي خَطُّ تَمْنَالِي
بَيْنَ الْأَنَامِ فَلَيْسَ النَّبْعُ كَالضَّالِ
مُرْكَبٌ مِنْ عِظَامِ ذَاتِ أَوْصَالِ

عَلَامُ أَجَزَعُ وَالْأَيَّامُ تَشْهَدُ لِي
رَاجِعْتُ فَهَرَسَ أَثَارِي فَمَا لَمَحْتُ
فَكَيْفَ يُنْكَرُ قَوْمِي فَضْلُ بَايَرَتِي
أَنَا ابْنُ قَوْلِي وَحَسْبِي فِي الْفَخَارِ بِهِ
وَلِي مِنَ الشُّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ
يَنْسَى لَهَا الْفَاقِدُ الْمَحْزُونُ لَوْعَتَهُ
فَانْظُرْ لِقَوْلِي تَجِدُ نَفْسِي مُصَوَّرَةً
وَلَا تَغْرُنْكَ فِي الدُّنْيَا مُشَاكَلَةٌ
إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَوْلَا عَقْلُهُ شَبَحُ

وَقَالَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ «سَرَنْدِيبَ» يَمْدَحُ الْخَدِيو «عَبَّاسَ حِلْمِي الثَّانِي» وَيَشْكُرُهُ عَلَى اسْتِدْعَائِهِ إِلَيْهِ وَحُسْنِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ مُحَادَثَتِهِ مَعَهُ: (من الطويل)

وَعَادَتْ بِكَ الْيَّامُ وَهِيَ أَصَائِلُ
يُقَصِّرُ عَنْهَا صَاغِرًا مَنْ يُطَاوِلُ
مَنْ الْفَضْلُ لَمْ يَلْغُ مَدَاهَا الْأَفْضَلُ
وَضَلُّكَ مَمْدُودٌ وَعَدْلُكَ شَامِلُ
لَهَا بَيْنَ أَفْلَاكِ الْقُلُوبِ مَنَازِلُ
أَخُو الْجِدِّ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَهُوَ ذَاهِلُ
وَأَقْرَبُهَا لِلنَّيِّرَاتِ حَبَائِلُ
أَرَادَ مَزِيدًا لَمْ يَجِدْ مَا يُحَاوِلُ
بِمَا تَشْتَهِي وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ كَافِلُ
وَتَقْتَرِبُ الْغَايَاتُ وَالْجِدُّ عَامِلُ
وَأَنْتَ مَلِيكَ فِي الْبَرِّيَّةِ عَادِلُ
وَتَبَقَى الْعُلَا مَا دَامَ لِلْسَيْفِ حَامِلُ
رُوَيْدِكَ إِنَّ الْحِرْصَ لِلنَّفْسِ خَاذِلُ
وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْكَرْيَهَةَ بَاسِلُ
لَعَادِلَ «قَسَا» فِي الْفَصَاحَةِ «بَاقِلُ»

سَمَا الْمُلْكُ مُحْتَالًا بِمَا أَنْتَ فَاعِلُ
رَبَّاتٍ مِنَ الْعُلَيَاءِ قَنَّةٌ سُودِدُ
وَأَذْرَكْتُ فِي عَصْرِ الشُّبُوبَةِ غَايَةَ
فَخَيْرُكَ مَأْمُولٌ وَفَضْلُكَ وَاسِعُ
مَسَاعٍ جَلَاهَا الرَّأْيُ فَهِيَ كَوَاكِبُ
يُقَصِّرُ قَابُ الْفِكْرِ عَنْهَا وَيَنْتَهِي
وَكَيْفَ يَنَالُ الْفَهْمُ مِنْهَا نَصِيبُهُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ
فَمُرٌّ بِالَّذِي تَهَوَّاهُ فَالْسَّعْدُ قَائِمُ
فَقَدْ تَصَدَّقَ الْأَمَالُ وَالْحَزْمُ رَائِدُ
وَأَيُّ صَنِيعٍ بَعْدَ فَضْلِكَ يُرْتَجَى
يَعْمُ الرِّضَا مَا قَامَ بِالْحَقِّ صَادِعُ
فَيَا طَالِبًا مَسْعَاتُهُ لِيَنَالَهَا
فَمَا كُلُّ مَنْ رَاضٍ الْبَدِيهَةَ عَاقِلُ
وَلَوْلَا اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي دَرَجَاتِهِمْ

هُوَ الْمَلِكُ الْمَكْفُولُ بِالنَّصْرِ جُنْدُهُ
لَهُ بَدَهَاتٌ لَا تَغِبُّ وَعِزْمَةٌ
فَارَاوُهُ فِي الْمَشْكِلَاتِ كَوَاكِبُ
تَدُلُّ مَسَاعِيهِ عَلَى فَضْلِ نَفْسِهِ
فِيَا مَلِكًا عَمَّتْ أَيْادِيهِ وَالتَّقَتْ
بِكَ اخْضَرَّتِ الْأَمَالَ بَعْدَ ذُبُولِهَا
بَسَطَتْ يَدًا بِالْخَيْرِ فِينَا كَرِيمَةً
وَأَيَّقَظَتْ أَلْبَابَ الرُّجَالِ فَسَارِعُوا
وَمَا مِصْرُ إِلَّا جَنَّةٌ بِكَ أَصْبَحَتْ
طَلَعَتْ عَلَيْهَا طَلْعَةُ الْبَدْرِ أَشْرَقَتْ
وَأَجْرَيْتُ مَاءَ الْعَدْلِ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ
وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَوْطَانِهِ النَّيْلُ سَائِحًا
فِيَا أَيُّهَا الصَّادِي إِلَى الْعَدْلِ وَالنَّدَى
مَلِكُ أَقَرِّ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ شَامِلُ
فَسَلُّهُ الرِّضَا وَانْزِلْ بِسَاحَةِ مُلْكِهِ
رَعَى اللَّهُ يَوْمًا قَرَبْتَنِي سُعُودُهُ
لَثَمْتُ بِهَا كَفًّا هِيَ الْبَحْرُ فِي النَّدَى
نَطَقْتُ بِفَضْلِ مِنْكَ لَوْلَاهُ لَمْ يَدُرْ
وَلَا أَدْعِي أَنِّي بَلَغْتُ بِمِدْحَتِي
وَكَيْفَ أُوفِّي مَنْطِقَ الشُّكْرِ حَقُّهُ
وَحَسْبِي عُذْرًا أَنَّكَ الشَّمْسُ رَفَعَهُ
لِتَهْنِ بِكَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا
وَدُمُ لِلْعُلَا مَا ذَرَّ بِالْأَفَقِ شَارِقُ
وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَحُلُو مَدَائِحِي

إِذَا احْمَرَّ بَأْسٌ أَوْ تَنَمَّرَ بَاطِلُ
مُؤَيَّدَةٌ تَعْنُو إِلَيْهَا الْجَحَافِلُ
وَهِمَّاتُهُ فِي الْمُعْضَلَاتِ مَنَاصِلُ
وَلِلشَّمْسِ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا دَلَائِلُ
بِهِ فَرَّقَ الْأَمَالَ وَهِيَ جَوَافِلُ
وَحَقَّتْ وَعُودُ الظَّنِّ وَهِيَ مَخَايِلُ
هِيَ الْغَيْثُ أَوْ فِي الْغَيْثِ مِنْهَا شَمَائِلُ
إِلَى الْجَدِّ حَتَّى لَيْسَ فِي النَّاسِ خَامِلُ
مُنَوَّرَةٌ أَفْنَانُهَا وَالْخَمَائِلُ
بِلَآلِيهِ الْآفَاقُ وَاللَّيْلُ لَائِلُ
وَسَاحَاتُهَا لِلْوَارِدِينَ مَنَاهِلُ
إِلَى مِصْرٍ إِلَّا وَهُوَ حَرَّانُ سَائِلُ
هَلُمَّ فَذَا بَحْرٌ لَهُ الْبَحْرُ سَاحِلُ
وَأَحْيَا رَمِيمَ الْعَدْلِ وَالْجَوْرُ قَاتِلُ
فَنَمَّ الْأَمَانِي وَالْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ
إِلَى سُدَّةٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الْأُمَائِلُ
تَفِيضُ سَمَاحًا وَالْبَنَانُ جَدَاوِلُ
لِسَانِي وَلَمْ يَحْفَلْ بِقَوْلِي فَاضِلُ
عُلاكَ وَلَكِنْ جُهِدُ مَا أَنَا قَائِلُ
وَدُونَ ثَنَائِي مِنْ عُلاكَ مَرَاجِلُ
وَكَيْفَ يَنَالُ الْكُوكَبُ الْمُتَنَاوِلُ
فَلَوْلَاكَ أَمْسَى جِيدُهَا وَهُوَ عَاطِلُ
وَمَا حَنَّ مِنْ شَوْقٍ عَلَى الْإِيكَ هَادِلُ
عَلَيْكَ وَيَمْلِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ

وقال: (من الطويل)

وَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْجَعْ بَيَانًا لِسَائِلِ
عَلَيْهَا أَهَاضِيبُ الْغُيُومِ الْحَوَائِلِ
أَرَانِي بِهَا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ شَاغِلِي
عَنْتُ وَهِيَ مَأْوَى لِلْحَسَنِ الْعَقَائِلِ
مَعَارِفُ أَطْلَالٍ كَوَحْيِ الرِّسَائِلِ
مِنَ الدَّمْعِ يَجْرِي بَعْدَ سَحِّ بَوَائِلِ
وَأَغْرَتْ بِقَلْبِي لَاعِبَاتُ الْبَلَائِلِ
سَلِيمَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ رِيَا الْخَلَائِلِ
جَفَا خَصْرُهَا عَنْ رِدْفِهَا الْمُتَخَاذِلِ
وَإِذْ أَنَا مَجْلُوبٌ إِلَيَّ وَسَائِلِي
غِيَابَتُهُ هَاجَتْ عَلَيَّ عَوَائِلِي
دَوَارِجٌ فِي غُفْلٍ مِنَ الْعَبِيشِ خَامِلِ
فَمَا يَمْنَحُونَا غَيْرَ نَظْرَةِ غَافِلِ
بَعِيدًا وَلَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِطَوَائِلِ
إِلَى كُلِّ بِهِم رَاتِعَاتٍ وَجَامِلِ
إِلَيْهِ سَدِيلٌ مِنْ نَقَا مُتَقَابِلِ
إِلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا كِرَامَ الْمَحَاصِلِ
مُبَرَّاةٌ مِنْ كُلِّ غَيٍّ وَبَاطِلِ
مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا أَعْقَبَتْ بِالتَّنَازِلِ
تَسَاقُطُ نَفْسِي إِثْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
لِتَفْنِي كِرَامَ النَّاسِ مَا لَمْ تَقَاتِلِ
عَشُورَنَّتِي وَانْقَادَ لِلذَّلِّ كَاهِلِي
أَحَاوِلُهَا وَالْدَّهْرُ جُمُ الْعَوَائِلِ
وَعَادَرَنَّهُ نَهَبُ الْأَكْفِ الْخَوَاتِلِ
وَلَمْ أَدْعَ بِاسْمِي لِلْكَمِيِّ الْمُنَازِلِ
بِكُلِّ رُكُوبٍ لِلْكَرِيهَةِ بَاسِلِ

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَسْمَاءَ رَسَمَ الْمَنَازِلِ
خَلَاءَ تَعَفَّفَتِهَا الرُّوَامِسُ وَالتَّقَتِ
فَلَأْيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَرَسُّمِ
عَدْتُ وَهِيَ مَرْعَى لِلظُّبَاءِ وَطَالَمَا
فَلِلْعَيْنِ مِنْهَا بَعْدَ تَزْيَالِ أَهْلِهَا
فَأَسْبَلْتُ الْعَيْنَانِ فِيهَا بَوَاكِفِ
دِيَارُ الَّتِي هَاجَتْ عَلَيَّ صَبَابَتِي
مِنَ الْهَيْفِ مِقْلَاقُ الْوُشَاحِينَ غَاذَةً
إِذَا مَا دَنْتَ فَوْقَ الْفِرَاشِ لِيُوسِنَةً
تَعَلَّقْتُهَا فِي الْحَيِّ إِذْ هِيَ طِفْلَةٌ
فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَانْجَلَتْ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَهْدَ بَاقٍ وَأَنَّنَا
تَمُرُّ بِنَا رُعْيَانُ كُلِّ قَبِيلَةٍ
صَغِيرِينَ لَمْ يَذْهَبْ بِنَا الظَّنُّ مَذْهَبًا
نَسِيرُ إِذَا مَا الْقَوْمُ سَارُوا غَدِيَّةً
وَإِنْ نَحْنُ عُدْنَا بِالْعِشِيِّ أَضَافَنَا
فَوَيْلُ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا أَرَادَهُ
عَلَى عَقَّةٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ لَمْ تَأْتِ صَالِحًا
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى
قَبَائِلُ أَفْنَتْهَا الْحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ
قَضَتْ بَعْدَهُمْ نَفْسِي عَزَاءً وَأَصْحَبَتْ
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولُ الْيَدَيْنِ عَنِ الَّتِي
صَرِيحُ لُبَانَاتٍ تَقْسَمُنْ نَفْسُهُ
كَأَنِّي لَمْ أَعْقِدْ مَعَ الْفَجْرِ رَايَةً
وَلَمْ أَبْعَثِ الْخَيْلَ الْمُغِيرَةَ فِي الضَّحَا

إِذَا عُرِيَتْ أُمْتَالُهَا فِي الْمَنَازِلِ
وَلَا مَجْدٌ إِلَّا دَاخِلٌ فِي السَّمَائِلِ
عَلَى عَجَلٍ لِّبَاكَ غَيْرُ مُسَائِلِ
تَمُجُّ دَمًا مَطْعُونُهَا غَيْرُ وَائِلِ
وَيَوْمَ اخْتِلَاجِ الطَّعْنِ أَوَّلَ حَامِلِ
إِلَى دَارِ خُلْدٍ ظِلُّهَا غَيْرُ زَائِلِ

نَزَائِعَ يَغْلُكُنَ الشَّكِيمَ عَلَى الْوَجَى
مِنَ الْقَوْمِ بَادٍ مَجْدُهُمْ فِي شِمَالِهِمْ
إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ مِنْهُمْ لِدَعْوَةٍ
يُكَفِّكَ أَوْلَى الْخَيْلِ مِنْهُ بِطَعْنَةٍ
يَكُونُ عَشَاءَ الزَّادِ آخِرَ أَكَلِ
قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ دَهْرِهِمْ ثُمَّ فَوَزُوا

وَقَالَ: (من البسيط)

وَرَاخَ بِالْجِدِّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَزَلُ
بَعْدَ الْإِبَاءِ وَأَيَّامُ الْفَتَى دَوَّلُ
فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي غَيْرِ الْهَوَى شُغْلُ
يَوْمَ الْفِرَاقِ شِعَاعًا إِثْرُ مَنْ رَحَلُوا
عَنْهُمْ عَوَادٍ فَلَا كُتُبٌ وَلَا رُسُلُ
وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلُ
تَسْرِي بِهِ فِي أَرْيَجِ الْعَنْبَرِ الْأَصْلُ
إِلَّا الْخَيَالُ وَحَسْبِي ذَلِكَ الْبَدَلُ
سَرَتْ فَوَادِي عَلَى ضَعْفٍ بِهِ الْعِلَلُ
خَطْبٌ لَعَمْرُكَ لَوْ مَيَّرْتَهُ جَلَلُ
وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرَّعْدُ الْبَطْلُ
أَنْ لَيْسَ لِي بِمَنَاوَاةِ الْهَوَى قَبْلُ
فِي الْحُبِّ لَكِنْ قَضَاءُ خَطِّهِ الْأَزْلُ
فِي الدَّاهِبِينَ وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَلُ
وَأُطْلَعْتَنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكِلُّ
وَالْجَوُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبَيْضِ مُشْتَغِلُ
حُجُولُهُ غَيْرُ يُمْنَى زَانِهَا الْعَطْلُ
يُمْنَاهُ وَانْبَثَّ فِي أَعْطَافِهِ الطَّفَلُ
خَضِرُ جَحَافِلُهُ فِي خَلْقِهِ مَيْلُ

رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللَّمَّةِ الْغَزْلُ
وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرٍ إِلَى جَزَعٍ
فَلْيَصْرِفِ اللَّوْمَ عَنِّي مَنْ بَرِمْتُ بِهِ
وَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ
تَقَسَّمْتَنِي النَّوَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَدَتْ
فَالصَّبْرُ مُنْخَذِلٌ وَالِدَمْعُ مُنْهَمِلُ
أُرْتَاخُ إِنْ مَرَّ مِنْ تَلْقَائِهِمْ نَسَمُ
سَارُوا فَمَا اتَّخَذَتْ عَيْنِي بِهِمْ بَدَلًا
فَحَلَّ عَنْكَ مَلَامِي يَا عَذُولُ فَقَدْ
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى سَهْلًا فَأَيَّسْرُهُ
يَسْتَنْزِلُ الْمَلِكُ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ
فَكَيْفَ أَذْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ
فَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ
وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةٌ سَلَفَتْ
فَإِنْ تَكُنْ نَارَعْتَنِي النَّفْسُ بَاطِلُهَا
فَقَدْ أَسِيرَ أَمَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةٌ
بِكُلِّ أَشْقَرٍ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ
كَأَنَّهُ خَاضَ نَهْرَ الصُّبْحِ فَانْتَبَذَتْ
زُرْقُ حَوَافِرُهُ سُودُ نَوَاطِرُهُ

كَأَنَّ فِي حَلْقِهِ نَاقُوسَ رَاهِبَةٍ
يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرَغَى فِي مَكَامِنَهَا
يَرَى الْإِشَارَةَ فِي وَحْيٍ فَيَفْهَمُهَا
لَا يَمْلِكُ النَّظْرَةَ الْعَجَلَاءُ صَاحِبُهَا
إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبَوْتِهِمْ
تَقَوُّدُهُ بِنْتُ خَمْسٍ فَهَوَّ يَنْبُعُهَا
أَمْضِي بِهِ الْهَوْلُ مِقْدَامًا وَيَصْحَبُنِي
يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ
تَرَى الرِّجَالَ وَقُوفًا بَعْدَ فَتْكَيْتِهِ
كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ
لَوْلَا الدِّمَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهْلًا
يَقْلُ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبْضَتُهُ
بَلْ رَبُّ سَارِيَةِ هَطْلَاءَ دَانِيَةٍ
كَأَنَّ أَثَارَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
يَمُمُّتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِمْ
قَصْدًا إِلَى الصَّيْدِ لَا نَبْغِي بِهِ بَدَلًا
حَتَّى إِذَا أَلْمَعَ الرُّوَادُ مِنْ بَعْدِ
تَغَاوَتِ الْخَيْلِ حَتَّى كِدْنَ مِنْ مَرَحٍ
فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ
فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَدَّتْنَا
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لَا لَعُوَ الْحَدِيثُ وَلَا
إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْأَفْوَاهَ تَضُرُّمُهَا
فَاتَّبَعْ هَوَاكَ وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ
وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمْ مِنْ خَدِيعَتِهِ
وَعَالِجِ السَّرِّ بِالْكَيْتَمَانِ تَحْمَدُهُ
وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا غَرًّا وَلَا بَخِلًا
وَلَا يَهْمُنَكَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَسَاءُمُهُ

بَاتَتْ تُحَرِّكُهُ أَوْ رَاعِدُ رَجُلٍ
فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ شَدَا فَتَنُخْذِلُ
وَيَسْمَعُ الزَّجْرَ مِنْ بُعْدٍ فَيَمْتَثِلُ
حَتَّى تَمُرَّ بِعُطْفِيهِ فَتُحْتَبِلُ
وَاسْتَشْرَفَتْ نَحْوَهُ الْأَلْبَابُ وَالْمَقْلُ
وَيَسْتَشْطِيطُ إِذَا هَامَى بِهِ الرَّجُلُ
مَاضِي الْغَرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْحَلَ الْوَهْلُ
وَقَتَ الصَّرَابِ وَلَمْ يَعْلُقْ بِهِ بَلَلُ
بِهِمْ يُطْنُونُ أَحْيَاءَ وَقَدْ قَتَلُوا
تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّأْلَاءِ يَشْتَعِلُ
كُلُّ الْحَدِيدِ وَلَمْ يَثَارْ بِهِ قَلْلُ
تَنْمُو السَّوَامِ بِهَا وَالنَّبْتُ يَكْتَهِلُ
رَيْطُ مُنْشَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ حُلُّ
لَبُّوا سِرَاعًا وَإِنْ أَنْزَلَ بِهِمْ نَزْلُوا
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِي شَأْنِهَا عَمَلُ
وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَغْلُو وَيَسْتَفِلُ
يَذْهَبْنَ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا اللَّجْمُ وَالشُّكْلُ
إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نَزْلُ
كَمَا اشْتَهَيْنَا فَلَا غِشٌّ وَلَا دَعْلُ
مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَةِ النِّمْلُ
نَارٌ مُحَرَّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شُعْلُ
فَأَكْثَرَ النَّاسِ إِنْ جَرَّبَتْهُمْ هَمْلُ
إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الزَّلُّ
فَبَيَّسَتْ الْخَلَّةُ الْإِسْرَافَ وَالْبَخْلُ
لَا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَجَلُ

فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ
فِي بَعْضِ حَالَاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَلُ
عِلْمًا لِنَفْسِكَ فَلِأَخْلَاقٍ تَنْتَقِلُ
فَلَيْسَ يَمْنَعُهُ سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ
كَلَّا وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِي رَصْفِهَا الْجَمْلُ
وَلَا سُقُوطٌ وَلَا سَهْوٌ وَلَا عِلَلُ
فَكُلُّ نَارٍ عَكاظٌ حِينَ يُرْتَجَلُ
وَلَا يُعَادُ عَلَى قَوْمٍ فَيُبْتَدَلُ

وَأَعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ
فَالرَّيْثُ يُحْمَدُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ كَمَا
هَذَا هُوَ الْأَدَبُ الْمَأْثُورُ فَارْضَ بِهِ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِذَا الْإِنْشَادُ سَيَّرَهُ
لَمْ تُبْنَ قَافِيَةٌ فِيهِ عَلَى خَلَلٍ
فَلَا سِنَادٌ وَلَا حَشْوٌ وَلَا قَلَقُ
تَغَايَرَتْ فِيهِ أَسْمَاعٌ وَأَفِيدَةٌ
لَا تُنْكَرُ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ مَنْطِقُهُ

وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ: (من السريع)

وَفَاضَتْ الْغُدْرَانُ وَالْمَنَاهِلُ
وَعَرَّدَتْ فِي أَيْكِهَا الْبَلَابِلُ
فَصَفَحَةُ الْأَرْضِ نَبَاتٌ حَائِلُ
وَبَيْنَ هَذَيْنِ نَسِيمٌ جَائِلُ
كَأَنَّمَا النِّبَاتُ بَحْرٌ هَائِلُ
وَشَامِخُ الدَّوْحِ سَفِينٌ جَافِلُ
تَهْفُو بِهِ الْجَنُوبُ وَالشَّمَائِلُ
مَشْمُورَةٌ عَنْ سَوْقِهَا الذَّلَالُ
مَعْقُودَةٌ فِي رَأْسِهَا الْفَلَالُ
مُخَضَّبٌ كَأَنَّهُ الْأَنَامِلُ
مِنْ الْعَرَاجِينِ لَهَا سَلَالُ
تَخَالُهَا مَحْزُونَةٌ تُسَائِلُ
كَأَنَّنَا أُمٌّ بَنِينَ تَأْكِلُ
مِنْ الْقَوَادِيسِ لَهَا جَلَالُ
فَصَاعِدٌ وَدَافِقُ وَنَازِلُ
تَحْنُو عَلَى شُطَائِنِ الْغِيَاظِلُ
وَالطَّيْرُ فِي أَفْنَانِهَا هَوَايِلُ

عَمَّ الْحَيَا وَاسْتَنْتِ الْجَدَاوِلُ
وَأَزَيَّنَتْ بِنُورِهَا الْخَمَائِلُ
وَشَمِلَ الْبِقَاعَ خَيْرٌ شَامِلُ
وَجَبَّهَةُ الْجَوِّ غَمَامٌ حَافِلُ
تَنْدَى بِهِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصَائِلُ
وَلَيْسَ إِلَّا الْأَكْمَاتِ سَاجِلُ
مُعْتَدِلٌ طَوْرًا وَطَوْرًا مَائِلُ
وَالْبَاسِقَاتُ الشُّمُخُ الْحَوَائِلُ
مَلُوبَةٌ فِي جِيدِهَا الْعَنَّاكِلُ
لِلْبُسْرِ فِيهَا قَانِيٌّ وَنَاصِلُ
كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ قَنَادِلُ
لِلْمَنْجَنُونِ بَيْنَهَا أَزَامِلُ
لَهَا دُمُوعٌ ذُرْفٌ هَوَامِلُ
فِي جِيدِهَا مِنْ ضَفْرِهَا حَبَائِلُ
تَدُورُ كَالشُّهْبِ لَهَا مَنَازِلُ
وَالْمَاءُ مَا بَيْنَ الْغِيَاضِ سَائِلُ
كَأَنَّنَا حَوَائِمُ نَوَاهِلُ

تَرْهُو بِهَا الْأَسْحَارُ وَالْأَصَائِلُ
وَأَنعَمَ فَأَيَّامُ الصَّبَا قَلَائِلُ
وَالدَّهْرُ لِلْإِنْسَانِ يَوْمًا أَكِلُ
فَانْهَضْ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى يَا غَافِلُ
وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا خَيَالُ زَائِلُ
وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ بَاطِلُ

وَقَالَ يَصِفُ الْبَحْرَ: (من الطويل)

وَذِي حَدَبٍ يَلْتَجُّ بِالسُّفْنِ كُلَّمَا
كَانَ اطِّرَادَ الْمَوْجِ فَوْقَ سَرَاتِهِ
إِذَا شَاغَبَتْهُ الرِّيحُ جَاشَ عُبَابُهُ
يَهِيحُ فَيَرْغُو أَوْ يَعْجُ كَأَنَّمَا
تَقْسَمُهُ خُلُقَانُ لَيْنٍ وَشِدَّةُ
عَلُونَا مَطَاهُ وَهُوَ سَاجٍ فَمَا انْبَرَتْ
كَأَنَّا عَلَى أَرْجُوْحَةٍ كُلَّمَا وَنَتْ
فَطَوْرًا لَنَا فِي غَمْرَةِ اللُّجِّ مَسْبَحُ
فَلَا هُوَ إِنْ رُغْنَاهُ بِالْحَدِّ يَرْغَوِي
عَرُونَا فَأَبْخَلْنَاهُ فَضَلَ حِبَائِهِ
قَلِيلٌ عَلَى عَهْدِ الْإِخَاءِ ثَبَاتُهُ
إِذَا حَرَّكَتُهُ غَضَبَةٌ مَاتَ حِلْمُهُ
شَدِيدُ الْحَمِيَا يَرْهَبُ النَّاسُ بَطْشَهُ
كَأَنَّ أَعَالِي الْمَوْجِ عَنْهُمْ مَشَعَتْ
ذَكَرْنَا بِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذُنُوبِنَا
وَكَيْفَ تَرَانَا صَانِعِينَ وَكُلْنَا
فَلَا تَبْتَنِّسْ إِنْ فَاتَ حَظُّ فَرَبِّمَا
فَقَدْ يَبْرَأُ الدَّاءُ الْعُضَالُ وَيَنْجَلِي
وَكَيْفَ يَخَافُ الْمَرْءُ حَيْفًا وَرُبُّهُ

رَفَّتْهُ نَتَوُجٌ فَهُوَ يَعْلُو وَيَسْفُلُ
نَعَائِمٌ فِي عَرْضِ السَّمَاءِ جَفَلُ
وَوَظِلُّ أَعَالِي مَوْجِهِ يَتَجَفَلُ
تَخَبَّطُهُ مِنْ أَوْلَقِ الضُّغْنِ أَرْفَلُ
بِعَصْفَةِ رِيحٍ فَهُوَ دَاهٍ وَأَرْفَلُ
لَهُ الرِّيحُ حَتَّى ظَلَّ يَهْفُو وَيَرْفَلُ
أَحَالَ عَلَيْهَا قَائِمٌ لَيْسَ يَغْفَلُ
وَطَوْرًا لَنَا بَيْنَ السَّمَائِينَ مَحْفَلُ
وَلَا إِنْ سَأَلْنَاهُ الْهُوَادَةَ يَحْفَلُ
وَمَنْ عَجَبَ إِمْسَاكُهُ وَهُوَ نَوْفَلُ
فَأَسْفَلُهُ عَالٌ وَعَالِيهِ سَافَلُ
وَوَظِلُّ عَلَى أَضْيَافِهِ يَتَأَفَلُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ نَفْخَةِ الرِّيحِ يُجْفَلُ
بِهِ وَانْحِدَارَ السَّيْحِ شَعْرٌ مُفْلَقَلُ
وَفِي النَّاسِ إِنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ غَفْلُ
بِقَارُورَةِ صَمَاءٍ وَالْبَابُ مُقْفَلُ
أَضَاءَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى وَهِيَ أَفْلُ
ضَبَابُ الرِّزَايَا وَالْمُسَافِرُ يَقْفَلُ
بِأَحْسَنِ مَا يَرْجُو مِنَ الرِّزْقِ يَكْفَلُ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ: (من مجزوء الرمل)

أَهْلَالٌ بَيْنَ هَالِهِ	أَمْ غَزَالٌ فِي غِلَالِهِ
صَادَ بِاللَّحْظِ فُؤَادِي	أَتَرَى الْهُدْبَ حِبَالَهُ
غَرَّنِي ثُمَّ تَوَلَّى	لَيْتَ شِعْرِي مَا بَدَأَ لَهُ
أَنَا مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ	وَاقِعٌ بَيْنَ ضَلَالِهِ
أَيُّهَا الظَّالِمُ هَبْ لِي	مَرَّةً مِنْكَ الْعَدَالَهُ
وَارِعَ لِي حَقَّ وَدَادِ	فِيكَ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَهُ
مَنْطِقُ عَذْبٍ وَمَعْنَى	يَبْسُمُ السَّحَرِ خِلَالَهُ
كُلُّ بَيْتٍ كَنَسِيحِ الرِّ	وَضِ حُسْنًا وَطَلَالَهُ
أَنَا فِي الشَّعْرِ عَرِيقُ	لَمْ أَرْنُهُ عَنْ كَلَالِهِ
كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَالِي	فِيهِ مَشْهُورُ الْمَقَالِهِ
وَسَمَا جَدِّي عَلِيٌّ	يَطْلُبُ النُّجْمَ فَنَالَهُ
فَهُوَ لِي إِرْثٌ كَرِيمُ	سَوْفَ يَبْقَى فِي السُّلَالَةِ

وَقَالَ يَذْكُرُ مَا لَحِقَهُ مِنْ حَيْفٍ: (من السريع)

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ	خُذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَدَيِّ مَا طِلِي
جَارَ عَلَى ضَعْفِي بِسُلْطَانِهِ	وَمَا رَشَى لِلْمَدْمَعِ الْهَاطِلِ
أَخْرَجَنِي عَمَّا حَوْتُهُ يَدِي	مِنْ كَسْبِي الْحُرِّ بِلَا نَاطِلِ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَنْطِقِ	ذِي رَوْقٍ كَالصَّارِمِ الْقَاطِلِ
أَتَلُو بِهِ الْحَقَّ وَأَرَمِي بِهِ	نَحَرَ الْعِدَا فِي الرَّهَجِ السَّاطِلِ
فَإِنْ أَكُنْ جُرَدْتُ مِنْ ثُرَوْتِي	فَفَضْلُ رَبِّي حِلْيَةُ الْعَاطِلِ

وَقَالَ أَيْضًا: (من الوافر)

لَأَمْرَ مَا تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ	فَهَلْ تَدْرِي الْخَلَائِقُ مَا تَقُولُ
تَغِيْبُ الشَّمْسُ ثُمَّ تَعُودُ فِينَا	وَتَذَوِي ثُمَّ تَخْضُرُ الْبُقُولُ
طَبَائِعُ لَا تُغْبُ مُرَدَّدَاتٍ	كَمَا تَعْرِى وَتَشْتَمِلُ الْحُقُولُ

يَزُولُ الْخَلْقُ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ
فَمَا جَرَتْ الظُّنُونُ عَلَى يَقِينٍ
فَسَيَّانِ الْجَهُولِ إِذَا تَنَاهَتْ
وَتَخْتَلِفُ الْحَقَائِقُ وَالنُّقُولُ
تَفِيءُ بِهِ وَلَا صَحَّ الْمَقُولُ
بِهِ الْيَأْمُ وَالْفَطْنُ الْعَقُولُ

وَقَالَ: (من السريع)

مَا الدَّهْرُ إِلَّا ضَوْءُ شَمْسٍ عَلَا
وَرَاحِلُ أَعْقَبِهِ نَازِلُ
عَمَائَةٍ يَخْبِطُ فِيهَا النُّهَى
فَبَادِرِ النُّقْلَةِ وَأَعْمَلِ لَهَا
وَاصُمْتُ عَنِ الشَّرِّ إِذَا لَمْ تُطِقْ
وَسِرْ إِذَا مَا عَرَضَتْ فُرْصَةٌ
مَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بِأَسْبَابِهِ
قَدْ يَجِبُنِ الْأَعْزَلُ وَهُوَ الْفَتَى
وَكَوَّكِبُ غَامٍ وَنَبْتُ بَقْلٍ
مَا قِيلَ قَدْ حَيِمَ حَتَّى اسْتَقْلُ
عَجْزًا وَلَا تُبْصِرُ فِيهَا الْمُقْلُ
مَا شِئْتُ فَالدَّهْرُ سَرِيعُ النُّقْلُ
دَفْعًا وَإِنْ صَادَفْتَ خَيْرًا فَقُلْ
فَالْبَدْرُ قَدْ يَنْمُو إِذَا مَا انْتَقَلَ
سَاعَدَهُ الْمَقْدُورُ إِمَّا عَقْلُ
وَيَشْجَعُ النَّكْسُ إِذَا مَا اعْتَقَلَ

وَقَالَ: (من الكامل)

لَا تَرَكْنَنِي إِلَى الزَّمَانِ قَرِيبًا
وَاصْبِرْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَكُلَّمَا
كَفَلَ الشَّقَاءُ لِمَنْ أَنَاخَ بِرَبْعِهِ
يَمْشِي الضَّرَاءُ إِلَى النُّفُوسِ وَتَارَةً
لَا يَرْهَبُ الضَّرْعَامَ بَيْنَ عَرِينِهِ
بَيْنَا تَرَى نَجْمَ السَّعَادَةِ طَالِعًا
فَإِذَا سَأَلْتَ الدَّهْرَ مَعْرِفَةً بِهِ
فَالدَّهْرُ كَالدُّوَلَابِ يَخْفِضُ عَالِيًا
خَدَعَتْ مَخِيلَتُهُ الْفُؤَادَ الْغَافِلَا
نَهَبَ الْغَدَاةَ أَتَى الْعَشِيَّةَ قَافِلَا
وَكَفَى ابْنَ آدَمَ بِالْمَصَائِبِ كَافِلَا
يَسْعَى لَهَا بَيْنَ الْأَسْنَةِ رَافِلَا
بَأْسًا وَلَا يَدْعُ الظُّبَاءَ مَطَافِلَا
فَوْقَ الْأَهْلَةِ إِذْ تَرَاهُ آفِلَا
فَاسْأَلْ لِتَعْرِفَهُ النَّعَامُ الْجَافِلَا
مَنْ غَيْرِ مَا قَصْدٍ وَيَرْفَعُ سَافِلَا

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ: (من الرجز)

إِنْ شِئْتُ أَنْ تَحْوِيَ الْمَعَالِيَ فَادَّرِعْ صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ غُنْمٌ عَاجِلُ
وَاحْلُمْ كَأَنَّكَ جَاهِلٌ وَادْكُرْ كَأَنَّ حَنَكُ ذَاهِلٌ وَافْطَنْ كَأَنَّكَ غَافِلُ
فَلَقَلَّمَا يُفْضِي إِلَى آرَابِهِ فِي الدَّهْرِ إِلَّا الْعَالِمُ الْمُتَجَاهِلُ

وَقَالَ: (من البسيط)

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ
حُبُّ الْحَيَاةِ وَبُغْضُ الْمَوْتِ أَوْرَثَهُمْ جُبْنُ الطَّبَاعِ وَتَصْدِيقُ الْأَبَاطِيلِ

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ: (من الطويل)

أَلَا إِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ وَإِنْ نَمَتْ فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَفُوقُ عَلَى الْكُلِّ
وَقَارَ بِلا كِبَرٍ وَصَفَحَ بِلا أَدَى وَجُودٌ بِلا مَنْ وَحِلْمٌ بِلا ذُلِّ

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ أَيُّضًا: (من الوافر)

تَسَابَقُ فِي الْمَكَارِمِ تَعْلُ قَدْرًا فَسَبَقُ النَّاسِ لِلْخَيْرَاتِ نَضْلُ
إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ فَلَا رَجَاءَ وَإِنْ ذَهَبَ الرَّجَاءُ فَلَيْسَ فَضْلُ

وَقَالَ: (من الطويل)

إِذَا سَتَرَ الْفَقْرُ أَمْرًا ذَا نَبَاهَةٍ فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُشِيدَ بِهِ الْفَضْلُ
فَإِنَّ لِهَيْبِ النَّارِ مَهْمَا كَفَّاتَهُ إِلَى أَسْفَلٍ قَسْرًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلُو

وَقَالَ: (من الطويل)

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا لُبْثَةٌ وَزِيَالُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَفْتَرٌ فِي خِلَالِهِ تَصَاوِيرُ لَمْ يُعْهَدْ لَهُنَّ مِثَالُ
فَفِي صَفْحَةٍ مِنْهُ زَمَانٌ قَدْ انْقَضَى وَفِي وَجْهِ أُخْرَى دَوْلَةٌ وَرِجَالُ

وَقَالَ: (من الرجز)

طَهَّرْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَكُنْ
إِنَّ الْوَقِيعَةَ لَا تَعُودُ بِخَزِيَّةٍ
خَبًّا يُقَرِّبُ لِلنُّفُوسِ ضَلَالَهَا
أَوْ سُبَّةٍ إِلَّا عَلَى مَنْ قَالَهَا

وَقَالَ: (من البسيط)

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ
إِنَّ رَابِكَ الدَّهْرُ لَمْ تَفْشَلْ عَزَائِمُهُ
يَزْعَاكَ فِي حَالَتِي بُعْدٍ وَمَقَرِّيَّةٍ
لَا كَالَّذِي يَدْعِي وَدًّا وَبَاطِنُهُ
يَذُمُّ فِعْلَ أَخِيهِ مُظْهِرًا أَسْفَا
وَذَاكَ مِنْهُ عِدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ
بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ
أَوْ نَابَكَ الْهَمُّ لَمْ تَفْتُرْ وَسَائِلُهُ
وَلَا تُغِبُّكَ مِنْ خَيْرٍ فَوَاضِلُهُ
بِحِمْرِ أَحْقَابِهِ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ
لِيُوْهِمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ
فَاحْذَرُهُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ حَازِلُهُ

وَقَالَ: (من الكامل)

الْحُبُّ مَعْنَى لَا يُحِيطُ بِسِرِّهِ
كَالْكَهْرْبَاءَةِ دَرَكُهَا مُتَعَذِّرُ
وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ يَطْهَرُ فِعْلُهَا
حِكْمُ تَمَلُّكِهَا الْغُمُوضُ فَلَمْ يُحِطْ
وَصَفٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِثَالُ
وَنَسِيمُهَا مُتَحَدِّرُ سَيَالُ
وَيَغِيبُ عَنَّا سِرُّهَا الْفَعَالُ
بِرُمُوزِهَا فِي الْعَالَمِينَ مَقَالُ

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من الخفيف)

لَيْسَ لِي غَيْرُ خَالِكَ الْحَجَرِ الْأَسَدِ
فَأَتُبْنِي عَلَى الْجَمَالِ زَكَاةً
وَدَ فِي كَعْبَةِ الْمَحَاسِنِ قُبْلَةً
وَزَكَاةُ الْجَمَالِ فِي الْخَدِّ قُبْلَةً

وَقَالَ: (من الكامل)

يَا هَاجِرِي ظُلْمًا بِغَيْرِ خَطِيئَةٍ
مَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحَتْ بِنَظَرَةٍ
هَلْ لِي إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ سَبِيلُ
نَحْيًا بِهَا نَفْسٌ عَلَيْكَ تَسِيلُ

وَقَالَ: (من البسيط)

مَنْ ظَنَنْنِي مَوْضِعًا يَوْمًا لِحَاجَتِهِ
لَهُ عَلَيَّ بِحُسْنِ الظَّنِّ مَأْثَرَةٌ
كُنْتُ الْحَرِيَّ بِأَنْ أُعْطِيَهُ مَا سَأَلَ
لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا شُكْرِي وَإِنْ جُمُلَا

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من البسيط)

عَاتَبْتُهُ لَا لِأَمْرِ فِيهِ مَعْتَبَةٌ
فَأَلْبَسْتُ يَاسَمِينَ الْخَدَّ حَجَلْتُهُ
عَلَيْهِ لَكِنْ لِأَرْعَى وَرَدَةَ الْخَجَلِ
وَرَدًا جَنِيًّا جَنَاهُ رَائِدُ الْمُقَلِّ

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ: (من البسيط)

دَعِ الْمَخَافَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَهَا
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عِلْمٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ
وَإِنْ تَحَصَّنَ لَا يَنْجُو مِنَ الْغِيلِ
عَلَى الْعَوَاقِبِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى الْحِيلِ

وَقَالَ فِي فَقْدِ الشَّبَابِ: (من الطويل)

يُعَزِّي الْفَتَى فِي كُلِّ رُزْءٍ وَلَيْتَهُ
فَكَمْ بَيْنَ مَفْقُودٍ يُعَاشُ بغيرِهِ
يَعَزُّ عَلَى وَهُوَ أَكْرَمُ رَاحِلٍ
وَإِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبِكِ الشَّبَابَ فَمَا الَّذِي

وَقَالَ يَهْجُو عُثْمَانَ رَفْقِي: (من الخفيف)

كُلُّ صَغْبٍ سِوَى الْمَذَلَّةِ سَهْلٌ
لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ مَا لَمْ
إِنَّ مَرَّ الْحِمَامِ أَعَذَبُ وَرَدًا
أَنَا رَاضٍ بِتَرْكِ مَالِي وَأَهْلِي
لَا يَلْمُنِي عَلَى الْحَفِیْظَةِ قَوْمٌ
أَلْفُوا الضَّيْمَ حَشِيَّةَ الْمَوْتِ وَالضَّيْمُ
كَيْفَ لَا أَنْصُرُ الرَّشَادَ عَلَى الْغَيْثِ
وَحَيَاةُ الْكَرِيمِ فِي الضَّيْمِ قَتْلٌ
يَكُ فِيهِ مِنْ صَبْغَةِ اللُّؤْمِ دَخْلٌ
مِنْ حَيَاةٍ فِيهَا شَقَاءٌ وَذُلٌّ
فَالْعَفَافُ الْخَرَاءُ وَالنَّاسُ أَهْلٌ
عَرِّمُ مَنْظَرُ الْحَيَاةِ فَضَلُّوا
مُ لَعَمْرِي فَجَعُ حَسِيسٌ وَتُكُلُ
ي وَعَقْلِي مَعِي وَفِي النَّفْسِ فَضْلُ

إِنَّمَا الْمَرْءُ بِاللِّسَانِ وَبِالْقَلَمِ
 قَدْ كُنَّ يَا نَفْسُ فَالْتَّصَبَّرِي إِلَّا
 فَابْعَثِيهَا شِعْوَاءَ يَحْكُمُ فِيهَا
 هُوَ إِمَّا الْجَمَامُ أَوْ عَيْشَةُ خَضِرٍ
 إِنَّ مُلْكًا فِيهِ فُلَانٌ وَزِيرًا
 أَهْوَجَ أَحْمَقُ شَتِيمٌ لَزِيمٌ
 صَغُرَتْ رَأْسُهُ وَأَفْرَطَ فِي الطُّولِ
 أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ
 هَذَفَ لِلْعُيُوبِ فِي كُلِّ غَضَبٍ
 نَسَلَتْهُ مِنْ اسْتِهَا أُمُّ سُوءٍ
 كُنْ كَمَا شِئْتَ يَا فُلَانُ وَمَا شَأْنُ
 لَيْسَ تُغْنِي الْأَلْقَابُ عَنْ كَرَمِ الْأَصْبِ
 أَنْتَ مِنْ عُنْصُرٍ لَوْ اتَّكَأَ الذَّرُّ
 نَارَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ
 إِنَّ بَيْتَ الْوَرَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْبَ
 كَثُرُوا عِدَّةً وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا
 لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ أَمْرٍ لِأَبِيهِ
 كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللَّؤْمِ مِنْ بَا
 قَدْ تَغَدَّى بِاللُّؤْمِ إِذْ هُوَ طِفْلٌ
 لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ تَحْمَدُ الْعَيْنُ رُؤْيَا
 أَدْرَكُوا فِي الْعُيُوبِ أَبْعَدَ خَصْلٍ
 كَيْفَ لَا تَشْمَلُ الدَّنَاءَةُ قَوْمًا
 هُمْ لَعَمْرِي أَدْلُ مِنْ قَدَمِ النَّعْ
 كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ وَلَكِنْ
 كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَلَكِنْ هَجَائِي

بَ فَإِنْ خَابَ مِنْهُمَا فَهُوَ فَسَلُ
 فِي لِقَاءِ الْحُرُوبِ غَبْنٌ وَجَهْلُ
 مُنْصَلٌ صَارِمٌ وَرُمَحٌ مِثْلُ
 رَاءُ فِيهَا لِمَنْ تَفَيًّا ظِلُّ
 لِمُبَاحٍ لِلْخَائِنِينَ وَبِلُ
 أَغْتَمَ أَبْلَهُ زَنِيمٌ عَتَلُ
 شَوَاهُ وَعَنْقُهُ فَهُوَ صَعْلُ
 شَكْلُ لُؤْمٍ إِنْ كَانَ لِللُّؤْمِ شَكْلُ
 مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَصْلُ
 مَا لَهَا غَيْرَ طَائِفِ اللَّيْلِ بَعْلُ
 عَتَ رَجَالٌ فَأَنْتَ لِللُّؤْمِ أَهْلُ
 لِمَ فَمَجْدُ الْفَتَى عَقَافٌ وَعَقْلُ
 رُ عَلَيْهِ لَادَهُ مِنْهُ حِمْلُ
 كَ النَّصَارَى فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَعْلُ
 نَا وَلَكِنْ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلُ
 بَ أَبُوهُمْ عَنِ الزُّنَاةِ لَقَلُّوا
 مِنْ فَرَاخِ الْوَرَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلُ
 زَ وَلَكِنْ مِنَ الْحِمَارِ أَضْلُ
 وَتَمَادَى فِي الْغَيِّ إِذْ هُوَ كَهْلُ
 هُ وَلَا مِنْهُمْ إِلَى النَّفْسِ خِلُ
 كُلُّ حَيٍّ لَهُ بِمَا شَاءَ خَصْلُ
 نَشَأُوا فِي الصَّغَارِ حِينَ اسْتَهْلُوا
 لِمَ نَفُوسًا وَالنَّعْلُ مِنْهُمْ أَجْلُ
 عَلَّمَنِي صِفَاتُهُمْ كَيْفَ أَنْتَلُو
 فِيكَ بَاقِي مَا عَاقَبَ السَّيْفَ صَقْلُ

وَقَالَ يَهْجُو: (من الطويل)

فَزِدْنِي صُدُودًا مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَأُلْ
فَلَا حُمْتَ اللَّقْيَا وَلَا اجْتَمَعَ الشَّمْلُ
كَثِيرِ خَبَايَا الصَّدْرِ شَيْمَتُهُ الْخَتْلُ
إِلَى حَيْثُ لَا طَلْحَ يَرِفُّ وَلَا أَثْلُ
بِكَ الْمَاءِ خُبْنًا لَا يَحِلُّ بِهِ الْغَسْلُ
وَقَلْبُكَ مَدْعُولٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلٌ
وَأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْلِ لَيْسَ بِهِ أَهْلُ
بِقَوْمٍ وَلَا زَلْتُ بِذِي أَمَلٍ نَعْلُ
وَلَا خَيْبَةً إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَصْلُ
طَلَعْتَ عَلَيْهَا إِنَّهُ زَمَنٌ وَغُلُ
وَرَأَيْكَ مَأْفُونٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلٌ
لِعَاجِلِهِ مِنْ دُونِ إِشْرَاقِهِ أَفْلُ
قُصَارَى دَمِيمِ الْعَهْدِ أَنْ يَقْطَعَ الْحَبْلُ

وَصَالِكَ لِي هَجْرٌ وَهَجْرُكَ لِي وَصَلُ
إِذَا كَانَ قُرْبِي مِنْكَ بُعْدًا عَنِ الْمُنَى
وَكَيْفَ أَوْدُ الْقُرْبَ مِنْ مُتَلَوْنَ
فَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْتَهِي
خَبْتَتْ فَلَوْ طَهَّرْتَ بِالْمَاءِ لَا كُنْتَسَى
فَوَجْهُكَ مَنْحُوسٌ وَكَعْبُكَ سَافِلُ
بِكَ اسْوَدَّتِ الْأَيَّامُ بَعْدَ ضِيَائِهَا
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مَا انْقَضَ حَادِثُ
فَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ رَسُولُهَا
أَذْمُ زَمَانًا أَنْتَ فِيهِ وَبَلَدَةٌ
ذِمَامُكَ مَخْفُورٌ وَعَهْدُكَ ضَائِعُ
مَخَازٍ لَوْ أَنَّ النَّجْمَ حُمِلَ بَعْضُهَا
فَسِرُّ غَيْرِ مَأْسُوفٍ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا

وَقَالَ: (من الطويل)

تَبَيَّتْ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ بِإِغْوَالِ
قَبَاحِ النَّوَاصِي لَا يَنْمَنُ عَلَى حَالِ
مَنْ الشَّرِّ فِي بَيْتٍ مِنَ الْخَيْرِ مِمَّحَالِ
لَهَيْبِ صِيَاكِ يَصْعَدُ الْفَلَكَ الْعَالِي
طُرْفَنَ عَلَى حِينِ الْمَسَاءِ بِرُبَّالِ
كِلَابِ الْفُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ
مَنْ الْحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِالْعَمِّ وَالْخَالِ
تُجَاوِبُ بَعْضًا فِي رُغَاءٍ وَتَضْهَالِ
أُصِيبَتْ بِجَبِيشِ ذِي غَوَارِبَ ذِيَالِ
وَمِنْ فَرْعٍ يَتْلُو الْكِتَابَ بِإِهْلَالِ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ لَيْلِي وَجَارَةً
لَهَا صَبِيَّةٌ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
صَوَارِخُ لَا يَهْدَانِ إِلَّا مَعَ الضَّحَا
تَرَى بَيْنَهُمْ يَا فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ
كَأَنَّهُمْ مِمَّا تَنَازَعْنَ أَكْلُبُ
فَهَجَنَ جَمِيعًا هَيْجَةً فُرَعَتْ لَهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٌ وَكَلْبَةٌ
وَفُرَعَتْ الْأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ فَاَنْبَرَتْ
فَقَامَتْ رِجَالُ الْحَيِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا
فَمِنْ حَامِلٍ رُمَحًا وَمِنْ قَابِضٍ عَصَا

وَمِنْ صِبْيَةٍ رِيَعَتْ لِدَاكَ وَنِسْوَةٍ
فَيَا رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّرًا
قَوَائِمَ دُونَ الْبَابِ يَهْتَفَنَ بِالْوَالِي
عَلَى مَا أَقَاسِيهِ وَخَذَهُمْ بِزَلْزَالِ

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
كَيْفَ صَادَفْتَ الْأَمَانِي
خَلَّتْهَا مَاءٌ نَمِيرًا
أَيْنَ أَهْلُ الدَّارِ فَانْظُرْ
رُبَّ حُسْنٍ فِي ثِيَابِ
وَعُيُونٍ كُنَّ سُودًا
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ بَاغٍ
إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ
كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا
لَسْتُ لِلتَّكْرِيمِ أَهْلًا
هَلْ رَأَيْتَ الصَّعْبَ سَهْلًا
فَاشْرَبْنِ عَلًّا وَنَهْلًا
هَلْ تَرَى بِالدَّارِ أَهْلًا
عَادَ غَسْلِينًا وَمَهْلًا
صِرْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ شَهْلًا
فِي الْوَرَى خَزِيًّا وَبَهْلًا
لَمْ تَدْعُ طِفْلًا وَكَهْلًا
فَاكْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلًا

قافية الميم

وَقَالَ فِي صِبَاهُ: (من البسيط)

فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ
وَبَيْنَ مَا تَنْفُثُ الْأَقْلَامُ مِنْ حِكْمِ
بِقِطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ لَا يَسْفِكُ دَمِ
فِي الْفَضْلِ مَحْفُوفَةٍ بِالْعِزِّ وَالْكَرَمِ
مِنْ جَنَّةِ الْعِلْمِ إِلَّا صَادِقُ الْهَمِّ
سَبَقُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ
أَوْقَاتُهَا عَبَثًا لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ
خَرَائِنُ الْأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعِلْمِ
أَرْوَاحُهَا بَيْنَنَا فِي عَالَمِ الْكَلِمِ
غَرَائِبًا لَا تَرَاهَا النَّفْسُ فِي الْحُلَمِ
عَلَى نَظِيرِهِمَا فِي الشَّكْلِ وَالْعِظَمِ
لَكِنَّهَا بَقِيَتْ نَقْشًا عَلَى رَضَمِ
وَذِكْرُهُمْ لَمْ يَزَلْ حَيًّا عَلَى الْقَدَمِ
جَهْرًا بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ
فَضْلٍ عَمِيمٍ وَمَجْدٍ بَاذِخِ الْقَدَمِ
مَذْكُورَةً بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
لِلشَّرْقِ يَلْحَظُ مَجْرَى النِّيلِ مِنْ أَمِّ

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةُ الْأُمِّ
كَمْ بَيْنَ مَا تَلْفِظُ الْأَسْيَافُ مِنْ عَلَقِ
لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمْ
فَاعْكَفْ عَلَى الْعِلْمِ تَبْلُغْ شَأْوَ مَنْزِلَةِ
فَلَيْسَ يَجْنِي ثِمَارَ الْفُوزِ يَانِعَةً
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ
وَلِلْفَتَى مُهَلَّةٌ فِي الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ
لَوْ لَا مُدَاوَلَةُ الْأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ
كَمْ أُمَّةٌ دَرَسَتْ أَشْبَاحَهَا وَسَرَتْ
فَانْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ الْمَاثِلَيْنِ تَجِدْ
صَرَخَانَ مَا دَارَتْ الْأَفْلَاكُ مِنْذُ جَرَتْ
تَضَمَّنَا حِكْمًا بَادَتْ مَصَادِرُهَا
قَوْمٌ طَوْنُهُمْ يَدُ الْأَيَّامِ فَانْقَرَضُوا
فَكَمْ بِهَا صُورٌ كَادَتْ تُخَاطِبُنَا
تَتْلُو «هَرَمِس» آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى
آيَاتٍ فَخْرٍ تَجَلَّى نُورُهَا فَغَدَتْ
وَلَاخَ بَيْنَهُمَا «بَلْهَيْبٌ» مُتَّجِهَا

كَأَنَّهُ رَابِضٌ لِلْوُثْبِ مُنْتَظِرٌ
رَمَزٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلُومَ إِذَا
فَاسْتَقْبَلُوا يَا بَنِي الْأَوْطَانِ وَانْتَصَبُوا
وَلَا تَخْضَعُوا نَمَاءَ الْمَالِ وَانْتَسَبُوا
قَرَبَ ذِي ثَرَوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقِرٌ
شِيدُوا الْمَدَارِسَ فَهِيَ الْغَرْسُ إِنْ بَسَقَتْ
مَغْنَى عُلُومٍ تَرَى الْأَبْنَاءَ عَاكِفَةً
مِنْ كُلِّ كَهْلٍ الْحِجَا فِي سَنٍّ عَاشِرَةٍ
كَأَنَّهَا فَلَكُ لَاحَتْ بِهِ شُهْبٌ
يَجْنُونَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَهْرَةً عِبَقَتْ
فَكَمْ تَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ شَاعِرٍ لِسِنٍ
وَنَابِغٍ نَالَ مِنْ عِلْمِ الْحُقُوقِ بِهَا
وَلَجَّ هَنْدَسَةٍ تَجْرِي بِحِكْمَتِهِ
بَلْ كَمْ خَطِيبٍ شَفَى نَفْسًا بِمَوْعِظَةٍ
مُؤَدِّبُونَ بِآدَابِ الْمُلُوكِ فَلَا
قَوْمٌ بِهِمْ تَصْلُحُ الدُّنْيَا إِذَا فَسَدَتْ
وَكَيْفَ يَثْبُتُ رُكْنُ الْعَدْلِ فِي بَلَدٍ
مَا صَوَّرَ اللَّهُ لِلْأَبْدَانِ أَفْئِدَةً
وَأَسْعَدَ النَّاسِ مَنْ أَفْضَى إِلَى أَمَدٍ
لَوْلَا الْفُضِيلَةُ لَمْ يَخْلُدْ لِيْذِيْ أَدَبٍ
فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ فِيمَا قَدَمَتْ يَدُهُ

فَرِيْسَةً فَهَوَ يَرْعَاهَا وَلَمْ يَنْمِ
عَمَّتْ بِمَضَرٍ نَزَتْ مِنْ وَهْدَةِ الْعَدَمِ
لِلْعِلْمِ فَهَوَ مَدَارُ الْعَدْلِ فِي الْأُمَمِ
فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا يَحْوِيهِ ذُو نَسَمِ
وَرُبَّ ذِي خَلَةٍ بِالْعِلْمِ مُحْتَرَمِ
أَفْنَانُهُ أَثْمَرَتْ غَضًّا مِنَ النَّعَمِ
عَلَى الدُّرُوسِ بِهِ كَالطَّيْرِ فِي الْحَرَمِ
يَكَادُ مَنَاطِقُهُ يَنْهَلُ بِالْحِكَمِ
تُغْنِي بِرَوْنِقِهَا عَنْ أَنْجَمِ الظُّلَمِ
بِنَفْحَةٍ تَبْعَثُ الْأَرْوَاحَ فِي الرَّمَمِ
أَوْ كَاتِبِ فِطْنٍ أَوْ حَاسِبِ فَهَمِ
مَزِيَّةِ الْبَسْتَةِ خِلْعَةَ الْحَكَمِ
جَدَاوِلُ الْمَاءِ فِي هَالٍ مِنَ الْأَكَمِ
وَكَمْ طَبِيبٍ شَفَى جِسْمًا مِنَ السَّقَمِ
تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَالِي الْقَدْرِ مُحْتَشِمِ
وَيَفْرُقُ الْعَدْلُ بَيْنَ الذُّنْبِ وَالْغَنَمِ
لَمْ يَنْتَصِبْ بَيْنَهَا لِلْعِلْمِ مَنْ عِلْمٍ؟
إِلَّا لِيَرْفَعَ أَهْلَ الْجِدِّ وَالْفَهَمِ
فِي الْفَضْلِ وَامْتَاَزَ بِالْعَالِي مِنَ الشَّيَمِ
ذِكْرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ
قَبْلَ الْمَعَادِ فَإِنَّ الْعُمَرَ لَمْ يَدُمْ

وَقَالَ يَمْدَحُ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا خِدْيُو مِصْرَ: (من الطويل)

تَذِلُّ عَزِيزَاتُ النُّفُوسِ الْكَرَائِمِ
أَصِيلًا وَيُشْجِنِي هَدِيرُ الْحَمَائِمِ
كَزْنِدِ تَوَالِي قَدْحَهُ كَفُ ضَارِمِ
يُقِلُّ ضَحَاهَا جُنْحُ أَسْوَدَ فَاجِمِ

لِعِزَّةِ هَذِي الْبَلَاهِيَاتِ النَّوَاعِمِ
فَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُنَّ تَهْتَاجِنِي الصَّبَا
وَلَا شَاقِنِي بَرَقُ تَالَّقِ مَوْهِنَا
وَبَيَاضِ رِيَّا الرَّدْفِ مَهْضُومَةِ الْحَشَا

بَعِيدَ مَشَقِّ الْجَفْنِ عَيْلَ الْمَعَاصِمِ
بِغَضْنٍ وَلَا انْهَلَتْ شَتُونُ الْغَمَائِمِ
تَجُنُّ مَطَايَنَا حَنِينَ الرُّوَائِمِ
يَلُوحُ وَدُرٌّ فِي عَقِيقِ مَبَاسِمِ
نُدُوبًا كَأَثَرِ الْوُشْمِ مِنْ كَفٍّ وَاشِمِ
سَقَتْنِي بِمَا مَجَّتْ شِفَاهُ الْأَرَاقِمِ
بِهِ رَعْشَةُ اللَّبَيْنِ بَادِي الْخَوَاتِمِ
دُمُوعَ الْعَذَارَى فِي حِذَائِ الْمَاتِمِ
يَطِيرُ بِهَدَابٍ كَثِيرِ الزَّمَانِمِ
هَدِيرُ فُحُولٍ أَوْ زَبِيرُ ضَرَاغِمِ
هَوَايَ الَّذِي أَشْكُو وَآخِرُ لَاثِمِي
يَلْفُ عَلَى الشَّحْنَاءِ عُوجَ الْحَيَازِمِ
فُوَادَ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ مُسَالِمِ
كَأَنِّي بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمِ
وَيُبْدِي لَهُ الْحُسْنَى فَلَيْسَ بِحَازِمِ
وَأَلْقَتْ إِلَى أَيْدِي الْفِرَاقِ شَكَائِمِي
وَفِيكَ رَعَيْتُ النَّجْمَ رَعَى السَّوَائِمِ
تَسِيلُ دَمَا بَيْنَ الدُّمُوعِ السَّوَاغِمِ
رِيَاخُ الْكَرَى مِيلَ الطَّلَى وَالْعَمَائِمِ
عَلَى مَا تَرَاهُ دَامِيَاتِ الْمَنَاسِمِ
تَجُنُّ إِلَى إِلْفٍ قَدِيمِ مُصَارِمِ
فَتَمْرُقُ شُعْنًا مِنْ فِجَاجِ الْمَخَارِمِ
فَمِنْ رَازِحٍ مَعِي وَآخِرَ رَازِمِ
بِكُلِّ فَتَى لِلْبَيْنِ أَغْبَرَ سَاهِمِ
بِلَثْمِ الْحَصَى بَيْنَ اللَّوَى فَالْغَنَائِمِ
تَوَلَّتْ عَجَالًا دُونَ تَهْوِيمِ نَائِمِ
طَرِيحِ الثَّرَى مُحَمَّرَ طَرْفِ الْأَبَاهِمِ

مَنْ الْعَيْنِ يَحْمِي خَذَرَهَا كُلُّ ضَيْغَمِ
فَلَوْلَا هَوَاهَا مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ
وَلَا التَّهَبُ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ وَلَا غَدَتْ
أَمَّا وَهَلَالٍ فِي دُجْنَةِ طُرَّةٍ
لَقَدْ أَوْدَعَ الْبَيْنُ الْمُسْتُ بِمُهْجَتِي
وَكَمْ لَيْلَةٍ سَاوَرْتُهَا نَابِغِيَّةٍ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا كَفَّ عَذْرَاءَ طِفْلَةٍ
إِذَا اضْطَرَبَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ تَخَالُهَا
وَبَرْقَ يَمَانِي أَرَقْتُ لِوَمُضِهِ
كَأَنَّ أَصْطِحَابَ الرُّعْدِ فِي جَنَابَتِهِ
تَخَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهَا فَعَاذِرُ
وَنَافَسَنِي فِي حُبِّهَا كُلُّ كَاشِحِ
فَكَمْ صَاحِبٍ أَلْقَاهُ يَحْمِلُ صَدْرُهُ
أَغَالِطُهُ قَوْلِي وَأَمَحَضَهُ الْوَفَا
وَمَنْ لَمْ يُغَالِطْ فِي الزَّمَانِ عَدُوَّهُ
فَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الَّتِي هَدَرْتُ دَمِي
إِلَيْكَ اسْتَتَرْتُ الْعَيْنَ مَحْلُولَةَ الْعُرَا
فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي تَذُوبُ وَمُهْجَتِي
أَقُولُ لِرَكْبٍ مُذْلَجِينَ هَفْتُ بِهِمْ
تَجِدُ بِهِمْ كُومَ الْمَهَارِي لَوَاغِبَا
تُصِيخُ إِلَى رَجْعِ الْحُذَاءِ كَأَنَّهَا
وَيَلْحَقُهَا مِنْ رَوْعَةِ السَّوْطِ جَنَّةُ
لَهْنٍ إِلَى الْحَادِي التِّفَاتَةِ وَامِقِ
أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الَّذِي خَامَرَ السُّرَى
قَفَا بِي قَلِيلًا وَانْظُرَا بِي أَشْتَفِي
فَكَمْ عَهْدَ صَدُقٍ مَرَّ فِيهِ وَأَعْصُرِ
أَبَيْتَ لَهَا دَامِي الْجُفُونِ مُسَهَّدَا

وَمَا هَاجَنِي إِلَّا عُصَيْفِيرُ رَوْضَةٍ
يَصِيحُ فَمَا أَدْرِي لِفُرْقَةٍ صَاحِبِ
كَأَنَّ الْعُصَيْفِيرَ اسْتَطْبِرَ فُؤَادَهُ
أَبُو الْمَجْدِ نَجْلُ الْجُودِ خَالُ زَمَانِهِ
قَشِيبُ الصَّبَا كَهْلُ التَّدَابِيرِ جَامِعُ
تَجَمَّعَ فِيهِ الْحِلْمُ وَالْبَأْسُ وَالنَّدَى
ذَكَاءُ «أَرْسَطَالِيسَ» فِي حِلْمٍ «أَحْنَفِ»
لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْغُيُوبِ وَفَوْقَهَا
فَنَظَرْتُهُ وَحْيٌ وَسَاكِنُ صَدْرِهِ
تَكَادُ لِعَلِّيَاهُ الْمَلَائِكُ تَرْتَمِي
أَرَاهُ فَيَمْحُونِي الْجَلَالُ وَأَنْتَحِي
وَتَوْهَمُنِي نَفْسِي الْكَذَابُ سَفَاهَةً
هُوَ السَّيْفُ فِي حَدِيدِهِ لِينٌ وَشِدَّةٌ
تَرَاهُ لَدَى الْخَطْبِ الْمُلِمِّ مُجَمَّعًا
لَهُ النَّظَرَةُ الشَّرَّاءُ يَعْقُبُهَا الرِّضَا
فَلَوْلَا نَدَى كَفَيْهِ أَوْقَدَ بَأْسُهُ
وَلَوْلَا ذَكَاهُ أَعَشَبَتْ بِيَمِينِهِ
لَهُ بَيْتٌ مَجْدٍ رَفَرَفَتْ دُونَ سَقْفِهِ
فَمَنْ رَامَهُ فَلْيَتَّخِذْ مِنْ قَصَائِدِي
فَيَا بَنَ الْأَلَى سَادُوا الْوَرَى وَأَنْتَهُوْا إِلَى
أَهْنِيكَ بِالْمُلْكِ الَّذِي طَالَ جِيدُهُ
لَسَوْدَتَهُ بِالْفَخْرِ قَابِيضٌ وَجْهُهُ
تَدَارَكْتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَادَ يَنْمَجِي
بَكَى زَمَنًا وَاغْبَرَ حَتَّى أَتَيْتَهُ
وَسُسْتُ الْوَرَى بِالْعَدْلِ حَتَّى تَشَوْقَا
وَجِئْتَ مَجِيءَ الْبَدْرِ مَدَّ شُعَاعَهُ
بِرَأْيٍ كَخَيْطِ الشَّمْسِ نُورًا تَخَالُهُ

عَلَى مَلْعَبٍ مِنْ دَوْحَةِ الضَّالِّ نَاعِمِ
كَرِيمِ السَّجَابِيَا أَمْ يُغْنِي لِقَادِمِ
سُرُورًا بِرَبِّ الْمَكْرَمَاتِ الْجَسَائِمِ
أَخُو الْفَخْرِ إِسْمَاعِيلُ خِذْنُ الْمَكَارِمِ
صُنُوفُ الْعُلَا وَالْمَجْدُ فِي صَدْرِ جَارِمِ
فَلَيْسَ لَهُ فِي مَجْدِهِ مِنْ مُزَاحِمِ
وَهَمُّهُ عَمَرُو فِي سَمَاحَةِ «حَاتِمِ»
عُيُونُ تَرَى الْأَشْيَاءَ لَا وَهْمٌ وَاهِمِ
فُؤَادُ خَبِيرٍ نَاطِقٌ بِالْعِظَائِمِ
عَلَى كَتِفَيْهِ كَالطُّيُورِ الْحَوَائِمِ
أَغَالِطُ أَفْكَارِي وَلَسْتُ بِحَالِمِ
أَلَا إِنَّمَا الْأَوْهَامُ طُرُقُ الْمَآثِمِ
فَتَلْقَاهُ حُلُوُ الْبَشَرِ مَرُّ الْمَطَاعِمِ
عُرَا الْحِلْمِ ثَبَتُ الْجَاشِ مَاضِي الْعَزَائِمِ
لِإِسْعَافِ مَظْلُومٍ وَإِزْغَامِ ظَالِمِ
لَدَى الرَّوْعِ أَطْرَافُ الظُّبَا وَاللَّهَازِمِ
قَنَا الْخَطُّ وَأَخْضَلَّتْ طُرُوسُ الْمَظَالِمِ
حَمَامُ الدَّرَارِي مُشْمَخِرُ الدَّعَائِمِ
سُطُورًا إِلَى مَرْقَاهُ مِثْلَ السَّلَالِمِ
تَمَامُ الْعُلَا مِنْ قَبْلِ نَزْعِ التَّمَائِمِ
بِعِزِّكَ حَتَّى حَلَّ بَيْتُ النُّعَائِمِ
بِأَسْمَرِ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ صَارِمِ
لِفِرْطِ تَبَارِيحِ الدُّهُورِ الْغَوَاشِمِ
فَعَادَ رَجِيبُ الصَّدْرِ طَلَقَ الْمُبَاسِمِ
إِلَيْكَ التَّوَى جِيدُ الدُّهُورِ الْقَدَائِمِ
عَلَى أُنْفُقِ الْبَجُونِ وَخُفِ الْقَوَادِمِ
فَرِنْدًا تَمْشَى فِي خُدُودِ الصَّوَارِمِ

لِيلَقَاكَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ قَاتِمٍ
إِلَى دَارِ قُسْطَنْطِينٍ سَعَى النَّسَائِمِ
وَحُلِدَّتْهُ فِي نَسْلِ مَجْدٍ أَكَارِمٍ
يَدَا خُلِقَتْ فِينَا لِبَذْلِ الْمَكَارِمِ
بِأَعْطَافِهَا فِي الْمَازِقِ الْمُتَلَاخِمِ
بِأَوْطَفَ سَاجٍ أَشْعَلَ الْبَرْقِ سَاجِمٍ
تَقَاسَمَهُ فِينَا أَكْفُ النَّوَاسِمِ
عَلَى الْأَرْضِ لَاحَتْ مِثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ
فَمِنْ أَرْبَدَ سَاجٍ وَأَحْوَرَ بَاغِمٍ
إِذَا الْعُودُ ضَمَّتْهُ أَكْفُ الْعَوَاجِمِ
وَلَا عَادَتِي نَعْتُ الصُّوَى وَالْمَعَالِمِ
لِيُوصِفَ مَعَالِيهِ الْعِظَامِ الْجَسَائِمِ
وَهَزَّتْ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيضِ قَوَائِمِي
أَزَاهِرُهُ كَالزَّهْرِ أَمْ نَظْمُ نَاطِمِ
لِجِدِّ غُلَاهُ فِي صُدُورِ الْمَوَاسِمِ
وَمَا اتَّجَهْتُ لِلْبَرْقِ نَظْرَةً شَائِمِ
وَشَخَّصُ الْغُلَا وَالنَّصْرِ فِي زِيِّ حَادِمِ

فَلَوْ مَضَرْتُ تَدْرِي أَرْسَلْتُ لَكَ نِيلَهَا
وَجَاءَتْ لَكَ الْأَهْرَامُ تَسْعَى تَشَوُّقًا
فَبُورِكْتَ فِي مُلْكٍ وَرَثْتُ ذِمَاءَهُ
بِهِمْ كُلُّ غَطْرِيفٍ يَمُدُّ إِلَى الْعُلَا
يَجُولُ مَجَالَ الْبَرْقِ وَالْخَيْلُ تَرْتَمِي
فَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءٌ بَاكَرَهَا الْحَيَا
يَصُوعُ بِهَا نَشْرُ الْعَبِيرِ فَتَغْتَدِي
إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ مِنْ خِلَالِ ظِلَالِهَا
يَقِيلُ بِهَا سِرْبُ الْمَهَا وَهُوَ آمِنٌ
بِالْطَّفِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ
وَمَا الشُّعْرُ مِنْ دَائِي وَلَا أَنَا شَاعِرُ
وَلَكِنْ حِدَانِي جُودُهُ فَاسْتَنَارَنِي
وَكَيْفَ وَجَدَوَاهُ ثَنَتْ ضَبَعَ هِمَّتِي
فَتِلْكَ لَالٌ أَمْ رَبِيعٌ تَفْتَحَتْ
وَمَا هُوَ إِلَّا عَقْدُ مَدْحٍ نَظْمَتُهُ
فَعِشْ مَا تَغْنَّتْ بِالْأَرَاكِ حَمَامَةٌ
لَكَ السَّعْدُ خِدْنٌ وَالْمَهَابَةُ صَاحِبُ

وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ: (من الكامل)

دَارُ لَهُ مَا هَوَلَةٌ وَمَقَامُ
بِيدِ الْفَنَاءِ جَوَابُهَا إِزْمَامُ
إِنَّ التَّذَكُّرَ لِلنَّفُوسِ غَرَامُ
كَأْسُ تُشَفِّ وَلِلْمُنَى الْإِمَامُ
فِيهَا السَّلَامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ
وَنَمَاهُمُ التَّبَجُّيلُ وَالْإِعْظَامُ
تَلْعَابُهُمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامُ
سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامُ

أَسْلُ الدِّيَارِ عَنِ الْحَبِيبِ وَفِي الْحَشَا
وَمِنْ الْعَنَاءِ سُؤَالُ خَاشِعَةِ الصُّوَى
ذَكَرَتْ بِهَا النَّفْسُ اللَّجُوجُ زَمَانُهَا
إِذْ لِلْهَوَى تَمَرُّ يَرِفُ وَلِلصَّبَا
تَسْتَنُّ فِيهَا الْعَيْنُ بَيْنَ مَخَانِسِ
فِي فِتْيَةٍ فَاضِ النَّعِيمِ عَلَيْهِمْ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شَيْمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى

كَالْبَدْرِ جَلَى صَفْحَتَيْهِ غَمَامٌ
بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بِسَامٌ
مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هُمَامٌ
وَتَسِيرُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْأَقْوَامُ
وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالْصُّفُوفُ قِيَامٌ
أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصَّبَا أَحْلَامٌ
هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامٌ
لَمَعَ السَّرَابُ وَتَنَقَّضِيَ الْأَعْوَامُ
أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الْأَيَّامُ
يَبْقَى وَعَاقِبَةُ النُّفُوسِ حِمَامٌ
بِالْكَاسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حَسَامٌ
إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ
بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غَلَامٌ
شَبَحًا تَحَارَّ لِذِكْرِهِ الْأَفْهَامُ
فَلَكَا تَحَفُّ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ
وَتَزَلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ
سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظِلَامٌ
سَلِسَتْ فَلَيْسَ لِذَوْقِهَا إِيْلَامٌ
بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامٌ
غَرًّا تَطِيرُ بِلُبِّهِ الْأَوْهَامُ
وَالدَّهْرُ فِيهِ صَحَّةٌ وَسَقَامٌ
دَاءٌ لَهُ دُونَ الشَّغَافِ عُقَامٌ
خَلَدَتْ وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مُقَامٌ
بَعْدَ النُّعِيمِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ
فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَحْلَامُ
وَأَتَى عَلَيَّ النُّقْضُ وَالْإِبْرَامُ

مَنْ كُلُّ أَبْلَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسُهُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحَسُّبُ أَنَّهُ
تَتَقَاصَرُ الْأَفْهَامُ دُونَ فِعَالِهِ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّءُوسُ خَوَاضِعُ
حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا
لَا تَحْسِنِ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدُ
لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مَخْلَبٍ
فَادِرًا هُمُومِ النَّفْسِ عَنكَ إِذَا اعْتَرَتْ
فَالْعَيْشَ لَيْسَ يَدُومُ فِي أَلْوَانِهِ
مَنْ خُمَرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَعَادَرِ جِسْمَهَا
حَمْرَاءَ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ
لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا
تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفَنَائِهِ
حَتَّى إِذَا رَقَدَتْ وَقَرَّ قَرَارُهَا
تَسْمُ الْعُيُونُ بِنَارِهَا لِكِنَّهَا
فَاصْغُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرَّةَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا
فَاطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ
هَذِي الْمَذَابِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
لَا شَيْءَ يَبْقَى غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةً
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورَ بَغِيرِهَا

وَإِذَا السُّكُونُ تَحَرَّكَ وَإِذَا الْخُمُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلَا حَيَاةَ مَنِيَّةُ
هَذَا يَحُلُّ وَذَلِكَ يَرْحَلُ كَارَهَا
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةً
دُ تَلَهَّبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامُ
تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَادُ وَهِيَ رِمَامُ
عَنْهُ فَصْلُحُ تَارَةً وَخِصَامُ
وَالْبَدءُ لَوْ فَكَرْتَ فِيهِ خِتَامُ

وقد رويت هذه القصيدة في كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي على
الشكل التالي: (من الكامل)

ذَهَبَ الصَّبَا وَتَوَلَّتِ الْيَّامُ
تَالَهُ أَنْسَى مَا حَبِيتُ عُهودَهُ
إِنْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرْفُ ظِلَالُهُ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَاسُ بَيْنَ مَجَالِسِ
فِي فِتْنَةٍ فَاضَ النِّعِيمُ عَلَيْهِمْ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شَيْمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهُوَى
مَنْ كُلُّ أَلْبَجٍ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسُهُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّءُوسُ خَوَاضِعُ
نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضِرِ حَدَائِقِ
حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا
لَا تَحَسِبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدُ
لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مَخْلَبٍ
فَادْرَأْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنْكَ إِذَا اغْتَرَّتْ
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي أَلْوَانِهِ
فَعَلَى الصَّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامُ
وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامِ ذِمَامُ
وَلَنَا بِمُعْتَرِكِ الْهُوَى آثَامُ
فِيهَا السَّلَامُ تَعَانُقُ وَلِزَامُ
وَنَمَاهُمُ التَّبَجِيلُ وَالْإِعْظَامُ
تَلْعَابِهِمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامُ
سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامُ
كَالْبَدْرِ حَلَى صَفْحَتَيْهِ عَمَامُ
بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحُ بَسَامُ
مَوْلَى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهُوَ هُمَامُ
وَتَسِيرُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْأَقْوَامُ
وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالْصُّفُوفُ قِيَامُ
لَيْسَتْ بِغَيْرِ خِيُولِنَا تُسْتَامُ
إِنَّ اللَّذَانَةَ وَالصَّبَا أَحْلَامُ
هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنَقَّضِي الْأَعْوَامُ
أَوْ صَادِرُ تَجْرِي بِهِ الْيَّامُ
يَبْقَى وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامُ
بِالْكَاسِ فَهِيَ عَلَى الْهُمُومِ حَسَامُ
إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَبَامُ

بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامٌ
شَبَحًا تَهَاوَتْ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
فَلَكَا تَحُفُّ سَمَاءُهُ الْأَجْرَامُ
وَتَزَلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الْأَقْدَامُ
سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
نُورٌ وَلَمْ يَسْرَخْ عَلَيْهِ ظَلَامُ
وَتَبَّتْ فَلَمْ تَنْبُتْ لَهَا الْأَجْسَامُ
بِالْمَاءِ بَعْدَ الْمَاءِ شَبَّ ضِرَامُ
بَرْدٌ عَلَى شُرَابِهَا وَسَلَامُ
غَرًّا تَطْيِشُ بِلَبِّهِ الْأَلَامُ
وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامُ
دَاءٌ لَهُ لَوْ يَسْتَبِينُ عُقَامُ
خَلَدَتْ وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مُقَامُ
بَعْدَ النُّظَامِ وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ
فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الْأَحْلَامُ
وَأَتَى عَلَى النَّقْضِ الْإِبْرَامُ
دُ تَلَهُبُ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلَامُ
تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَادُ وَهِيَ رِمَامُ
عَنْهُ فَصْلُحُ تَارَةٌ وَخِصَامُ
وَالْبَدءُ لَوْ فَكَرَتْ فِيهِ خِتَامُ

مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَعَادَرَ جِسْمَهَا
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ
لَا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا
تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفَ لَمْ يَصِلْ لِفَنَائِهِ
حَتَّى إِذَا اصْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا
وَقَدَّتْ حَمِيَّتَهَا فَلَوْلَا مَرْجُهَا
تَسْمُ الْعُيُونُ بِنُورِهَا لَكِنَّهَا
فَاصْقَلُ بِهَا صَدَأُ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا
فَاطْمَحَ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ
هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
لَا شَيْءَ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةَ
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْأُمُورُ بِغَيْرِهَا
فَإِذَا السُّكُونُ تَحَرَّكَ وَإِذَا الْخُمُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلَا حَيَاةَ مَنِيَّةٍ
هَذَا يَحُلُ وَذَلِكَ يَرْحَلُ كَارَهَا
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةً

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ: (من الطويل)

وَقَلَّ لَهَا مِنَّا تَحِيَّةُ قَادِمٍ
وَمَسْقَطُ أُنْدَاءٍ وَمَسْرَى نَسَائِمٍ
جَدَاوِلُ تُسْقِيهِ سُلَافُ الْغَمَائِمِ
مَسِيرًا وَتَنْسَلُ أَنْسِلَالُ الْأَرَاqِمِ
رَفِيفُ الثَّنَائِيَا خَلْفَ حُمْرِ الْمَبَاسِمِ

أَلَا حَيِّ بِالْمِقْيَاسِ رِيًّا الْمَعَالِمِ
مَلَاعِبُ آرَامٍ وَمَأْوَى حَمَائِمِ
أَحَاطَتْ بِهِ لِلْنَّيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَدُورُ مَدَارَ الطُّوقِ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِي
إِذَا ضَاكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ مُتُونُهَا

وَإِنْ سَلَسَلْتُهَا الرِّيحُ أَبَدْتُ سَبَائِكًا
تَجُوسُ خِلَالَ الْبَاسِقَاتِ وَتَنْتَهِي
تَرَى حَوْلَهَا الْأَشْجَارَ وَلَهَى مُكِبَّةً
وَمُنْبَعَثَاتٍ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهَا
مِنَ اللَّاءِ قَدْ أَلَيْنَ يَشْرِبْنَ أَوْ تَلِي
إِذَا لَاعَبَتْ أَغْرَفَهَا الرِّيحُ خِلْتَهَا
يَلُوحُ بِهَا طَلْعُ نَضِيدٍ كَأَنَّهُ
إِذَا مَا أَتَى مِيقَاتُهَا وَتَضَرَّجَتْ
مَسَارِحُ لَهْوٍ لَوْ رَأَى الشَّعْبُ حُسْنَهَا
ذَكَرَتْ بِهَا عَصْرًا تَوَلَّى وَلَذَّةً
وَمَا تَحْسُنُ الْأَيَّامُ إِلَّا بِأَهْلِهَا
فَيَا نِعَمَ مَا وَلَّتْ بِهِ دَوْلَةُ الصَّبَا
إِذِ الْعَيْشُ أَفْنَانٌ وَنَحْنُ عِصَابَةٌ
نَسِيرُ عَلَى دِينِ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
إِذَا قَالَ مِنَّا قَائِلٌ قَامَ دُونَهُ
يَحُومُ عَلَيْهِ وَالْمَنَايَا مُسِفَّةٌ
إِذَا أَلْهَبَتْهُ غَضَبَةٌ وَتَرَجَّجَتْ
فَقَدْ مَرَّ ذَاكَ الْعَصْرُ إِلَّا لَبَانَةٌ
إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ يَوْمًا تَرَاجَعَتْ
وَمَنْزِلَةٌ لِلْأُنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا
عَفَتْ وَكَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ وَالتَّقَتْ
وَمَا حَيْرَ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا
عَلَى هَذِهِ تَمْضِي اللَّيَالِي وَيَنْقُضِي

مُقَدَّرَةٌ كَالْوَشْمِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ
إِلَى سَاعِدٍ فِي غَمْرَةِ الذِّلِّ سَاجِمِ
عَلَى الْمَاءِ فَعَلَ الصَّادِيَّاتِ الْحَوَائِمِ
بَيَارِقُ لَهْوٍ رُكِّزَتْ فِي الْمَوَاسِمِ
مَنَابِتُهَا غُورُ الْبِحَارِ الْخَضَارِمِ
فَوَارِسُ تَعَصُّو بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
فَرَائِدُ سَاوَى بَيْنَهَا كَفُّ نَاطِمِ
حَسِبْتُ عَقِيقًا فِي صِحَافِ الْكَمَائِمِ
لَعَضُ عَلَى مَا فَاتَهُ بِالْأَبَاهِمِ
تَقَضَّتْ وَمَا عَهْدُ الزَّمَانِ بِدَائِمِ
وَلَا الدَّارُ إِلَّا بِالصَّدِيقِ الْمُتَلَائِمِ
وَلَمْ تَرْعُهُ مِنْ عَهْدِنَا الْمُتَقَادِمِ
أُولُو تَرْفٍ مَا بَيْنَ غَادٍ وَهَائِمِ
سَوَى الْحُبِّ مِنْ قَاضٍ عَلَيْنَا وَحَاكِمِ
شَهِيدٌ عَلَيْهِ صَادِقٌ غَيْرُ آثِمِ
وَيَدْرَأُ عَنْهُ فِي صُدُورِ اللَّهَازِمِ
بِهِ سَوْرَةٌ أَغْرَى الطُّبَّا بِالْجَمَاجِمِ
مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ
عَلَيْهَا عَقَابِيلُ الْهُمُومِ الْقَدَائِمِ
وَنَزَعَى بِهَا اللَّذَّاتِ رَغَى السَّوَائِمِ
عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيَّاحِ الْهُوَاجِمِ
وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمِ
حَدِيثُ الْمُنَى فِيهَا كَأَحْلَامِ نَائِمِ

وَقَالَ وَكَتَبَ بِهَا مِنْ حَرْبِ رُوسِيَا سَنَةً أَرْبَعَ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفَ هِجْرِيَّةٍ إِلَى صَدِيقِهِ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ «حُسَيْنِ الْمَرْصَفِيِّ»: (من السريع)

أَسْهَرْتَنِي فِيكَ وَنَامَ الْأَنَامُ
وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طَيْبَ الْمَنَامِ
جَرَعَنِي بِالصَّدِّ مَرَّ الْحِمَامِ
قَوْلِي آه يَا بَنَ وَدِّي حَرَامِ
تَأْتِي وَلَا الطِّيفُ يُؤَافِي لِمَامِ
فِيكُمْ وَقَلْبٌ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامِ
بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمُقَامِ
وَالْبُرءُ لِي فِيهِ مَعَا وَالسَّقَامِ
أَوْ رِيشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامِ
أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الدَّمَامِ
فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي أَلْفُ عَامِ
إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلًا صِيَامِ
ارْجِعْ وَرَاءَ إِنَّهُ لَا أَمَامِ
وَيَنْقُضِي النُّورَ وَيَأْتِي الظَّلَامِ
وَلَا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلَامِ
لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامِ
سَوَادُ جَيْشٍ مُكْفَهَرٍ لِهَامِ
فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا، يَا هُمَامِ؟

يَا نَاعَسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامِ
أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي
وَيْلَاهُ مِنْ ظُبِّي الْحَمَى إِنَّهُ
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِي آه وَهَلْ
لَا كُتِبُهُ تَتَرَى وَلَا رُسْلُهُ
اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَانْقَضَتْ
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا
يَا لَيْتَنِي فِي السَّلَكِ حَزَفٌ سَرَى
حَتَّى أُوَافِي مِصْرَ فِي لَحْظَةٍ
مَوْلَايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى
أَنْظُرْ حَوْلِي لَا أَرَى صَاحِبًا
وَدِيدَبَانًا صَارَخًا فِي الدُّجَى
يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى
وَلَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى
فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ دَبْرِجَةٍ
وَرَاءَنَا الْبَحْرُ وَتِلْقَاءُنَا
فَتِلْكَ حَالِي لَا رَمَتْكَ النَّوَى

وَقَالَ: (من الخفيف)

وَادَّعُ بِاسْمِي تُجَبِّكَ وَرُقُ الْحَمَامِ
بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالْأَكَامِ
وَتَنَاقَلْنَ مَا حَلَا مِنْ هَيَامِي
أَتَقَرَّرِي مَلَاعِبَ الْأَرَامِ

حَيَّ مَغْنَى الْهُوَى بَوَادِي الشَّامِ
هُنَّ يَعْرِفُنَنِي بِطُولِ حَنِينِي
فَلَقَدْ طَالَمَا هَتَفَنَ بِشَدْوِي
وَلَكُمْ سِرْتُ كَالنَّسِيمِ عَلِيلاً

بِخُيُوطِ الدُّمُوعِ أَيْدِي الْغَرَامِ
بِاسْمَا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْخِيَامِ
وَيَغُرُّ الْحَلِيمَ بِالْأَوْهَامِ
صُورٌ لَا تَزُولُ كَالْأَحْلَامِ
أَذْكَرْتَنِي مَا كَانَ مِنْ أَيَّامِي
نَتَعَاطَاهُ بَيْنَنَا كَالْمُدَامِ
عَنْهُ سِتْرُ الْخِيَالِ لَحْ أَمَامِي
أَهْلَ ذَاكَ الْحِمَى عَبِيرَ سَلَامِي
فَرَطٌ وَجْدِي بِهِمْ وَطُولُ سَقَامِي
أَوْ كِتَابٍ إِنْ لَمْ أَفْزَ بِلِمَامِ
وَأَذَلُّوا لِلْعَاذِلِينَ خَطَامِي
قَذَفَاتٍ مِنْ لُجٍّ أَخْضَرَ طَامِي
مِنْ هَيْجٍ وَتَرْتَمِي بِاللُّغَامِ
خَافِقَاتِ الْبُنُودِ وَالْأَعْلَامِ
فِي فِضَاءٍ بَيْنَ السُّهَى وَالرَّغَامِ
لَيْسَ يُثْنِي جَمَاحَهَا بِلِجَامِ
خُشْعًا بَيْنَ رُكْعٍ وَقِيَامِ
لِيَدِيهِ وَرَاعِفُ الْأَنْفِ دَامِي
حَذَرُ الْمَوْتِ وَالْعُيُونِ سَوَامِي
لِجَلَالِ الْمُهَيِّمِينَ الْعِلَامِ
فِيهِ خُوصُ الْمَطِيِّ مِثْلُ النَّعَامِ
فِي إِسَارِ الْهُوَى بِأَرْضِ الشَّامِ
وَحِدَاغُ الْمُنَى غِذَاءُ الْأَنَامِ
بِشَكِيٍّ مَا فَاتَنِي مِنْ مَرَامِ
عَبَقَاتِ كَالنُّورِ فِي الْأَكْمَامِ
وَقَلِيلُ فِي النَّاسِ رَغْبَى الدَّمَامِ
بِنَسِيمِ الْأَزْوَاجِ لَا الْأَجْسَامِ

فِي شِعَارٍ مِنَ الضَّنَى نَسَجْتُهُ
كُلَّمَا شَمْتُ بَارِقًا خِلْتُ تَغْرًا
وَالْهُوَى يَجْعَلُ الْخِلَاجَ يَقِينًا
خَطَرَاتُ لَهَا بِمِرَاةٍ قَلْبِي
مَا تَجَلَّتْ عَلَى الْمَخِيلَةِ إِلَّا
ذَاكَ عَصْرٌ خَلَا وَأَبْقَى حَدِيثًا
كُلَّمَا زَحَزَحْتَ بَنَانَهُ فِكْرِي
يَا نَسِيمَ الصَّبَا فِدَيْتُكَ بَلَّغْ
وَأَقْضِ عَنِّي حَقَّ الزِّيَارَةِ وَأَذْكَرْ
أَنَا رَاضٍ مِنْهُمْ بِذِكْرَةٍ وَدِّ
هُمْ أَبَاحُوا الْهُوَى حَرِيمَ فَوَادِي
أَتَمَنَاهُمْ وَدُونَ التَّلَاقِي
صَائِلُ الْمَوْجِ كَالْفُحُولِ تَرَاعَى
وَتَرَى السُّفْنَ كَالْجِبَالِ تَهَادَى
تَعْتَلِي تَارَةً وَتَهْبِطُ أُخْرَى
هِيَ كَالدُّهْمِ جَامِحَاتٌ وَلَكِنْ
كُلُّ أَرْجُوحةٍ تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا
لَا يُفَيِّقُونَ مِنْ دُورٍ فَهَآؤِ
يَسْتَغِيثُونَ فَالْقُلُوبُ هَوَافٍ
فِي وَعَاءٍ يَحْدُونَهُ بِدُعَاءِ
ذَاكَ بَحْرٍ يَلِيهِ بَرٌّ تَرَامِي
فَسَوَادِي بِمِصْرٍ ثَاوٍ وَقَلْبِي
أَخْذَعُ النَّفْسَ بِالْمُنَى وَهِيَ تَأْبَى
فَمَتَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ فَالْقَى
هُوَ خُلٌّ لِبِسْتُ مِنْهُ خِلَالًا
صَادِقُ الْوُدِّ لَا يَخِيسُ بَعْدُ
جَمَعْتَنَا الْآدَابُ قَبْلَ التَّلَاقِي

وَبَلَّغْنَا بِالْوُدِّ مَا لَمْ يَنْلُهُ
فَلَيْتُنْ لَمْ نَكُنْ بِأَرْضِ فَإِنَّا
وَأَتْلَافُ النُّفُوسِ أَصْدَقُ عَهْدًا
الْمَعِيَّ لَهُ بَدِيدُهُ رَأْيِي
وَقَرِيضُ كَمَا وَشَتْ نَسَمَاتُ
هَزَنِي شَعْرُهُ فَأَيْقِظْ مِنِّي
سُمْتُهَا الْقَوْلُ بَعْدَ لَأَيِّ فَبَضَّتْ
فَارِضُ مِنِّي بِمَا تَيْسَرُ مِنْهَا
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ شَرَحَ وِذَايِي
أَنَا أَهْوَاكَ فِطْرَةً لَيْسَ فِيهَا
وَإِذَا الْحُبُّ لَمْ يَكُنْ ذَا دَوَاعٍ
فَتَقَبَّلْ شُكْرِي عَلَى حُسْنِ وَدِّ
أَتْبَاهِي بِهِ إِذَا كَانَ غَيْرِي
دُمْتَ فِي نِعْمَةٍ تَرَفُّ حُلَاهَا

أَبْيَاتٌ وَرِسَالَةٌ:

وَكَانَ الْأَمِيرُ «شَكِيبُ أَرْسَلَان» ذَكَرَ أَبْيَاتًا لِصَاحِبِ هَذَا الدِّيَّوَانِ فِي بَعْضِ مَقَالَتِهِ
الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُرَاسِلُ بِهَا جَرِيدَةَ الْأَهْرَامِ وَأَتْنَى عَلَى قَائِلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَرِّحَ بِاسْمِهِ
ثُمَّ أَوْرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْيَاتًا فِي مَقَالَةٍ أُخْرَى نَوَّهَ فِيهَا بِاسْمِهِ فَقَالَ يَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ. وَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَبِالرِّسَالَةِ بَعْدَهَا: (من الطويل)

أَشَدَّتْ بِذِكْرِي بَادِيًا وَمُعَقِّبًا
وَمَا ذَاكَ ضِنًّا بِالْوِدَادِ عَلَى امْرِئٍ
فَأَمَّا وَقَدْ حَقَّ الْجَزَاءُ فَلَمْ أَكُنْ
وَكَيْفَ أَدُودُ الْفَضْلِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
وَأَنْتَ الَّذِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي وَرَشْتَنِي
لَكَ السَّبْقُ دُونِي فِي الْفَضِيلَةِ فَاشْتِمِلْ
وَدُونُكَهَا يَا بَنَ الْكِرَامِ حَبِيرَةً
وَأَمْسَكْتُ لَمْ أَهْمِسْ وَلَمْ أَتَكَلَّمْ
حَبَانِي بِهِ لَكِنْ تَهَيَّبْتُ مَقْدَمِي
لَأَنْطِقَ إِلَّا بِالتَّنَائِ الْمُنْمَنَمِ
وَأُنَكِّرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ بَعْدَ تَوَسُّمِ
بِقَوْلِ سَرَا عَنِّي قِنَاعِ التَّوَهُمِ
بِحُلَّتِهَا فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
مَنْ النُّظْمِ سَدَاهَا بِمَدْحِ الْعُلَا فَمِي

ثم أردف هذه القصيدة بالرسالة النثرية الآتية:

«هَذِهِ أَبْيَاتٌ تَفْطَرْتُ بِهَا الْقَرِيحَةَ بَعْدَ الْعُغْمِ، وَتَنْفَسْتُ لَهَا الطَّبِيعَةَ بَعْدَ مُعَانَاةِ السَّقَمِ. جَعَلْتُهَا شُكْرًا لِمَا قَرَأْتُهُ فِي الْأَهْرَامِ مِنْ عَوَاطِفِ الْبِرِّ لَهَا وَالْإِكْرَامِ. وَلَوْلَا أَنِّي فِي مَكَانٍ حَرِيدٍ، وَقَدْ حَانَ قِيَامُ الْبَرِيدِ، لَأَطْلُتُ عَنَانَ الثَّغَاءِ، وَمَلَأْتُ صَدْرَ الْإِنَاءِ. وَلَسَوْفَ أَفِي بِذِمَّةِ الْوَعْدِ، إِنَّ أَضَاءَ نَجْمِ السَّعْدِ، فَاقْبَلْ مِنِّي عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ سَلَامًا عَلَى جَنَاحِ الْبِدَارِ.»

وَقَالَ يَزْنِي وَالِدَتَهُ وَقَدْ وَرَدَ نَعِيْهَا وَهُوَ فِي الْحَرْبِ: (من الطويل)

فَلَمَّا مَلَكَتُ السَّبْقَ عَفْتُ التَّقْدِمَا
مِنَ الْعَيْشِ هَمًّا يَتْرُكُ الشَّهْدَ عَلَقَمَا
مَصَائِبُ لَوْ حَلَّتْ بِنَجْمٍ لِأُظْلَمَا
فَسَيَّانَ مَنْ حَلَّ الْوَهَادَ وَمَنْ سَمَا
وَنَلَهُوَ كَأَنَّا لَا نَحَازِرُ مَنَدَمَا
فَإِنْ نَالَهَا أَنْحَى لِأُخْرَى وَصَمَّمَا
مِنَ الْبُؤْسِ لَا يَعْدُوهُ أَوْ يَتَحَطَّمَا
وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةِ لَأَنْتَمَى
نَحْلٌ كَمَا حَلُّوا وَنَزَحَلُ مَثَلَمَا
تُشِيدُ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثًا مُرَجَّمَا
أَنَاحَ عَلَى أَشْجَانِهِ أَمْ تَرَنَّمَا
يَمِيلُ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوَّمَا
رَأَهُ فَيَا لِلَّهِ كَيْفَ تَهَكَّمَا
جِرَافًا وَمَنْ يَبْكِي لِعَهْدٍ تَجَرَّمَا
وَكَانَ بُوْدِي أَنْ أُمُوتَ وَيَسْلَمَا
كَمَا يَفْقِدُ الْمَرْءُ الزُّلَالَ عَلَى الظَّمَا
غَرَامَ عَلَيْهَا شَفَّ جِسْمِي وَأَسْقَمَا
وَطَيْفُ يُوَافِينِي إِذَا الطَّرْفُ هَوَّمَا
سُرُورًا فَخَابَ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ مِنْهُمَا
لَقَطَعْتُ نَفْسِي لَهْفَةً وَتَنَدَّمَا

هَوَى كَانَ لِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعَلَّمَا
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسْرُهُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي حَيَاةٍ وَرَاءَهَا
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ حَيٍّ مَنِيَّةُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنَا نَرَى الْحَقَّ جَهْرَةً
يَوَدُّ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ لُبَانَةً
طَمَاعَةً نَفْسٍ تَوَرَّدَ الْمَرْءَ مَشْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَيٍّ غَافِلًا عَنْ مَصِيرِهِ
فَأَيْنَ الْأَلَى شَادُوا وَبَادُوا أَلَمْ نَكُنْ
مَضُوءًا وَعَفْتُ آثَارَهُمْ غَيْرَ ذُكْرَةٍ
سَلِ الْأَوْرَقَ الْغَرِيدَ فِي عَذَابَتِهِ
تَرَجَّحَ فِي مَهْدٍ مِنَ الْأَيْكِ لَا يَنْبِي
يَنُوحُ عَلَى فَقْدِ الْهَدِيدِ وَلَمْ يَكُنْ
وَشَتَّانَ مَنْ يَبْكِي عَلَى غَيْرِ عَزْفَةٍ
لِعَمْرِي لَقَدْ غَالَ الرَّدَى مَنْ أَحْبَبَهُ
وَأَيُّ حَيَاةٍ بَعْدَ أَمٍّ فَقَدْتُهَا
تَوَلَّتْ فَوَلَّى الصَّبْرُ عَنِّي وَعَادَنِي
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُكْرَةٌ تَبْعَثُ الْأَسَى
وَكَاثَتْ لِعَيْنِي قُرَّةٌ وَلِمُهْجَتِي
فَلَوْلَا اِغْتِقَادِي بِالْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ

فَيَا خَبِيرًا شَفِّ الْفُؤَادَ فَأَوْشَكْتَ
إِلَيْكَ فَقَدْ ثَلُمْتَ عَرْشًا مُمَنَّعًا
أَشَادَ بِهِ النَّاعِي وَكُنْتُ مُحَارِبًا
وَطَارَتْ بِقَلْبِي لَوْعَةٌ لَوْ أَطْعَمْتُهَا
وَلَكِنِّي رَاجِعْتُ حِلْمِي لِأَنْتَنِي
فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْجُنْدُ صَبْغٌ مِنَ الدُّجَى
صَرَفْتُ عَنَانِي رَاجِعًا وَمَدَامِعِي
فَيَا أُمَّتَا زَالَ الْعِزَاءُ وَأَقْبَلَتْ
وَكُنْتُ أَرَى الصَّبْرَ الْجَمِيلَ مَثُوبَةً
وَكَيْفَ تَلَدُّ الْعَيْشَ نَفْسٌ تَدْرَعَتْ
تَأَلَّمْتُ فَقْدَانَ الْأَحَبَّةِ جَازِعًا
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَكَ سَقِيمَةً
بَلَغْتَ مَدَى تَسْعِينَ فِي خَيْرِ نِعْمَةٍ
إِذَا زَادَ عُمْرُ الْمَرْءِ قَلَّ نَصِيبُهُ
فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا تُرَابًا وَلَمْ نَكُنْ
أَبَى طَبْعُ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ يَتَكْرَمَا
أَصَابَ لَدَيْنَا غِرَّةٌ فَأَصَابَنَا
وَكَيْفَ يَصُونُ الدَّهْرُ مُهْجَةً عَاقِلٍ
هُوَ الْأَزْلَمُ الْخَدَاعُ يَخْفِرُ إِنْ رَعَى
فَكَمْ حَانَ عَهْدًا وَاسْتَبَاحَ أَمَانَةً
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَخْنَتْ بِصَرْفِهَا
وَإِنِّي لِأَدْرِي أَنَّ عَاقِبَةَ الْأَسَى
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَرَى الصَّبْرَ سُبَّةً
وَكَيْفَ أَرَانِي نَاسِيًا عَهْدَ خُلَّةٍ
وَلَوْلَا أَلِيمُ الْخَطْبِ لَمْ أَمِرْ مُقَلَّةً
فَيَا رَبَّةَ الْقَبْرِ الْكَرِيمِ بِمَا حَوَى
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ فِدْيَةَ رَاحِلٍ

سُوَيْدَاؤُهُ أَنْ تَسْتَحِيلَ فَتَسْجُمَا
وَفَلَلْتَ صُمُصَامًا وَذَلَلْتَ ضَيْغَمًا
فَأَلْقَيْتُ مِنْ كَفِي الْحُسَامِ الْمُصَمَّمَا
لَأَوْشَكَ رُكْنُ الْمَجْدِ أَنْ يَتَهَدَّمَا
عَنِ الْحَرْبِ مَحْمُودَ اللَّقَاءِ مُكْرَمًا
وَعَادَ كِلَا الْجَيْشَيْنِ يَرْتَادُ مَجْتَمَا
عَلَى الْخَدِّ يَفْضَحْنَ الضَّمِيرَ الْمُكْتَمَا
مَصَائِبُ تَنْهَى الْقَلْبَ أَنْ يَتَلَوَّمَا
فَصِرْتُ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَنَّمَا
مِنَ الْحُزْنِ ثَوْبًا بِالدُّمُوعِ مُنَمَّمَا
وَمَنْ شَقَّه فَقَدْ الْحَبِيبُ تَأَلَّمَا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي التَّرَبِّ أَعْظَمَا
وَمَنْ صَحِبَ الْأَيَّامَ دَهْرًا تَهَدَّمَا
مِنَ الْعَيْشِ وَالنُّقْصَانِ أَفَّةً مَنْ نَمَا
خُلِقْنَا وَلَمْ نَقْدَمْ إِلَى الدَّهْرِ مَقْدَمَا
وَكَيْفَ يَدِي مَنْ كَانَ بِالْبُخْلِ مُعْرَمًا
وَأَبْصَرَ فِينَا ذِلَّةً فَتَحَكَّغَمَا
وَقَدْ أَهْلَكَ الْحَيَيْنَ عَادَا وَجُرْهُمَا
وَيَغْدِرُ إِنْ أَوْفَى وَيُضْمِي إِذَا رَمَى
وَأَخْلَفَ وَعَدَا وَاسْتَحَلَّ مُحَرَّمَا
عَلَيَّ فَأَيُّ النَّاسِ يَبْقَى مُسَلَّمَا
وَإِنْ طَالَ لَا يُرْوِي غَلِيلًا تَضَرَّمَا
عَلَيْهَا وَتَرْضَى بِالتَّلَّهِفِ مَغْنَمَا
أَلِفْتُ هَوَاهَا نَاشِئًا وَمُحَكَّمَا
بِدَمْعٍ وَلَمْ أَفْغَرْ بِقَافِيَةٍ فَمَا
وَقَتِكَ الرَّدَى نَفْسِي وَأَيْنَ وَقَلَّمَا
تَخَرَّمَهُ الْمِقْدَارُ فَيَمُنْ تَخَرَّمَا؟

سَقَتَكَ يَدُ الرُّضْوَانِ كَأْسَ كَرَامَةٍ
وَلَا زَالَ رِيحَانُ التَّحِيَّةِ نَاضِرًا
لِيَبْكُ عَلَيْكَ الْقَلْبُ لَا الْعَيْنُ إِنَّنِي
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ
مَنْ الْكَوْثَرِ الْفَيَاضِ مَعْسُولَةَ اللَّمَى
عَلَيْكَ وَهَفَافُ الرُّضَا مُتَنَسِّمًا
أَرَى الْقَلْبَ أَوْفَى بِالْعُهُودِ وَأَكْرَمًا
وَمَا حَنَّ طَيْرٌ بِالْأَرَاكِ مُهَيِّنِمَا
إِلَى الْحَشْرِ إِذْ يَلْقَى الْأَخِيرُ الْمُقَدَّمَا

وَقَالَ يَرِثِي أَحَدَ قَوَادِ الْجَيْشِ وَقَدْ مَاتَ بِأَقْرِيطِشَ: (من المنسرح)

أَيُّ فَتَى لِلْعَظِيمِ نَنْدُبُهُ
أَسْلَمَهُ صُحْبُهُ وَمَا عَلِمُوا
زَالَ الْأَلَى حَازَرُوا مَصَارِعَهُمْ
طَاحَ بِجُثْمَانِهِ الرَّدَى وَرَقَا
نِعْمَ فَتَى الْحَرْبِ فِي الْهِيَاجِ إِذْ
قَدْ أَلْفَتْ صُحْبَةَ الْقَنَا يَدُهُ
لَيْسَ بِهَيَّابَةٍ وَلَا وَكَلٍ
إِنْ صَالَ فَلَّ الْعِدَا بِصَوْلَتِهِ
يَنْكَغِفُ الْجَيْشُ حِينَ يَفْجُوهُ
بَكَى بِدَمْعِ الْفَرْنِدِ صَارِمُهُ
فَمَنْ إِلَى مَلَجِ الضُّعِيفِ إِذَا
وَمَنْ يَقُودُ الزُّحُوفَ رَاجِفَةً
مَاتَ وَأَبْقَى شَجَى لِفُرْقَتِهِ
فَازْهَبْ عَلَيْكَ السَّلَامُ مَنْ بَطَلَ

شَاطَ عَلَى أَنْصِلِ الرِّمَاحِ دَمُهُ
أَنْ سَوْفَ يَمْحُو وَجُودُهُمْ عَدَمُهُ
وَلَمْ تَزُلْ عَنْ مَكَانِهَا قَدَمُهُ
إِلَى سَمَوَاتِ رَبِّهِ نَسَمُهُ
شَبَّ لَطَى الْبِأَسَاءِ وَاعْتَلَى ضَرْمُهُ
وَاعْتَادَ لَبِيكَ فِي السَّمَاحِ فَمُهُ
بَلَّ صَادِقٌ فِي اللَّقَاءِ مُعْتَرِفُهُ
أَوْ قَالَ أَرَوْتَ مُشَاشَنَا كَلِمُهُ
وَيَضَعُ الْقُرْنَ حِينَ يَلْتَزِمُهُ
وَأَنْشَقَّ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ قَلَمُهُ
أَقْبَلَ لَيْلٌ وَأَطْبَقَتْ ظِلْمُهُ
وَالْيَوْمُ بِالْحَرْبِ سَاطِعٌ قَتَمُهُ
يَكَادُ يَفْرِي قُلُوبَنَا أَلَمُهُ
مَاتَ وَعَاشَتْ مِنْ بَعْدِهِ نَعْمُهُ

وَقَالَ يَفْتَحِرُ: (من الطويل)

سَلَامَةٌ عَرْضِي فِي خِفَارَةِ صَارِمِي
بَلَغْتُ عَلَا لَا يَبْلُغُ النَّجْمُ شَاوَهَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْرَبْ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبَا
وَإِنْ كَانَ مَالِي نُهْبَةً لِلْمَكَارِمِ
إِذَا هُوَ لَمْ يَنْهَضْ لَهَا بِقَوَادِمِ
فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ عِدَادِ الْبَهَائِمِ

فَأَيَّةُ أَرْضٍ لَمْ تَجِبْهَا سَوَابِقِي وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا هَبْوَةٌ مِنْ كِتَابِي
وَلَا الشَّهْبُ إِلَّا لَمْعَةٌ مِنْ لَهَائِمِي جَنَانُ تَحِيدُ الْأَسَدُ عَنْهُ وَعَزْمَةٌ
وَلَكِنَّنِي أَمْسَيْتُ لِلْحُبِّ خَاضِعًا وَبِي مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ حَوْرَاءُ طِفْلَةٌ
لَهَا نَظْرَةٌ لَوْ خَامَرَتْ قَلْبَ حَازِمٍ أَطَعْتُ الْهَوَى فِيهَا وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا
وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أَدِينُ لِحُكْمِهَا فَقَلْبِي حُرٌّ لَا يَدِينُ لِمُؤَلَّةٍ

وَقَالَ فِي هَوَى لَهُ وَقَدْ مَرَضَ: (مَنْ الْمَدِيدُ)

دَعِ حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا سَقَمُ كَيْفَ حَلَّ السَّقَمُ فِي بَدَنِ
يَا لَهَا مِنْ لَوْعَةٍ شَعَبَتْ مَنَعُونِي عَنْ زِيَارَتِهِ
حَكَمُوا أَنِّي بِهِ دَنَفٌ أُولُوا وَجْدِي بِهِ عَبْتًا
أَتَهْمُونِي فِي مَوَدَّتِهِ رَبِّ قَنَعُهُمْ بِفِرْيَتِهِمْ
وَأَشْفِ نَفْسًا أَنْتَ بَارَتْهَا فَيَنْفَسِي لَا بِهِ الْأَلَمُ
خُلِقْتُ مِنْ حُسْنِهِ النِّعَمُ رُكُنَ قَلْبِي وَهُوَ مُلْتَمِّمٌ
وَحِمَى قَلْبِي لَهُ حَرَمٌ أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي حَكَمُوا
لِيَتَّهَمُوا قَالُوا بِمَا عَلِمُوا وَالْهَوَى مِنْ شَأْنِهِ التَّهَمُ
وَأَنْتَصِفُ مِنْهُمْ بِمَا زَعَمُوا فَإِلَيْكَ الْبُرءُ وَالسَّقَمُ

وَقَالَ مُنَوَّهَا بِبَعْضِ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ أُعْجِبَ بِهِمْ فَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَنَسَجَ عَلَى
مِنْوَالِهِمْ وهم:

- (١) أَبُو نُوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَانِي.
- (٢) وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ.
- (٣) وَأَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ.
- (٤) وَأَبُو عَبَادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبِيدِ الْبَحْرِيِّ.
- (٥) وَأَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّي. (من الطويل)

وَأَذْرَكَ لَمْ يُسَبِّقْ وَلَمْ يَأْلُ «مُسْلِمٌ»
شُهُودُ الْمَعَانِي بِالَّتِي هِيَ أَحْكَمُ
عَلَيَّ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَشَيْءٌ مُنَمَّمٌ
تَبَدُّ الْخُطَى مَا بَعْدَهَا مُتَقَدِّمٌ
سَبَقْتُ إِلَى أَشْيَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

مَضَى «حَسَنٌ» فِي حَلْيَةِ الشَّعْرِ سَابِقًا
وَبَارَاهِمًا «الطَّائِي» فَاعْتَرَفْتُ لَهُ
وَأَبْدَعَ فِي الْقَوْلِ «الْوَلِيدُ» فَشِعْرُهُ
وَأَذْرَكَ فِي الْأَمْتَالِ «أَحْمَدُ» غَايَةً
وَسَرْتُ عَلَى آثَارِهِمْ وَلَرَبُّمَا

وَقَالَ: (من الطويل)

بِذِي كَرَمٍ حَتَّى يَكُونَ كَرِيمًا
إِذَا خَافَ غُرْمًا أَنْ يُعَدَّ لَيْمًا
فَتَى الْقَوْمِ مَنْ أَغْنَتْ يَدَاهُ عَدِيمًا
لِنَفْسِكَ خَطًّا كَيْ تَكُونَ عَظِيمًا

لَعَمْرُكَ مَا يُدْعَى الْفَتَى بَيْنَ قَوْمِهِ
وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَرْءُ الضَّيْنِ بِمَالِهِ
فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَارَ مَالًا وَإِنَّمَا
فَمَزْ بَيْنَ مَا تَخْتَارُ فِي الْفِعْلِ وَالْتِمَسْ

وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَدِيحِ: (من الطويل)

عَمَامَيْنِ سَالَا بِالْفَوَاضِلِ وَالْدَّمِ
وَكَمْ أَرَدَتِ الْأُخْرَى حُشَاشَةً مُجْرِمِ

لَهُ نَظَرَتَا جُودٍ وَبَاسٌ أَثَارَتَا
فَكَمْ أَحْيَتِ الْأُولَى لُبَانَةً مَعْشَرِ

وَقَالَ: (من مجزوء الوافر)

فَمَا لَكَ لَا تُكَلِّمُهُ
بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْظُمُهُ
وَلَا إِنْ نَاحَ تَرْحَمُهُ
فَقُلْ لِي كَيْفَ أَكْتُمُهُ
وَقَلْبِي أَنْتَ مُؤَلِّمُهُ
هَوَى ذَنْبٌ فَأَعْلَمُهُ
لِ أْبْلَانِي تَحَكُّمُهُ
وَلَمْ يَسْمَحْ بِهَا فَمُهُ
نِ لَا يَسْلُو مُتَيَّمُهُ

عَلِيلُ أَنْتَ مُسْقِمُهُ
سَرَى فِيهِ الضَّنَى حَتَّى
فَلَا إِنْ بَاحَ تَعْذِرُهُ
إِذَا كَانَ الْهَوَى ذَنْبِي
وَدَمْعِي أَنْتَ مُرْسِلُهُ
وَلَا وَاللَّهِ مَا لِي فِيهِ
فَوَيْلِي مِنْ غَرِيبِ الدَّلِ
تَرَدَّدَ فِي مَحَبَّتِهِ
غَزَالُ أَحْوَرِ الْعَيْنِي

يَهِيمُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ	فُؤَادِي وَهُوَ يَظْلِمُهُ
نَسَبْتُ بِهِ فَبَانَ عَلَى	جَبِينِ الشَّعْرِ مِيسَمُهُ
فَمَا لِي فِي الَّذِي أُحْلِبُ	نَ مِنْ فَضْلِ فَأَغْنُمُهُ
وَلَكِنْ حُسْنُهُ يَبْدُو	إِلَى عَيْنِي فَتَرُسُمُهُ
وَيَنْثُرُ لَفْظُهُ دُرًّا	عَلَى سَمْعِي فَأَنْظِمُهُ
وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا لَاحَتْ	بِأَفْقِ الشَّعْرِ أَنْجُمُهُ
فَقُلْ مَا شِئْتُ فِي شِعْرِي	وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَحْكَمُهُ

وَقَالَ: (من الوافر)

وَفَاتِنَةَ الْحَدِيثِ لَهَا نِكَاتُ	تَحُولُ بِسِحْرِهَا دُونَ الْمَرَامِ
شَكُوْتُ لَهَا ضَنْى جَسَدِي فَقَالَتْ	بِطَرْفِي مَا بِجِسْمِكَ مِنْ سَقَامِ
فَقُلْتُ عِدِي بِوَصْلِ مِنْكَ صَبًّا	بَرَّتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ وَالْغَرَامِ
فَقَالَتْ سَوْفَ تَلْقَانِي قَرِيبًا	فَقُلْتُ مَتَى فَقَالَتْ فِي الْمَنَامِ

وَقَالَ: (من مجزوء الخفيف)

ذُنْبِي إِلَيْكَ غَرَامِي	فَهَلْ يَجِلُّ مُلَامِي
يَا ظَالِمِي فِي هَوَاهُ	هَلَّا رَعَيْتَ ذِمَامِي
حَتَّامٌ تُعْرِضُ عَنِّي	وَلَا تَرُدُّ سَلَامِي
عَطْفًا عَلَيَّ فَإِنِّي	بَرَى هَوَاكَ عِظَامِي
فَكَيْفَ تُنْكِرُ وَجَدِي	أَمَا رَأَيْتَ سَقَامِي
وَيْلَاهُ مِمَّا أَلْقِي	مِنْ لَوْعَتِي وَهِيَامِي
رَقَّ النَّسِيمُ لِحَالِي	وَسَالَ دَمْعُ الْغَمَامِ
وَسَاعَدْتَنِي فَنَاحَتْ	عَلَيَّ وَرُقُ الْحَمَامِ
فَيَا سَمِيرَ فُؤَادِي	فِي يَقْطِطِي وَمَنَامِي
مَتَى يَفُوزُ بِوَصْلِي	أَسِيرُ لِحْظِكَ «سَامِي»

وَقَالَ: (من البسيط)

قَالَتْ أَرَاكَ عَلِيلَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهَا
قَالَتْ فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ يُسْتَطَبُّ بِهِ
فَبِتُّ فِي حَيْرَةٍ لَا الْقَلْبُ مُصْطَبِرٌ
وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
مَنْ شَفَّهُ الْحُبُّ أَبْلَى جِسْمَهُ السَّقَمُ
قُلْتُ الْوَصَالُ فَرَاخَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ
وَلَا الْوُصُولُ إِلَيَّ مَا يَشْتَهِي أَمُّ
بِمَا يَكُونُ فَعَقَبَى أَمْرِهِ نَدَمُ

وَقَالَ نَازِلًا قَوْلَ رَجُلٍ أَحَبَّ امْرَأَةً دُونَ قَدْرِهِ؛ فَعَذَلَهُ عَمَّهُ فَقَالَ: يَا عَم، لَا تَلُمُ مُجَبَّرًا
عَلَى سَقَمِهِ؛ فَإِنَّ الْمُقَرَّرَ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ عَنِ مُنَازَعَةِ خَصْمِهِ. وَإِنَّمَا يُلَامُ مَنْ اقْتَرَفَ مَا
يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ، وَلَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى إِلَى الرَّأْيِ، فَيَمْلِكُهُ، وَلَا الْعَقْلُ فَيُدْبِرُهُ بَلْ قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ،
وَجَانِبُهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَنْفَذَ فِيهِ حِيلَةٌ حَازِمٌ، وَلُطْفٌ مُحْتَالٌ: (من الطويل)

أَلَا لَا تَلُمُ صَبًّا عَلَى طُولِ سَقَمِهِ
فَلَيْسَ الْهَوَى مِمَّا يُرَدُّ بِحِيلَةٍ
وَمَا يَسْتَوِي جَانِ أَتَى الْإِنَّمُ طَائِعًا
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ
وَدَعَهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعِي الْفَتَى دُونَ عَزْمِهِ
وَأَخْرُ لَمْ يَقْرِفْهُ إِلَّا بِرَغْمِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لَجَاجَةَ خَصْمِهِ

وَقَالَ:

مَنْحَتُكَ أَلْقَابَ الْعُلَا فَادْعُنِي بِاسْمِي
إِذَا كَانَ عَقْبَانُ الْجَدِيدِ إِلَى بَلَى
تَأْمَلْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنَ بَصِيرَةٍ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا خَطَرَةٌ عَرْضِيَّةٌ
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا
تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهِ بُلْغَةٌ
لَعَمْرِي لِنَعْمَ الْمَرْءُ مَنْ بَاتَ رَاضِيًا
تَفَلَسَّفَ قَوْمٌ فِي الْمَقَالِ وَمَا دَرَوْا
وَلَوْ رَاجِعُوا هَذِي النُّفُوسَ لَعَالَجُوا
فَمَا تَخْفِضُ الْأَلْقَابُ حُرًّا وَلَا تُسَمِّي
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْحَدِيثِ وَلَا الرَّسْمِ
لَعَلَّكَ تَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَسَمِ
تَزُولُ كَمَا زَالَ الْحَثِيثُ مِنَ النَّسَمِ
فَسَلْ عَنْ جَدِيسٍ أَيْنَ وَلَتْ وَعَنْ طَسَمِ
فَسَوْفَ تُعَانِي الْجَدْبَ يَا رَاعِيَ الْوَسْمِ
بِمَا خَصَّهُ مِنْ فَيْضِهِ سَابِقُ الرَّسْمِ
جَرِيرَةٌ مَا أَبْقَوْا عَلَى الدَّهْرِ مِنْ وَسْمِ
بِتْرِكِ الْخَطَايَا مُعْضِلَ الدَّاءِ بِالْحَسْمِ

عَلَيْكَ بِإِيْمَاضِ الْبَشَاشَةِ وَالْبَسْمِ
لَأَمْسَكَ بِالْيَأْسِ الْمُرِيحَ عَنِ الْعَسَمِ
مَذَارِجَ قَوْمٍ أَدْرَكُوا الْأَمَرَ بِالْقَسَمِ
لَدَيَّ سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدَ فِي جِسْمِ
كَمَا زَعَمُوا أَوْلَيْتَ لِي طَائِعًا كَاسِمِي

فَدَعُ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
فَلَوْ جَرَّبَ الْإِنْسَانُ أَخْلَاقَ دَهْرِهِ
فَمَنْ لِي بِرَأْيٍ صَادِقٍ أَقْتَفِي بِهِ
بَرْتَنِي تَبَارِيخُ الْحَيَاةِ فَلَمْ تَدْعُ
يَقُولُونَ مَحْمُودٌ وَيَا لَيْتَ أَنَّي

وَقَالَ: (من الكامل)

حَتَّى يُحِيطَ بِنَعْتِهِ الْفَهْمُ
يَعْتَلُّ دُونَ صِفَاتِهِ الْوَهْمُ
يَمْضِي عَلَى غُلُوِّهِ السَّهْمُ
يَقْوَى عَلَى صَدَمَاتِهِ الشَّهْمُ

قَالُوا أَلَا تَصِفُ الْغَرَامَ لَنَا
فَأَجِبْنَهُمْ هَيْهَاتَ أَنْعْتُ مَا
الْحُبُّ يَنْفُذُ بِالْفُؤَادِ كَمَا
يَعْنُو لِسُورَتِهِ الْمَلِكُ وَلَا

وَقَالَ فِي غَدَاةِ أَنْسٍ: (من الوافر)

فَمَا يَنْفِي الْهُمُومَ سِوَى الْمُدَامَةِ
مَحَتْ عَنْهُ الْكِلَالَةَ وَالسَّامَةَ
لَهَا فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ عَلَامَةٌ
وَكَمْ فِي الْجَوِّ مِنْ مَسْرَى غَمَامَةٍ
لَذَانَتْهَا وَلَا تَخْشَى الْمَلَامَةَ
فَإِنَّ الْحُزْنَ مِقْرَاضُ السَّلَامَةِ

أَدْرِهَا قَبْلَ تَغْرِيدِ الْحَمَامَةِ
مُعْتَقَّةً إِذَا سَلَكَتْ ضَمِيرًا
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَصْبَحَتِ الْغَوَاذِي
فَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَجْرَى غَدِيرِ
فَبَادِرُ صَفْوَةِ الْأَيَّامِ تَغْنَمُ
وَلَا تَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ تَوَلَّى

وَقَالَ: (من الطويل)

مَارَبُ كَانَتْ عِلَّةٌ لِلْمَظَالِمِ
بِرَبِّ الْبَرَائَا مِنْ جَهُولِ وَعَالِمِ
بِأَنَّ نَعِيمَ الدَّهْرِ خُدْعَةٌ حَالِمِ
عَلَى صَفَحَاتِ الْأَرْضِ غَيْرَ مَعَالِمِ
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّبَّ لَيْسَ بِسَالِمِ

مَتَى يَنْقُضِي عُمْرُ الْحَيَاةِ فَنَنْقُضِي
تَسَاوَتْ نَفُوسُ الْخَلْقِ فِي الشَّرِّ فَاسْتَعِذْ
وَلَوْ عَرَفُوا مَا أَنْكَرُوهُ لِأَيَقْنُوا
تَأْمَلْ رُؤَيْدًا يَابْنَ وَدِّي هَلْ تَرَى
يَظُنُّ عَلِيلُ الْقَوْمِ فِي الطَّبِّ بُرَاهُ

فَطِرْ لِلْسُّهَى أَوْ فَاتَّخِذْ لَكَ سُلَّمًا لِيَتَرَقَّى إِلَى أَبْرَاجِهِ بِالسَّلَالِمِ
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ فِي الدَّهْرِ عَيْشَةً تَلَذُّ بِهَا وَالْدَّهْرُ غَيْرُ مُسَالِمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

حَلِيلِي مَا فِي الدَّهْرِ أَطْوَلُ حَسْرَةً مِنْ الْمَرْءِ يَلْقَى فُرْصَةً فَيَخِيمُ
وَأِنْ أَمْرًا يَلْقَى فَوَاضِلَ نِعْمَةٍ بِأَرْضٍ وَيَنْوِي غَيْرَهَا لِمَلِيمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

أَخُو الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا لِذِي الْجَهْلِ مُحَوِّجٌ وَكُلُّ لَهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ مَعَالِمُ
فَلَوْلَا وَجُودُ الْعِلْمِ مَا عَاشَ جَاهِلٌ وَلَوْلَا وَجُودُ الْجَهْلِ مَا عَاشَ عَالِمُ

وَقَالَ: (من مجزوء الرمل)

أَنَا فِي الْحُبِّ وَفِي لَيْسَ لِي بِالْغَدْرِ عِلْمُ
لَا تَظُنُّوا بِي سُوءًا إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكَ حَدُّهُ وَجَدٌ كَهَامِ
حُزْتُ عِلْمًا وَمَا رُزِقْتُ قَبُولًا فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ

وَقَالَ: (من الطويل)

إِذَا مَا كَتَمْتُ الْحُبَّ كَانَ شَرَارَةً وَإِنْ بُحْتُ بِالْكِتْمَانِ كَانَ مَلَامًا
فَكَيْفَ احْتِيَالِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَشْكَلا عَلَيَّ فَصَارَا شِقْوَةً وَغَرَامَا

وَقَالَ بَعْدَمَا اسْتَقَالَ مِنْ وَرَارَةِ الْحَرَبِيَّةِ يَذُمُّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ: (من البسيط)

فَاذْهَبْ فَإِنَّتَ لَيْئِمُ الْعَهْدِ نَمَامُ
مِنْ الْمُنَى فَإِذَا مَا خِلْتُ أَحْلَامُ
إِنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ النَّاسِ أَقْسَامُ
يَأْبَى لِي الْعُدْرُ أَخْوَالُ وَأَعْمَامُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ أَنْسَابُ وَأَرْحَامُ
إِنَّ الْفِعَالَ لِأَصْلِ الْمَرْءِ إِعْلَامُ
فَالنَّضْلُ فِيهِ الْمَنَايَا وَهُوَ بَسَامُ
كَلَّا وَلَا كُلُّ ذِي نَابَيْنِ ضَرْغَامُ
إِنَّ الْحُسَامَ لَيَنْبُو وَهُوَ صَمْصَامُ
فَكَانَ شَرًّا وَبَعْضُ الظَّنِّ آثَامُ
حَتَّى تَرَدَّتْ بِهَا فِي الشَّرِّ أَقْدَامُ
إِنَّ الْمُنَى عِنْدَ صَدَقِ النَّفْسِ أَوْهَامُ
فَمَا يُحَسُّ لَهُ وَجْدٌ وَإِعْدَامُ
مِنْ الصَّغَارِ فَإِنَّ الطَّبْعَ الْإِزَامُ
عَلَيْكَ فِي الدَّارِ أَعْوَامُ وَأَعْوَامُ
لِكُلِّ بَاغٍ بِهَا وَجْدٌ وَتَهْيَامُ
وَفِي حَشَاكَ لِنَارِ الْفِسْقِ إِضْرَامُ
صَحَائِفُ وَجَرَتْ بِالذَّمِّ أَقْلَامُ
وَإِخْسَاءٌ لِمِثْلِكَ إِعْزَازُ وَإِكْرَامُ
فَحَظُّهَا مِنْهُ إِيْذَاءُ وَإِيلَامُ
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ أَحْقَادُ وَأَوْغَامُ
إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامُ
فِي حَانَةِ اللَّهِو حَرْفٌ فِيهِ إِدْعَامُ
فَخَلَفُهُ عِنْدَ جِدِّ الْأَمْرِ إِقْدَامُ
وَحَتَّ مَوْضِعُهُ مِنْ كَفِّهِ الْجَامُ
حُكَّامُهُ لِبَنَاتِ اللَّهِو خُدَّامُ

مَا لِي بِوَدِّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلْمَامُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَذْرَكْتُ مَارِبَةً
هَيْهَاتَ مِنِّي الرِّضَا مِنْ بَعْدِ تَجْرِيبَةِ
فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَّنِي رَجُلُ
كُلِّ امْرِئٍ تَابِعُ أَغْرَاقِ نَبْعَتِهِ
فَانْظُرْ لِفِعْلِ الْفَتَى تَعْرِفْ مَنَاسِبَهُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ وَجْهُ رَاقٍ مَنَظَرُهُ
مَا كُلُّ ذِي مَنَسَرٍ فَتَخَاءَ كَاسِرُهُ
فَإِنْ يَكُنْ غَرْنِي حِلْمِي فَلَا عَجَبُ
ظَنَنْتُ خَيْرًا وَلَمْ أَذْرِكْ عَوَاقِبَهُ
فَيَا لَهَا ضِلَّةً مَا إِنْ أَبْهَتْ لَهَا
آلَيْتُ أَكْذِبُ نَفْسِي بَعْدَهَا سَفَهَا
فَيَابَنَ مَنْ تَزْدَرِيهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعْفِهِ
دَعِ الْفَخَّارَ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ
وَأَذْكُرْ مَكَانَكَ مِنْ عَبَّاسٍ حَيْثُ مَضَتْ
تَبَيَّتْ مُرْتَفَعًا فِي ظِلِّ دَسْكَرَةِ
وَفَوْقَ ظَهْرِكَ لِلْأَنْفَاسِ مُعْتَرِكُ
وَيُلْمُّهَا خَزِيَّةً طَارَتْ بِشُنْعَتِهَا
فَإِخْسَاءً فَمَا الْكَلْبُ أَذْنَى مِنْكَ مَنَزَلُهُ
هَذَا الَّذِي تَكْرَهُ الْأَبْصَارُ طَلْعَتُهُ
فِي وَجْهِهِ سِمَةٌ لِلْعُدْرِ بَيِّنَةٌ
لَهُ عَلَى الشَّرِّ إِقْدَامٌ وَلَيْسَ لَهُ
كَأَنَّمَا أَنْفُهُ مِنْ طُولِ سَجْدَتِهِ
كَعَقْرَبِ الْمَاءِ يَمْشِي مِشْيَةً صَدْدًا
أَبْدَى بِعَاتِقِهِ الْمُنْدِيلُ سِيَمَتُهُ
وَكَيْفَ يَصْلُحُ أَمْرُ النَّاسِ فِي بَلَدٍ

مِنْهُ بِحَيْثُ تَلَقَى اللُّؤْمُ وَالذَّامُ
فَكُلُّ أَخْلَاقِهِ لِلنَّفْسِ آلامُ
وَعْدُ لَيْيْمٍ ثَقِيلُ الظِّلِّ حَجَامُ
لَهَا بِمَذْرَجَةِ الْفَحْشَاءِ أَزْلَامُ
طَرْفًا عَنِ الْعِرْضِ وَالْأَوْتَارِ نَوَامُ
فَإِنَّهَا لِحَلَالِ اللَّهِ إِعْظَامُ
تَقْفُوهُ بِاللَّعْنِ أَرْوَاحُ وَأَجْسَامُ
فَالْهَجْوُ فِيكَ لِنَقْضِ الْحَقِّ إِبْرَامُ
لَهَا بِعِرْضِكَ إِنْجَادُ وَإِنْهَامُ
بِحَاصِبٍ وَلَأَنفِ الْجَهْلِ إِرْغَامُ
فِي كُلِّ عَصْرِ لَهُ سَجْعٌ وَتَرْنَامُ

قَدْ يَمَمْتُهُ الْمَخَازِي فَهِيَ نَازِلَةٌ
مَا إِنْ أَصَبْتُ لَهُ خُلُقًا فَأَحْمَدُهُ
فَظٌّ غَلِيظٌ مَقِيَّتٌ سَاقِطٌ وَجِمٌ
جَاءَتْ بِهِ عَجْزٌ لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ
مُسْتَبْقِظٌ لِلْمَخَازِي غَيْرَ أَنَّ لَهُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ عَدَاوَتِهِ
فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الطَّاعُونَ مِنْ بَلَدٍ
وَهَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلٌ فِي الْهَجَاءِ لَهُ
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِي الْأَرْضِ سَائِرَةٌ
شِعْرٌ لَوَجْهِ الْمَخَازِي مِنْهُ سَافِيَةٌ
تَبْلَى الْعِظَامُ وَيَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدًا

وَقَالَ يَهْجُو: (من الوافر)

سَوَى مَا فِيكَ مِنْ دَنَسٍ وَسُؤْمٍ
وَإِنْ تَصْبِرَ فَمِنْ ضَعَةِ وَلُؤْمٍ

هَجَوْتُكَ غَيْرَ مُبْتَدِعٍ مَقَالًا
فَإِنْ تَجَزَّعَ فَمِنْ خَوَرٍ وَجُبْنٍ

وَقَالَ فِي رَجُلٍ: (من المتقارب)

جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلَقَمَا
سَسَ وَيَأْنَفُ إِنْ زَلَّ أَنْ يَنْدَمَا
وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
وَإِنْ لَمْ أُجِبْ قَوْلُهُ بَرْطَمَا
وَحُمُقُ يَكَادُ يُسِيلُ الدِّمَا
وَلَا يَدْعُ الظَّنَّ أَوْ يَأْتُمَا
وَلَا أَنَا عَنْهُ أَرَى مَنْسَمَا
وَعَادَ نَهَارِي بِهِ مُظْلَمَا
عَلَيَّ بِهِ طَائِرًا أَشْأَمَا

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبِ
يَسُوءُ الْخَلِيلَ وَيُؤْذِي الْجَلِيلِ
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقُهُ
لَهُ جَهْلَاتٌ تَمِيتُ الرِّضَا
يُكَابِرُ فِي الْحَقِّ إِنْ مَضَّهْ
فَلَا أَنَا مِنْهُ أَرَى رَاحَةً
تَبَدَّلَ أَنْسِي بِهِ وَخَشَّةٌ
فَلَا رَجِمَ اللَّهُ يَوْمًا جَرَى

في إحدى نَدَوَاتِهِ سَأَلَهُ الْأَدِيبُ الشَّابُّ «مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ» شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ
الْحَدِيثِ فَقَالَ إِنَّ «عَنْتَرَةَ بْنَ شَدَادِ الْعَبْسِيِّ» يَقُولُ:

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ؟

وقد نقضت هذه القصيدة بقولي: (من الكامل)

كَمْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ فِي كُلِّ عَصْرِ عِبْقَرِيٍّ لَا يَنِي
وَكَفَاكَ بِي رَجُلًا إِذَا اغْتَقَلَ النُّهْيَ أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْفَرِيضِ بِمَنْطِقِي
وَفَرَعْتُ نَاصِيَةَ الْعُلَا بِفَضَائِلِ سَلِّ مِصْرَ عَنِّي إِنْ جَهَلْتَ مَكَانَتِي
بَلِّهْ نَشَأْتُ مَعَ النَّبَاتِ بِأَرْضِهَا فَنَسِيْمُهَا رُوحِي وَمَعْدِنُ تَرْبِهَا
فَإِذَا نَطَقْتُ فَبِالنَّشَاءِ عَلَى الَّذِي أَهْلِي بِهَا وَأَحْبَبْتِي وَكَفَى بِهِمْ
وَأَحَقُّ دَارَ الْكَرَامَةِ مَنْزِلُ هِيَ جَنَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي زَهَرَتْهَا
مَا إِنْ خَلَعْتُ بِهَا سُيُورَ تَمَائِمِي وَغَنَيْتُ عَنْ قَلْبِي بِعَامِلِ أَسْمَرِ
وَفَجَرْتُ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ بِمَنْطِقِ وَلَكُمْ أَثَرْتُ غِيَابَةَ مَنْ قَسَطِلِ
أَخْتَالُ طَوْرًا فَوْقَ ذِرْوَةِ مِنْبَرِ حَتَّى رَبَّاتُ مِنَ الْمَعَالِي هُضْبَةَ
نَشَأْتُ بِطَبْعِي لِلْفَرِيضِ بِدَائِعِ يَصْبُو بِهَا «الْحَكَمِيُّ» صَبُوءَ عَاشِقِ
قَوْمَتُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ قَنَاتِهِ

وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَاوُ مُقَدِّمِ يَفْرِى الْفَرِيَّ بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمِ
بِالصَّمْتِ أَوْ رَعَفَ السَّنَانُ بَعْنَدِ وَصَرَعْتُ فُرْسَانَ الْعَجَاجِ بِلَهْذَمِي
هُنَّ الْكَوَكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلِمِ تُخْبِرُكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ
وَلَتَّمْتُ تَغَرَّ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ جِسْمِي وَكَوْثَرُ نِيلِهَا مَحْيَا دَمِي
أَوْلَتْهُ مِنْ فَضْلِ عَلَيٍّ وَأَنْعَمِ فَخَرًّا مَلَكْتُ بِهِ عَنَانَ الْأَنْجَمِ
لِلْقَلْبِ فِيهِ عِلَاقَةٌ لَمْ تَصْرِمِ حُورُ الْمَهَا وَهَزَارُ أَيْكَتِهَا فَمِي
حَتَّى لَبِسْتُ بِهَا حَمَائِلَ مِخْذَمِي وَسَلَوْتُ عَنْ مَهْدِي بِصَهْوَةِ أَنْهَمِ
عَذْبُ رَوَيْتُ بِهِ غَلِيلَ الْحُومِ بِمُهْنَدِي وَحَلَلْتُ عُقْدَةَ مُبْرَمِ
وَأَكْرُ طَوْرًا فَوْقَ نَهْدِ شَيْظَمِ شَمَاءَ تُزْلِقُ أَخْمَصَ الْمُتَسَنِّمِ
لَيْسَتْ بِنَحْلَةٍ شَاعِرِ مُتَقَدِّمِ وَتَخَفُ مِنْ طَرَبٍ عَرِيكَةً «مُسْلِمِ»
وَالرُّمَحُ لَيْسَ يَرُوقُ غَيْرَ مُقْوَمِ

فِي طَيِّهَا لَوْ كَانَ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
عَمَّا تَلَحَّقَ فَهُوَ بَادِي الْمَعْلَمِ
يَقِظُ الْبَدِيهَةَ فِي الْقَرِيضِ مُحَكِّمٍ
وَيَزُمُ شَقِيشَقَةَ الْفَتِيقِ الْمُقَرِّمِ
وَحَطَمْتُ مِنْهُ مَوَارِنًا لَمْ تُخْطَمِ
لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَيٍّ مُلْهِمٍ
وَإِذَا نَأَمْتُ دَعَرْتُ كُلَّ مُلْتَمٍ
وَالْغَيْلُ تَسْمَعُ مِنْهُ زَارَةً ضَيْغَمٍ
وَشَأَوْتُ فِيهَا كُلَّ أَصِيدٍ مُسْنِمٍ
لِأَعْرَ مِنْ سَلَفِ الْأَكَارِمِ أَنْتَمِي
إِنْ كَانَتْ الْأَبْنَاءُ حُورَ الْأَعْظَمِ
فِي ظِلٍّ أَخْضَرَ بِالْعَرَارِ مُنَمِّمٍ
بِأَنَامِلٍ تَمْرِي خَيْوُطَ الْمَرْزَمِ
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَدُولٍ كَالْأَرْقَمِ
سَفُنٌ وَهَذَا فِي الْخَمَائِلِ يَرْتَمِي
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْنَرٍ وَمُدْرَهَمٍ
عَنْ دُرِّ قَطَرٍ كَالْعُقُودِ مُنْظَمِ
فِيهِ بِجُؤْنَةٍ عَنَبَرٍ لَمْ تُخْتَمِ
طَرَبًا لِرَجْعِ الطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ
هَزِجٌ وَجَدُولُهُ بَرُودُ الْمُبْسِمِ
وَيَصِيدُ عَيْنَ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
قَوْدَ الْجَنِيْبِ لِغَايَةِ لَمْ تُعْلَمِ
تَبْدُو وَتَغْرُبُ فِي فِضَاءٍ أَقْتَمِ
أَوْ رُمْتُ مِنْهَا النُّطْقَ لَمْ تَتَكَلَّمِ
مِمَّا بَدَا لَكَ فَهُوَ أَهْنًا مَغْنَمِ
عَنْهُ وَلَوْ صَعِدَ السَّمَاءَ بِسُلْمِ
أَهْوَى بِهِ فِي كَسْرِ بَيْتٍ مُظْلَمِ

فَقَرُّ يَكَادُ السَّحَرُ يَبْلُغُ بَعْضَ مَا
مُتَشَابِهَ الطَّرْفَيْنِ يُنْبِئُ صَدْرُهُ
أَحْكَمْتُ مَنْطِقَهُ بِلَهْجَةٍ مُفْلِقِ
يَبْتَدُ أَهْبَةً كُلِّ فَارِسٍ بُهْمَةٍ
ذَلَلْتُ مِنْهُ غَوَارِبًا لَا تُمْتَطَى
شِعْرُ جَمَعْتُ بِهِ ضُرُوبَ مَحَاسِنِ
فَإِذَا نَسَبْتُ فَتَنْتُ كُلَّ مُقْنَعٍ
كَالرَّوْضِ تَسْمَعُ مِنْهُ نَعْمَةً بُلْبُلٍ
أَدْرَكْتُ قَاصِيَةَ الْمَحَامِدِ وَالْعُلَا
فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَرْتُ وَإِنْ أَكُنْ
وَالْفَخْرُ بِالْأَبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعِ
هَذَا وَرُبَّتْ لَذَّةُ بَاشَرَتِهَا
طَفِقَ النَّسِيمُ يَحُوكُ وَشَيَّ بُرُودِهِ
فَبِكُلِّ أَفَقٍ مُزْنَةً فَيَاضَةً
هَاتِيكَ تَجْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
فَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمُؤَزَّرِ
طَلُقَ الْجَبِينِ تَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهُ
عَبِقَ الْإِزَارِ كَأَنَّمَا جَرَّتِ الصَّبَا
صَبَحَ الْغَمَامُ غُصُونَهُ فَتَرَنَّتْ
فَنَسِيْمُهُ أَرْجُ وَطَائِرُ أَيْكِهِ
يَسْتَوْقِفُ الْأَلْبَابَ حُسْنُ رُؤَايِهِ
وَالْمَرْءُ طَوْعُ يَدِ الزَّمَانِ يَقُودُهُ
فَلَكَ يَدُورُ وَأَنْجُمٌ لَا تَأْتَلِي
صُورٌ إِذَا نَادَيْتَهَا لَمْ تَسْتَجِبْ
فَدَعِ الْخَفِيَّ وَخَذْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا
لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَبْلُغُ مَا نَأَى
بَيْنَا يَشُقُّ بِهِ الْجَوَاءَ تَرْفَعَا

غَرَضًا لِإِمْرَةٍ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمْ
فَضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقْدِمِ
عَنْ وَجْهِ نَصْرٍ بِالْغُبَارِ مُلْتَمِ
فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْرَحْ وَلَمْ يَتَنَدِمِ
وَارْغَبَ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِكَ تَسْلَمِ

إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ
لَا أَرْتَضِي عَيْشَ الْجَبَانِ وَلَا أَرَى
وَلَرُبَّ مَلَحَمَةٍ سَرَيْتُ قِنَاعَهَا
لَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ بِالَّذِي
فَدَعَ الْأُمُورَ إِلَى مُدْبِرِ شَأْنِهَا

وَقَالَ: (من الطويل)

وَعَزَّلَانُ نَجِدِ مَا لَهْنٌ حَمِيمُ
وَيُخَدَعْنَ لُبُّ الْمَرْءِ وَهُوَ حَكِيمُ
فَدُونُ حِمَاهَا لِلْأَسْوَدِ نَثِيمُ
وَلَا يَرْهَبُونَ الْخُطْبَ وَهُوَ عَظِيمُ
لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الْحَسَنِ صَمِيمُ
فَرَاظٍ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَهَضِيمُ
يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمُ
كَمَا مَالَ بِالْغُصْنِ الرَّيُّوِّ نَسِيمُ
تَرَدَّدُ فِيهَا الْحُسْنُ أَمْ هِيَ رِيمُ
وَأَيُّ امْرِئٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ
وَيُخْفِي شَكَاةَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ
مَلَكْتُ عَنَانَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَظِيمُ
عَلَى جَبَلٍ لَأَنْهَالَ مِنْهُ قَوِيمُ
أَمَّا مِنْ مُسَامٍ عِنْدَكُمْ فَأَسِيمُ
وَجَدُّكَ مَطْرُوقُ الْفَنَاءِ كَرِيمُ
مَنْ الْحُبُّ يَا لَيْلَى وَأَنْتِ غَرِيمُ
وَلَمْ يَخْتَكِمِ يَوْمًا عَلَيَّ زَعِيمُ
وَأُسْقَمْتُ هَذَا الْقَلْبَ وَهُوَ سَلِيمُ
وَتُشْجِنُ قَلْبِي وَهُوَ فِيكَ مُلِيمُ
عَلَيَّ وَمَا لِي مِنْ هَوَاكِ قَسِيمُ

بَأَيِّ غَزَالٍ فِي الْخُدُورِ تَهِيمُ
يُقْدَنُ زَمَامَ النَّفْسِ وَهِيَ أَبِيَّةُ
فَأَيَّاكَ أَنْ تَغْشَى الدِّيَارَ مُحَاطِرًا
فَوَارِسُ لَا يَعْصُونَ أَمْرَ حَمِيَّةِ
يَصُونُونَ فِي حُجْبِ الْأَكَلَةِ ظَبِيَّةِ
مَنْ الْهَيْفِ أَمَّا نَعْتُ مَا فِي إِزَارِهَا
أَنَاةُ بَرَاهَا اللَّهُ فِي الْحُسْنِ آيَةُ
يَمِيلُ بِهَا سَكْرُ الشَّبَابِ إِذَا مَشَتْ
لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي أُنْمِيَّةَ بَيْعَةِ
يَلُومُونَنِي أَنْ هَمْتُ وَجَدًا بِحُسْنِهَا
وَهَلْ يَغْلِبُ الْمَرْءُ الْهُوَى وَهُوَ غَالِبُ
فَإِنْ أَكْ مَحْسُورًا بِهَا فَلَرُبَّمَا
وَكَايَدْتُ فِيهَا مَا لَوْ انْقَضَ بَعْضُهُ
فَيَا رَبَّةَ الْبَيْتِ الْمَنِيْعِ جَوَارُهُ
بَخَلْتُ عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ ضَنَانُهُ
فَكَيْفَ تَلُومِينِي عَلَى مَا أَصَابَنِي
وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَدِينُ لِظَالِمِ
فَأَنْتِ الَّتِي مَرَّهْتَ عَيْنِي بِالْبُكََا
تَنَامِينَ عَنْ لَيْلِي وَعَيْنِي قَرِيحَةً
مَنْحَتِكَ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسُ عَزِيزَةٍ

فَإِنَّ هَوَى قَلْبِي عَلَيْكَ مُقِيمٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ يُشْكِي إِلَيْهِ رَحِيمٌ
وَأَحْمِلُ عِبَاءَ الصَّبْرِ وَهُوَ عَظِيمٌ
تَعَبَّدَنِي حُلُو الدَّلَالِ رَحِيمٌ
لَذُو تَدْرٍ فِي النَّائِبَاتِ حَصِيمٌ
وَأَرْهَبُ كَرَّ الطَّرْفِ وَهُوَ سَقِيمٌ
عَلَى أَنَّهُ مَرُّ الْمَذَاقِ أَلِيمٌ
وَأَصْبَحْتُ لَا يُلَوِي عَلَيَّ حَمِيمٌ
بِهِ عِنْدَ رَوْعَاتِ الْفِرَاقِ عَلِيمٌ
لَطَى حَرْهَا يَكْوِي الْحَشَا وَيَضِيمُ
فَعَذَّبُ وَأَمَّا سُورُهُ فَوَخِيمٌ
صَدِيقًا لَهُ فِي الطَّيِّبَاتِ قَسِيمٌ
وَعَنْ عَلَى طُولِ اللَّقَاءِ دَمِيمٌ
لِكُلِّ ابْنِ أُنْتَى وَالْوَفَاءِ عَقِيمٌ
تَوَدُّ مِنَ الْحَاجَاتِ فَهُوَ رَحِيمٌ
إِلَيْكَ فَكَمْ بُوْسُ تَلَاهُ نَعِيمٌ
وَيَخْضَرُّ سَاقُ النَّبْتِ وَهُوَ هَشِيمٌ
أَتَتْكَ عَلَى وَشْكِ وَأَنْتَ مُقِيمٌ

فَإِنَّ يَكُ جِسْمِي عَنْ فَنَائِكَ رَاجِلٌ
شَكُوتٌ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ بَاكِيًا
فَحَتَّامُ أَلْقَى فِي الْهَوَى مَا يَسُوءُنِي
وَإِنِّي لَحُرٌّ بَيْنَ قَوْمِي وَإِنَّمَا
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسَالِمَ فِي الْهَوَى
أَفْلُ شَبَاةِ الْخُصَمِ وَهُوَ مُنَازِلٌ
أَلَا قَاتِلُ اللَّهِ الْهَوَى مَا أَلَذُّهُ
طَوَيْتُ لَهُ نَفْسِي عَلَى مَا يَسُوءُهَا
فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ غَيْرَ هَذَا فَإِنِّي
كَأَنِّي أَدَارِي مِنْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي
بَلَوْتُ لَهُ طَعْمَيْنِ أَمَّا مَذَاقُهُ
وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ فَلَمْ أَجِدْ
لَهُمْ نَزَوَاتٍ بَيْنَهُنَّ تَفَاوُتٌ
بِمَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ وَالْغَدْرُ شِيمَةٌ
فَلَا تَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فِي الَّذِي
وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ مُحَنَةٍ سَاقَهَا الْقَضَا
فَقَدْ تَوَرَّقَ الْأَشْجَارُ بَعْدَ ذُبُولِهَا
إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِتِمَامَ حَاجَةٍ

وَقَالَ: (من البسيط)

فَأَنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الدُّرِّ مِنْ كَلِمِي
بَيْنَ الْجَوَانِحِ فَانْزِلْهُ وَلَا تَرِمِ
قَلْبِي فَهَكَ يَدِي فِي الْوَدِّ فَاحْتَكِمِ
بَيْنَ الْأَبَاعِدِ تُغْنِيهِمْ عَنِ الرَّجَمِ
فَلَيْسَ كُلُّ خَلِيلٍ صَادِقِ الدِّمَمِ
فَالْمَرْءُ لَا يَبْلُغُ الْأَفْلَاكَ بِالْهَمَمِ
مَوْشِيَةً بِطِرَازِ الْحَمْدِ وَالنَّعَمِ

سَبَقْتَ بِالْفَضْلِ فَاسْمَعْ مَا وَحَاهُ فَمِي
يَا رَائِدَ الْوَدِّ قَدْ صَادَفْتُ مُنْتَجِعًا
أَوَّلَيْتَنِي مِنْكَ فَضْلًا قَدْ مَلَكَتْ بِهِ
إِنَّ الْمَوَدَّةَ إِنْ صَحَّتْ غَدَتْ نَسَبًا
فَثِقْ بِذِمَّةِ عَهْدٍ فِيكَ صَادِقَةٍ
وَاعْذِرْ إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي الْقَوْلِ مُتَّسِعًا
لَا زِلْتُ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ عَافِيَةٍ

وَقَالَ: (من الكامل)

حَلَّ الْعِتَابَ فَلَوْ طَلَبْتَ مُهَذَّبًا
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَرَى بِهِ
أَعْيَاكَ مَطْلَبُهُ بِهَذَا الْعَالَمِ
قَدَرُ فَإِنِّي مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ

وَقَالَ: (من الطويل)

سُكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَدِيثُ كَلَامُ
وَصَبْرِي عَلَى الْآيَامِ لَا مِنْ مَذَلَّةٍ
أَلَامُ عَلَى أَنِّي صَبَرْتُ وَهَلْ فَتَى
وَتَقْلِبُ عَيْنِي فِي الْوُجُوهِ مَلَامُ
وَلَكِنْ يَدُ مَغْلُولَةٍ وَحَسَامُ
عَلَى الصَّبْرِ إِنْ قَلَّ الْمُعِينُ يُلَامُ

وَقَالَ: (من مجزوء الكامل)

يَا بَانَةً مَنْ لِي بِضَمِّكَ
يَا بِنْتَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ
مَا فِيَّ مِنْبِتُ شَعْرَةٍ
كَلَّا وَلَا فِيَّ مُهْجَتِي
أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْكَرَى
إِنْ لَمْ تَجُودِي بِاللُّقَا
فَتَسَامِحِي لِي مَرَّةً
يَا زَهْرَةً مَنْ لِي بِشَمِّكَ
ء تَرْفُقِي بِحَيَاةِ أُمِّكَ
إِلَّا بِهِ أَثَرُ لِسَنِّهِمْ
مَنْ طُولُ صَدِّكَ غَيْرُ هَمِّكَ
لَمَّا جَفَانِي بَدْرُ تَمِّكَ
ء عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا يَلْتَمُكَ
حَتَّى أَفُوزَ بِلَنِّكُمْ كُمِّكَ

وَقَالَ: (من الطويل)

دَعِ الْهَزْلَ وَاحْذَرْ تَرْهَاتِ الْمُنَادِمَةِ
فَمَهْ لَا تَفْهَ بِالْقَوْلِ قَبْلَ انْتِقَادِهِ
فَكَمْ مِنْ غَوِيٍّ قَدْ أَسَالَ الْمُنَى دَمَهُ
فَرُبَّ كَلَامٍ قَضَى مِنْ قَائِلٍ فَمَهُ

وَقَالَ: (من البسيط)

لَا تَعْذِلْنِي عَلَى وَفَرٍ سَمَحْتُ بِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى جُودٌ يَسُدُّ بِهِ
فَإِنْ يَكُنْ قَلٌّ مَالِي بَعْدَ وَفَرْتِهِ
لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي مَاجِدُ الشَّيْمِ
مَفَاقِرَ الصَّحْبِ فَأَلْمُتْرَاةُ كَالْعَدَمِ
فَإِنْ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي

وَقَالَ: (من السريع)

الشَّعْرُ زَيْنُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ
قَدْ طَالَ مَا عَزَّ بِهِ مَعَشَرُ
فَاجْعَلْهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ
وَاهْتَفِ بِهِ مِنْ قَبْلِ إِطْلَاقِهِ
وَسَيْلَةً لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ
وَرُبَّمَا أَزْرَى بِأَقْوَامٍ
أَوْ عِظَةٍ أَوْ حَسَبٍ نَامِي
فَالسَّهْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّامِي

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ تَدَبَّرْ
لَا تَذُمَّ اللَّئِيمَ وَامْدَحْ كَرِيمًا
وَاجْعَلِ الْقَوْلَ مِنْكَ ذَا تَحْكِيمٍ
إِنَّ مَدْحَ الْكَرِيمِ ذَمُّ اللَّئِيمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

حَنَى الشَّيْبُ عُودِي فَاسْتَقَامَتْ رَوِيَّتِي
وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ مَا تَصَدَّعَ الْكَلِمُ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ: (من البسيط)

فِي قَائِمِ السَّيْفِ إِنْ عَزَّ الرِّضَا حَكْمُ
تَأَبَى لِي الضِّيمَ نَفْسُ حُرَّةٌ وَيَدُ
وَعَزَمَةٌ بَعَنْتَهَا هِمَّةٌ شَهْرَتْ
وَفِتْيَةٌ كَأَسْوَدِ الْغَابِ لَيْسَ لَهُمْ
كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُوا وَالرَّعْدِ إِنْ صَدَمُوا
إِنْ حَارَبُوا مَعَشَرًا فِي جَحْفَلٍ غَلَبُوا
لَا يَرْهَبُونَ الْمَنَايَا أَنْ تُلَمَّ بِهِمْ
مُرْفَهُونَ حَسَانُ فِي مَجَالِسِهِمْ
مِنْ كُلِّ أَزْهَرِ كَالِدَيْنَارٍ غُرَّتْهُ
لَا يَرْكَنُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
قَدْ حَبَبَ الْمَوْتَ كُرَّةَ الضِّيمِ فِي نَفْرِ
فَالْحَكْمُ لِلْسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَصَدَّعِ الْكَلِمُ
أَطَاعَهَا الْمُزْهَفَانِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ
بِهَا عَلَى الدَّهْرِ عَضْبًا لَيْسَ يَنْتَلِمُ
إِلَّا الرِّمَاحُ إِذَا احْمَرَّ الْوَعْيُ أَجْمُ
وَالْغَيْثُ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلُ إِنْ هَجَمُوا
أَوْ حَاصَمُوا فِتْنَةً فِي مَحْفَلٍ خَصَمُوا
كَأَنَّ لُقْيَ الْمَنَايَا عِنْدَهُمْ حَرَمُ
وَفِي الْحُرُوبِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ بِهِمْ
يَجْلُو الْكَرِيهَةَ مِنْهُ كَوَكْبٍ ضَرِمُ
إِذَا هُمْ شَعَرُوا بِالذُّلِّ أَوْ نَقَمُوا
لَوْلَاهُمْ لَمْ تَذُمَّ فِي الْعَالَمِ النِّعَمُ

نَالَتْ بِهِ شَرَفَ الْحُرِّيَّةِ الْأُمِّ
وَالذُّلُّ تَأَنَّفَهُ الْعُبْدَانُ وَالْخَدَمُ
فَإِنَّ وَجْدَانَهُ فِي أَهْلِهِ عَدَمُ
وَالصَّبْرُ فِي غَيْرِ مَرْضَاةِ الْعُلَا نَدَمُ
فَلَيْسَ بَعْدَ اطِّرَاحِ الذُّلِّ مَا يَصِمُ
مَنْ أَخْطَأَتْهُ الرِّزَايَا غَالَهُ الْهَرَمُ
أَسْمَاءُ قَوْمٍ طَوَى أَحْسَابَهَا الْقَدَمُ

مَاتُوا كِرَامًا وَأَبْقَوْا لِلْعُلَا أَثَرًا
فَكَيْفَ يَرْضَى الْفَتَى بِالذُّلِّ يَحْمِلُهُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى فَضْلٌ وَمَحْمِيَّةُ
فَالْحِلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةِ خَوَرُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ حَالِ تَضَامُ بِهَا
وَلَا تَخَفْ وَرَدَ مَوْتٍ أَنْتَ وَارِدُهُ
إِنَّ الْعُلَا أَثَرُ تَحْيَا بِذِكْرَتِهِ

وَقَالَ: (من الطويل)

أَمْ الْعُمْرُ يَفْنَى وَالْمَارَبُ تُعَدَمُ
وَبَعْضُ أَمَانِي النَّفْسِ غَيْبٌ مَرَجَمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ خَاصَ الْكَرِيهَةُ يَغْنَمُ
وَفِي الرَّاحِ لَهُوَ لِلنَّفُوسِ وَمَغْرَمُ
عَلَى خَافِيَاتِ الْغَيْبِ مَا كَانَ يَنْدَمُ
بِي الدَّمْعِ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ
وَأَحْلُمُ عَنْهَا وَالْهَوَى لَيْسَ يَحْلُمُ
يَرِقُّ إِلَيْهِ الطَّائِرُ الْمُتَرَنَّمُ
وَإِنْ حَلَّ مِنْ أَجْفَانِهِ فَاضَ خِضْرُمُ
لَهَا الرُّمْحُ قَدْ وَالْمُهَنْدُ مَعْصَمُ
وَيَكْتُمُهَا نَقْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ
بَضْرِبِ الظُّبَا تُوْجِي وَبِالطَّغْنِ تَعْجُمُ
شَرَابٌ وَمِنْ هَامِ الْفَوَارِسِ مَطْعَمُ
لَدَيْنَا وَلَا سُلُوانُهَا مُتَصَرَّمُ
يَهِيمُ بِهَا إِلَّا الشَّجَاعُ الْمُصَصَّمُ
وَلَا لِأَمْرِي نَاجَى بِهِ النَّفْسُ مَاثِمُ
وَيَحْلُو بِهِ طَعْمُ الرَّدَى وَهُوَ عَلَقْمُ
فَإِنِّي بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِ مُغْرَمُ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَرْضَى عَنِ الدَّهْرِ مُغْرَمُ
أَحَاوِلُ وَضَلًا مِنْ حَبِيبٍ مُمْنَعِ
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ الْعِظَائِمَ نَالَهَا
يَسُرُّ الْفَتَى مِنْ عَشِيقِهِ مَا يَسُوءُهُ
وَلَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدُلُّهُ
كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ فَلَمْ يَزَلْ
وَكَيْفَ أَدَارِي النَّفْسَ وَهِيَ مَشُوقَةٌ
وَتَحْتَ جَنَاحِ اللَّيْلِ مَنِي ابْنُ لَوْعَةٍ
إِذَا مَدَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ لَاحَ بَارِقُ
وَإِنَّ الَّتِي يَشْتَاقُهَا الْقَلْبُ غَاةُ
يَنْمُ بِهَا صُبْحٌ مِنَ الْبَيْضِ أَزْهَرُ
إِذَا رَاسَلْتَ كَانَتْ رِسَالُهُ حُبَّهَا
لَهَا مِنْ دِمَاءِ الصَّيْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
فَتِلْكَ الَّتِي لَا وَضَلَهَا مُتَوَقَّعُ
عَلِقْتُ بِهَا وَهِيَ الْمَعَالِي وَقَلَمَا
هَوَى لَيْسَ فِيهِ لِلْمَلَامَةِ مَسْلَكُ
تِلْكَ بِهِ الْأَلَامُ وَهِيَ مُبِيرَةٌ
فَمَنْ يَكُ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا

وَأَسْرِي وَالْحَاظُ الْكَوَاعِبِ نَوْمُ
لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَكَلَّمُ
نَهَيْتُ الْعِدَا وَالشَّرُّ عُرْيَانُ أَشَامُ
وَأَوِي إِلَى الضَّيْفَانِ وَاللَّيْلِ أَذْهَمُ
حُسَامُ وَطَرَفُ أَعْوَجِي وَلَهْذَمُ
لِسَانُ وَبُرْهَانُ وَرَأْيُ مُحَكَّمُ
وَلَا بِالَّذِي إِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ يَفْحَمُ
كَغَرَبِ لِسَانِي حِينَ لَمْ يَبْقَ مُقَدِّمُ
وَإِنْ قُلْتُ حَيَّانِي شَبِيبُ وَأَكْتَمُ
مِنَ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ
يُسَرِّدُ فِي سِلْكِ الْمَقَالِ وَيُنْظِمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النِّسِيبَ مُتِّيمُ
بِفَضْلِي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرُ مُقَدَّمُ

أَسِيرُ وَأَنْفَاسُ الْعَوَاصِفِ رُكْدُ
وَمَا بَيْنَ سَلِّ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةُ
أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَمَّا يَرُومُهُ
أُغِيرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ أَشْهَبُ
وَيَصْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةُ
وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةُ
فَمَا أَنَا بِالْمَغْمُورِ إِنْ عَنْ حَادِثُ
لِسَانِي كَنَصْلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي
إِذَا صَلْتُ فَدَتْنِي فِرَاسُ بِشَيْخِهَا
فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ
وَمَا هُوَ إِلَّا جَوْهَرُ الْفَضْلِ وَالنُّهَى
فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقَصَائِدَ شَاعِرُ
فَإِنْ يَكُ عَصْرُ الْقَوْلِ وَلَى فَإِنِّي

وَقَالَ فِي الْمَدْحِ: (من السريع)

فَكَرَّتْهُ تَائِبَةَ الْأَنْجُمِ
كُلُّ أَخِي سَابِقَةٍ مِرْجَمِ
بَرَزَ أَوْ نَاضَلَ لَمْ يُحْجِمِ
مِنْ حِكْمَةٍ كَالْعَارِضِ الْمُتَجِمِ
لِعَاجِمِ مِنْ خَوَرِ الْمُعْجَمِ
وَفِكْرُهُ مُقْتَبَسٌ مِنْ «جَم»
وَلَمْ يُسَمِّ الْوَرْدَ بِالْحَوْجِمِ
بِوَاضِحِ الْقَوْلِ عَنِ الْمُعْجَمِ
كُلُّ فَصِيحِ الْقَوْلِ أَوْ أَعْجَمِ
دَلَالَةُ التَّبْرِ عَلَى الْمَنْجَمِ

يَا لَكَ مِنْ ذِي أَدَبٍ أَطْلَعْتَ
حَازَ مَدَى قَصَرَ عَنْ شَأُوهِ
فَهُوَ إِذَا قَالَ عَلَا أَوْ جَرَى
نُو فِكْرَةٍ فَاضَتْ بِمَا أُوْدِعَتْ
ذَاكَ فَتَى نَبَعْتُهُ لَمْ تَلِنْ
أَلْفَاظُهُ تُعْزَى إِلَى «يَعْرَبُ»
لَمْ يَنْظِمِ الْحَوْشِيَّ عُجْبًا بِهِ
لَكِنَّهُ رَاى الْحَجَا فَاكْتَفَى
دَانَ لَهُ بِالْفَضْلِ عَنْ خِبْرَةٍ
دَلَّ عَلَى مَعْدِنِهِ فَضْلُهُ

وَقَالَ: (من الطويل)

خِيَانَةُ شَمْرِ بَعْدَ غَدْرِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الدَّهْرِ يُعْزَى لِمُنْجَمٍ
دَرِيئَةُ لَعْنٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
إِلَى فَلَكَ عَالٍ مُحَاطٍ بِأَنْجَمٍ
وَمَنْ يَحْتَقِبْ خِزْيًا مِنَ اللَّهِ يُرْجَمِ

يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي الدَّهْرِ رَحْمَةٌ
هُمَا مَنْجَمًا شَرٌّ وَصَنَوْا ضَلَالَةً
شَقِيَّانَ هَامَا فِي الضَّلَالِ فَأُضْبَحَا
لَقَدْ فَوْقَا سَهْمَيْهِمَا وَتَطَاوَلَا
لَعْمَرِي لَقَدْ بَاءَا بِخِزْيٍ وَلَعْنَةٍ

وَقَالَ: (من الطويل)

لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا وَنَهَبُ مُقَسَّمٍ
وَنَالَ بِهَا حَظًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمُ
وَلَا رِيْعَهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمُ
وَدَعَاكَ حَقُّ الْمُلْكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ
رَأَوْكَ بِهَا فِي مَلِكٍ يَوْسُفَ تَحْكُمُ
فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلِ عَبْدٍ مُزْنَمُ
وَحُرٌّ إِذَا نَاقَشْتَهُ الْقَوْلُ أَغْنَمُ
وَذَاكَ أَعَزَّ الْمُلْكَ وَهُوَ مُهْضَمُ
جَلِيَّةٌ مَا شَاءَ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ

وَمَا مِصْرُ عُمَرِ الدَّهْرِ إِلَّا غَنِيْمَةٌ
تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدُ لِمَنْ سَطَا
عِدَاكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ
لَقَدْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا
فَإِنْ تَكْ أُولَئِكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا
وَشَتَّانَ عَبْدٌ بِالْمَحَجَّةِ نَاطِقُ
فَهَذَا أَدْلُ الْمُلْكَ وَهُوَ مُعَزَّرُ
فَمَنْ شَكَّ فِي حُكْمِ الْقَضَاءِ فَهَذِهِ

وَقَالَ: (من الكامل)

إِنْ كَانَ وَعْدُكَ لَا يَفِي بِذِمَامِهِ
جَارِي هَوَاكَ فَقَادَهُ بِزِمَامِهِ
مِنْ يَوْمِهِ فَقَضَى مَسِيرَةَ عَامِهِ
أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي غِيَّهِ وَهِيَامِهِ
الْقَى يَدًا لِلسَّيْلِمْ بَعْدَ غَرَامِهِ
مِنْهَا فَمَلَّكَهَا عِذَارَ لِحَامِهِ
سَلَبَتْ فِتَاةَ الْحَيِّ ثَنِي لِحَامِهِ

رُدِّي الْكَرَى لِأَرَاكِ فِي أَحْلَامِهِ
أَوْ فَابْعَثِي قَلْبِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ
قَدْ كَانَ خَلَفَنِي لِمَوْعِدِ سَاعَةٍ
لَمْ أَدْرِ هَلْ تَابَتْ إِلَيْهِ أَنْاتُهُ
عَهْدِي بِهِ صَعُبَ الْقِيَادِ فَمَا لَهُ
خَدَعْتَهُ سَاجِرَةُ الْعُيُونِ بِنَظَرَةٍ
يَا هَلْ يَعُودُ إِلَى الْجَوَانِحِ بَعْدَمَا

لَعَقَدْتُ قَائِمَ رَسْنِهِ بِخِدَامِهِ
 مَهْلًا إِلَيْكَ فَلَسْتُ مِنْ لُؤَامِهِ
 فَطَفِقتُ تَعْذِلُهُ عَلَى تَهْيَامِهِ
 أَنْفَاسِهِ وَدُمُوعِهِ وَسَقَامِهِ
 عَنْ أَعْيُنِ الْعَوَادِ غَيْرَ كَلَامِهِ
 وَذَكَتْ جَوَانِحُهُ بِنَارِ غَرَامِهِ
 يَبْكِي بُكَاءَ الطُّفْلِ عِنْدَ فَطَامِهِ
 وَعَرَارِهِ وَبَرِيرِهِ وَبَشَامِهِ
 وَيَكِي عَلَى أَغْصَانِهِ كَحَمَامِهِ
 طَيِّبًا مُرُورُ الْخَضِرِ بَيْنَ إِكَامِهِ
 وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقِ جِمَامِهِ
 فَاحْذَرْ عُيُونَ الْعَيْنِ مِنْ أَرَامِهِ
 فِي نُورِ غُرَّتِهِ وَبُعْدِ مَرَامِهِ
 فَاسْمَعْ أَنْيْنَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ
 تَرَوِي حَدِيثَ الْفَتَكِ عَنْ ضِرْغَامِهِ
 وَحَكَتْ بِلَحْظَتِهَا مَضَاءَ حُسَامِهِ
 سَيَّانٍ وَقَعَ لِحَاطِظَهَا وَسِهَامِهِ
 بِجَمَانِ بَرَّتِهِ سُلَاقَةَ جَامِهِ
 وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُلَافِ غَمَامِهِ
 وَقَوَامُ جِسْمِي مِنْ مِرَاجِ رَغَامِهِ
 يَسْلُو حَمَامُ الْأَيْكِ عَنْ تَرْنَامِهِ
 رَوْضُ جَنَيْتِ الْوَرْدِ مِنْ أَكْغَامِهِ
 فِي لَوْحِ فِكْرِي لَاحَ لِي بِتَمَامِهِ
 بَاقٍ عَلَى التَّبَعَاتِ مِنْ آثَامِهِ
 مِنْهُ الْوُدَادُ وَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ
 نَتْلُو سِجْلَ الْغَدْرِ مِنْ آثَامِهِ
 شَيْبٌ تَحْيِفُ لِمَتِي بِنَغَامِهِ

تَالِهٍ لَوْ مَلَكَتْ يَدَايِ جِمَاحَهُ
 يَا لَأَيْمِ الْمُشْتَقِ فِي أَطْرَابِهِ
 أَظَنَنْتُ لَوْعَتَهُ فُكَاهَةً مَارِحَ
 إِنْ كُنْتَ تُنْكَرُ شَجْوَهُ فَانْظُرْ إِلَى
 صَبِّ بَرَّتِهِ يَدِ الضَّنَى حَتَّى اخْتَفَى
 نَطَقَتْ مَدَامِعُهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ
 طَوْرًا يُخَامِرُهُ الذُّهُولُ وَتَارَةً
 يَصْبُو إِلَى بَانَ الْعَقِيقِ وَرَنْدِهِ
 وَإِذْ سَرَى فِي جَوْهِ كُنْسِيمِهِ
 أَرْجُ النِّبَاتِ كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَّرَى
 مَا لَتْ خَمَائِلُهُ بِخَضِرِ غُصُونِهِ
 يَا صَاحِبِي إِنْ جِئْتَ ذِيكَ الْجَمَى
 وَاسْأَلْ عَنِ الْبُذْرِ الَّذِي كَسَمِيهِ
 فَإِنْ اشْتَبَهَتْ وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِيًا
 فَبِذَلِكَ الْوَادِي غَزَالَةُ كِلَّةٍ
 ضَاهَتْ بِقَامَتِهَا سِرَاحَ قَنَاتِهِ
 هِيَ مِثْلُهُ فِي الْفَتَكِ أَوْ هُوَ مِثْلُهَا
 فَسَقَى الْجَمَى دَمْعِي إِذَا ضَنَّ الْحَيَا
 مَغْنَى رَعَيْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ غَضَّةً
 فَنَسِيْمُ رُوحِي مِنْ أَثِيرِ هَوَائِهِ
 لَا يَنْتَهِي شَوْقِي إِلَيْهِ وَقَلَّمَا
 يَا حَبِّدًا عَصُرَ الشَّبَابِ وَحَبِّدًا
 عَصُرَ إِذَا رَسَمَ الْخَيَالِ مِثَالَهُ
 إِنِّي لَأَذْكُرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّي
 مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدِهِ لَوْ دَامَ لِي
 وَالْدَّهْرُ مَصْدَرُ عِبْرَةٍ لَوْ أَنَّنَا
 عَمْرِي لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ وَعَادَنِي

وَقَالَ: (من البسيط)

وَاعْذِرْ شَايِبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ بَدَمٍ
 مَلَاعِبًا لِلْأَسَى وَالْأَعْيُنِ السُّجُمِ
 مِنَّا غَدَتْ سَكَنًا لِلرَّيْحِ وَالذَّيْمِ
 إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِذِي سَلَمٍ
 فِي مَنَبَتِ الْعِزِّ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ
 إِلَّا رُسُومًا كَوَحْيِ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ
 تَرَعَى الْمَحَاسِنَ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمٍ
 وَصَافَحْتَنِي يَدُ الْأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
 عَلَيَّ فَالْحُبُّ مَعْدُودٌ مِنَ الْقِسَمِ
 مَقَاطِعِ الْحَقِّ لَمْ تَسْلَمْ مِنَ النَّهَمِ
 أَيْدِي الضُّعْفَى فَعَدَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ
 وَلَا التَّلَوُّنُ فِي الْأَخْلَاقِ مِنْ شِيَمِي
 عَلَى الْوَفَاءِ عُهْدًا بِرَّةَ الْقِسَمِ
 عَلَاقِقُ الْوُدِّ ضَاعَتْ ذِمَّةُ الْحَرَمِ
 وَالْغَدْرُ فِي النَّاسِ دَاءٌ غَيْرُ مُنَحْسِمِ
 خَلَا وَفِيًّا وَعَهْدًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ
 يَرَعَى الْمَوَدَّةَ أَوْ يُلْقِي يَدَ السَّلَمِ
 فَالِنَّارُ كَامِنَةٌ فِي نَاجِرِ السَّلَمِ
 وَاسْتَحْكَمَ الْغَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ
 أَعْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى غَنَمٍ
 خَالَ مِنَ الْفَضْلِ مَمْلُوءٌ مِنَ النَّهَمِ
 عَلَى الْمَحَارِمِ هَدَّاجُونَ فِي الظُّلَمِ
 يُوفُونَ بِالْعَهْدِ إِلَّا خِيْفَةَ النُّقْمِ
 وَهُمْ أَصْحَاءُ فِي دِرْعٍ مِنَ السَّقَمِ
 وَلَا أَمَانَةَ فِي عَهْدٍ وَلَا قِسَمِ
 وَجْهَ الْغَزَالَةِ لَمْ تَشْرِقْ عَلَى عِلَمِ

أَعْدَ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعِلَمِ
 مَلَاعِبٌ لِلصَّبَا أَقْوَتْ وَمَا بَرَحَتْ
 كَانَتْ لَنَا سَكَنًا حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ
 لَمْ أَتَّخِذْ بَعْدَهَا دَارًا أَقِيمُ بِهَا
 وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارًا قَدْ نَشَأْتُ بِهَا
 يَا مَنْزِلًا لَمْ يَدَعْ وَشَكَّ الْفِرَاقُ بِهِ
 أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ كَانَتْ نَوَاطِرُنَا
 وَدَعْتُ شَطْرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ
 فَيَا أَخَا الْعَدْلِ لَا تَعْجَلْ بِلَايْمَةٍ
 أَسْرَفَتْ فِي اللُّومِ حَتَّى لَوْ أَصَبْتُ بِهِ
 فَارْحَمْ شَبَابَ فَتَى الْوَتِّ بِنَضْرَتِهِ
 تَالِلِهِ مَا غَدَرَهُ الْخِلَافُ مِنْ أَرْبِي
 فَكَيْفَ أَنْكَرُ وَدًّا قَدْ أَخَذْتُ بِهِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَصُونُ بِهِ
 وَأَيْنَ مَنْ تَمَلَّكَ الْأَحْرَارَ شِيَمَتُهُ
 فَاَنْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَسْتُ تَرَى
 هَيْهَاتَ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا أَخُو ثِقَةٍ
 فَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ وَجْهِهِ بِشَاشَتُهُ
 تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ
 وَظِلٌّ أَعْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ
 مِنْ كُلِّ أَشْوَهٍ فِي عَرْيَيْنِهِ فَطَسُ
 سُودُ الْخَلَائِقِ دَلَّاجُونَ مَا طَبِعُوا
 لَا يُحْسِنُونَ التَّقَاضِي فِي الْحُقُوقِ وَلَا
 صَفَرُ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَحْقَادِ تَحْسَبُهُمْ
 فَلَا ذِمَامَةَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
 بَلَوْتُ مِنْهُمْ خِلَالًا لَوْ وَسَمْتُ بِهَا

أَمْ هَذِهِ شَيْمَةٌ الدُّنْيَا مِنَ الْقَدَمِ
بِهِ الْحَمِيَّةُ لَمْ يَقْعُدْ عَلَى رَعَمِ
فَضْلُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ
وَأَيُّ بَاذِخَةٍ لَمْ تَعْلُهَا قَدَمِي
وَالسَّمْهَرِيَّةُ تَخْشَى الْفَتَكَ مِنْ قَلَمِي
وَالْفَضْلُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ الْفَضْلُ بِالْقَدَمِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ نَبَعَتْ فِي الْأَرْضِ نَابِغَةٌ
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا نَهَضَتْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ
فَأَيُّ غَامِضَةٍ لَمْ تَجْلُهَا فِطْنِي
وَكَيْفَ لَا تَسْبِقُ الْمَاضِينَ بَادِرْتِي
لِكُلِّ عَصْرِ رِجَالٍ يُذَكِّرُونَ بِهِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

وَفُؤَادٍ قَضَى عَلَيْهِ الْغَرَامُ
وَسُهَّادٍ وَالنَّاسُ عَنِّي نِيَامُ
هُ وَلَا مُسْعِدُ فَأَيْنَ الْكِرَامُ
غَيْرَ نَفْسٍ غَذَاؤُهَا الْأَلَامُ
وَبِكَى رَحْمَةً عَلَيَّ الْحَمَامُ
قَمَرُ نُورِهِ عَلَيَّ ظَلَامُ
فَانْظُرُوا كَيْفَ تُعْبَدُ الْأَصْنَامُ؟
وَهُوَ مِنِّي بِنَجْوَةٍ لَا نُرَامُ
يَعْلَمُ اللَّهُ فِي هَوَاهُ أَثَامُ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأَحْكَامُ
لِكَ نَفْسٍ قَدْ عَلَلَتْهَا النَّدَامُ
وَكَلَامُ تَجِفُّ مِنْهُ الْكِلَامُ
وَهُوَ دَاءٌ تَدْوَى بِهِ الْأَفْهَامُ
مَدَّتْ مِنْهُ مَا تَحْمَدُ الْأَقْوَامُ
وَمَرَاعَ هَشِيمِهَا لَا يُشَامُ
يَصْدُقُ الْوَدُّ وَالْعُهْدُ رِمَامُ
أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِهِ الْآيَامُ
رُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشُ لُهَا
مُ حِمَامٍ يَفِرُّ مِنْهُ الْحِمَامُ

مَنْ لِعَيْنٍ إِنْسَانُهَا لَا يَنَامُ
أَقْطَعَ اللَّيْلَ بَيْنَ حُزْنٍ وَدَمْعِ
لَا صَدِيقٌ يَرِثُنِي لِمَا بَتُّ أَلْقَا
لَمْ تَدْعُ لَوْعَةَ الصَّبَابَةِ مِنِّي
رَقَّ طَبْعُ النَّسِيمِ رَفَقًا بِحَالِي
وَبِنَفْسِي لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي
تَسْتَطِيبُ الْقُلُوبَ فِيهِ الرِّزَايَا
غَيَّرْتَهُ الْوُشَاةُ فَازُورَ عَنِّي
رَعْمُونِي أَتَيْتُ ذَنْبًا وَمَا لِي
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ امْرِئٍ مَا جَنَاهُ
يَا نَدِيمِي عَلَّلَانِي فَلَنْ تَهـ
رُبَّ قَوْلٍ يَرُدُّ لَهْفَةً قَلْبِ
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا
قَدْ لَعْمَرِي بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحـ
صَلَفُ لَا يَبْلُ غُلَّةَ صَادِ
أَطْلُبُ الصَّدَقَ فِي الْوُدَادِ وَأَتَى
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلًا
فَتَفَرَّدَ تَعَشٍ بِنَفْسِكَ حُرًّا
وَاحْذَرِ الضَّيْمَ أَنْ يَمْسَكَ فَالضَّيْبِ

ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الصَّبْرَ حِلْمًا وَهُوَ إِلَّا لَدَى الْكَرِيهَةِ ذَامٌ
يَحْسَبُونَ الْحَيَاةَ فِي الذُّلِّ عَيْشًا وَهُوَ مَوْتُ يَعِيشُ فِيهِ اللَّئَامُ

وَقَالَ: (من الخفيف)

يَا نَدِيمِي فِي «سَرْنَدِيب» كُفَّا عَنْ مَلَامِي؛ فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلَامُ
أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَرِيبٌ وَغَرِيبُ الدِّيَارِ لَيْسَ يُلَامُ
وَإِذَا كَرَا لِي «فُسْطَاطٌ» مِصْرُ؛ فَإِنِّي بِهَوَاهَا مُتَيِّمٌ مُسْتَهَامُ

قافية النون

وَقَالَ فِي وَدَاعِهِ لِلْوَطَنِ شَاكِراً أَحَدَ أَصْحَابِهِ عَلَى صِدْقِ وَدَادِهِ: (من الطويل)

فَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ
فُؤَادٍ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي
فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرِّكَ الْحُسْنِ
فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنِ
مَدَامَعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ
بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنَحَةَ السُّفْنِ
وَكَمْ مُقْلَةً مِنْ غَزَرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ
فَلَمَّا دَهْتَنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحَزْنِ
إِلَى الْحَزْمِ رَأْيِي لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ
لَمَّا قَرَعْتَ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِّي
جَرَتْ سُنْحًا طَيْرُ الْحَوَادِثِ بِالْيَمْنِ
وَيَبْدُو ضِيَاءُ الْبَدْرِ فِي ظُلْمَةِ الْوَهْنِ
وَلَهْذَمْ رُمَحٌ لَا يُقْلُ مِنَ الطَّعْنِ
وَأَسْلَمَهُ طُولُ الْمَرَاثِ إِلَى الْوَهْنِ
مَنَاهَجٌ لَا تَخْلُو مِنَ السَّهْلِ وَالْحَزْنِ

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي
عَنَاءٌ وَبَاسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ
فَإِنْ أَكْ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ
فَهَلْ مِنْ فَتَى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ
أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي
وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا خَطَرَةٌ ثُمَّ أَقْلَعَتْ
فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفَرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظَى
وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ
وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي
وَلَوْ لَا بُنَيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلُ
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ جَزَعْتَ فَرُبَّمَا
فَقَدْ تَوَرَّقُ الْأَغْصَانُ بَعْدَ ذُبُولِهَا
وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبه كَهَامَةٌ
وَمَنْ شَاغَبَ الْإِيَّامَ لِأَنْ مَرِيرُهُ
وَمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا كَسَالِكِ

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تَوَلَّتْ بِخَيْرِهَا
تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ
وَعَاشَرْتُ أَخْدَانًا فَلَمَّا بَلَوْتُهُمْ
إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ الْقُلُوبَ وَمَا انْطَوَتْ
يَرَى بَصَرِي مَنْ لَا أَوْدُ لِقَاءُهُ
وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنَ أَرْضٍ أَرَى بِهَا
فَسَمِعُ أَنْيْنَ الْجَوْرِ قَدْ شَاكَ مَسْمَعِي
وَصَغْبُ عَلَى ذِي اللَّبِّ رِثْمَانُ ذِلَّةٍ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزِمِ الْهَنَاءَ بِمِثْلِهَا
فَلَا تَعْتَرِفُ بِالذَّلِّ خِيفَةَ نِقْمَةٍ
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ سِيمَ خَسَفًا رَمَتْ بِهِ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ
وَلَا تَرْهَبِ الْأَخْطَارَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
وَلَوْلَا مُعَانَاةُ الشَّدَائِدِ مَا بَدَتْ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمُدُنِ مَا شِئْتَ مِنْ قَرَى
صَحَارٍ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا بِسَيْفِهِ
وَأَيُّ حَيَاةٍ لَامَرِيٍّ بَيْنَ بَلَدَةٍ
لَعَمْرِي لَكُوخٌ مِنْ ثَمَامٍ بَتْلَعَةٍ
وَأَطْرَبُ مِنْ دِيكَ يَصِيحُ بِكُوءٍ
وَأَحْسَنُ مِنْ دَارٍ وَخِيمٍ هَوَاؤُهَا
تَرَى كُلَّ شَيْءٍ نَصَبَ عَيْنَيْكَ مَائِلًا
تَدُورُ جِيَادُ الْخَيْلِ حَوْلَكَ شُرْبًا
إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الصَّرِيخِ تَنْصَبَتْ
فَتِلْكَ لَعَمْرِي عَيْشَةٌ بَدْوِيَّةٌ
وَمَا قُلْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ أَجَدَّ لِي
فَقَدْ ذُقْتُ طَعْمَ الدَّهْرِ حَتَّى لَفْظْتُهُ
وَلَوْلَا أَخْ أَحْمَدْتُ فِي الْوُدِّ عَهْدُهُ

فَأَهْوُنُ بِدُنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى فَنٍّ
وَحَمَلُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ
تَمَنَّيْتُ أَنْ أَبْقَى وَحِيدًا بِلا خَدِنٍ
عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ عَاشَ عَلَى ضَعْفٍ
وَتَسْمَعُ أُذُنِي مَا تَعَافٍ مِنَ اللَّحْنِ
مِنَ الظُّلْمِ مَا أَخْنَى عَلَى الدَّارِ وَالسَّكَنِ
وَرُؤْيَا وَجْهِ الْغَدْرِ حَلَّ عَرَا جَفْنِي
يَظَلُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَاهِي الْمَتْنِ
تَخْطَى إِلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ جَانِبِ الْأَمْنِ
فَعَيْشُ الْفَتَى فِي الذَّلِّ أَذْهَى مِنَ السَّجْنِ
حَمِيَّتُهُ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَاللُّدُنِ
مَهِيْبًا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالنَّارِ فِي دَغْنٍ
فَمَنْ هَابَ شَوْكَ النُّحْلِ عَادَ وَلَمْ يَجِنِ
مَزَايَا الْوَرَى بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ
فَأَصْجَرُ فَإِنَّ الْبَيْدَ خَيْرٌ مِنَ الْمُدُنِ
شَدِيدُ الْحَمِيَا غَيْرُ مَغْضٍ عَلَى دِمْنٍ
يَظَلُّ بِهَا بَيْنَ الْعَوَاثِنِ وَالِدَّخْنِ
أَحَبُّ إِلَيَّ قَلْبِي مِنَ الْبَيْتِ ذِي الْكِنِ
أَرَاكِيَّةً تَدْعُو هَدِيْلًا عَلَى غُصْنٍ
مَبِيْتِكَ مِنْ بُحْبُوحَةِ الْقَاعِ فِي صَحْنٍ
كَأَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي جَنَّتِي عَدْنٍ
تُجَاذِبُ أَطْرَافَ الْأَعْنَةِ كَالْجَنِّ
فَتَذُرُّكَ مَا لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِالْأَذْنِ
مُوطَآةَ الْأَكْنَافِ رَاسِخَةَ الرُّكْنِ
يَقِينَا نَفْيَ عَنِّي مُرَاجَعَةَ الظَّنِّ
وَعَاشَرْتُ حَتَّى قُلْتُ لِابْنِ أَبِي دَعْنِي
عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَا كُنْتُ أَسْتَتْنِي

وَمُقْتَرِبٍ يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تَجْنِ
وَلَكِنَّهُ فِي الطَّبْعِ وَالشَّكْلِ وَالْوَزْنِ
فَلَا أَدَبٌ يُجِدِّي وَلَا نَسَبٌ يَذْنِي
سَمِعْتُ بِهِ عَنْ أَحْنَفِ الْجِلْمِ أَوْ مَعْنٍ
يَنْمُ عَلَيْهِ فَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ أَغْنِي
سَمِيرُ فُؤَادِي فِي الْإِقَامَةِ وَالظُّعْنِ
كَمَا نَاحَ مِنْ شَوْقٍ جَمِيلٍ عَلَى بَثْنٍ
فَقَدْ سَمِئْتُ نَفْسِي مُعَاشِرَةَ الْهَجْنِ
أَهَاوِيلُ مُلْتَجٍ الْغَوَارِبِ مُسْتَنْ
أَرَاهُ بِهَا بَعْدَ الْكَزَازَةِ وَالضَّنِّ
بِرَحْمَةِ رَبِّي فَهُوَ ذُو الطَّوْلِ وَالْمَنْ

وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ يُصْفِيكَ وَدَّهَ
وَمَا الْوُدُّ فِي الْقُرْبَى وَإِنْ هِيَ أَوْجَبَتْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوُدَيْدَيْنِ خُلَّةٌ
فَذَاكَ أَخٌ لَوْلَاهُ أَنْكَرْتُ كُلَّ مَا
فَإِنْ لَمْ أَصْرَحْ بِاسْمِهِ خَوْفٌ حَاسِدٍ
عَلَى أَنْ ذِكْرَاهُ وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
أَنُوحُ لِبُعْدِي عَنْهُ حُزْنًا وَلَوْعَةً
فَمَنْ لِي بِهِ خَلًّا كَرِيمًا بِنَجَارُهُ
تُجَازِبُنِي نَفْسِي إِلَيْهِ وَدُونَنَا
لَعَلَّ يَدَ الْأَيَّامِ تَسْخُو بِلُقْيَةِ
وَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الْمِطَالُ لَوَاتِقُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرِنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ: (من البسيط)

فَيَلْتَقِي الْجَفْنَ بَعْدَ الْبَيْنِ وَالْوَسْنَ
وَمَا بِي الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكَنُ
أَمْ هَلْ تَعُودُ إِلَى أَوْطَانِهَا الظُّعْنُ
وَأَيُّ نِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لَا يَهْنُ
بِوَحْيٍ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفِتْنُ
بِي الصَّبَابَةِ حَتَّى شَفَّيَ الْوَهْنَ
لِلدَّمْعِ تَسْفَحُهُ الْأَطْلَالُ وَالْدَّمَنُ
شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ وَالشَّجَنُ
بَيِّدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصْنُ
أَسْدُ بَرَاتِنِهَا الْخَطِيئَةُ اللَّدُنُ
لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهُوُ وَالِدَدُنُ
وَفِي الْجَاذِرِ مِنَ الْفَاطِظِهَا غُنُنُ
كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيْنٌ خَشِنُ
لَا يَسْتَبِينُ لِعَيْنِي بَعْدَهَا سَنُنُ

أَعَايِدُ بِكَ يَا رِيحَانَةَ الزَّمَنِ؟
أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاطِمَةِ
فَهَلْ تَرُدُّ اللَّيَالِي بَعْضَ مَا سَلَبْتَ
أَهْنْتُ لِلْحُبِّ نَفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّ لَمَا ظَهَرَتْ
فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقَتْ
لَوْلَا جَرِيرَةُ عَيْنِي مَا سَمَحْتُ بِهَا
دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي فَاسْتَبَدَّ بِهِ
وَدُونَ مَا تَبَغَّيَ النَّفْسُ مِنْ أَرْبٍ
وَفِي الْأَكْلَةِ آزَامُ تَطْيِيفٍ بِهَا
مِنْ كُلِّ حَوْرَاءٍ مِثْلِ الظُّبْيِ لَوْ نَظَرْتُ
فِي نَشْوَةِ الرَّاحِ مِنْ أَلْحَاطِهَا أَنْزُ
دَقْتُ وَجَلْتُ وَلَانتُ وَهِيَ قَاسِيَةُ
طَوْتُ بِهِنِ النَّوَى عَنِّي بُدُورَ دُجَى

أَتَبَعْتُهُمْ نَظَرَاتٍ كُلَّمَا بَلَغَتْ
يَا رَاحِلِينَ وَفِي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ
مُنُوا عَلَيَّ بِوَصْلِ أَسْتَعِيدُ بِهِ
أَوْ فَاسْمَحُوا لِي بِوَعْدٍ إِنْ وَثَّ صَلَّةٌ
لَمْ أَلَقَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَوْمًا أُسْرُ بِهِ
يَا جِيرَةَ الْحَيِّ مَا لِي لَا أَنْالُ بِكُمْ
مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَةِ
أَفِي السَّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ وَلَا
يَا حَبْدًا مِصْرُ لَوْ دَامَتْ مَوَدَّتُهَا
تَاللَّهِ مَا فَارَقَتْهَا النَّفْسُ عَنْ مَلَلٍ
فَلَا يَسُرُّ عِدَاتِي مَا بُلِيَتْ بِهِ
ظَنُّوا ابْتِعَادِي إِغْفَالًا لِمَنْقَبَتِي
فَإِنْ أَكُنْ سَرْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي
لَا يَطْمَسُ الْجَهْلُ مَا أَثَقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ
قَدْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامًا وَإِنْ تَرَبُّوا
فَرُبَّ مَيِّتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ
فَلَا تَغْرُنْكَ أَشْبَاهُ تَمَرٍ بِهَا
فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ
لَوْ كَانَ لِلْمَرَةِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ
وَأَيُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
كُلُّ امْرِئٍ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ
فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ
غَنِيْتُ عَمَّا يَهِينُ النَّفْسُ مِنْ عَرَضٍ
لَكِنِّي بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
يُخْفُونَ مِنْ حَسَدٍ مَا فِي نَفُوسِهِمْ
يَا لِلْحَمَامَةِ أَمَا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ
أَكُلَ خِلَ أَرَاهُ لَا وَفَاءَ لَهُ

أُخْرَى الْحُمُولِ ثَنَاهَا مَدْمَعُ هُنُنٍ
يَكَادُ يَعْبُدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الْوَتَنُ
مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ
فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرَنُ
كَأَنَّ كُلَّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ حَزَنُ
مَعُونَةٍ وَبِكُمْ فِي النَّاسِ يُعْتَوَنُ
إِذَا تَرَنَّمْ فِيكُمْ شَاعِرٌ فَطِنُ
يَبْكِي عَلَى إِلْفِهِ ذُو لَوْعَةٍ ضَمِنُ
وَهَلْ يَدُومُ لِحْيِي فِي الْوَرَى سَكَنُ
وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ لَهَا إِحْنُ
فَسَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرِي الْحَسَنُ
وَذَاكَ عِزٌّ لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ فَطَنُوا
فَالنَّاسُ أَهْلِي وَكُلُّ الْأَرْضِ لِي وَطَنُ
وَكَيْفَ يَحْجُبُ نَوْرَ الْجَوْنَةِ الدَّخَنُ
وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَامًا وَإِنْ خَزَنُوا
وَرُبَّ حَيٍّ لَهُ مِنْ جَهْلِهِ كَفَنُ
هَيْهَاتَ مَا كُلُّ طَرْفٍ سَابِقُ أَرْنُ
فَكُلُّنَا بِبَيْدِ الْأَقْدَارِ مُرْتَهَنُ
لِعَاشٍ حُرًّا وَلَمْ تَعْلُقْ بِهِ الْمَحَنُ
يَبْقَى وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يُمْتَهَنُ
بِأَسْهُمٍ لَا تَقِي أَمْتَالَهَا الْجَنُنُ
فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى مَا فَاتَ أَحْتَزَنُ
فَمَا عَلَيَّ لِحْيِي فِي الْوَرَى مِنْنُ
إِنْ عَاقَدُوا عَدْرًا أَوْ عَاشَرُوا دَهْنًا
وَيُظْهِرُونَ خِدَاعًا غَيْرَ مَا بَطْنُوا
وَارِي الضَّمِيرَ لَهُ عَقْلٌ بِهِ يَزِنُ
وَكُلُّ قَلْبٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُضْطَغِنُ

فَالْيَوْمَ لَا أَدَبٌ يُغْنِي وَلَا فِطْرُنْ
وَالْجَهْلُ مُنْتَشِرٌ وَالْعِلْمُ مُنْدَفِعُنْ
كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ دَخُنْ
بِالْغَدْرِ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَادُ وَالِدَمْنُ
وَلَا رَفِيقٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يُؤْتَمِنُ
نَفْسِي عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي شَجُنْ
فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمُنْ
وَرُبَّ مَخْشِيَةٍ فِي طَبِهَا أَمُنْ
رَوْضُ الْأَمَانِي فَيَحْيَا الْأَصْلُ وَالْفَنُنْ
وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ الزَّمَنُ

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَعْهَدُهُ
فَالْخَيْرُ مُنْقَبِضٌ وَالشَّرُّ مُنْبَسِطُ
لَمْ تَلَقْ مِنْهُمْ سَلِيمًا فِي مَوَدَّتِهِ
طَوَاهُمُ الْغِلُّ طَيِّ الْقِدِّ وَانْتَشَرَتْ
فَلَا صَدِيقٌ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ
بَلَوْنَهُمْ فَسَيَّمْتُ الْعَيْشَ وَانْصَرَفْتُ
فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَمْلِكُهُ
كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سَلْمًا نَجَوْتُ بِهِ
لَعَلَّ مُزْنَةَ خَيْرٍ تَسْتَهْلُ عَلَى
وَكُلِّ شَيْءٍ لَهُ بَدْءٌ وَعَاقِبَةٌ

وَقَالَ يَذْكُرُ سَفَرَهُ مَعَ الْجُنْدِ الْمِصْرِيِّ إِلَى جَزِيرَةِ «أَقْرِيطَش» سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ
وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) حِينَ خَرَجَ سُكَّانُهَا عَنِ الطَّاعَةِ: (من الكامل)

وَهَفَا السُّرَى بِأَعْنَةِ الْفُرْسَانِ
فَوْقَ الْمَتَالِيعِ وَالرُّبَا بِجِرَانِ
إِلَّا اشْتَعَالَ أَسْنَةَ الْمُرَانِ
تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ
تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعَزْفُ قِيَانِ
وَتَصِيحُ أَحْرَاسٍ وَيَهْتِفُ عَانِي
فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
غَيْرِ التِّمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ
وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِي
لِطِرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ
يَتَكَلَّمُونَ بِاللَّسَنِ النِّيرَانِ
عَيْنَايَ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مَحَانِي
دُ أَعْنَةُ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي
لِتَهَابَ فَاُمْتَنَعَتْ عَلَى الْأَرْسَانِ

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ
وَاللَّيْلُ مَنُثُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبُ
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظُلُمَائِهِ
نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةٍ فِتْنَةٍ
فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ
تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرَدُ
قَوْمُ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا نَزَعَهُمْ
مَلَأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاضِرِ
فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا
وَضَعُوا السَّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ وَارْتَمَتْ
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسْنَةٌ وَإِذَا الْوَهَا
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ

تَحَنَّنْهَا شَجَنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ
مَاءٌ بِمِصْرَ مَنْارِلُ الرُّومَانِ
خَلْفًا بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانٍ
فِي مِصْرَ كُلِّ رَوِيَّةٍ مِزْنَانِ
شَتَّى النَّمَاءِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
وَطَرَحْتُ فِي يُمْنَى الْغَرَامِ عَنَانِي
أَلْمَى الظَّلَالِ وَزَهْرُهَا مُتَدَانِي
وَالْمَرْءُ طَوُوعُ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
إِنَّ الْأَمْثَالَ عُرْضَةُ الْحَدَثَانِ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ حُلْيَةُ الْفَتَيَانِ
عَنْ مِصْرَ وَلْتَهَذَا صُرُوفُ زَمَانِي
بِالِلِهِ أَعْلَمْتُ الزَّمَانَ مَكَانِي
وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي
غِشًّا وَجَارَى الْحَقِّ بِالْبُهْتَانِ
إِنَّ الشَّقِيَّ مَطِيَّةُ الشَّيْطَانِ
عَادَى الصَّدِيقِ وَمَالَ بِالْإِخْوَانِ
وَالطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الْإِنْسَانِ
مَنْ بَعْدَ مَا عَرَفَ الْخَلَائِقُ شَانِي
فَقَدْ الرَّجَاءُ وَقَلَّةُ الْأَعْوَانِ
عَنِّي وَإِنْ سَبَقْتُ بِهِ قَدَمَانِ
بِالدَّرِّ عِنْدَ تَمَاطُلِ الْمِيزَانِ
مَسْعَاتُهُ فَهَذَى بِهِ وَقَلَانِي

فَزِعْتُ فَرَجَّعَتِ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا
ذَكَّرْتُ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ
فَسَقَى السَّمَاءُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً
حَتَّى تَعُودَ الْأَرْضُ بَعْدَ مُحُولِهَا
بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَبِيبَتِي
فَصَعِيدُهَا أَحْوَى النَّبَاتِ وَسَرَحُهَا
فَارَقْتُهَا طَلَبًا لِمَا هُوَ كَائِنُ
حَمَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَجْنِهْ
نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكْتُ شَجَاعَتِي
فَلَيْهِنَا الدَّهْرُ الْغَيُورُ بِرَحْلَتِي
فَلْتُنْ رَجَعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَاثِقًا
صَادَفْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي
زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغْتُ بِهِ
فَلْيَجْرِ بَعْدَ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ
وَكَذَا اللَّيِّيمُ إِذَا أَصَابَ كِرَامَةً
كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي عَلَى أَعْرَاقِهِ
فَعَلَامٌ يَلْتَمِسُ الْعُدُوَّ مَسَاءَتِي
أَنَا لَا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزْعُ الْفَتَى
فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَضَرَهُ
فَلَرَبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى
شَرَفُ خُصِصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدُ

وَقَالَ فِي صِبَاه: (من الوافر)

وَحَكَّمْتُ الْغَوَايَةَ فِي عَنَانِي
إِلَيْكَ فَقَدْ عَنَانِي مَا عَنَانِي
يُوقِّرُ عِنْدَ سَوْرَتِهِ جَنَانِي

صَبَوْتُ إِلَى الْمُدَامَةِ وَالْغَوَانِي
وَقُلْتُ لِعِفَّتِي بَعْدَ امْتِنَاعِ
فَمَا لِي عَنْ هَوَى الْحَسَنَاءِ صَبِيرُ

كُتُسُ هَوَى مِنْ الْحَدَقِ الْجَسَانِ
وَحُذْ مَا شَتَّتَهُ فِي أَيِّ شَانِ
وَأَغْرَى فِي الْمَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي
وَمِنْ صَلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي
يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي
صُرُوفَ الدَّهْرِ أَنَا بَعْدَ آنِ
خُلُوبِ الْوُدِّ مَصْنُوعِ الْحَنَانِ
وَيَمْدُقُ فِي الْمَحَبَّةِ وَهُوَ دَانِي
يَدُورُ بِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ
فَرُبَّ خَدِيعَةٍ تَحْتَ الْأَمَانِ
فَإِنَّ الْحُسْنَ قُبْحٌ فِي الْجَبَانِ
بِذِي تَرْفٍ يُرَوِّعُ بِالشَّنَانِ
وَلَمْ أَدْخُلْ لَعَمْرُكَ فِي قِرَانِ
عَقَدْتُ بِحَدِّ سَوْرَتِهَا لِسَانِي
فَيَظْهَرُ بَعْضُ سِرِّي لِلْعَيَانِ
صَدِيقًا أَوْ أَحِنُّ إِلَى مَكَانِ
إِلَيْنَا بِالرَّدَى يَتَسَابَقَانِ
رُؤْيُكَ فَهِيَ أَقْرَبُ لِلْجِرَانِ
وَتَجْمَعُ لِلْبَقَاءِ وَأَنْتَ فَانِي
إِذَا اعْتَكَرَتْ بِصَافِيَةِ الدَّنَانِ
إِذَا دَارَتْ عَلَى نَعَمِ الْقِيَانِ
أَفَانِينَ مِنْ الْعُصْرِ الْفَوَانِي
فَتَلِمْسُهَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
فَلَيْسَ الْعُمْرُ يَدْخُلُ فِي ضَمَانِ
سَلِيمِ الْقَلْبِ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ
وَالْفَاطُ تَمُرُّ بِلا مَعَانِي
فَمَا يَدْرَى الْهَجِينُ مِنَ الْهَجَانِ

وَكَيْفَ يَضِيقُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ
أَعَاذِلُ خَلْنِي وَشُنُونَ قَلْبِي
فَقَدْ شَبَّ الْهُوَى مَنْ رَامَ نُصْحِي
رَضِيتُ مِنَ الْهُوَى بِحَوْلِ جِسْمِي
وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلًا
بَلَوْتُ النَّاسَ وَاسْتَحْبَزْتُ عَنْهُمْ
فَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ أَخِي كِذَابِ
يُصْرِّحُ بِالْعَدَاوَةِ وَهُوَ نَاءِ
لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ لِسَانِ
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى نَجْوَاكَ صَدْرًا
وَلَا يَغُرُّكَ قَوْلُ دُونَ فِعْلِ
وَمَا أَنَا وَالطُّبَاعُ لَهَا انْجِدَاعُ
رَغِبْتُ بِشِيمَتِي وَعَرَفْتُ نَفْسِي
وَمَا شُرْبِي الْمُدَامَ هَوَى وَلَكِنْ
مَخَافَةً أَنْ تَهِيَجَ بِنَاتِ صَدْرِي
وَفِيمَ وَقَدْ بَلَوْتُ الدَّهْرَ أَبْغِي
وَلَسْتُ أَرَى سِوَى صُبْحٍ وَجُنْحِ
فَيَا مَنْ ظَنُّ بِالْأَيَّامِ خَيْرًا
أَتَرَعَّبُ فِي السَّلَامَةِ وَهِيَ دَاءُ
دَعِ الدُّنْيَا وَسَلِّ اللَّهُمَّ عَنْهَا
فَإِنَّ الرِّاحَ رَاحَةً كُلِّ نَفْسِ
مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا
تَخَالُ وَمِيضُهَا فِي الْكَاسِ نَارًا
فَحُذْهَا غَيْرَ مُدْخِرٍ نَفِيسًا
وَحَلِّ النَّاسِ عَنْكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ
تَمَائِيلُ تَدُورُ بِلا عُقُولِ
تَشَابَهَتْ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي

تَرَى كُلَّ ابْنٍ أَنْتَى لَا يُبَالِي
يُبدِلُ بِنَفْسِهِ إِنْ غَبْتُ عَنْهُ
فَمَنْ لِي وَالْأَمَانِي كَاذِبَاتُ
الْأَلْعَبُ فِيهِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي
تَرَانِي فِيهِ أَوَّلُ كُلِّ دَاعٍ
إِلَى أَنْ تَنْجَلِي الْعَمْرَاتُ عَنْهُ
أَنَا ابْنُ اللَّيْلِ وَالْخَيْلِ الْمَذَاكِي
إِذَا عَيْنٌ أَجَدَّ بِهَا طِمَاحُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرْنَدِيْبٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ وَيَذْكُرُ صَدِيقًا لَهُ: (من المنسرح)

وَأَطْوَلَ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ
أَنْتَ الْمُنَى وَالْحَدِيثُ إِنْ أَقْبَلَ الصَّدُ
فَكَيْفَ أَنْسَاكَ بِالْمَغِيبِ وَلِي
لَسْتُ أَبَالِي وَقَدْ سَلِمْتُ عَلَى الدَّ
لَيْتَ بَرِيدَ الْحَمَامِ يُخْبِرُنِي
أَهْمُ عَلَى الْوُدِّ أَمْ أَطَافَ بِهِمْ
فَإِنْ نَسُونِي فَذَكِّرْتِي لَهُمْ
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَضْيَعَةٍ
بَيْنَ أَنْاسٍ إِذَا وَزَنْتَهُمْ
لَا فِي مَوَدَّاتِهِمْ إِذَا صَدَقُوا
مِنْ كُلِّ فِظٍّ يَلُوكُ فِي فَمِهِ
يَنْضَحُ شَذَقَاهُ بِالرُّؤَالِ كَمَا
شُعْتُ عَرَاهُ كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا
لَا يُحْسِنُونَ الْمَقَالَ إِنْ نَطَقُوا
أَرَى بِهِمْ وَحْشَةً إِذَا حَضَرُوا
وَكَيْفَ لِي بِالْمُقَامِ فِي بَلَدٍ
كُلُّ خَلِيلٍ لِخَلِّهِ وَزَرُّ

وَأِنْ عَرَّتْنِي بِحُبِّكَ الْمَحَنُ!
صُبْحُ وَهْمِي إِنْ رَنَّقَ الْوَسْنُ
فِيكَ فَوَادُّ بِالْحُبِّ مُزْنَهُنَّ
هَرَّ إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزْنُ
عَنْ أَهْلِ وَدِّي فُلِي بِهِمْ شَجْنُ
وَإِشْ أَرَاهُمْ خِلَافَ مَا يَقْنُوا
وَكَيْفَ يَنْسَى حَيَاتَهُ الْبَدْنُ
تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالْإِحْنُ
بِالذَّرِّ عِنْدَ الْبَلَاءِ مَا وَزَنُوا
رَبِحُ وَلَا فِي فِرَاقِهِمْ غَبْنُ
مُضْغَةٌ سُوءٍ مَزَاجُهَا عَفْنُ
عُلَّ بِنَضْحِ الْعَتِيرَةِ الْوَتْنُ
مَنْ نَفَقَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَا دُفِنُوا
جَهْلًا وَلَا يَفْقَهُونَ إِنْ أَدْنُوا
وَطِيبَ أَنْسٍ إِذَا هُمْ ظَلَعْنُوا
مَا لِي بِهَا صَاحِبٌ وَلَا سَكْنُ
وَكُلُّ دَارٍ لِأَهْلِهَا أَمْنُ

شَمْلِي وَالْقَى مُحَمَّداً سَنَنْ
فَهُوَ بِشُكْرِي وَمَدَحَتِي قَمَنْ
مِنْهُ الْحَجَا وَالْبَيَانُ وَاللَّسَنُ
بِي الرِّزَايَا مُحْيِلُ هُتُنُ
يَمْنَحُنِي وَدَّهَ وَلَا خَتَنُ
لَاهُ وَفَرْدُ يَحْيَا بِهِ الزَّمَنُ
وَعِنْدَ فَقْدِ الرَّجَاءِ مُؤْتَمَنُ
وَنَفْحَةُ الْوَرْدِ سِرُّهَا عَلَنُ
لَكَانَ بِالنَّيِّرَاتِ يِقْتَرَنُ
لِ الذِّكْرِ فَالذِّكْرُ مَفْخَرُ حَسَنُ

فَهَلْ إِلَى عَوْدَةٍ أَلَمْ بِهَا
ذَاكَ الصَّدِيقُ الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ
عَاشِرْتُهُ حَقْبَةً فَأَنْجَدَنِي
وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ بَعْدَ مَا عَلِقْتُ
يَنْصُرُنِي حَيْثُ لَا يَكَادُ حَمُ
قَدْ كَانَ ظَنِّي يُسِيءُ بِالنَّاسِ لَوْ
فَهُوَ لَدَى الْمُعْضَلَاتِ مُسْتَنَدُ
نَمْتُ عَلَى فَضْلِهِ شَمَائِلُهُ
لَوْ كَانَ يَعْلُو السَّمَاءَ ذُو شَرَفٍ
فَلْيَحْيَ حُرّاً مُمْتَعاً بِجَمِيدِ

وَقَالَ أَيُّضاً فِي صَبَاهُ: (من البسيط)

وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي
صَبَابَةً نَقَلْتُ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ
أَسْلَمْتُ لِلشُّوقِ رُوحِي وَالضُّنَى بَدَنِي
أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لَمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ
إِلَى غَرَائِبٍ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تُكُنِ
يَأْسُ فَعَادَرَهَا صَرَغِي مِنَ الْوَهَنِ
عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ
وَجِدِي وَدَلَّتْهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجْنِي
أَنْ أُمْتَعَ الْعَيْنُ مِنْ تِمَثَالِكِ الْحَسَنِ
حَتَّى أَتَاكُم بِقَوْلٍ مِنْ هِنٍ وَهِنِ
حُرَّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ
مِنْ عَهْدِ آدَمَ سَبَّاقُونَ فِي الْإِحْنِ
وَلَا خَلِيلَ عَلَى سِرِّ بِمُؤْتَمِنِ
خَلًّا يَكُونُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
مِنْهُ الصَّوَابُ وَأَرْجُوهُ عَلَى الزَّمَنِ

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِزْلَانِ الْجَمَى رَسَنِي
وَأَعَجَبْتَنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَهَا
فَلْيَبْلُغِ الْعَذْلُ مِنِّي مَا أَرَادَ فَقَدْ
تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيتُ
يَا رَبَّةَ الْخُدْرِ قُومِي فَأَنْظُرِي عَجَبًا
هَذِي يَدَيَّ جَسَّهَا الْآسِي وَخَامَرُهُ
وَقَالَ لَا تَكْتُمَنَّ أَمْرًا عَلَيَّ فَقَدْ
فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمْعَ نَمَّ عَلَى
عَطْفًا عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى
مَا لِلْعَذُولِ رَأَى وَجِدِي فَأَحْفَظُهُ
لَا تَقْبِلِي الْعَذْلَ فِي مِثْلِي فَكُلُّ فَتَى
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْفَضْلِ مَذْ خُلِقُوا
فَلَا صَدِيقَ عَلَى وَدٍّ بِمُتَّفِقِ
فَلَيْتَ لِي وَدَّاعِي النَّفْسِ كَاذِبَةٌ
أُصْفِيهِ وَدِّي وَأُمْلِيهِ الْهَوَى وَأَرَى

حَيٍّ وَلَوْ سَارَ مِنْ هِنْدٍ إِلَى يَمَنِ
عَيْنَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفَتَنِ
غَيْرِ الَّذِي قُلْتَ فَأَهْجُرْنِي وَلَا تَرْنِي
لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُحْتَزَنِ
أَرْكُنٍ لِحُلٍّ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى سَكَنِ
عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلَا عِرْضِي بِمُمْتَنَنِ
دَهْرِي فَقَدَّمَ مِنْ دُونِي وَأَخَّرْنِي
أَنِّي أَرَى مُحْنَتِي فِيهَا وَتَعْجِبْنِي
يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمْضِي مِنَ الْحَرَنِ
وَأَقْنَعُ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشَنِ
شَرِّ الْحَيَاةِ وَسَعْيِ الْحَاسِدِ الْإِفَنِ
حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشُّكْرِ وَالْمِنَنِ
هُوْنًا وَتَوْبِكَ مَعْصُومٌ مِنَ الدَّرَنِ
إِسَاءَةٌ فَتَعَمَّدهَا عَلَى الظَّنَنِ
فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِلَا ثَمَنِ

هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أَمْرًا لَيْسَ يَبْلُغُهُ
مَهْلًا أَخَا الْجَهْلِ لَا يُغْوِيكَ مَا نَظَرْتُ
هَذِي الْبَرِيَّةُ فَنَنْظُرُ إِنْ وَجَدْتُ بِهَا
أَنَا الَّذِي عَرَفَ الْأَيَّامَ وَأَنْكَشَفْتُ
طُفْتُ الْبِلَادَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ
خُلِقْتُ حُرًّا فَلَا قَدْرِي بِمُتَضَعٍ
لَا عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى
وَهَذِهِ شِيْمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ
لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ
فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا فَطِنًا
وَلَا تَفْهَ بِحَدِيثِ النَّفْسِ إِنْ بِهِ
وَلَا تَسَلْ أَحَدًا عَوْنًا عَلَى أَمَلٍ
خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً
وَعَاشِرَ النَّاسِ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ
فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ: (من الكامل)

كَانَتْ مَنَازِلُنَا بِهَا أَحْيَانًا
لِلْجَارِيَّاتِ مِنَ الظُّبَاءِ مَكَانًا
تُشْجِي الْفُؤَادَ وَلَا نَرَى إِنْسَانًا
فَعَدَتْ تُحْمَحِمُ رَقَّةً وَحَنَانًا
نَصِفُ الْكِلَالَ وَنَذْكُرُ الْإِخْوَانَا
أَحَدٌ وَلَا يَرْعَى الْجَمِيمَ سَوَانَا
أَدَبًا وَخَفُوا لِلْوَعَى فُرْسَانَا
قَيْدَ الْمَحَامِدِ شِدَّةً وَلِيَانَا
نَارَ الْفَضَائِلِ حُجَّةً وَبَيَانَا
عِنْدَ التَّخَاصُمِ فِي النَّدْيِ سَنَانَا

أُحِبُّ بِهِنَّ مَعَاهِدًا وَمَعَانَا
يَمَنْ عَفَتْ بَعْدَ الْأَنْبِيسِ فَأَصْبَحَتْ
وَلَقَدْ نَرَى فِيهَا مَلَاعِبَ لَمْ تَزَلْ
عَرَفَتْ بِهَا الْجُرْدُ الْعِتَاقُ مَجَالَهَا
بِتَنَا بِهَا مُتَسَانِدِينَ عَلَى الثَّرَى
أَيَّامٌ لَا يَرِدُ الْجِمَامُ لِعِزِّهَا
فِي مَعْشَرٍ رَسَخَتْ حَصَاةُ حُلُومِهِمْ
قَرَنُوا الشَّجَاعَةَ بِالسَّمَاةِ فَاغْنَدُوا
طَلَعُوا عَلَى الزَّمَنِ الْبَهِيمِ فَانْقَبُوا
مِنْ كُلِّ مَشْبُوبٍ تَخَالُ لِسَانُهُ

إِنْ قَالَ بَرٍّ وَإِنْ أَتَاهُ مُطَرَّدٌ
أَنَا مِنْهُمْ وَالْعُودُ يَنْبُعُ أَصْلُهُ
فَاكُوهُ الْحَسُودَ بِنَاطِرِيهِ وَقُلْ لَهُ
إِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُهَا
وَنَرْدٌ عَادِيَةٌ الْخَمِيسِ بَأَنْفُسِ
فَتَرَى عِتَاقَ الْخَيْلِ حَوْلَ بِيُوتِنَا
مَشَقَّ الطَّرَادِ لِحُومَهُنَّ فَلَمْ يَدَعْ
مَنْ كُلُّ مُنْتَصِبٍ عَلَى أَقْيَادِهِ
بَذَخَتْ قَوَائِمُهُ وَأَقْبَلَ مَتْنُهُ
فَإِذَا عَلَا حَزْنًا أَطَارَ شَرَارُهُ
وَالْخَيْلُ أَكْرَمُ صَاحِبِ يَوْمِ الْوَعَى
فَعَلَى بَطُونِ خِيَارِهَا أَرْزَأْنَا
هَذَا الْفَخَارُ قَدْرُ بَعِيْنِيكَ حَيْثَمَا

وَقَالَ: (من المديد)

يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْوَسَنِ
كَيْفَ لَا تَرْتَبِي لِمُكْتَتِبِ
هَبْكَ لَمْ تَسْمَعْ شَكَاةَ فَمِي
يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ لِفَتَى
رَعَتِ الْأَشْوَاقُ مُهْجَتَهُ
أَهْ مِنْ طَبْنِي خَلَعْتُ بِهِ
سَاجِرَ الْعَيْنَيْنِ مَا بَرَحَتْ
سَلَكَتْ بَعْضُ الْوَشَاةِ بِهِ
صَرَفُوهُ عَنْ طَبِيعَتِهِ
وَقَرِينِ السُّوءِ مَجْلَبَةٍ
فَاتْرُكِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى
مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حُلْبَتِهِ

مَا الَّذِي أَلْهَكَ عَنْ شَجْنِي
شَفَّهُ بَرْحٌ مِنَ الْحَزَنِ
أَوْ لَمْ تُبْصِرْ ضَنْيَ بَدْنِي
بِيدِ الْأَشْوَاقِ مُرْتَهَنِ
وَبَرَاهُ الْوَجْدُ فَهُوَ ضَنْيِ
فِي مَيَادِينِ الْهَوَى رَسْنِي
لَحْظَتَاهُ مَصْدَرُ الْفِتَنِ
مِنْ نَمِيمِ الْغَيِّ فِي سَنَنِ
وَعَنَانِ الْقَلْبِ فِي الْأُذُنِ
لِدَوَاعِي الْهَمِّ وَالْمَحَنِ
صَاحِبًا إِلَّا عَلَى دَخَنِ
كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظَّنِّ

وَقَالَ: (من الوافر)

وَلَمْ أَحْفَلْ مَقَالَةً مَنْ نَهَانِي
بِحُبِّ الْغَيْدِ مَشْغُوفُ الْجَنَانِ
تَنَالُ يَدِي بِهِ عَقْدَ الرَّهَانِ
تَضَيَّفَ مُهْجَتِي بِاسْمِ الْحَسَنِ
وَحَقَّ الضَّيْفِ إِعْزَازُ الْمَكَانِ
أَبِي لَا يَقْرُ عَلَى الْهَوَانِ
وَإِنْ أَخْنَى عَلَى دَمْعِي زَمَانِي
وَمِنْ صَلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي
بُنَاصِحُنِي فَعَقَلِي قَدْ كَفَانِي
فَلَسْتُ لِغَيْرِهِ سِلْسِ الْعَنَانِ
وَأَرْهَفَ مِنْ شَبَا سَيْفِي لِسَانِي
أَمَلْتُ إِلَيْهِ كَفِّي بِالسِّنَانِ
بِأَحْمَرَ مِنْ دَمِ التَّامُورِ قَانِي
وَلَكِنِّي أَرَفُ إِلَى الطَّعَانِ
أَقْرَ بِهِ إِلَيَّ الْخَافِقَانِ
سِوَى رَمَقِ تَجُولُ بِهِ الْأَمَانِي
وَتَسْلُبُ مُهْجَتِي حَدَقُ الْحَسَانِ
دَلَفْتُ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي

أَطَعْتُ الْغَيَّ فِي حُبِّ الْغَوَانِي
وَمَا لِي لَا أَهِيْمُ وَكُلُّ شَهْمٍ
وَلِي فِي الْأَرْبَعِينَ مَجَالُ لَهْوٍ
فَكَيْفَ أَزُودُ عَنْ نَفْسِي غَرَامًا
أَبَحْتُ لَهُ الْفُؤَادَ فَعَاثَ فِيهِ
فَدَعْنِي مِنْ مَلَامِكَ إِنَّ قَلْبِي
فَمَا بِالْحُبِّ عَارُ اتَّقِيهِ
رَضِيتُ مِنَ الْهُوَى بِنُحُولِ جِسْمِي
وَأَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلَا
فَإِنْ يَكُنْ الْهُوَى قَدْ رَاضَ نَفْسِي
أَشَدُّ مِنَ الصُّخُورِ الصَّمِّ قَلْبِي
وَلَوْ كَانَ الْغَرَامُ يَخَافُ بَأْسًا
فَكَمْ بَطَلَ خَضِبْتُ الْأَرْضَ مِنْهُ
وَمَا أَنَا بِالذَّلِيلِ أَرَدْتُ حَتَلًا
وَلِي فِي «سَرْنَسُوفٍ» مَقَامُ صِدْقٍ
وَمَا أَبْقَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ مِنِّي
وَيَسْلُبُ أَنْفُسَ الْأَبْطَالِ سَيْفِي
فَلَوْ بَرَزَ الْحِمَامُ إِلَيَّ شَخْصًا

وَقَالَ يَرِثِي المرحومَ عَلِيٍّ رِفَاعَةَ بَاشَا: (من الطويل)

فَقَدْ أَقْصَدْتُهُ أَشْهُمُ الْحَدَثَانِ
عَلَى الْفَضْلِ نَبْكِهِ بِأَحْمَرَ قَانِي
وَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ ذُو خَفَقَانِ
خَلْتُ أَرْبُعَ مَنْ شَخْصِهِ وَمَغَانِي
بَدِيْمُومَةٍ وَالْوَرْدُ لَيْسَ بِدَانِي

نَعَاءٍ عَلَيْهِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
مَضَى وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ فِي مَا تَمَّ
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ بِالدَّمْعِ ثَرَّةٌ
حِفَاطًا وَإِشْفَاقًا عَلَى مُتَرَحِّلٍ
فَقَدْنَاهُ فَقْدَانِ الظَّمَاءِ شَرَابُهُمْ

فَيَا لِلْعَلَا كَيْفَ اسْتَبِيحَ ذِمَارُهَا
لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَ الْأَسَى بَعْدَ فَقْدِهِ
ضَمَانٌ عَلَى قَلْبِي صَيَانُهُ عَهْدِهِ
تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْقَى مَآثِرًا
فَإِنْ يَكُ أَوْدَى فَهُوَ حَيٌّ بِفَضْلِهِ
وَأَيُّ امْرِئٍ يَبْقَى وَدُونَ بَقَائِهِ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَيَاةَ فَإِنَّهَا
إِذَا مَا بَنَانَا الدَّهْرُ ظَلَّتْ صُرُوفُهُ
تُخَادِعُنَا الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَلَمْ نَحُلْ
إِذَا مَا الْأَبُّ الْأَعْلَى مَضَى لِسَبِيلِهِ
لَقَدْ فَجَعْنَا أُمُّ دَفِرٍ وَمَا دَرَتْ
سَلِيمٌ نَوَاجِي الصَّدْرِ لَا يَسْتَفِرُّهُ
يُعَاشِرُ بِالْحُسْنَى فَإِنْ رَيْبٌ لَمْ يَفُهِ
لَقَدْ كَانَ خِلًّا لَا يُشَانُ بَعْدَرَةَ
إِذَا قَالَ كَانَ الْقَوْلُ غُنْوَانٌ فَعَلِهِ
خِلَالُ يَفُوحِ الْمُسْكُ عَنْهَا مُحَدَّثًا
فَلَا عَرَوْا أَنْ تَدْمَى الْعُيُونُ أَسَافَةً
فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَحْيَا الْبِلَادَ بِعِلْمِهِ
أَفَادَ بَنِي الْأَوْطَانِ فَضْلًا سَمَوْا بِهِ
وَأَنْتَ ابْنُهُ وَالْفَرْعُ يَتَّبِعُ أَصْلَهُ
هُوَ الْأَوَّلُ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ حَلَبَةٍ
فَيَا رَحْمَةَ اللَّهِ اسْتَهْلِي عَلَيْهِمَا
وَعَمِّي قُبُورَ الْعَالَمِينَ كَرَامَةً
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةٌ

وَالْفَضْلُ إِذْ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانُ؟!
بِنَا لَوْعَةً لَا تَنْثْنِي بِعَنَانٍ
وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَفِي بِضَمَانٍ
يُقَرُّ لَهَا بِالْفَضْلِ كُلُّ لِسَانٍ
وَمَنْ كَانَ مَذْكُورًا فَلَيْسَ بِفَانِي
نَهَارٌ وَلَيْلٌ بِالرَّدَى يَفْدَانٍ
إِلَى الْمَوْتِ أَذْنَى مِنْ فَمٍ لِبَنَانٍ
نُهِدْمُنَا وَالدَّهْرُ أَغْدَرُ بَانِي
بِأَنَّ الرَّدَى حَتْمٌ عَلَى الْحَيَوَانِ
فَمَا لِبَنِيهِ بِالْبَقَاءِ يَدَانِ
بِأَرْوَعٍ مِنْ نَسْلِ النَّبِيِّ هَجَانٍ
نِزَاعٌ إِلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَّانِ
بِسُوءٍ وَلَمْ تَرْمِزْ لَهُ شَفَتَانِ
وَصَاحِبَ غَيْبٍ طَاهِرٍ وَعِيَانِ
وَيَا رَبَّ قَوْلٍ نَافِذٍ كَسَنَانِ
وَيُثْنِي عَلَى آثَارِهَا الْمَلَوَانِ
عَلَيْكَ وَيَرْعَى الْحُزْنَ كُلَّ جَنَانٍ
وَأَبْقَى لَهُ ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ
إِلَى هَضْبَاتٍ فِي الْعُلَا وَقَنَانٍ
وَمَا مِنْكُمَا إِلَّا جَوَادُ رَهَانٍ
وَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ثَانِي
بِسَجْلَيْنِ لِلرَّضْوَانِ يَنْهَمِلَانِ
لِقَبْرَيْنِ بِالْبَطْحَاءِ يَلْتَقِيَانِ
يُؤَافِيكَ فِي خُلْدٍ بِهَا الْمَلَكَانِ

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من الخفيف)

وَالْمَنَايَا خَصِيمَةُ الْحَيَوَانِ
شَغَلْتُنَا عَنْهُ ضُرُوبُ الْأَمَانِي
سِ بِضْدَيْنِ مِنْ عَلَا وَهَوَانِ
رِ وَطَوْرًا كَالنَّاقِمِ الْغَضْبَانِ
لِ وَلَا سَوْقَةٍ وَلَا سُلْطَانِ
بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى أَبُو الْإِنْسَانِ
كُرَّةُ الْأَرْضِ وَهِيَ ذَاتُ دُخَانِ
ثُمَّ ضَاعَتْ فِي لُجَّةِ النَّسْيَانِ
خَبْرًا فِي الْوُجُودِ بَعْدَ عِيَانِ
فَعَسَى أَنْ يُجِيبَكَ الْهَرَمَانِ
سِ» بَنَاهُ مِنْ أَوَّلِ الْبُنْيَانِ
بَيِّنَاتٌ دَلَّتْ عَلَى الطُّوفَانِ
جَلَبَتْهَا الْقُيُوءُ مِنْ أُسْوَانِ
ضُمْنَتْ كُلَّ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ
أَثَرًا نَاطِقًا بِغَيْرِ لِسَانِ
ذِكْرُ هُرْمَيْسَ مِنْ سَجَلِ الزَّمَانِ
تَنْقُضِي بِالشَّقَاءِ وَالْجُرْمَانِ
تَمْتَرِيهَا قَرَائِحُ الْأَذْهَانِ
فَلَسَفِيًّا لَمْ يَقْتَرِنْ بِمَعَانِي
أَيْنَ مِنْهُ مَحَجَّةُ الْبُرْهَانِ
وَجَهَلْنَا مَا لَا تَرَى الْعَيْنَانِ
لِجَلَالِ الْمُهَيِّمِنِ الدِّيَانِ
فِيكَ لِكِنِّي جَمُوحُ الْعِنَانِ
كَبَحَ الدَّهْرِ شَرَّتِي وَتَنَانِي

أَيُّ شَيْءٍ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ؟
قَدْ بَلَوْنَا كَيْدَ الزَّمَانِ وَلَكِنْ
فَلَكَ لَا يَزَالُ يَجْرِي عَلَى النَّأِ
فَهُوَ طَوْرًا يَكُونُ كَالْوَالِدِ الْبِ
لَيْسَ يُبْقَى عَلَى وَلِيدٍ وَلَا كَهـ
كَيْفَ يَرْجُو الْإِنْسَانُ فِيهِ خُلُودًا
أَيُّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنْذُ دَارَتْ
أُمٌّ أَخْلَدَتْ إِلَى الدَّهْرِ حِينًا
حَصَدَتْهَا يَدُ الْمُنُونِ فَصَارَتْ
فَتَرَسَمَ مَعَالِمَ الْأَرْضِ وَاسْأَلْ
أَتَرُ دَلَّ صُنْعُهُ أَنَّ «هُرْمِيـ
خَافَ ضَيْعَ الْعُلُومِ حِينَ أَتَتْهُ
فَبَنَاهُ مِنَ الصُّخُورِ اللَّوَاتِي
طَبَقَاتٌ فِي جَوْفِهَا حُجَرَاتٌ
بَقِيَتْ بَعْدَ صَانِعِيهَا فَكَانَتْ
سَوْفَ تَبْلَى مِنْ بَعْدِ حِينٍ وَيُمَحَى
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ
لَيْسَ فِيهَا سِوَى خَيَالٍ وَهُمْ
خَطَرَاتٌ قَدْ ضَمَّنُوهَا كَلَامًا
كُلُّ حَيٍّ يَظُنُّ أَمْرًا وَلَكِنْ
قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنَّا قَرِيبًا
فَدَعَ الْقَوْلَ فِي التَّفَلُّسِ وَاخْضَعُ
أَنَا يَا دَهْرُ عَالِمٍ بِمَصِيرِي
قَدْ تَمَادَيْتُ فِي الْغَوَايَةِ حَتَّى

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أُنُسٍ: (من الخفيف)

وَدَعَاهُ فَرَطُ السُّرُورِ فَعَنَّى	لَاعِبَ السُّكْرِ قَدَّهْ فَتَنَّنَى
وَاحِدًا فِي الْجَمَالِ لَيْسَ يُتْنَى	رَشَاءُ تَعْبُدُ النَّوَظِرُ مِنْهُ
لَيْسَ إِلَّا بِغَمَزَةِ اللَّحْظِ يُجْنَى	أُنْبَتَ الْحُسْنُ فَوْقَ حَدِيثِهِ وَرَدًا
غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا	لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السُّلَافَةَ حَتَّى
بُرْهَةً كَيْ يُفَيِّقَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا	فَأَنَمْنَاهُ فَوْقَ مَهْدٍ وَثِيرٍ
خَفَّ مِنْ سُكْرِهِ وَأَقْبَلَ قَمْنَا	فَلَبِثْنَا هُنَيْهَةً ثُمَّ لَمَّا
أُنْجِمَ اللَّيْلُ مِنْ أَحَادٍ وَمَتْنَى	وَأَذْرَنَا الْكُتُوسَ حَتَّى تَوَلَّتْ
وَوَيْلَى وَرْدَةِ الْعَدَاةِ وَتَبْنَا	يَا لَهَا لَيْلَةٌ أَبَحْنَا بِهَا اللَّهُ

وَقَالَ فِي مُدَارَاةِ الصَّدِيقِ: (من البسيط)

فَرَبِّمَا عَادَ بَعْدَ الصَّدَقِ حَوَانَا	دَارَ الصَّدِيقِ وَلَا تَأْمَنُ بَوَادِرُهُ
يَقُولُ عَنْكَ حَدِيثُ السُّوءِ بُهْتَانَا	يُقْضِي بِسِرِّكَ أَوْ يَسْعَى بِأَمْرِكَ أَوْ
تَنْفِي الْمِرَاءِ مَعَ الْوُدِّ الَّذِي كَانَا	فَإِنْ تَنْصَلَّتْ قَالُوا فِيكَ مَعْرِفَةٌ
تَقْضِي عَلَيْهِ بِلَبْسِ الْحَقِّ أَحْيَانَا	وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ مَطْبُوعٌ عَلَى ظُننٍ
بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْبُهْتَانِ فُرْقَانَا	وَقَلَّ فِي النَّاسِ مَنْ جَرَّبْتُهُ فَرَأَى

وَقَالَ فِي لُزُومِ الْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ: (من الرجز)

وَإِخْشَ الْمَكِيدَةَ مِنْ عَدُوِّ بَاطِنٍ	لَا تَخْشَ بُوْسًا مِنْ عَدُوِّ ظَاهِرٍ
مِنْهُ الْخَلَاصُ وَبَيْنَ شَرِّ بَاطِنٍ	كَمْ بَيْنَ شَرِّ ظَاهِرٍ مُسْتَدْرِكٍ

وَقَالَ يُعَاتِبُ: (من البسيط)

عَزِيمَةَ الرَّأْيِ حَتَّى ضَاقَ كِتْمَانِي	قَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِ أَضَعْتُ لَهُ
ثُمَّ انْتَحَنَيْتُ بِصَدِّ قَبْلُ إِعْلَانِ	أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ وَدًّا قَبْلَ مَعْرِفَةِ
وَسَاءَنِي مِنْكَ مَا أَخْرَتَ فِي الثَّانِي	فَسَرَّنِي مِنْكَ مَا قَدَّمْتَ مُبْتَدَأً

فَإِنْ يَكُنْ سُوءُ رَأْيٍ أَوْ مَلَالٌ هَوَى
فَاكْشِفْ لَنَا عَنْ قِنَاعِ الشَّكِّ نَحْيَ بِهِ
إِمَّا وَصَالًا وَإِمَّا مَحْضَ هِجْرَانٍ

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَوَّلُ النَّفْسِ نُطْفَةً أَخْلَصَتْهَا
قَدَفَتْهَا إِلَى الْبُطُونِ طُهْورٌ
ثُمَّ أَرَسَى بِهَا هُبُوطٌ يَلِيهِ
فَهِيَ طَوْرًا تَكُونُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ
مُبْتَدَاهَا وَمُنْتَهَاهَا سَوَاءٌ
فَعَلَامَ الْبُكَاءِ فِي إِثْرِ دَارٍ
تَتَفَانَى الرَّجَالُ حِرْصًا عَلَيْهَا
حَارَ فِيهَا «أَرِسْطَطَالِيسُ» قَدَمًا
شَهْوَةٌ صَاعَهَا مَزَاجٌ دَفِينٌ
وَحَوْنُهَا بَعْدَ الظُّهُورِ بُطُونٌ
حَرَكَاتٌ مِنْ بَعْدِهَا سَكُونٌ
بِ وَطُورًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ تَكُونُ
وَهِيَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ حَيٌّ مَهِينٌ
بِالرَّزَايَا فَنَاوُهَا مَشْحُونٌ؟
وَهُوَ حِرْصٌ أَدَّى إِلَيْهِ الْجُنُونُ
وَنَعَاهَا الْحَكِيمُ «أَفْلَاطُونُ»

وَقَالَ: (من الوافر)

وَمَلَمْسِ عِفَّةٍ قَدْ نِلْتُ مِنْهُ
مَلَكْتُ بِهِ عَنَانَ الشَّوْقِ حَتَّى
فَلَا تَسْأَلُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ
فَلَوْلَا أَنْ جُنْدَ الصُّبْحِ وَافَتْ
لَدُمْتُ عَلَى مُعَاقَرَةِ الْأَمَانِي
بِأَيْدِي اللَّهِ مَا شَاءَ التَّمَنِّي
قَضَيْتُ لُبَانَتِي وَأَرْحَتُ ظَنِّي
وَلَا تَسْأَلُ عَلَى مَا كَانَ مِنْي
طَلَابِعُهُ وَزَالَ اللَّيْلُ عَنِّي
وَلَكِنْ رُبَّمَا عَاوَدْتُ فَنِي

وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْإِفِّ لَهُ: (من البسيط)

يَا رَاحِلًا غَابَ صَبْرِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ
لَمْ أَلْقَ بَعْدَكَ يَوْمًا أَسْتَبِينُ بِهِ
قَدْ كُنْتُ لَا أَكْتَفِي بِالشَّمْلِ مُجْتَمِعًا
وَأَصْبَحَتْ أَسْهُمُ الْأَشْوَاقِ تُصْمِينِي
فِي الْحُبِّ مَذْغِبَتْ عَنِّي فَهُوَ يُرْضِينِي
وَجْهَ الْمَسْرَةِ إِلَّا ظِلٌّ يُبْكِينِي
فَالْيَوْمَ نَظْرَةٌ عَيْنٍ مِنْكَ تَكْفِينِي

وَقَالَ: (من الخفيف)

إِنَّ لِي صَاحِبًا وَلَا بُدَّ مِنْهُ قَلَّ صَبْرِي بِهِ وَزَادَتْ شُجُونِي
أَحْمَقُ لَا يَكَادُ يَفْقَهُ قَوْلًا مِنْ حَدِيثٍ وَالْحُمُقُ نِصْفُ الْجُنُونِ

وَقَالَ: (من البسيط)

إِذَا أَتَاكَ خَلِيلٌ بَعْدَ مَنَدَمَةٍ مِنْهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَلَّةٍ فَهِنْ
وَإِنْ صَفَحْتَ فَلَا تَعْرِضْ بِمَعْتَبَةٍ فَالْعَتَبُ يُفْسِدُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنِ

وَقَالَ: (من مجزوء البسيط)

أُحِبُّ وَأَبْغُضُ وَقُلُّ بِحَقٍّ وَلَا تُسَاهِلْ وَلَا تُخَاشِنْ
فَالْحُبُّ يُعْمِي عَنِ الْمَسَاوِي وَالْبُغْضُ يُعْمِي عَنِ الْمَحَاسِنِ

وَقَالَ: (من الكامل)

لَا تَعْكُفَنَّ عَلَى الْمُدَامِ بَغَيْرِ مَا صَوْتُ يَهْيِجُ بِلَحْنِهِ النَّدْمَانَا
إِنَّ الْغِنَاءَ سَرِيرَةٌ فِي النَّفْسِ قَدْ ضَاقَتْ بِهَا فَتَفَجَّرَتْ أَلْحَانَا

وَقَالَ: (من البسيط)

خَفَضَ عَلَيْكَ وَلَا تَجْزَعْ لِنَائِيَّةٍ فَالْدَّهْرُ يَعْتَرُّ بِالْإِنْسَانِ أَحْيَانَا
فَكُلُّ نَاءٍ قَرِيبٌ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ وَكُلُّ صَعْبٍ إِذَا قَاوَمْتَهُ هَانَا

وَقَالَ فِي النَّمَامِ: (من البسيط)

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى النَّمَامِ إِنَّ لَهُ خَدْعًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ قِصَّةُ النَّمَامِ كَاذِبَةً مَا كَانَ يَسْتَرْهَا عَنْ مَعْرِضِ الْعَلَنِ

وَقَالَ: (من الوافر)

وَذِي وَجْهَيْنِ تَلَقَّاهُ طَلِيقًا مُحَيَّاهُ وَبَاطِنُهُ حَزِينُ
يُعَاطِيكَ الْمُنَى بِلَحَاطِ رِيمٍ وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ ضَبُّ كَمِينُ

وَقَالَ يَهْجُو: (من الطويل)

حَوَيْتَ مِنَ السَّوْءَاتِ مَا لَوْ طَرَحْتَهُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ فِيكَ بَقِيَّةً يَدُورُ عَلَيْهَا فِي الْهَجَاءِ لِسَانِي

وَقَالَ: (من الوافر)

إِذَا مَا الْمَرْءُ أَغْقَبَ ثُمَّ أَوْدَى تَعَادَلَ فَهُوَ مَوْجُودٌ وَفَانِي
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى أَخْذٍ وَرَدٍّ وَهَدْمٍ نَابَ عَنْهُ بِنَاءُ بَانِي

وَقَالَ: (من الوافر)

كَنْمْتُ هَؤَالٍ حَتَّى لَيْسَ يَدْرِي لِسَانِي مَا تَضَمَّنَهُ جَنَانِي
وَلِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكَ سِرٌّ خَفِيٌّ لَا يَعِيهِ الْكَاتِبَانِ
وَكَيْفَ يَخْطُطُهُ الْمَلَكَانِ عَنِّي وَلَمْ يَنْطِقْ بِغَامِضِهِ لِسَانِي

وَهُوَ يَنْقُضُ بِهَا قَوْلَ الصَّابِي: (من الطويل)

يَمُوتُ مَعِيَ سِرُّ الصَّدِيقِ وَلَحْدُهُ ضَمِيرٌ لَهُ الْجَنَبَانِ مَكْتَنَفَانِ
وَأُسَالُ يَوْمَ الْبُعْثِ عَنْ كُلِّ مَا وَعَى سَمَاعٌ وَمَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَانِ
فَأُنْكِرُهُ مِنْ بَيْنِ مَا فِي صَحِيفَتِي وَأَجْحَدُهُ إِذْ يَشْهَدُ الْمَلَكَانِ
وَذَنْبِي فِي ذَا الْجَحْدِ أَيْسَرُ مَحْمَلًا مِنَ الذَّنْبِ فِي إِفْشَائِهِ بِلِسَانِي

وَقَالَ: (من الكامل)

خَلُّ رَعِيْتُ وَدَادَهُ فَرَعَانِي
دَمْعُ أَبَاحَ لَهُ جَمِي كِتْمَانِي
شَهَدْتُ بِهَا الْعَبْرَاتُ مِنْ أَجْفَانِي
بِأَخِيكَ يَوْمَ تَفَرَّقُ الْأَطْعَانِ
وَلَهُ أَصَابَ جَوَانِحِي فَرَمَانِي
تَبِعَ الْهُوَى فَمَضَى بَغِيرِ عَنَانِ
لَحِظَاتُ ذَاكَ الشَّادِنِ الْفَتَّانِ
يَخْدَعْنَ لُبَ الْحَازِمِ الْيَقْظَانِ
إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ
أَنَّ الْأَسْوَدَ فَرَائِسُ الْغَزْلَانِ
وَيَدٍ تَضُمُّ حَشًّا مِنَ الْخَفَقَانِ
مِنَّا الْعُيُونُ بِأَبْرَقِ الْحَنَّانِ
لَهَبٌ تَرَدَّدَ فِي سَمَاءِ دُخَانِ
طَوَّعَ الرِّيَّاحُ يُصِيبُ أَيَّ مَكَانِ
هُدْبُ الْخُدُورِ عَلَى غُصُونِ الْبَانَ
قَبْلَ الْمَشِيبِ فَكُلُّ شَيْءٍ فَانِي

عَرَفَ الْهُوَى فِي نَظَرَتِي فَنَهَانِي
أَخْفَيْتُ عَنْهُ سَرِيرَتِي فَوَشَى بِهَا
فَبِأَيِّ مَعْذِرَةٍ أَكْذَبُ لَوْعَةً
يَا صَاحَ لَا أَبْصُرْتَ مَا صَنَعَ الْهُوَى
يَوْمَ فَقَدْتُ الْحِلْمَ فِيهِ وَشَفَّنِي
فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي السَّلَامُ فَإِنَّهُ
هَيْهَاتَ يَرْجِعُ بَعْدَ مَا عَلِقْتُ بِهِ
وَعَلَى الرَّحَائِلِ نِسْوَةٌ عَرَبِيَّةٌ
أَغْوَيْنَنِي فَتَبِعْتُ شَيْطَانَ الْهُوَى
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ بَادِرَةِ النَّوَى
رَحَلُوا فَأَيُّهُ عَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ
وَلَقَدْ حَنَنْتُ لِبَارِقِ شَخَصَتْ لَهُ
يَسْتَنُّ فِي عُرْضِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَسْتَبِينُ رِكَابَهُ
فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَلْتَقِي
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاعْتَنِمِ زَمَنَ الصَّبَا

وَقَالَ: (من الرمل)

إِنَّهُ أَدْرَى بِحُزْنِي
كُلُّنَا يَبْكِي لِغُصْنِ
لَيْسَ مِثْلُ الْوَجْدِ مِنِّي
وَهُوَ فِي الْغُصْنِ يُغْنِي
وَدُمُوعِي مِلءُ عَيْنِي
فَانْصَرَفَ يَا طَيْرُ عَنِّي

سَلْ حَمَامَ الْأَيْكَ عَنِّي
نَحْنُ فِي الْحُبِّ سَوَاءٌ
غَيْرَ أَنَّ الْوَجْدَ مِنْهُ
أَنَا أَبْكِي مِنْ غَرَامِي
وَهُوَ بِالدَّمْعِ بَخِيلٌ
لَسْتُ فِي الصَّبْوَةِ مِثْلِي

وَقَالَ: (من الكامل)

مَنْ بَعْدَ مَا وَلَّى بِهِ الْمَلَوَانِ
عُصْرُ أَوَائِلِ أُرْدِفَتْ بِثَوَانِي
وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِزَّةٍ وَهَوَانِ
بِالْبِشْرِ فَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ
فِي غَبْطَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
خَيْرًا فَكُلُّ الدَّهْرِ عَامٌ جَوَانِ
وَتُشِيدُ فَهِيَ هَوَادِمٌ وَبَوَانِي
وَالْمَوْتُ مَقْدُورٌ عَلَى الْحَيَوَانِ

نَكَرَ الصَّبَا فَبَكَى وَلَاتَ أَوَانِ
هَيْهَاتَ يَرْجِعُ فَأَيْتَ لِعِبْتٍ بِهِ
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ
وَاحْذَرِ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
وَدَعَ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَالِ فَمَنْ يَعِشْ
لَا تَأْمُلَنَّ بِكُلِّ عَامٍ مُقْبِلِ
وَالدَّهْرُ أَيَّامٌ تَبِيدُ صُرُوفُهَا
أَنْى يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ شَرِّكَ الرَّدَى

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من البسيط)

تَبَلَّى النُّفُوسُ وَلَا يَبْلَى الْجَدِيدَانِ
أَبْقَتْ تَبَارِيخَ لَا تَنْفَكُ تَغْشَانِي
بِمَا طَوَاهُ عَنِ الْإِفْشَاءِ كَثْمَانِي
كَانَتْ حِبَالَةَ أَبْصَارٍ وَأَنْدَهَانِ
وَلَمْ أَبْتَ بَيْنَ دَارَاتٍ وَنِدْمَانِ
شَتَّى الْهَوَى غَيْرَ رَعْدِيدٍ وَلَا وَانِي
عَلَى الْعَدُوِّ وَلَا قَوْسِي بِمِرْنَانِ
وَرُقَاءُ تَدْعُو هَدِيدًا بَيْنَ أَغْصَانِ
تَنْتَ قُوَايَ وَفَلَّتْ غَرْبَ أَشْجَانِي
بَادِي الْأَسَافَةِ فِي قَوْمِي وَجِيرَانِي
أَنَّ الَّذِي بَعْدَهُ أَوْلَى بِإِخْرَانِي
وَإِنْ تَمَلَّأَ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فَانِي
يَدَاكَ فَالِلَهُ ذُو مَنْ وَغُفْرَانِ
لَدَيْهِ ذُو الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ وَالْجَانِي
وَصَوْرَ الْخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ لَا أَنَّهُ فَانِي
قَدْ كُنْتُ فِي غِرَةٍ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ
وَشَيْبَةً كَلِّسَانَ الْفَجْرِ نَاطِقَةً
أَضَحَتْ قَذَى لُعْيُونِ الْغَانِيَاتِ وَقَدْ
كَانَنِي لَمْ أَقْدُ شَعْوَاءَ جَافِلَةً
وَلَمْ أَقْمُ فِي مَقَامَاتٍ وَأُنْدِيَّةٍ
فَالْيَوْمُ أَصْبَحْتُ لَا سِفْيِي بِمُنْصَلِتِ
لَا أَذْكُرُ اللَّهْوَ إِلَّا أَنْ تُذَكِّرَنِي
إِنَّ الثَّلَاثِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي عَرَضْتُ
وَحَلَفْتَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ طَرَبِ
وَكَانَ يَخْزِنُنِي شَيْبِي فَصَرْتُ أَرَى
وَهَوْنَ الْأَمْرِ عِنْدِي أَنَّ كُلَّ فَتَى
يَا نَفْسُ لَا تَذْهَبِي بِأَسَا بِمَا كَسَبْتَ
يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ حَتَّى يَسْتَوِيَ كَرَمًا
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْأَفْلاكَ دَائِرَةً

وَالنَّجْمَ وَالْقَمَرَ السَّارِيَ بِحُسْبَانٍ
وَأُنْبَتَ الْأَرْضَ مِنْ حَبٍّ وَرِيحَانٍ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ وَصْفَ الدَّائِمِ الْفَانِي
فَمَا لَهُ أَبَدًا فِي مُلْكِهِ ثَانِي
بِهِ الْإِرَادَةُ مِنْ وَصْفِ وَتَبْيَانٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْقَاصِي وَبِالدَّانِي
فِي ذَاتِهِ مِنْ أَضَالِيلِ وَبُهْتَانٍ
بِحِكْمَةِ ذَاتِ أَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ
أَوْ جَاءَهُمْ نَبَأٌ صِدْقٍ بِبَرْهَانٍ
مَعَاشِرُ خَلَطُوا كُفْرًا بِإِيمَانٍ
فَاسْتَرْ بَعْفُوكَ زَلَّاتِي وَعَصِيَانِي
فَإِنَّهُ سَبَبٌ يُفْضِي لِجِرْمَانِي

وَقَدَّرَ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا
وَأَرْسَلَ الْغَيْثَ أَرْسَالًا بِرَحْمَتِهِ
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ وَصْفٍ يُحِيطُ بِهِ
لَقَدْ تَفَرَّدَ فِي لَاهُوتِ قُدْرَتِهِ
وَإِنَّمَا نَحْنُ نُطَرِّيه كَمَا سَبَقَتْ
كُلُّ يَقُولٍ عَلَى مَقْدَارِ فُطْنَتِهِ
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قِيلَ وَابْتَدَعَتْ
قَدْ لَفَقُوهَا أَسَاطِيرًا مُحَبَّرَةً
كَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا طُرْفَةً عَجَبًا
وَلَوْ تَكَشَّفَ هَذَا الْأَمْرُ لَارْتَدَّعَتْ
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو مَنْ وَمَغْفِرَةٍ
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلِي

وَقَالَ: (من مجزوء الرمل)

صَاحِبًا فِي الْوُدِّ لَمْ يَخُنْ
تَنْجُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ غَبَنِ
كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظَّنِّ

أَتْرَكَ الدُّنْيَا فَلَسْتُ تَرَى
وَاجْتَنَبَ مَنْ لَا تُشَاكِلُهُ
مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

كُلُّ حَيٍّ بِمَا جَنَاهُ رَهِينُ
ضُ وَتَأْتِي بَعْدَ الشُّؤْنِ شُؤْنُ
هَرُ حَتَّى يَخِفَّ وَهُوَ رَكِينُ
بَعْدَ ضَنٍّْ وَكُلِّ شَيْءٍ يَحِينُ
رُ حَيَاةٍ لِمَنْ طَوَّهَ الْمَنُونُ

كُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ رَشَادٍ وَغَيٍّ
كُلْنَا لِلْفَنَاءِ أَوْ تَصْعَقِ الْأَرْضُ
يَسْتَفِزُّ الْحَلِيمُ رَوْنَقَهَا الْبَا
ذَهَبًا غَيْرَ ذُكْرَةٍ سَوْفَ تَفْنَى
فَاحْتَقَبْ سِيرَةَ الْمَحَامِدِ فَالذِّكْرُ

وَقَالَ: (من مجزوء الرجز)

يا ذُكْرَةً أَبْصَرْتُ فِي
خَطَرْتُ عَلَيَّ فَنَفَرْتُ
عَلِقْتُ حَبَالَةَ خَاطِرِي
كَانَتْ مِثْلًا خَطُّهُ
هِيَ لُقِيَّةٌ وَهَمِيَّةٌ
مَرَّاتَهَا صُورَ التَّمَنِّي
طَيْرُ الْكَرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي
مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَغْنَى
بِمَخِيلَتِي نَقَاشَ زَهْنِي
سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

وَقَالَ: (من الكامل)

أَتَرَى الصَّبَا خَطَرْتُ بِوَادِي الْمُنْحَنَى
مَرَّتْ بِنَا طِفْلَ الْعِشِيِّ فَمَا دَرَى
وَتَحَمَّلْتُ سِرَّ الْهَوَى فَتَرَدَّدْتُ
عَبَقْتُ غَلَائِلَهَا بِنَشْرِ عَرَاةٍ
تَحْمِي مَنَابِتَهَا قَسَاوِرُ غَارَةٍ
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِشُعْلَةٍ صَارِمٍ
وَبِمَسْقِطِ الْعَلَمِينَ جُوذُرُ كِلَّةٍ
صَنَعَ الْوَشَاةُ لَهُ حَدِيثًا كَاذِبًا
مَاذَا عَلَيْهِ وَلَا أُرِيدُ مَلَامَةً
إِنِّي لَأَقْنَعُ مِنْ هَوَاهُ بِنَظَرَةٍ
أَخْنَى عَلَيَّ مَعَ الزَّمَانِ وَلَيْتَهُ
وَرَأَى الْمَشِيبَ تَلَوَّنَتْ أَلْوَانُهُ
وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا رَهِينُ حَوَادِثٍ
لَيْتَ الْمَشِيبَ تَأَخَّرَتْ أَيَّامُهُ

فَجَنَّتْ عَبِيرَ الْمَسْكِ مِنْ ذَاكَ الْجَنَى
أَحَدُ بِسَرٍّ ضَمِيرِهَا إِلَّا أَنَا
بِرَسَائِلِ الْأَشْوَاقِ فِيمَا بَيْنَنَا
بَدْوِيَّةٍ بِسَوَى الْأَنَامِلِ تُجْتَنِّي
يَجِدُونَ صَعْبَ الْمَوْتِ خَطْبًا هَيْنًا
أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْوَجِيِّ إِذَا دَنَا
يُضْمِي بِنَظَرَتِهِ الْأَسْوَدَ إِذَا رَنَا
فَقَسَا عَلَيَّ وَكَانَ سَهْلًا لَيْنًا
لَوْ جَادَ مَعَهَا بِالتَّحِيَّةِ أَوْ كَنَى
تُرْوِي الْغَلِيلَ مِنَ الصَّدَى لَوْ أَمَكْنَا
لَمَّا أَسَاءَ الدَّهْرُ صُنْعًا أَحْسَنًا
فِي عَارِضِي مِنَ الْأَسَى فَتَلَوْنَا
تُودِي بِجِدَّتِهِ وَتَلْبِسُهُ الضَّنَى
حَتَّى أَفْوزَ مِنَ الشَّيْبَةِ بِالْمُنَى

قافية الهاء

وَقَالَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أَنْسٍ بِحُلُوانٍ: (من البسيط)

وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ غَوَانِيهَا مَغَانِيهَا؟
وَاعْكَفْ عَلَى حَانَةِ كَالْبَدْرِ سَاقِيهَا
وَبَيِّنْ عَامِرَةً تَزْهُو بِمَنْ فِيهَا؟
وَإِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِنِي بِأَهْلِيهَا
سَرَتْ بِحُلُوانٍ فِي قَلْبِي سَوَارِيهَا
خَافَ الْعُيُونُ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا
وَفِي الْأَرَاكَةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَاذِيهَا
وَمِنْ لَوَاجِظِهَا خَمْرًا وَمِنْ فِيهَا
بِلَذَّةٍ لَا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا
حَمَائِمُ الْأَيْكِ تَشْدُو فِي أَغَانِيهَا
وَالرَّوْعُ يَبْعَثُهَا طَوْرًا وَيَنْثِيهَا
يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ حَيْرَى فِي مَجَارِيهَا
كَالْخَيْرِزَانَةِ رِيًّا فِي تَنْثِيهَا
وَسُمْرَةٍ رُبَّمَا شَفَّتْ نَوَاحِيهَا
يَكَادُ يَمْنَعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيهَا
عَنْ سَاحَةِ سَكَنَتْ فِيهَا تَرَاقِيهَا
وَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ تَنْزُو نَوَازِيهَا
تَارِيخٌ لَهُوَ يَهِيْجُ النَّفْسَ رَاوِيهَا

مَا لِي وَلِلدَّارِ مِنْ لَيْلَى أُحْيِيهَا
دَعِ الدِّيَارَ لِقَوْمٍ يَكْلِفُونَ بِهَا
كَمْ بَيْنَ دَائِرَةِ أَقْوَتِ مَعَالِمِهَا
هَيْهَاتَ مَا الدَّارُ تُشْجِنِي بِسَاحَتِهَا
فَخَلْ هَذَا وَخُذْ فِي وَصْفِ غَانِيَةٍ
رِيَانَةُ الْقَدِّ لَوْ أَنَّ الضَّجِيعَ لَهَا
فِي نَشْوَةِ الْخَمْرِ سُرٌّ مِنْ مَرَاشِفِهَا
يَا لَيْلَةً بَتُّ أَسْقَى مِنْ بَنَانَتِهَا
أَحْيَيْتُهَا وَأَمْتُ النُّومَ مُعْتَصِمًا
حَتَّى إِذَا رَفَّ حَيْطُ الْفَجْرِ وَابْتَدَرَتْ
قَامَتْ تَمَائِلُ سَكْرَى فِي مَازِرِهَا
تَخْشَى الضِّيَاءَ وَفِي أَزْرَارِهَا قَمَرٌ
ثُمَّ انْتَنَتْ وَيَدِي قَبْدٌ لِحَاصِرَةٍ
فِي بُلْجَةٍ لَا تَكَادُ الْعَيْنُ تُنْكِرُهَا
حَتَّى تَجَاوَزَتْ أَحْرَاسًا عَلَى شَرْفِ
وَحَرَكَتْ حَلَقَاتِ الْبَابِ فَانْفَتَحَتْ
فَعُدْتُ وَالْعَيْنُ غَرَقَى فِي مَدَامِعِهَا
فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِوُضْلَتِهَا

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ «بَرْدِينِيَا» فِي جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ» وَهِيَ إِحْدَى جَنَّاتِ الدُّنْيَا:
(من البسيط)

وَمَسْرَحٍ لِسَوَامِ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ
بَاكَرُتُهُ سُحْرَةٌ وَالشَّمْسُ نَاعِسَةٌ
وَاللَّغَمَائِمُ بَيْنَ الْأَفْقِ مُنْسَحَبٌ
وَالْجَوْ فِي حُلَّةٍ دَكْنَاءٍ مَازَجَهَا
فَالنُّورُ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطٌ
مَنَاظِرُ لَوْ رَأَى بِهِزَادُ صُورَتَهَا
كَأَنَّمَا الدَّوْحُ قَصُرٌ وَالْحَمَامُ بِهِ
طَوْرًا تُغْنِي وَأَحْيَانًا تَنُوحُ فَمَا
كَأَنَّمَا الْأَوْرُقُ الْغَرِيدُ حِينَ شَدَا
شَارَفَتْ سَاحَتَهَا فِي فِتْنَةٍ أَلْفُوا
مُوقَرُونَ كِرَامٌ لَا يَخْفُ بِهِمْ
مِنْ كُلِّ مَاضِي الشَّبَا وَالرَّوْعُ مُحْتَدِمٌ
إِنْ حَدَّثُوا مَلَكُوا الْأَسْمَاعَ مِنْ أَدَبٍ
شَرَابُنَا صَفُوْ مَاءٍ لَا يُمَازِجُهُ
فَإِنْ يَكُنْ فِي عَفَافِ النَّفْسِ مَحْمَدَةٌ

فِي عَالَمِ الظَّنِّ تَقْدِيرٌ وَلَا شَبَهُ
فِي خَدْرِهَا وَحَمَامُ الْأَيْكِ مُنْتَبَهُ
وَاللِّنْسَائِمُ نَحْوِ الرَّوْضِ مُتَّجَهُ
خَيْطٌ مِنَ الْفَجْرِ يَبْدُو ثُمَّ يَشْتَبَهُ
وَالطَّيْرُ مُنْشَرِحٌ وَالْجَوْ مُدْلَهُ
لَاَعْتَادَهُ مِنْ تَمَادِي الْحَيَرَةِ الْبَلَهُ
سِرْبٌ مِنَ الْغَيْدِ بِالْأَلْحَانِ تَبْتَدُهُ
ذَاكَ الْغِنَا وَهَذَا النُّوحُ وَالْوَلَهُ
فِي سُرْبَةِ الْإِنْسِ مِنْهَا شَارِبٌ فَكُهُ
صِدْقُ الْوِدَادِ فَلَمْ تَعْرِضْ لَهُمْ شَبَهُ
طَيْشٍ وَلَمْ يَجْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ سَفَهُ
وَمُسْتَنْبِرِ الْحَبَا وَالْأَمْرُ مُشْتَبَهُ
هُمْ أَهْلُهُ وَإِذَا مَا أَنْصَتُوا فَقَهُّوا
إِلَّا حَدِيثُ كُنُوزِ الرُّبَا نَزَهُ
لَهَا فِي مِثْلِ هَذَا يَحْسُنُ الشَّرَهُ

وَقَالَ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عَلِيًّا» كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: (من الرجز)

أَحْبَبْتُ مَنْ وَالَى عَلِيًّا رَغْبَةً
هُوَ ذَلِكَ الْحَبْرُ الَّذِي مِنْ أُمِّهِ
وَكَفَى بِسَبْطِيهِ إِمَامًا رَحْمَةً
قَدْ عَزَّ مَنْ وَالَاهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي
فَاقِصْدُ لَهُ وَاعْرِفْهُ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ
وَإِذَا عَرَّتْكَ مِلْمَةٌ فَاهْتِفْ بِهِ

فِي فَضْلِهِ وَكَرِهْتُ مَنْ عَادَاهُ
نَالَ الرُّضَا وَأَجِيبَ مَنْ نَادَاهُ
نَالَا مِنَ الرُّضْوَانِ مَا قَصْدَاهُ
يَوْمَ الْحِسَابِ وَذَلَّ مَنْ بَادَاهُ
تَلَقَّ الْهُدَى وَكَفَى الْمُرِيدَ هُدَاهُ
تَسْمَعُ بِقَلْبِكَ حَيْثُ كُنْتَ صَدَاهُ

وَقَالَ فِي الاسْتِعَاثَةِ: (من البسيط)

وَلَا تَخَفْ عَادِيًّا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
بِهِ الرِّزَايَا وَيَجْزِي كُلَّ تَيَّاهٍ
مَا شِئْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ جَاهٍ
فَاحْلُلْ وَثَاقِي وَالْحَقْنِي بِأَشْبَاهِي
مِنْ كُلِّ سُوءٍ فَإِنِّي عَاجِزٌ وَاهِي
يَعْنُو لَهُ كُلُّ شَاهٍ أَوْ شَهْنِشَاهٍ

سَلِّ مَالِكَ الْمُلْكِ فَهُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي
هُوَ الَّذِي يَنْعُشُ الْمَظْلُومَ إِنْ عَلِقَتْ
فَاسْجُدْ لَهُ وَاقْتَرِبْ تَبْلُغْ بِطَاعَتِهِ
يَا رَبُّ قَدْ طَالَ بِي شَوْقِي إِلَى وَطَنِي
وَأَمْنُنْ عَلَيَّ بِفَضْلٍ مِنْكَ يَعْصِمُنِي
هَذَا دُعَائِي وَحَسْبِي أَنْتَ مِنْ حَكَمٍ

وَقَالَ أَيضًا: (من الكامل)

وَشَهَادَتِي أَنْ لَيْسَ إِلَّا هُوَ
وَلَنْعَمَ عُقْبَى الطَّاعَةِ الْجَاهُ
مُتَقَلَّبُ الْجَنْبَيْنِ أَوَّاهُ
وَمَحَاجِرِي بِالدَّمْعِ أَمْوَاهُ
وَتَعَطَّرْتُ بِالدُّكْرِ أَفْوَاهُ
فِي حُبِّهِ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ
قَلْبُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَيَّاهُ

دِينِي الْحَنِيفُ وَرَبِّي اللَّهُ
لَا جَاهَ لِي إِلَّا بِطَاعَتِهِ
أَنَا خَاشِعٌ لَجَلَالِ قُدْرَتِهِ
فَأُضَالِعِي لِلْوَجْدِ نَارُ غَضَى
زَهَتْ الْقُلُوبُ بِنُورِ حِكْمَتِهِ
أَنَا أُمَّةٌ وَحْدِي عَلَى سَرَفٍ
إِنْ تَأَهَّ غَيْرِي بِالزَّمَانِ فَلِي

وَقَالَ: (من البسيط)

وَلَا تَكُنْ عَنْ صَنِيعِ الْخَيْرِ بِاللَّاهِي
لَمْ يَجْنِهَا غَيْرُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ

جُدْ بِالنِّوَالِ فَرَزَقُ اللَّهِ مُتَّصِلُ
فَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ فِي الْإِنْسَانِ مَنْقَصَةُ

وَقَالَ: (من البسيط)

أَمْسَى يُعَادِيهِ فِيهَا مَنْ يُصَافِيهِ
صُدُورُهُ عَلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ
بَلَوْتُهُ كَانَ بَادِيهِ كَخَافِيهِ
فَلَسْتُ تَنْعَتُهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ

لِمُصْطَفَى صَادِقٍ فِي الشُّعْرِ مَنَزَلُهُ
صَاغَ الْقَرِيضُ بِإِتْقَانٍ فَلَوْ تَلَيْتُ
مُهَذَّبُ الطَّبْعِ مَأْمُونُ الضَّمِيرِ إِذَا
حَارَ الْكَمَالُ فَلَمْ يَحْتَجْ لِمَنْقَبَةٍ

وَقَالَ فِي أَهْلِ «سَرَنْدِيبَ»: (من السريع)

يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قَبَاحُ الْوُجُوهِ	إِنَّ سَرَنْدِيبَ عَلَى حُسْنِهَا
يَمْجُّهَا كَالدَّمِ فِي الْأَرْضِ فَوْه	مِنْ كُلِّ قَدَمٍ لَائِكٍ مُضْعَةً
رَكِيَّةً تَجْرِي دَمًا أَوْ تَمُوه	تَحْسَبُهُ مِنْ نَضْحِ أَشْدَاقِهِ
مِنْهُمْ وَلَا الْمَوْلُودَ مِنْهُمْ أَبُوه	لَا يُشَبِّهُ الْوَالِدَ مَوْلُودَهُ
مَزِيَّةَ الْعِلْمِ وَوَجْهَ يَشُوه	يَغْلُظُ طَبْعٌ مِنْهُمْ فَاقْدُ
لَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا ذُووه	مَنْ أَيْنَ يَدْرِي الْفَضْلَ مَعْدُومُهُ
وَلَا يَرِثُ الْفَضْلَ حَتَّى يَتُوه	لَا تَلْبَثُ الْحِكْمَةُ مَا بَيْنَهُمْ
وَهُوَ إِذَا يَنْطِقُ هَامٌ يَنْوَه	تَخْظُنُ بَعْضُ الْقَوْمِ عَلَّامَةً
فِي عَمْرَةِ الْعَالَمِ حَتَّى يَفُوه	لَا تَعْرِفُ الْمَرْءَ بِأَخْلَاقِهِ

وَقَالَ فِي أَهْلِ «رَجُلٍ» اسْمُهُ زُنْبُورٌ: (من الهزج)

فَلَمْ يُخْطِئَكَ مَعْنَاهُ	لَقَدْ أَسْمَوْكَ زُنْبُورًا
نَصِيبٌ مِنْ مُسَمَّاهُ	وَقَدْ قَالُوا: لِكُلِّ اسْمٍ

قافية الواو

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُوَازِنَ قَصِيدَةَ الْبُحْتَرِيِّ الَّتِي أَوَّلُهَا: (من الطويل)

لَنَا أَبَدًا بَثٌّ نَعَانِيهِ فِي «أَرْوَى» وَ«حُزْوَى» وَكَمْ أَذْنَتُكَ مِنْ لَوْعَةٍ «حُزْوَى»

فقال: (من الطويل)

فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلَامَةِ لَا يَقْوَى
بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنُهُ الْبَلْوَى
وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى
لَيْثِمًا يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى
بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرِ وَسُلْطَانِهِ أَقْوَى
غُلُوبٌ إِذَا بَادَى فِتُولٌ إِذَا أَهْوَى
وَرَضْوَى لَهْدَتْ يَذْبُلًا وَمَحَتْ رَضْوَى
أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبُ الشُّكْوَى
بِأَنَّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى
إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى
إِلَى الْقَسْ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى
فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَتَوَى
فَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى
سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ أَوْ عِدَةٍ تَلْوَى

أَقَلَّ مَلَامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الْأَحْوَى
كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِأَمْرِي
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا فَالْوَى عِنَانُهُ
هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى
سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لِحُقُوقِ إِذَا هَوَى
لَهُ سَوْرَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلُ
فَحَتَّامٌ يَلْحَانِي الْعَدُولُ عَلَى الْهَوَى
لَقَدْ سَامَنِي طَيِّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى
وَبِي بَلْ بِقَوْمِي الْأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ
مِنْ الْغَيْدِ كَحَلَاءِ الْمَحَاجِرِ لَوْ رَنْتُ
تُمِيتُ وَتُخَيِّبُ مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لَحْظَةٍ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا فَلَمْ أَنْلُ

يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى
أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهْبُ الْجَدْوَى
أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى
إِذَا مَا دَجَا حَطَبٌ وَبَادِرَتِي تُرَوَى
رُسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى
عَزِيمَةٌ لَيْثٌ مَا تَهَرُّ وَمَا تُغْوَى
فَيَكْظُمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُقَاةُ النَّدَى تُرَوَى
يَدُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى
جَدِيرٌ بَأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى
بِهِمْ وَبِفَضْلِي رَشْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى
وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى
رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعْدَ الْمَهْوَى
أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَى
قُلُوبُهُمْ مِنْ شَرٍّ مَا حَمَلْتُ تَدْوَى
وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الْأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى
نَبَذْتُ بِهِ رَأْيَا أَلَدَّ مِنَ السَّلْوَى
عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْوَى
تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى
وَلَا غَرْنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى
سَرَاعًا فَلَا أَرَوَى ذَكَرْتُ وَلَا حُزْوَى
فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوِهَا الْغَايَةَ الْقُصْوَى

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ وَقَلَمًا
خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمًا
وَأَنِّي امْرُؤٌ لَوْلَا الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي
لِسَانِي خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي
وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا
وَحِلْمٌ كَرِيمٌ يَمْلَأُ الْغَيْظَ قَلْبَهُ
وَعِفَّةٌ نَفْسٍ لَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ
وَلِي هِمَّةٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ
بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي
فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنَّنِي
وَلَيْسَ غُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ
إِذَا حَرَّكَتَنِي نَحْوُ أَرْضٍ وَتِيرَةٍ
فَإِنْ كَانَ سَوَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ
بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحْتُ بِهِ
نَصَحْتُ وَغَشُوا وَاسْتَقَمْتُ وَرَاوَعُوا
وَأَنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمَقَرَ طَعْمُهُ
أَصَبْتُ كُلِّي الْأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
وَصُغْتُ مِنَ السَّحَرِ الْحَلَالِ قَصَائِدًا
فَمَا قَيَّدْتَنِي لَفْظَةٍ دُونَ حِكْمَةٍ
وَيَا طَالَمًا رُمْتُ الْقَوَافِي فَأَقْبَلْتُ
فَلَا يَحْذَرُونَ النَّاسُ حَذْوُ بِلَاغَتِي

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من مجزوء الرجز)

وَاهٍ مِنْ طُولِ الْجَوَى
فَمَا عَلَا حَتَّى هَوَى
فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى اكْتَوَى

وَيَلَاهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى
أَرْسَلْتُ طَرْفِي رَائِدًا
وَسَارَ قَلْبِي خَلْفَهُ

قَدْ طَالَمَا زَجَرْتُهُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ
 أَمَا كَفَى هَذَا الْجَفَا
 أَيْنَ اللّٰوَى وَعَهْدُهُ
 وَطَبَّيْ أَنَسَ سُمَّتُهُ
 طَلَبْتُ مِنْهُ قُبْلَةً
 وَسُمَّتُهُ وَعَدَ الْمُنَى
 يَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي
 وَكَانَ قَلْبِي رَاشِدًا
 أَوْقَعَ فِي أَشْرَاجِهِ
 فَكَيْفَ أَمْضِي فِي الْهُوَى
 وَأَيْنَ أَبْغِي نَاصِرًا
 أَصْبَحْتُ فِي تَيْهُورَةٍ
 لَا صَاحِبَ وَافَى وَلَا
 فَيَا إِلَهِي رَاعِنِي
 وَلَا تَكِلْنِي لِلَّتِي
 يَا لَيْتَهُ كَانَ اذْعَوَى
 وَآفَةُ الْقَلْبِ الْهُوَى
 حَتَّى أَعَانَتْهُ النَّوَى
 أَيَّهَاتَ عَهْدُ بِاللّٰوَى
 إِنْجَازَ وَعْدِي فَلَوَى
 فَازُورَ عَنِّي وَالتَّوَى
 فَانْحَازَ عَنِّي وَانْزَوَى
 دَعْنِي فَصَبْرِي قَدْ ذَوَى
 لَكِنَّهُ الْيَوْمَ غَوَى
 لِكُلِّ حَيٍّ مَا نَوَى
 وَالْجِسْمُ مَحْلُولُ الْقُوَى
 هَيْهَاتَ وَالْخَيْرُ انْطَوَى
 يَسَامُ فِيهَا مَنْ ثَوَى
 خَلُّ إِلَى حَالِي أَوَى
 وَادْفَعْ عَنِ النَّفْسِ التَّوَى
 لَوْ صَادَفْتُ نَجْمًا خَوَى

وَقَالَ يَفْتَخِرُ وَيُعَرِّضُ: (من الطويل)

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْجَلْمِ وَاعْتَادَنِي شَجْوِي
 فَقُمَ عَاطِنِيهَا قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ النُّهَى
 فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا نَابِلٌ ذُو مَكِيدَةٍ
 فَخُذْ مَا صَفَا مِنْ وَدِّهِ قَبْلَ فَوْتِهِ
 أَلَا إِنَّمَا الْإِيَّامُ دُولَابٌ خُدْعَةٍ
 فَبَيْنَا تَرَى تَعْلُو عَلَى النَّجْمِ رَفْعَةً
 فَرَأَيْتُ بِجِدِّ سَهْوَةِ الدَّهْرِ وَالنَّمَسِ
 وَلَا يَزَعْنَكَ الصَّبْرُ عَنْ نَيْلِ لَذَّةٍ
 أَلَا رَبُّ لَيْلٍ قَصَرَ اللَّهْوُ طَوْلَهُ
 وَأَصْبَحْتُ قَدْ بَدَلْتُ نُسْكِِي بِاللَّهْوِ
 عَلَيَّ وَيَسْتَهْوِي الزَّمَانُ عَلَى زَهْوِي
 إِذَا نَزَعْتَ كَفَاهُ فِي الْقَوَاسِ لَمْ يُشْوِ
 فَلَيْسَ بِبَاقٍ فِي الْوَدَادِ عَلَى الصَّفْوِ
 تَدُورُ عَلَى أَنْ لَيْسَ مِنْ ظِلْمٍ تُرْوِي
 بِمَنْ كَانَ يَهْوَاهَا إِذْ انْقَلَبَتْ تَهْوِي
 مُنَاكَ فَمَا يُعْطِيكَ إِلَّا عَلَى السَّهْوِ
 فَعَمَّا قَلِيلٍ يَسْلُبُ الشَّيْبُ مَا تَحْوِي
 بِهِيْفَاءَ مِثْلِ الْغُصْنِ بَيِّنَةِ السَّرْوِ

إِذَا سَفَرْتَ وَالْغُصْنَ فِي مَلْعَبِ الْحَقْوِ
يُصْرِفُ نَجْمًا زَلَّ عَنْ دَارَةِ الْجَوِ
كَأَنْ لَيْسَ غُضْوٌ فِي الْقَوَامِ عَلَى غُضْوِ
مَهُولًا مِنَ الْأَخْطَارِ بَاءُوا عَلَى بَاوِ
وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصَّخْوِ
كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الْأَرْضَ بِالْغَزْوِ
مِنَ الْأَمْرِ جَاءُوا بِالْإِنَارَةِ وَالصَّخْوِ
وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَيْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَاوِي
سَعَرْتُ لَطَى بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ
وَمَا شَاوُهُمْ شَاوِي وَلَا عَدُوَّهُمْ عَدُوِي
شَكَاةٌ فَلَا زَالُوا عَلَى ذَلِكَ الشُّكُوِ
مَرَاقٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بَعْدِهَا تَهْوِي
وَلَا الْقَوْسُ مَلَأَنَ الْحَقِيبَةَ كَالْخُلُوِ
وَلَيْسَ أَخُو صَدِّقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللُّغُوِ
وَنَامُوا وَمَا عُقْبَى التِّيَقُظِ كَالْغَفُوِ
لَوَاطِيٍّ فِيمَا بَيْنَ دَارَاتِهَا تَعْوِي

فَتَاةٌ تُرِيكَ الْبَدَرَ تَحْتَ قِنَاعِهَا
إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَاسِ خَلَّتْ بِنَانِهَا
وَإِنْ خَطَرْتُ بَيْنَ النَّدَامَى تَأَوَّدْتُ
وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا
أُنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الْأَمْرَ أَصْبَحُوا
إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الْأُمُورَ لِأَصْلِهَا
وَإِنْ حَارَتِ الْأَبْصَارُ فِي مَدْلَهَمَةٍ
شَدَدْتُ بِهِمْ أَزْرِي وَحَكَمْتُ شَرَّتِي
وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنَّنِي
فِيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خَطَّتِي
إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا أَوْحَدُوا لَهُمْ
يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا
وَلَا وَأَبِي مَا النَّصْلُ فِي الْفِعْلِ كَالْعَصَا
لَقُلْتُ وَقَالُوا فَاغْتَلَوْتُ وَخَفَّضُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي بَتُّ سَاهِرًا
فَأَصْبَحْتُ مَشْبُوبَ الزُّبَيْرِ وَأَصْبَحْتُ

وَقَالَ: (من الطويل)

وَأَبْدَلْتُ مَاثُورَ النَّزَاهَةِ بِاللَّهْوِ
إِلَيَّ وَلَكِنْ نَظَرَةٌ حَرَكْتُ شَجْوِي
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَعُودَ فَلَمْ يَلَوْ
إِذَا مَالٌ مَعَهُ لِلْخَلَاعَةِ وَالصَّبْوِ
مِنَ اللَّهْوِ قَادَتُهُ الْهُمُومُ إِلَى الشُّكُوِ
إِذَا الْعَرْضُ لَمْ يَدْنَسْ بِإِثْمٍ وَلَا بَعُوِ
وَلَا قَادَنِي مَعَهَا إِلَى سَوْءَةٍ خَطْوِي
وَأَتَّبَعُ أَثَارَ الْفَضِيلَةِ وَالسَّرْوِ
مِنَ الدَّهْرِ فَاغْتَاصَتْ عَنِ السُّكْرِ بِالصَّخْوِ

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَادَنِي زَهْوِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَعُودَ غَوَايَتِي
عَلَى أَنَّنِي غَالِبْتُ شَوْقِي فَعَزَّنِي
وَمَآذَا عَلَى مَنْ خَامَرَ الْحُبَّ قَلْبُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُعْطِ الْحَيَاةَ نَصِيبَهَا
وَهَلْ فِي الصَّبَا وَاللَّهُوَ عَارٌ عَلَى الْفَتَى
لَعَمْرُكَ مَا قَارَفْتُ فِي الْحُبِّ زَلَّةً
وَلَكِنَّنِي أَهْوَى الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا
سَجِيَّةُ نَفْسٍ أَذْرَكْتُ مَا تُرِيدُهُ

مَهُولًا مِنَ الْأَخْطَارِ بَاءُوا عَلَى بَأُو
وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصَّحْوِ
كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الْأَرْضَ بِالْغَزْوِ
مِنَ الْأَمْرِ جَاءُوا بِالْإِنَارَةِ وَالضَّحْوِ
وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي
سَعَرْتُ لَطَى بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ
وَمَا خَطُوهُمْ خَطْوِي وَلَا عَدُوهُمْ عَدْوِي
مَرَّاق تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي
فَإِنِّي جَدِيرٌ بِالْإِصَابَةِ فِي الْأَتْوِ
إِذَا رَامَ أَمْرًا لَمْ يَجْزُ سَاحَةَ الْبَهْوِ
وَلَيْسَ أَخُو صِدْقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللَّغْوِ
وَنَامُوا وَمَا عَقَبَى التَّيَقُّظِ كَالْعَفْوِ
كَأَكْلِبٍ حَيٍّ بَيْنَ دَارَاتِهِ تَلْوِي

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا
أُنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الْأَمْرَ أَصْبَحُوا
إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الْأُمُورَ لِأَصْلِهَا
وَإِنْ حَارَتِ الْأَبْصَارُ فِي مُذْلَهْمَةٍ
شَدَدْتُ بِهِمْ أَزْرِي وَأَحْكَمْتُ مِرَّتِي
وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنَّنِي
فِيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطَّتِي
يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا
فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ أَمْرِي الْقَوْمِ الَّذِي
لَقُلْتُ وَقَالُوا فَاعْتَلَوْتُ وَخَفَّضُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي بَتُّ سَاهِرًا
فَأَصْبَحْتُ مَشْبُوبَ الرَّئِيرِ وَأَصْبَحْتُ

قافية الياء

قال في ذكر الشوق: (من الطويل)

فَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يُرْضِي الْأَعَادِيَا
مَرِيرُ النَّوَى حَتَّى نَسِيتُ التَّلَاقِيَا
أَصَابَ حَلِيمَ الْقَوْمِ أَصْبَحَ غَاوِيَا
حَمَى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدْتَنِي الْمَهَاوِيَا
عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِالَّذِي كَانَ قَاضِيَا
وَعَاظِبْتُ فِي الْخُلَانِ مَنْ كَانَ رَاضِيَا
شَرِبْتُ بِكَاسِ تَتْرُكُ الْعَقْلَ سَاهِيَا
يَمِينِي أَدْنَى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا
وَلَا أَعْرِفُ الْأَشْخَاصَ إِلَّا تَمَادِيَا
أَسَاكِيبَ دَمْعٍ مِنْكَ تَرُوي الْمَاقِيَا
مَوَارِدَ لَمْ تَتْرُكْ مِنَ الصَّبْرِ بَاقِيَا
أَعَضَّتْ بِأَطْرَافِ الشَّكِيمِ الْمَذَاكِيَا
فَلَسْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ إِنْ عُدْتُ ثَانِيَا
وَلَوْ عَلِمُوا لَأَمُوا الظُّبَاءَ الْجَوَارِيَا
شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا
وَيَثْنِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَافِيَا
تَنَسَّمْتُ أَضْرَمْتُ الْهُوَى فِي فُؤَادِيَا

كَفَى بِالضَّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْعَذْلِ نَاهِيَا
بَلَوْتُ الْهُوَى حَتَّى بَلَيْتُ وَطَالَ بِي
وَمَا كُنْتُ ذَا غِيٍّ وَلَكِنْ إِذَا الْهُوَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَظْرَةً مَا تَجَاوَزَتْ
رَمَيْتُ بِهَا عَنْ غَيْرِ عَمِدٍ فَلَمْ تَعُدْ
هَجَرْتُ لَهَا أَهْلِي وَفَارَقْتُ جِيرَتِي
وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْجَنَانِ كَأَنَّنِي
أَدُورُ وَلَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ حَازِمًا
صَرِيحُ هَوَى لَا أَذْكَرُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ
فَيَا عَيْنُ لَا زَالَتْ يَدُ الشَّهْدِ تَمْتَرِي
فَأَنْتِ الَّتِي أَوْرَدْتَ قَلْبِي مِنَ الْهُوَى
أَطْعَمْتُكَ فَاسْتَسَلَّمْتُ بَعْدَ شَكِيمَةٍ
فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهُوَى بَعْدَ هَذِهِ
يَلُومُونَ أَشْوَاقِي كَأَنِّي ابْتَدَعْتُهَا
وَمَا لِي ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي
وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهُوَى وَهُوَ شَاعِرٌ
فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ مَا لِكَ كُلَّمَا

...
...
...
...
أَخْلَايَ بِالْمَقْيَاسِ عَنِّي سَلَامِيَا
تَمِيلُ مَعِيَ شَوْقًا فَلَقَّيْتُ دَاوِيَا
وَرَدَّتْ أَمَانِي الضَّمِيرَ هَوَافِيَا
وَلَا أَنَا وَدَعْتُ الْأَحِبَّةَ سَالِيَا
عَوَادٍ أَبْتُ فِي الْبُعْدِ إِلَّا تَمَادِيَا
تَسُوقُ إِلَى الْمَرْءِ الْحَلِيمِ التَّصَابِيَا
مَنْ النَّيْلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَاقِيَا
تَرُدُّ جَبِينِ النُّورِ أَزْهَرَ ضَاحِيَا
وَأَجْرَيْتُ أَفْرَاسَ الْبَطَالَةِ لَاهِيَا
أَصَبْتُ وَآدَابُ تَرَكْتُ وَرَائِيَا
بِمَنْزِلِهَا الْأَدْنَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
وَإِنْ أَقْبَلْتُ يَوْمًا فَيَا حَبْدَا هِيَا
مَطَافَ أَنَاسٍ يَنْشُدُونَ الْأَمَانِيَا
أَرَى الْيَأْسَ عَنْ بَعْضِ الْمَطَالِبِ كَافِيَا
إِذَا كُنَّ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَسَاوِيَا
وَلَا أَنْهَلَ مَاءَ الْمَزْنِ إِنْ مِتُّ صَادِيَا

وَيَا سَجَعَاتِ الْأَيْكِ رِفْقًا بِمُهِجَةٍ
وَيَا لَمَحَاتِ الْبَرْقِ بِإِلَهٍ خَبِيرِي
وَيَا عَذَابَاتِ الْبَانِ إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا
عَوَائِدُ شَوْقِ الْهَبْتِ لِأَعَجِ الْأَسَى
لَعَمْرُكَ مَا فَارَقْتُ رَبِّي عَنْ قَلْبِي
وَلَكِنْ عَدْتَنِي عَنْ بِلَادِي وَجِيرَتِي
زَمَانُ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ
فَيَا رَوْضَةَ الْمَقْيَاسِ جَادِكَ سَلْسَلُ
وَلَا بَرَحْتُ تَغْشَاكَ لِلْفَجْرِ نَسْمَةٌ
بِلَادُ صَحْبَتِ الْعَيْشِ فِيهَا مُنْعَمًا
فَكَمْ لَذَّةٌ أَدْرَكْتُ فِيهَا وَنِعْمَةً
هِيَ الْوَطْنُ الْمَالُوفُ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
فَلَا حَبْدًا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ
نَشَدْتُ الْمُنَى عَوْدًا وَقَدْ كُنْتُ بَدَاءَةً
فَإِنْ لَمْ أَنْلُ مِنْهَا نَصِيبًا فَإِنِّي
وَمَاذَا الَّذِي تُجِدِّي عَلَيَّ فُضَائِلِي
فَلَا أَخْضَرَ سَاقُ الْبَقْلِ إِنْ بَتَّ طَاوِيَا

وَقَالَ يُعَاتِبُ صَدِيقًا: (من الوافر)

إِلَى وَاشٍ فَغَيَّرَهُ عَلِيَا
تَوَلَّتْ أَمْرَ فِطْنَتِهِ الْحُمَيَا
فَكَمْ مِنْ سُرْعَةٍ وَهَبَكَ غِيَا
إِلَيْكَ لَجِئْتُ مُعْتَذِرًا إِلَيَا

أَتَانِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَصْغَى
وَمَا عَهْدِي بِهِ غَرًّا وَلَكِنْ
فَقُلْتُ لَهُ تَنَبَّأْتُ تَلَقَّ رُشْدًا
فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ وَدَادَ قَلْبِي

